

التربية والقيادة والوفاء

عند محمد بن أحمد الرشيد
(يرحمه الله)

(قراءات وذكريات)

بأقلام واحد وثلاثين من القيادات التربوية والإدارية

إشراف

د. محمد بن سعد العصيمي

د. محمد بن حسن الصائغ

العبيكان
Obëkan

محمد سعد محمد العصيمي، ١٤٣٦هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العصيمي، محمد سعد محمد

التربية والقيادة والوفاء عند محمد بن أحمد الرشيد - قراءات وذكريات /

محمد سعد محمد العصيمي؛ محمد حسن محمد الصائغ - ط٢. - الرياض، ١٤٣٦هـ

٤٢٤ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٨٨٨٨-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ - التربية - مقالات ومحاضرات أ. الصائغ، محمد حسن محمد (مؤلف مشارك)

ب. العنوان

رقم الإيداع: ٧٦٦٥ / ١٤٣٦هـ

ديوي ٣٧٠,٨

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

حقوق الطباعة محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٩ مقدمة الطبعة الثانية
١٣ مقدمة الطبعة الأولى
	حقة من العمر جميلة
١٧ د. إبراهيم بن عبد العزيز الشدي
	مساحات للمشي والتعليم
٢٧ د. إبراهيم بن مبارك الدوسري
	متوقّد منه الزمان
٣٩ د. أحمد البراء الأميري
	العمل بروح الفريق
٤٧ د. بهجت بن محمود جنيد
	ريادة في الإدارة ومدرسة في الكياسة والنبل والوفاء
٥٣ د. دحام بن إسماعيل العاني
	أخي محمد الرشيد.. كما عرفته
٧٣ د. راشد بن عبد العزيز المبارك
	في البدء كانت.. "المعرفة"!
٧٧ د. زياد بن عبد الله الدريس
	"الراشد والرشيد" حقة من العمل مع وزير التربية والتعليم
٨٥ أ.د. سعد بن عبد العزيز الراشد

تلازمي المهني والإنساني برجل المرحلة " محمد الرشيد "

١٣١ د. سعيد بن محمد المليص

الوفاء والذكريات

١٤١ د. سعود بن صالح المصيبيح

رحلة العشر سنوات مع الدكتور / محمد بن أحمد الرشيد ١٤١٦ - ١٤٢٥ هـ

١٧٧ د. صالح بن جاسم الدوسري

إنسانية الدكتور محمد الرشيد

١٩٧ د. عبد العزيز بن محمد الديان

سبع سمان

٢٠١ د. عبد العزيز بن محمد المنصور

ذكريات وتأملات

٢١٥ م. عبد الله بن حمد الفوزان

الوزير محمد بن أحمد الرشيد

٢٢١ أ. عبد الله بن محمد الهويمل

محمد الأحمد الرشيد.. الإنسان الذي عرفته

٢٢٧ د. عبد الواحد بن خالد الحميد

من التقويم الشامل إلى المعجم المدرسي

٢٣٥ د. علي بن صالح الخبتي

المركب الصعب والعلاقة الوثيقة

٢٤٣ د. علي بن عبد الخالق القرني

سنوات من العمل والأمل

٢٥٣ د. محمد بن حسن الصائغ

سنوات أربع قضيتها مع معالي الوزير

أ. د. محمد أحمد الرشيد (١٤١٦-١٤١٩هـ)

٢٦٣ د. محمد بن سالم العطاس

عهد زاخر بالإنجازات

٢٨١ د. محمد بن سعد العصيمي

ست وثلاثون سنة

٢٩٩ د. محمد سليم العوا

كلمة حق

٣٠٥ د. محمد بن لطفي الصباغ

التربية الخاصة "نماذج من النشاطات وشيء من الذكريات"

٣١٩ أ.د. ناصر بن علي الموسى

في رحاب العمل مع محمد بن أحمد الرشيد

٣٤١ د. أحمد بن سعد آل مفرح

متعة العمل والإنجاز مع الرشيد

٣٤٥ أ. صالح بن عبد العزيز الحميدي

محمد الرشيد.. الإنسان والوزير

٣٥١ د. صالح بن موسى الضبيان

القيادة بالعلاقات الإنسانية

٣٦١ أ. حامد بن صالح الفاجح

سمات القيادة عند محمد الرشيد

د. أحمد بن زيد الدعجاني ٣٦٧

محمد بن أحمد الرشيد

د. خضر بن عليان القرشي ٣٧١

الشخصية الاستثنائية :

عملاً وتعاملاً

أ. صالح بن عبدالله التويجري ٣٨٣

من الانطباعات عن (الطبعة الأولى) ٣٨٥

الشكر والعرفان لوفاء الأوفياء

أ. د. محمد بن أحمد الرشيد ٣٩١

الخاتمة ٣٩٥

شواهد من مسيرة التربية والقيادة والوفاء ٣٩٧



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله المعلم الأول والقائد التربوي الأمتل ومنهل الحكمة والوفاء والقنوة الحسنه. أما بعد:

فلم يأت هذا الكتاب عضو الخاطر، بل جاء نتيجة تجربة فريدة ثرية في القيادة والتربية والوفاء بأقلام اثنين وثلاثين من القيادات التربوية والإدارية التي تعاملت، وعملت مع أنموذج الإدارة والقيادة الفذ تربوياً وإدارياً ومدرستها في العصر الحاضر معالي أ. د. محمد بن أحمد الرشيد - رحمه الله - الذي عمل عميداً لكلية التربية بجامعة الملك سعود، ثم مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج، ثم عضواً بمجلس الشورى، ثم وزيراً للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، وأخيراً عضواً في الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية وله بصمة وتميز يُحتذى في كل عمل تولاه يشهد به في هذا السفر من عمل معه.

وتأتي هذه (الطبعة الثانية) بعد أكثر من ثلاثة أعوام من وفاته تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، حيث جاءت وفاته مفاجئة مساء يوم السبت ٢٠ / ١ / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٣ / ١١ / ٢٠١٣ م وهو اليوم الذي خصصه من كل أسبوع لاستقبال زواره في منزله حيث كانت سعادته بهذه الأمسية كبيرة جداً، ولا تكاد تتوقف هذه (السبتية) حتى في سفره، إلى الدرجة التي حببت لإخوانه الأوفياء وفي مقدمتهم د. عبد الله ولأبنائه البررة أحمد وإخوانه استمرارية (السبتية) إلى اليوم، جزاهم الله خيراً على الحرص في التواصل مع أحبة أبيهم.

ولنا في هذه المقدمة وقفات مع وفاته. رحمه الله. جديرة الذكر.

الوقفه الأولى:

ما ذكره اللواء عبد القادر كمال عضو مجلس الشورى سابقاً، حيث يقول: خرجت من المسجد مع أبي أحمد بعد صلاة المغرب من ذلك اليوم ماشيين إلى السبتية في بيته،

فقال لي رحمه الله: جئت قبل المغرب من عزاء في وفاة أخينا د. أسامة عبدالرحمن الذي توفي فجأة، وأنا أرى - وهو القائل رحمه الله -: إن موت الفجأة راحة للميت إلا أنها مفزعة لأهله، ثم دخلنا اللقاء وكعادته في حسن استقبال محبيه وسعادته بهم ومهارته في إدارة الحوار كأحسن ما تراه رحمه الله، وبعد توديعهم بأقل من ساعة توفاه الله بالصورة المفاجئة التي كان يتحدث عنها بعد صلاة المغرب.

الوقفه الثانية :

فور خروج نبأ وفاته .رحمه الله .لم يتمالك كثير من محبيه ومعارفه وأقاربه مشاعرهم، ولم يحتملوا الانتظار إلى الصباح، بل تدافعوا في دھول إلى منزله، وبعضهم لا يكاد يصدق لما عرفوا عنه من أنه يتمتع بفضل الله بصحة جيدة، ولا يشكو من مرض ومن المغرمين بالمشي ودعاته؛ لما له من أثر في الصحة. ثم انظر ماذا حدث في هذا التلاقي، فقد فاضت العيون بالدموع وبعضهم يعزي بعضاً، وأمثلهم طريقة تمثل بقول الرسول ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ وَالْقَلْبَ لَيَحْزَنُ وَإِنَّا لِفُرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». قائلين: إنا لفراقك يا أبا أحمد، لمحزونون.

الوقفه الثالثة :

الصلاة في جامع الملك خالد بأم الحمام بعد عصر يوم الأحد ١٤٣٥/١/٢١هـ حيث امتلأ المسجد على سعته وكبره بالمصلين وبعضهم صلى في الخارج، فانتقلت الجموع الكبيرة إلى مقبرة أم الحمام، واستمر العزاء بها إلى قبيل المغرب. ثم بعد ذلك وبصورة غير عادية توافدت جموع كبيرة خلال أيام العزاء إلى منزله رحمه الله بحي الرحمانية تتقدمهم قيادات الوطن الغالي (وفقههم الله) خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز (عندما كان ولياً للمهد)، وأصحاب السمو الملكي الأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء، وفي مقدمتهم سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، وأصحاب المعالي الوزراء وكبار رجال الدولة من جميع القطاعات من الرياض ومن خارجها، وكذلك من دول الخليج العربية الشقيقة.

ولفت نظر المعزّين في هذا الخصوص شيخ كبير في سنه جاء قادماً من جازان على حافلة النقل الجماعي بقلب حزين على فراق أبي أحمد؛ ليقدم العزاء قائلاً: أنا لا أنسى د. محمد الرشيد . رحمه الله . لما له من مواقف طيبة معي جزاه الله عني خير الجزاء .

الوقفه الرابعة :

حجم مقالات الرثاء والعزاء الكثيرة التي أظهرتها الصحف المحلية ووسائل الإعلام الأخرى من جميع فئات المجتمع والتي عبر فيها كتابها عن مكانة د. محمد الرشيد، وما يحملون له من ود عميق، وما تحلى به . رحمه الله . من أخلاق حسنة وعلاقات إنسانية مميزة وخصال حميدة في عمله وتعامله صدرت في كتاب حديث تحت اسم: (محمد ابن أحمد الرشيد: أحبهم فأحبوه) يقع في ٤٧١ صفحة توثيق وتقديم د. محمد أبو بكر حميد، ونشرته دار الاختراع الدولية للنشر عام ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م) ، أما التغريدات في تويتر والفييس بوك وغيرها المعزية في وفاته، فحدث ولا حرج.

الوقفه الخامسة :

كان أبو أحمد يكتب مقالاً أسبوعياً يوم الثلاثاء في صحيفة الرياض تحت اسم (حديث الثلاثاء) يتحدث فيه عن هموم المجتمع التي تشغل باله . رحمه الله . في مجال التربية والتعليم واللغة العربية والإدارة وغيرها والتي جمعها أبنائه في كتاب بالاسم نفسه (حديث الثلاثاء) . والشاهد هنا أنهم وجدوا بعده أن المقالات المعدة عنده للنشر تجاوزت ثمانين مقالاً، وهذه في لغة كتاب الأعمدة في الصحف من النوادر التي يُعدّ فيها كاتب عمود أو مقالة هذا الكم قبل موعد نشرها . وقد قامت جريدة الرياض بمواصلة النشر بعد وفاته، ثم أخذت صحيفة الجزيرة مشكورة الاستمرار في نشر البقية نفع الله بها، وكتب أجرها للكاتب، ومن أسهم في نشرها، وجعلها في ميزان حسناتهم، وخصوصاً دفاعه الكبير عن اللغة العربية.

أما جديد هذه (الطبعة الثانية) بعض المقالات التي لم تُضمّن في (الطبعة الأولى)، وهي مشاركات من: د. صالح بن موسى الضبيبان، والأستاذ صالح بن عبدالعزيز

الحميدي والأستاذ حامد بن صالح الفاجح، ود. أحمد بن سعد آل مفرح، ود. أحمد ابن زيد الدعجاني ود. خضر بن عليان القرشي والأستاذ صالح بن عبد الله التويجري. ثم تأتي بعد ذلك بعض المشاعر حول الطبعة الأولى. ثم مقالة أ.د. محمد الرشيد في صحيفة الرياض العدد ١٥٩٥٤ في ٦/٤/١٤٣٣ هـ بعنوان (الشكر والعرفان لوفاء الأوفياء) التي جاءت بعد صدور الكتاب في طبعته الأولى.

وختاماً، نسأل الله العلي القدير أن يتعمد فقيد الوطن والتربية والتعليم وفقيد الإدارة المميز بوسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، وأن ينفع بهذا النموذج الفريد في التربية والقيادة والوفاء الذي شاهده هذه النخبة من الكتاب، وشهدت به، فأجيالنا الحاضرة والمستقبلية في حاجة ماسة إلى نماذج مميزة في هذه الجوانب؛ ليستفيدوا منها على أرض الواقع في حياتهم العملية وخدمة دينهم ووطنهم وأمتهم.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وهو الهادي إلى سواء السبيل

د. محمد بن سعد العصيمي د. محمد بن حسن الصائغ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد:

فتزخر هذه الحياة بعطاءات جمّة، ونماذج فريدة، ولا غرو، فالحياة هي حياة العمل، والعطاء، وتنتع دوماً بالحركة، والإنتاج، وبما يوحي بالحيوية والنشاط على خلاف ما دون ذلك، والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة، والأمة العربية والإسلامية بصفة عامة بفضل الله سبحانه وتعالى حازت إنجازات عظيمة عبر التاريخ، وقدمت رواداً كباراً لا ينساهم التاريخ في المجالات التربوية والعلمية، والثقافية، والسياسية.

ونحن اليوم بصدد رائد من رواد التربية والتعليم، تسنم أعلى منصبين في التربية على مستوى المملكة، وعلى مستوى دول الخليج. فكان مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج بين عامي (١٤٠٠ - ١٤٠٨هـ)، ثم عضواً في مجلس الشورى حين إعادة تشكيله في عام ١٤١٤هـ، إلى أن أصبح وزيراً للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية بين عامي (١٤١٦-١٤٢٥هـ) إضافة إلى حيازته الأستاذية في التربية وعمادة كلية التربية بجامعة الملك سعود وغيرها.. ذلكم هو الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وفقه الله لكل خير، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته، والذي نشأ في أسرة كريمة في المجمعّة بالمملكة العربية السعودية. ثم أبى إلا أن يواصل تعليمه في الرياض ثم خارج المملكة، حتى حصل على درجة الماجستير من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، ودرجة الدكتوراه من جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية في تخصص التربية والتعليم.

ولقد سطع نجم أبي أحمد فيما قدم من عمل وإنتاج، لا ينسأه له التاريخ، وقيادة حكيمة في مكتب التربية العربي لدول الخليج، الذي عاش عصراً ذهبياً، وأصبح من المؤسسات التربوية المرموقة ليس على مستوى المنطقة والعالم العربي بل على المستوى الإسلامي والدولي، والشواهد قائمة على ذلك.

ثم حظي التعليم في المملكة بهدية غالية عندما صدر الأمر السامي الكريم عام ١٤١٦هـ بتعيين معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزيراً للتربية والتعليم، استمرت لعشر سنوات خضر، عاشت الوزارة بحق عصراً ذهبياً مليئاً بالحركة والحيوية والنشاط في مختلف جوانب العمل التربوي والقيادة الإدارية، والعلاقات الإنسانية المتميزة، والتي لا يكتمل العمل الناجح من دونها على مستوى الوزارة، والمناطق، والمدارس، وهذا ما أوردته المقالات والشهادات المدونة في هذا الإصدار ممن كانوا على صلة مباشرة بالعمل وتخطيطه وتنفيذه، وعلى معرفة بأبعاد الفكر التربوي الذي أنتجه المكتب والوزارة.

ولقد كان الداعي إلى هذه القراءات والذكريات هو رصد خبرات وإنجازات حقبة من تاريخ وزارة التربية والتعليم ومكتب التربية العربي لدول الخليج بقيادة علم من أعلام التربية والتعليم وتوثيقها لأمرين أولهما: إسناد الفضل لأهله، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس، وثانيهما: الإفادة من هذه التجربة الثرية في العمل التربوي بخاصة وقيادة العمل في المجالات الأخرى بعامة، لا سيما ونحن نستقصي تجارب عالمية رائدة لبلدنا وأمتنا. فما بالنا وتلك التجارب الرائدة الناجحة بين ظهرانينا وبأيدي أبنائنا.

والمتتبع لهذه المقالات يعيش تلك الأجواء المفعمة بالتقدير والاحترام والمودة وبالوفاء الفذ، في زمان عز فيه الوفاء، وما الوفاء لأخيها الدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن الدريس أمين عام اللجنة العليا لسياسة التعليم الأسبق يرحمه الله وما قام به الوزير والوزارة إلا مثلاً يحتذى.

ويلاحظ من خلال هذه المقالات الإجماع على العمل بروح الفريق الواحد من خلال اللجان الدائمة والمستمرة، وعلى كل المستويات واللقاءات المنتظمة الدورية والكثيفة مع

جميع الفئات التعليمية والإدارية والفنية، يضاف إلى ذلك منح الصلاحيات: (حدودك السماء)، (وأنت الوزير في موقعك)، وكذلك العمل المؤسسي من خلال مراجعة الأنظمة وتطويرها، ووضع أدلة العمل الكثيرة، ويضاف إلى ذلك التواصل مع جميع فئات المجتمع ورفع الروح المعنوية للقائمين على العمل من خلال شعارات ذات معنى ومغزى كبيرين وترسيخها في الأذهان والعمل على العيش معها وتحقيقها واقعاً: (وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة، ووراء كل تربية عظيمة معلمون جادون مخلصون).. ومن ذلك: (أن النائم لا يتعثر)، وهذا يشير إلى أن من يعمل معرض للخطأ، ومن لا يعمل لا يخطئ، ومما ورد في الأثر: أن من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد. ومفاده الحث على العمل، والاجتهاد، وبذل الفرد منا كل ما في وسعه وبغاية ما لديه من علم، ومعرفة، ومهارة، ودقة، وإخلاص، أداءً للأمانة، وخدمة للدين والوطن والأمة، وإسهاماً في حركة الحضارة الإنسانية، فلم يعد نشاط الفرد، وإنتاجه في هذا العصر محصوراً أو حكراً على بلد بعينه، فالعالم اليوم كبلد واحد بالأمس، بل مدينة واحدة أو قرية، كما هو القول الدارج. ولا تقوتنا الإشارة هنا إلى ما استطاع الوزير تحقيقه من تفاعل المجتمع الذي أفضى إلى دعم مالي ومعنوي تمثل في بناء مجمعات مدرسية وإنشاء مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (موهبة).

وتميزت هذه الكتابة بالشفافية والوضوح لا سيما وأنها كتبت بعد أن ترجل الفارس عن صهوة الوزارة، وبقيت ذكريات الوفاء العاطرة المليئة بالخبرات الثرية في مختلف الحقول، والجوانب من متخصصين، وقيادات على مستوى الوزارة، وإدارات التربية والتعليم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، بيد أن هذا غيض من فيض تعددت فيه الأساليب، وتفاوتت فيه العواطف والمشاعر، واتفق فيه الفكر على العمل والإنجاز، وحسن الإدارة، ومثالية الوفاء، وحسن التواصل، وهي قيم مهمة لنجاح العمل.. وجماع القول: إننا نحسبها شهادات حق بعيدة عن أي تزلف أو أهواء شخصية، لا سيما وقد تعددت مصادرها زماناً، ومكاناً، وكتّاباً.

بقي أن نقول: إن دورنا لم يتجاوز الإشراف، والتنظيم، والمتابعة، ليخرج هذا الإصدار إلى حيز الوجود، رغبة في إفادة الأجيال الحاضرة، والقادمة من هذه التجربة الثرية حقاً في الإدارة، والتربية، والعلاقات الإنسانية إضافة إلى تقدير رجل أعطى بلا كلل ولا ملل لوطنه ينتقل من منطقة إلى منطقة، ومن مدرسة إلى مدرسة، ومن اجتماع إلى آخر، ومن لقاء إلى لقاء، ومن جهة إلى جهة حكومية أو خاصة، يتابع بنفسه مصلحة وزارته ومنسوبيها. كل ذلك يزينه الرفق من غير ضعف والحزم من غير عنف.

وعلى أي حال فمهما كتب في هذا الإصدار بجماله ومتعة قراءته لا يفي أباً أحمد حقه ولا الوزارة ولا المكتب، فقد كان بحق رائداً من رواد التربية والتعليم في عصرنا الحاضر، فهنئاً له بمحبة إخوانه من قبل، ومن بعد، وما قدمه من إنجاز لهذا البلد الطيب، وأبنائه، وقيادته الرشيدة - وفقهم الله -، وذلك في ميدان من أهم ميادين العمل والبناء الاستثمار في الإنسان، وهو الاستثمار الأهم في المستقبل.

ولا يسعنا قبل الختام، إلا أن نسجل الشكر والتقدير أجزلهما لكل من أسهم معنا في المراجعة والطباعة والنشر ونخص بالذكر أخانا العزيز الأستاذ محمد عبد الله بيهان، الذي توفاه الله قبيل طباعة هذا الإصدار، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

ويسرنا الترحيب بل نقدر أي ملاحظات أو مقترحات على هذه الطبعة أو مشاركات بالخبرات أو التجارب للطبعة الثانية ويمكن التواصل على البريد الإلكتروني:

alosaimi-m@yahoo.com

نسأل الله العلي القدير أن يجعل ما قدمه كل كاتب وما قدمه أخونا أبو أحمد لوطنه وأمته في ميزان حسناتهم، وأن يعفو عن تقصيرنا، ويوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب.

والله موفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. محمد بن حسن الصائغ

د. محمد بن سعد العصيمي

حقة من العمر جميلة

د. إبراهيم بن عبد العزيز الشدي

كانت المرة الأولى التي لقيت فيها أخي وصديقي العزيز الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد في مدينة هيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩ م، وذلك في مبنى الملحقة السعودية هناك في بداية دراستي في جامعة أكلاهوما. وقد لفت نظري في ذلك اليوم حماس الدكتور الرشيد في النقاش مع مجموعة من الطلبة، يبدو أنهم مبتعثون من جامعة الملك سعود، وكان وقتها عميداً لكلية التربية فيها.

وبعد عامين من ذلك اليوم كنت قد عدت من الدراسة، وكلفت بالعمل في جهاز وزارة المعارف في اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، وهي الإدارة المعنية بعلاقة المملكة العربية السعودية مع المنظمات التربوية الدولية والإقليمية، ومن هذه المنظمات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الذي أصبح الدكتور الرشيد مديراً عاماً له، وبحكم عملي في اللجنة الوطنية كنت أحضر بعض اجتماعات المكتب، ولا سيما اجتماعات المجلس التنفيذي بصحبة الشيخ إبراهيم الحجي -رحمه الله- وكيل وزارة المعارف للشؤون الثقافية آنذاك، الذي كان ممثلاً للمملكة في المجلس التنفيذي لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

كانت اجتماعات المجلس التنفيذي ميدان حوار ونقاش في العديد من الموضوعات، التي كان يطرحها على المجلس الدكتور محمد الرشيد بصفته المدير العام للمكتب، فقد كان طموحه كبيراً في أن يكون لمكتب التربية العربي لدول الخليج نشاطاً كبيراً في مجال التربية والتعليم في دول الخليج، وكان من ممثلي الدول الأعضاء في المجلس من يجد صعوبة في تنفيذ هذه الطموحات، فيكثر من التساؤلات التي ينبري لها المدير بالشرح والتفصيل، سعياً إلى إقناع أعضاء المجلس بهذا المشروع أو ذاك. ولا زلت أذكر ما كان

عضو مجلس الشورى، وكيل وزارة التربية والتعليم للشؤون الثقافية والعلاقات الخارجية سابقاً.

يقوله الدكتور الرشيد أحياناً، وهو يعرض بعض الموضوعات: «إن إدارة المكتب عندما تقترح مشروعاً أو برنامجاً فإنما تضيف بهذا عبئاً على عاتقها، وكلما قلت أوجه نشاط المكتب قلَّ الجهد والتعب، ولكننا لا نقبل أن نركن إلى الراحة، وهناك الكثير مما ينبغي أن نقوم به من برامج ومشروعات في ميدان التربية والتعليم والثقافة والعلوم»، وكان الميدانان الأخيران ضمن عمل المكتب قبل أن يقتصر على النشاط التربوي والتعليمي في السنوات الأخيرة.

كانت اجتماعات المجلس التنفيذي لمكتب التربية العربي لدول الخليج تعقد كل ستة أشهر في مقر المكتب بالرياض غالباً أو في إحدى المدن الأخرى في المملكة أو في الدول الأعضاء في المكتب، وكانت هذه الاجتماعات - بجانب طابعها الرسمي - من أحلى اللقاءات التي تجمع بين المتعة والفائدة، لأنه يصاحبها لقاءات شخصية بين أعضاء المجلس التنفيذي والعاملين في المكتب، كما يصاحبها نشاط اجتماعي وترفيهي تنظمه غالباً وزارة التربية والتعليم في البلد الذي يستضيف اللقاء.

كانت سنوات إدارة الدكتور محمد الرشيد لمكتب التربية العربي لدول الخليج زهرة عمر المكتب، لأنها امتلأت بأوجه النشاط المتعدد، ومنها: المؤتمرات التي كان ينظمها المكتب حول موضوع معين كمؤتمر: (ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟) أو ورش العمل التي تتنوع بتنوع موضوعاتها والمشاركين فيها، وكثيراً ما تعقد هذه الورش للعاملين في القطاعات المتماثلة في وزارات التربية والتعليم بالدول الأعضاء في المكتب، مما يتيح فرصة لتبادل الخبرات بين المشاركين، وكانت هناك دورات تدريبية قصيرة لبعض الموضوعات التربوية والثقافية، ولا ننسى المطبوعات القيمة التي أصدرها المكتب، سواء في ذلك ما يتصل بمتابعة التطورات التربوية والتعليمية تأليفاً أو ترجمة، مثل كتاب (أمة في خطر) حول التقرير الذي صدر عن التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، أو تلك الكتب القيمة في التراث الإسلامي التي طبعت لأول مرة وخرجت إلى النور بعد أن كانت مخطوطة، وهي من أمهات الكتب الإسلامية.

وقد تطورت علاقتي الرسمية والشخصية مع الدكتور محمد الرشيد عندما عين وزيراً للمعارف عام ١٤١٦هـ وكنت وقتها وكياً مساعداً في قطاع الثقافة والعلاقات الخارجية، وقد كانت السنوات العشر التي قضاها وزيراً تجربة عامرة بكل أنواع النشاط الرسمي أو الاجتماعي.

ففي المجال الرسمي تبلور العمل الجماعي بين قطاعات وزارة التربية والتعليم بما في ذلك إدارات التربية والتعليم، وذلك من خلال اللقاءات المتعددة على مستويات عدة ودورات انعقاد متفاوتة، الأعلى والأهم من هذه الاجتماعات كان الاجتماع الأسبوعي كل أربعاء، وكان الاجتماع يبدأ صباحاً الساعة الثامنة تماماً، وأقول تماماً لأنني لا أتذكر أن الاجتماع قد تأخر عن هذا الموعد في كل الاجتماعات التي عقدت عندما يكون الوزير حاضراً في مدينة الرياض طيلة السنوات العشر.

وبرغم جدية الاجتماع وعمق الموضوعات التي يطرحها إلا أن هذا الاجتماع والاجتماعات الأخرى كانت لا تخلو من المتعة، التي يضيفها الدكتور الرشيد أو شجع عليها، وكانت تجد تجاوباً من بعض الزملاء الذين يتحلون بروح الدعابة، ولا سيما زميلنا الدكتور إبراهيم الدريس (رحمه الله)، الذي كان يجمع بين الفكر والفكاهة.

ولدى الدكتور محمد الرشيد قدرة لطيفة على ربط الموضوع الذي يتحدث عنه مع ما قد يلاحظه بين المجتمعين، كأن يدخل أحد الزملاء بعد الثامنة وقد بدأ الاجتماع، فيشير الرشيد في ثنايا حديثه دون أن يقطعه إلى أن الزميل فلان قد دخل الآن، وقد يلتمس له عذراً غير واقعي كمداعبة لطيفة، وكانت مثل هذه الإشارات دروساً تعلمها المشاركون في أهمية الالتزام بالوقت، ولا سيما عندما ينبه الوزير إلى أن منسوبي وزارة التربية والتعليم هم أخرى الناس بالالتزام بالوقت، لأنهم قدوة لغيرهم من المربين والمربيات.

وفي المجال الرسمي أيضاً انتشرت روح المبادرة والابتكار وتقديم الاقتراحات بين الزملاء في قطاعات الوزارة المختلفة كل في اختصاصه، نظراً لجو العمل الإبداعي الذي

نشره الدكتور الرشيد بين العاملين في وزارة التربية والتعليم، وذلك من خلال ترحيبه بالأفكار والمقترحات التي يقدمها الزملاء، سواء في ذلك قطاع الجهاز المركزي للوزارة أو من الزملاء مديري التعليم، أو تلك الاقتراحات التي ترد من المعلمين أو المشرفين التربويين برسائل يبعثون بها أو يطرحونها خلال اجتماعات الوزير معهم في مناطقهم، وقد سمع معظم الزملاء من الوزير عبارته المشهورة التي كان يجيب بها من استأذنه في تقديم اقتراح أو مشروع جديد: «انطلقوا مستعينين بالله، فحدوكم السماء».

أما في العمل الخارجي فينطلق الدكتور الرشيد في حرصه عليه من اقتناعه أن القضايا الإنسانية - وخاصة التربوية والتعليمية منها - متشابهة في معظم دول العالم، ومن الحكمة أن نستفيد ممن سبقونا وأن نعرف ما أنجزوه من برامج تنموية في مختلف المجالات، ولذلك كان يحرص عند قدوم الوفود الرسمية إلى المملكة أن تكون برامج زيارتهم حافلة باللقاءات والزيارات للمسؤولين والأماكن فيها، التي تهتم الوفد الزائر، ويتحقق من خلالها التعريف بإنجازات المملكة التنموية بشكل عام والتربوية والتعليمية فيها بشكل خاص.

وعندما كان يدعى الدكتور الرشيد لزيارة دولة أخرى أو المشاركة في مؤتمر أو لقاء خارج المملكة، تجد الحرص نفسه على الاستفادة من هذه المشاركات الخارجية، من خلال الإعداد المبكر للزيارة، وتوفير المعلومات اللازمة، وتشكيل الوفد المناسب، وعقد اللقاءات السابقة للزيارة، وفي المؤتمرات الدولية كالمؤتمر العام لليونسكو، أو اللقاءات الإقليمية العربية أو لقاءات دول الخليج كان الدكتور الرشيد يدير الحوارات ويقدم الاقتراحات، مما يجعل وفود المملكة من أكثر الوفود تأثيراً فيما تنتهي إليه كل الاجتماعات من نتائج.

وقد تزامن تكليف الدكتور الرشيد بالوزارة عام ١٤١٦هـ مع صدور الموافقة على تقديم ترشيح المملكة العربية السعودية لعضوية المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، وكان هناك أكثر من دولة من الدول الأعضاء في المنظمة - من بينها دول عربية - تقدموا للترشيح لعضوية المجلس، وقد استطاعت المملكة الحصول على أعلى الأصوات

خلال الانتخابات التي جرت في المؤتمر العام لليونسكو في باريس في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٧م.

وقد حرص الدكتور الرشيد خلال تمثيله للمملكة في عضوية المجلس التنفيذي لليونسكو لمدة أربع سنوات أن يعزز من استفادة المملكة من عضويتها في هذه المنظمة الدولية، وكان من بين المحطات الأبرز خلال تلك العضوية سعيه إلى أن تتولى كفاءة سعودية منصب المدير العام للمنظمة، وكان مديرها العام آنذاك الدكتور فريدريكو مايور الإسباني في المرحلة الأخيرة لإدارته، وقد أعلنت المنظمة عن شغور الوظيفة للدول الأعضاء.

وفي إحدى دورات المجلس التنفيذي في باريس، كنت أتناول الغداء معه في أحد المطاعم دار الحديث حول منصب المدير العام للمنظمة، وتساءل الدكتور محمد: لماذا لا يكون للمملكة العربية السعودية مرشح؟ فأيدته في هذه الفكرة، لكن من ترى أن يكون المرشح، وخلال استعراضنا لبعض الكفاءات السعودية كان من بينها الدكتور غازي القصيبي -رحمه الله- سفير المملكة العربية السعودية لدى المملكة المتحدة آنذاك، وكعادة الدكتور الرشيد في حيوية التفكير وسرعة الإجراء، فقد اتصل هاتفياً بالدكتور القصيبي في جلسة الغداء نفسها، وكانت الفكرة فيما يبدو مفاجئة للدكتور القصيبي، لكنه لم يرفضها في ضوء حديث الدكتور الرشيد عن أهميتها للمملكة عامة وللمرشح شخصياً، لأنها وظيفة دولية مرموقة لمنظمة مهمة تعمل في مجالات حيوية، يحسن أن تستفيد منها المملكة، وأن تسهم فيها ضمن دول العالم.

وحتى يستطيع الدكتور القصيبي أن يعطي رأيه طلب معلومات ووثائق حول منظمة اليونسكو ليدرسها ثم يقرر، وكما حدث الدكتور القصيبي بالهاتف حدث الدكتور الرشيد بعده مباشرة الدكتور عبد العزيز بن سلمة مندوب المملكة الدائم لدى اليونسكو آنذاك، وطلب منه توفير المعلومات والوثائق اللازمة حول منظمة اليونسكو ومنصب المدير العام وإجراءات الترشيح، ثم بعثها لمعالي الدكتور القصيبي بأسرع ما يمكن، وكما

يعرف الجميع فقد تقدمت المملكة العربية السعودية بمرشح لمنصب المدير العام، وجرت منافسة شريفة وقوية مع عدد من المرشحين لا سيما مرشح اليابان الذي تسهم بلاده بأكبر حصة في ميزانية المنظمة.

وبرغم أن مرشح المملكة لم يفز بالمنصب، إلا أن المملكة قد استفادت من ذلك الترشيح وما صاحبه من حملة دبلوماسية وإعلامية عرفت بالمملكة وكفاءتها وقدرتها على المنافسة للمناصب الدولية.

ولعل من الذكريات البارزة في حملة الدعم لمرشح المملكة لمنصب مدير عام اليونسكو الجهد الذي بذله الدكتور الرشيد للحصول على موافقة وتأييد الدول العربية لمرشح المملكة، وكان هناك مؤتمر عام لوزراء التربية والتعليم في الدول العربية يرأسه وزير التعليم العالي والبحث العلمي في جمهورية مصر العربية ولديها مرشح لمنصب مدير عام اليونسكو، كما كان هناك عدد من الوزراء المشاركين غير متحمسين لمرشح المملكة العربية السعودية، وبرغم كل هذه الظروف الصعبة التي صاحبت ذلك المؤتمر استطاع رئيس وفد المملكة إلى المؤتمر العام أن ينجح في إصدار تأييد من المؤتمر العام لمرشح المملكة باسم الدول العربية كافة.

وهناك جانب آخر في زيارات الدكتور الرشيد للخارج وهو الجانب الاجتماعي، فهو من أقرب الناس إلى زملائه في الوفد الذي يرافقه، فالصلاة جماعة والأكل مع بعض والتشاور مع الجميع في جلسات مستمرة في مقر سكنه الذي يبقى مفتوحاً دائماً.

ومن الذكريات الاجتماعية البارزة في سفري مع أخي وصديقي الدكتور الرشيد، ما حصل في أثناء مشاركته في واحدة من دورات المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو في باريس، وقد كنت فقط بصحبته في تلك الرحلة من الرياض بطائرة خاصة. وعند وصولنا إلى باريس والاستراحة في غرفنا في الفندق، رغب الدكتور الرشيد كعادته في مزاولة رياضته المفضلة المشي، ولم أجد له رغبة في مشاركته فبقيت في غرفتي، وفي أثناء غيابه تلقيت مكالمة هاتفية من أحمد الرشيد ابن الدكتور محمد، يخبرني فيها عن

انتقال أم عثمان الرشيد إلى رحمة الله، وهي أخت للدكتور محمد وعزيزة على قلبه، وقد غادر الرياض وهو مشغول الفكر بها.

ونظراً لمعرفتي باهتمام أبي أحمد بأخته ومرضاها وحبها لها، فقد تأكد لي أنه سيرحب بأي ترتيب يعيده إلى الرياض للمشاركة في الصلاة على الفقيدة ودفنها وحضور أيام عزائها، ولم تكن الهواتف النقالة آنذاك قد توافرت كما هي الآن، فلم أستطع أن أخبر أبا أحمد في أثناء المشي، وبقيت أفكر في أمرين: كيف أرتب الطريقة المناسبة لإخباره بهذا الخبر المؤلم، ثم ماذا يمكن أن نعمل ليعود إلى الرياض، وبما أن قدومنا كان بطائرة خاصة فقد تذكرت في أثناء حديثي مع طاقم الطائرة إن عودتهم إلى الرياض ستكون في اليوم اللاحق للوصول، إذ ما زالت الطائرة في باريس، فاتصلت بالمندوب الدائم آنذاك الدكتور إبراهيم مناع ليساعدني في الحصول على أرقام مدير عام الخطوط السعودية في باريس، لنطرح الموضوع معه، وأن يعمل معي على إقناع طاقم الطائرة بالعودة للرياض هذه الليلة (أي مساء يوم قدومنا).

في هذه الأثناء عاد أبو أحمد من مشوار المشي، وبدأت بإخباره بهدوء أن ابنه أحمد قد اتصل من الرياض، فأدرك بانشغاله على أخته المريضة أن الاتصال حولها، فأكدت له ذلك، ثم تساءل: هل توفيت؟ فأومأت له موافقاً، فحمد الله ودعا لها بالمغفرة، وأبدى تقديراً كبيراً لمحاولاتي عودته للرياض، وشدد على أهمية ذلك والحرص على تحقيقه، ولحسن نية الدكتور محمد وحرصه على القيام بالواجب أقنعنا طاقم الطائرة الذي كان يرغب في قضاء تلك الليلة في باريس، وبدؤوا مع السلطات الفرنسية الإعداد للإقلاع بسرعة متناهية قبل الحادية عشرة مساءً، وهو الوقت المحدد هناك لإقلاع آخر طائرة كل يوم، وغادر أبو أحمد باريس ووصل الرياض فجراً، وتمكن بحمد الله من الصلاة على أخته ظهر اليوم اللاحق، وحضر كل أيام العزاء، ثم عاد ليكمل واجبه في تمثيل المملكة في المجلس التنفيذي لليونسكو، الذي تمتد اجتماعاته عادة أسبوعين.

ويشاء الله أن أكون ضمن وفد المملكة إلى المؤتمر العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج الذي عقد في الكويت في شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٥هـ، وكان الوفد برئاسة معالي الوزير، وكل وفود الدول الأخرى من دول الخليج برئاسة وزراء التربية والتعليم فيها، وفي مساء اليوم الأول للمؤتمر كنت معه في مشوار المشي اليومي على كورنيش مدينة الكويت، وفي نهاية المشي ونحن على مقربة من الفندق تلقى مكالمة على هاتفه الجوال، وابتعدت عنه قليلاً كالعادة ليكمل حديثه حتى وصلت إلى الفندق، وخلال دقائق وصل أبو أحمد إلينا، وكان في بهو الفندق عدد من موظفي مكتب التربية العربي لدول الخليج وبعض أعضاء الوفود، فركبنا المصعد وذهبت إلى غرفتي وذهب إلى جناحه، دون أن ألحظ على ملامح وجهه أي شيء.

وبعد أن غيّرت ملابس المشي ذهبت إلى جناحه كالعادة، حيث يستقبل زملاءه أعضاء الوفد وغيرهم من الزوار، وما إن دخلت وسلمت، وكان لديه مدير عام مكتبه الأخ/ أحمد الأحمد، وسفير المملكة لدى الكويت آنذاك الأستاذ أحمد اليحيى، حتى بادرنى بكل هدوء: أبا فيصل لقد تركت وزارة التربية والتعليم، ولم أستوعب لأول مرة ما قال، ولما رأى ملامح الاستغراب على وجهي كرر مقولته، وزاد أن المكالمة التي تلقاها في آخر مشوار المشي كانت تخبره بالموافقة على طلبه أن يعفى من منصبه وزيراً للتربية والتعليم، وبرغم أنه كان في قمة عطائه، وكان المحرك الرئيس لكل فعاليات المؤتمر إلا أنه كان في منتهى الهدوء والاطمئنان، وقد كلف منذ تلك اللحظة بعض الزملاء لرئاسة الوفد التزاماً منه بالأمر الملكي الذي صدر بهذا الشأن، وطلب من مدير عام مكتبه الطائرة للمغادرة إلى الرياض.

لقد كان موقفاً صعباً على الكثير، لكنه كان موقفاً سهلاً على أبي أحمد. وأكمل ليلته في الكويت وحضر العشاء الرسمي للوفود، ولم يعرف أحد بالموضوع طيلة العشاء حتى لا يربك الترتيبات، وفي نهاية المناسبة وعلى الطاولة التي كان يجلس عليها مع رؤساء

الوفود، طلب الحديث والإنصات من الجميع وأخبرهم بالموضوع، مضيفاً أن انتهاء زمالة العمل ستقوي علاقة الصداقة التي ستدوم وتتطور مع كل من يعرفه من الحضور.

وما زلت أذكر ونحن في الطائرة صبيحة اليوم اللاحق متجهين إلى الرياض عندما أخرج أبو أحمد ورقة من جيبه مكتوباً فيها قائمة من الموضوعات التي كثيراً ما يسجلها ليتابعها مع قطاعات الوزارة أو مع الجهات الأخرى، وكان من بينها نقاط تخص بعض زملائه منسوبي الوزارة كالترقيات وغيرها، فقد كان العمل وزملاء العمل شغله الشاغل في كل ساعات يومه، ولعل الله قد أراد به خيراً ليستريح بعد عشر سنوات من العطاء المتواصل، والكد والكدح في خدمة رسالة التربية والتعليم.

وبعد ترك الدكتور محمد الرشيد للوزارة زادت علاقتي به رسوخاً، وزادت متعتي بصحبته، فلا يكاد يمر يوم إلا وتلتقي لا سيما في عادة المشي الصحية الشائعة التي اكتسبناها من أبي أحمد بجانب اللقاءات المفيدة والممتعة التي لا تنقطع معه، سواء في جلسته الأسبوعية مساء كل سبت، أو في لقاءات الأخوة والمحبة في منازلنا أو خارجها.

رحلة حقبة من العمر جميلة سعدت بها ومازلت مع أخي وصديقي معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، متعه الله بالصحة والعافية، وأدام المحبة بيننا، وبين كل الأهل والأصدقاء، لأنها زاد الحياة الأطيب بعد رضا الله سبحانه، وما عدا ذلك غناء لا يؤثر نقصانه أو زيادته.



مساحات للمشي والتعليم

د. إبراهيم مبارك الدوسري

مسارات مبهجة

توثقت معرفتي بأبي أحمد من خلال المشي اليومي تقريباً، حول حزام حرم جامعة الملك سعود. وبرغم أيام الدراسة فإن عدد السيارات التي كنا نشاهدها تدور هناك، بعد صلاة العصر، وهو الوقت الذي اخترناه للمشي، يعد قليلاً بالنظر إلى أعداد الطلاب والأساتذة في الجامعة. وفي العطلة الصيفية، يكاد الحزام يخلو من السيارات، ويصبح المشي حينها أكثر أماناً وأقل إزعاجاً وأقل تلوثاً.

يأخذ الدوران مشياً على محيط حرم الجامعة حوالي الساعة والنصف، يمكن للماشي المتعجل خلالها قطع حوالي سبعة كيلومترات. ومن المؤكد أن الراكض يستطيع قطع المسافة في أقل من النصف ساعة. يعلل كبيرو السن بطء مشيهم بأن السرعة تضر بالصحة، وأن مفاصل الرجلين والركبة تتضرران بالاهتزاز/ مبررات مقنعة للتخفيف من التعب الذي يسببه السير السريع، وعذر جيد يجعل من المشي تمشية.

ولقد وهب الإنسان قدرة على إيجاد الأعذار لتحاشي بذل المجهود بدنياً أو ذهنياً. وربما تكون الحاجة إلى مثل هذه الأعذار أشد عندما يكون الجهد المطلوب ذهنياً، وفي هذه الحالة يعوض أحياناً عن المجهود الذهني بالمجهود البدني. لست أعني هنا أن رياضة المشي تحديداً، أو أن كل نشاط بدني إنما هو نوع من الجهد الذهني، لكنني أقول: «إن بعضاً من أفعالنا أو أفكارنا ربما تأتي هروباً من نشاط أو موقف قد يكبدنا عناءً أو قلقاً أكثر».

مستشار أمين عام مجلس التعاون لدول الخليج العربية سابقاً والمستشار بمكتب وزير التربية والتعليم قبل ذلك.

أيام للمعرفة

كان الالتقاء الأول بأبي أحمد، مع بداية البحث عن بعثة للدراسة بالخارج في العام ١٣٩١هـ. تمت المقابلة بحضور أستاذ سوداني جليل، عرف بغزارة العلم. لم تطل المقابلة، وأتت النتيجة بعدم الموافقة. يبدو حينها أنني لم أترك انطباعاً حسناً أو أن عدد المتقدمين ممن هم أفضل مني فاق عدد الفرص المتاحة. انقطع الاتصال بعد هذه المقابلة نحو عقدين، سافرت خلالها إلى الولايات المتحدة في بعثة تدريبية، أعقبها دراسية من وزارة المعارف. إلتقيته بعد العودة، وكان اللقاء دعوة منه لتنفيذ دراسة لمكتب التربية العربي لدول الخليج، الذي كان يديره. كان بشوشاً مرحاً يرحب مغدقاً الثناء دون معرفة كبيرة بي. شرح لي عن الدراسة التي يرغب أن أقوم بها لصالح المكتب، ودعوته لي للعمل معه بصفة دائمة. كنت راغباً في إجراء الدراسة، أكثر من رغبتني في العمل بالمكتب. تحدثت مع المتابع لتنفيذ الدراسة بالمكتب، وداخلني بعد الحديث شعور أن هناك صعوبة في القيام بها وفقاً لتصوري حول طريقة التنفيذ. كانت معرفتي بمنهجيات البحث التربوي والطرق الإحصائية، وحداثة تخرجي تمثل حاجزاً أمام التواصل مع غير المختصين. وبعد فشل محاولاتي لإقناع المتابع على الدراسة بأن تنفذ وفقاً لتصوري، لا تصوره، وجدت أن من الأفضل الانسحاب.

توقف الاتصال بأبي أحمد، وانتقل إلى الجامعة. وانتهت علاقتي بالوزارة، وانتقلت إلى الأمانة العامة لمجلس التعاون في عام ١٩٨٨م.

تعرفت خلال هذه المدة، على الدكتور أحمد الشويخات، بعد أن عمل مستشاراً غير متفرغ في الأمانة العامة لمجلس التعاون إثر تركه العمل أستاذاً مساعداً في جامعة الملك فيصل بالهفوف. كان الدكتور الشويخات يفكر في مشروع رائد لترجمة موسوعة الكتاب العالمي، وكنا نجتمع بشكل شبه يومي في «الدار التربوية»، وهو مكتب للاستشارات التربوية أسسه الزميل الدكتور عبد العزيز الجلال. ولحماس الدكتور الشويخات المفرد تجاه المشروع، وجدنا أنفسنا نبذل ما نستطيعه من مؤازرة ودعم. لم توفق المحاولات

الأولى في الحصول على تمويل للمشروع، وبدا أن الدكتور الرشيد هو ضالتنا للوصول إلى شخصية يمكنها أن توفر التمويل. وبالفعل أثمرت جهوده في الحصول على دعم سمو الأمير سلطان ابن عبد العزيز للمشروع. وقد مثل هذا الدعم تحول المشروع من مجرد حلم إلى واقع. وانطلقت اللقاءات والاجتماعات بيننا كمجموعة يحدوها الحماس للنهوض بالمشروع. من خلال هذه اللقاءات بدأنا التخطيط لممارسة رياضة المشي سوياً:

ساعد المشي في تقريب المسافات، موثقاً العلاقة، ومهياً المناسبة لتلو الأخرى لمزيد من اللقاء والاجتماعات. سافرنا معاً، وبحكم تعدد معارف أبي أحمد وعلاقاته الواسعة، التقيت العديد من الأصدقاء والأصحاب، الذين أضافت معرفتي بهم الكثير من البهجة. عدد منهم كانوا يمثلون صباحاً جمعتهم سنوات طويلة من الألفة والمودة. وبقدر ما كنت سعيداً بأن أتاحت معرفتي به معرفتي بهؤلاء، كنت ممتناً له في أنه كان السبب في ذلك.

أيام الوزارة

أخبرني ذات عصر، وكنا ندور على حزام الجامعة بأنه قد تم تعيينه وزيراً للمعارف. كانت هناك إشاعات قوية بأن ثمة تغييرات وزارية ستحدث. لكن تعيينه في المعارف، بدلاً من التعليم العالي الذي هو مجاله تخصصاً وتديراً وعملاً، كان نوعاً من المفاجأة. بالطبع، كان خبراً مفرحاً، لكنني لم أكن حينها متهيئاً لسماعه.

تحولت أحاديثنا بعد التوزير إلى هموم التعليم اليومي. لم أكن قليل علم بواقع الوزارة. فقد تركتها، أو بالأحرى تركتني، بعد أن عملت بها سنوات طويلة، ولا تزال علاقتي بزملائي العاملين بها وثيقة.

قدر أبو أحمد لي هذه المعرفة، وكدت أن أصبح مشاركاً في كل لجنة أو فريق يقوم بتشكيله، بعد أن حولني إلى مشارك في هموم الوزارة. لم أكن لاعتذر، وأنا أمارس عملاً، ليس فقط قريباً إلى نفسي، بل وتخصصاً نذرت له الوقت والجهد. وأتاحت ساعات المشي المتكررة أن نجد المتسع من الوقت للحديث في كثير من قضايا التعليم وتفاصيله.

استغللت هذه العلاقة في تحريك مشروعات سبق أن قدمتها إلى الوزارة قبل أن أتركها، ولم أنجح آنذاك في حمل المسؤولين على أن يعيرونني آذناً مصغية، وكانت فرصتي الآن غير مسبوقة في أن أسمع المسؤول الأول بها. لم لا، وأنا أراه بشكل يومي، ولم لا، وأنا موجود في كثير من اللجان والفرق التي شكلها. وبحكم تخصصي وعملي السابق في الوزارة كانت هذه المشروعات معنية بقضايا التقويم والاختبارات. ومنها مشروع تعديل لائحة الاختبارات، ومشروع الاختبارات المدرسية، ومشروع قياس الكفايات الأساسية للمعلمين، ومشروع اختبار الاستعداد، ومشروع المركز الوطني للاختبارات والتقويم، وغيرها. مثلت هذه المشروعات، في حينها، وإلى الآن، مجالات تطوير مهمة، وقد أسفت أنه برغم الصحة الطويلة مع الوزير، والحديث المستمر عنها لم ير أكثرها النور، أو أن بعضها ولد ليموت مبكراً. سأعرج هنا على بعضها دون تفصيل، إذ إن الإطالة فيها ستكون بمثابة الحديث عن أمور تخصني أكثر مما تخص الأمور المشتركة التي يتعين أن أتناولها في هذه الذكريات. إضافة إلى ذلك، وأنا أتذكر الوقت الذي انقضى، أشعر بالكثير من الأسى على فرص كبيرة أهدرت، ليس بالنسبة لهذه المشروعات فحسب، ولكن لما لا يقل أهمية عنها. بالطبع، كان التعليم يعاني، وأعتقد أنه لا يزال، من مشكلات كبرى، مثل: النقص في المباني المدرسية، وضعف مواءمة مناهج التعليم لاحتياجات المتعلم والمجتمع، وضعف التحصيل الدراسي، وضعف إعداد المعلم، وغيرها. كانت هذه المشكلات تمثل أولويات تضغط، وغيرها من هموم العمل بلا شك على جدول الوزير، وتشغل حيزاً كبيراً من تفكيره: لذا، كان حسناً منه أن يستمع إليّ للحديث عن أمور بدت أحياناً ثانوية لكثير من المربين.

تقويم لائحة الاختبارات

تركت الوزارة، كما ذكرت، عام ١٩٨٨م، وقد كتبت مع الدكتور سعود الجماز، وكيلها آنذاك، مسودة أولى للائحة الاختبارات. وهي صياغة جديدة للائحة القديمة، التي كتبت قبل ما يربو على العشرين عاماً. كانت مواد اللائحة القديمة ذات صبغة إدارية تنظيمية أكثر منها تعليمية أو تربوية. وأسوأ من ذلك أنها عملياً تدحض الغرض من التعليم. كنت

حينها أعدها من أكبر الكوارث الحالة بالنظام التعليمي. كانت مصدراً رئيساً لتسرب آلاف الأطفال من التعليم وتحولهم لاحقاً إلى الأمية، وعاملاً مهماً في الهدر ونقص كفاءة النظام التعليمي. كانت تضع شروطاً مجحفة للنجاح، ولا تقيم وزناً أو اعتباراً لمن لم يحالفهم الحظ في ذلك. كان النجاح صعباً، وليس هذا وحده مشكلة كبيرة إذا ما وفرت الفرص المتكافئة للجميع، والرعاية المناسبة لمن هم بحاجة إلى الأخذ بأيديهم. أي جعل احتمالات النجاح والرسوب متساوية لكل من يبذل ما يكفي من الجهد، من جهة، وتوفير تعليم جيد يلبي احتياجات كل تلميذ. كان الرسوب طامة تعليمية، ليس لأنه من غير المفترض ألا يرسب أحد، بل لأن من يرسب أو بالأحرى يعيد عامه الدراسي، يجد نفسه في وضع تعليمي ودراسي يصعب التعايش معه.

لم تكن المدرسة أو النظام التعليمي مهياً لتقديم مساعدة مهما كان نوعها للطالب الذي يعيد عامه الدراسي، لا برنامج لمعالجة القصور الذي أدى إلى رسوبه، ولا معاملة خاصة سواء في نظام الامتحانات أو نظام الدراسة في العام اللاحق على الطالب المعيد أن يأخذ الامتحان في كل المواد بما فيها تلك المواد التي نجح فيها العام السابق، ولم تكن مفاجأة في هذا النوع من التنظيم أن يجد الطالب نفسه وقد رسب أحياناً في مواد سبق أن نجح بها العام الماضي. أما إذا تكرر الرسوب فإن العقوبة المباشرة هو مزاملة الطالب لأطفال يصغرونه سنّاً، وخلق حالة يصعب فيها التكيف داخل الصف أو خارجه، ناهيك عن التأثير الناجم عن عدم وجود تجانس عمري داخل الصف مما يهيئ الأساس لنشوء الكثير من المشكلات السلوكية والتعليمية. أما العقوبة غير المباشرة، فتكون الطرد من المدرسة، بغض النظر عن السن، والانتقال إلى مرحلة جديدة من الضياع وفقدان الأمل في المستقبل. لم تكن هناك حاجة لمثل هذا الشرط في اللائحة لأن النتيجة نفسها، أي ترك المدرسة، أمر يحصل في غالبية الحالات التي يتكرر فيها الرسوب. ذلك أن الرسوب والتسرب عاملان مترابطان. لم يكن النظام التعليمي، أو اللائحة يعيران أي اهتمام للفروق الفردية، أو للظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو النفسية التي قد تؤدي إلى تأخر الطالب دراسياً. لم يكن مصطلح «صعوبات التعلم»، وهو المصطلح الذي

يطبق على فئات التلاميذ، الذين يجدون صعوبات خاصة في بعض المواد الدراسية، مثل القراءة والرياضيات، رغم تمتعهم بذكاء عادي أو فوق العادي، معروفاً في دوائر التعليم، تنظيراً أو ممارسة. وقد تقدمت قبل العمل على اللائحة بمقترح إلى الوزارة لدعم إنشاء مشروع خيري من أجل توفير رعاية خاصة بهذه الفئات تحت ما يعرف أحياناً بغرف المصادر. وقد اقتبست الفكرة من مشروع مماثل يطبق في الكويت، حقق نتائج مذهلة في التغلب على مشكلات التأخر الدراسي عموماً، وصعوبات التعلم بوجه خاص. لم يجد المقترح اهتمام أحد، وقد تهيأت الفرصة لمناقشته مع أبي أحمد الذي تحمس له، ودعاني والدكتور ناصر الموسى المسؤول عن التعليم الخاص بالوزارة إلى السفر معه ومقابلة سمو الأمير محمد بن نايف في منزله بجدة لعرض المشروع عليه.

عموماً، كانت نتائج تطبيق اللائحة كارثية على التعليم، من جميع النواحي: الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية. لم يكن ليجد التطبيق مثل هذا التأثير السلبي على نظام التعليم، لو أن النظام نفسه كان يتمتع وقتها بشيء من المرونة والقدرة على التكيف مع الاحتياجات الخاصة لكل تلميذ، أو كان يوفر برامج من شأنها أن تراعي الفروق الفردية.

كلفني الوزير، ومجموعة من الزملاء بالانتقال إلى إدارة التعليم في الشرقية للتفرغ لتعديل اللائحة بعيداً عن مقاطعات العمل ومشتتات الحياة الاجتماعية في الرياض. كان الفريق الذي يعمل على اللائحة متجانساً في تعليمه وثقافته وفكره التربوي وإمامه بالفرض من التقويم. لذا لم تكن هناك مشكلة في أن يعد الفريق لائحة معقولة من الناحية التربوية. طبعاً، كنا ندرك حجم الهوة التي تفصل رؤية الفريق عن الرؤية السائدة حينها ميدانياً في مجال التقويم. ولذا، فإن المشكلة التي واجهناها في البداية، كان تحول الكيفية التي يمكن بها لللائحة اجتياز اللجنة العليا لسياسة التعليم سليمة من التغيير في الوقت الذي يتعين قبل ذلك تمريرها على عدد من الإداريين والمسؤولين في مجال الاختبارات لأخذ الملاحظات بشأنها.

كانت عملية صعبة، أسفرت عن الحذف والتعديل لكثير من موادها، ولم تعد في معظمها تلك اللائحة التي اجتهدنا في كتابتها. كان الوزير الأقرب إلينا في الرأي والموقف، لكنه، الأكثر مناصراً عملياً. كان يرى أن ما لا يؤخذ كله، لا ينبغي أن يترك جله. ولذا حرص على الدفع باللجنة لأن توافق على اللائحة بالتعديلات المقترحة عليها، ودون أن يكون راضياً بالكلية عنها. وأسهمت الفقرة التي أضافها في نهاية اللائحة بأن يتم تقويمها وتعديلها بعد مرور مدة على تطبيقها في فصح المجال لبعض التعديلات اللاحقة. اجتازت اللائحة نقاش اللجنة العليا لسياسة التعليم، وقبل انتهاء مدة عمل أبي أحمد في الوزارة، جرى العمل على تعديلها مرة أخرى، فصدرت بصيغتها الحالية بعد أن ترك الوزارة بمدة قصيرة. هل هي المثالية بوضعها الآن، وهل يتم تطبيقها بشكل جيد؟ طبعاً لا لكنها أفضل من سابقتها بمراحل.

تقويم التعليم

كثيراً ما يدور النقاش حول التغيير، تحسناً أو تردياً، في مستوى التعليم. كانت هناك مزاعم بأن التعليم، أو بالأحرى التحصيل الدراسي للطلاب في الماضي كان أفضل بكثير من الحاضر. بالطبع لا توجد معايير موضوعية يمكن الاعتماد عليها للجزم بمدى صحة هذه المزاعم أو نقيضها، وقد تناقشت مع الوزير مراراً حول الحاجة إلى بعض الاختبارات المقننة للمقارنة بين مستويات التعليم، من عام إلى آخر، أو منطقة إلى منطقة بالرجوع إلى سنة معينة وفوج دراسي معين. وكنت قد حصلت على تسجيل من الدكتور الخويطر بالمضي قدماً في تنفيذ تصور مفصل تضمن هذا النوع من الاختبارات وغيرها من الاختبارات المدرسية التي كانت الحاجة ماسة إليها، إلا أن الظروف التنظيمية والإدارية والنقص الشديد آنذاك في المؤهلين في مجال القياس والتقويم لم تكن مشجعة على التنفيذ. ومع أننا كنا ندرك أن القيام على اختبارات وطنية لتقويم التعليم، ينبغي ألا يكون المسؤولية المباشرة للأجهزة التنفيذية للتعليم، أي الوزارة، ولأنه لا يوجد هيئة أو مؤسسة وطنية مستقلة للتقويم، فقد ظننا - وكنا مخطئين - أنه يمكن على الأقل البدء في بناء بعض الاختبارات المقننة بمتابعة أو تنفيذ من الوزارة. كانت

هناك دائماً صعوبات مالية وبيروقراطية تقف أمام تنفيذ مشاريع ريادية تتطلب عملاً مؤسسياً ومرونة في الإدارة والتنظيم والتمويل والحصول على المصادر اللازمة. لم يكن تنفيذ مشروع الاختبارات المقننة، أو غيرها من الاختبارات المشابهة بالأمر السهل من خلال الوضع القائم في الوزارة. فوق ذلك، بدا لي أحياناً أن هناك قلة تشاركني الحماس لتطوير نظم الاختبارات والتقويم، وأن الوزير، كان من بين تلك القلة، بل ربما الأكثر تعاطفاً وتأييداً لما أعرضه من أفكار. اتفقنا على أن أعد خطاباً منه لرئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية يقترح قيام المدينة ببناء مجموعة من الاختبارات المقننة في اللغة العربية والرياضيات لتقويم التحصيل الدراسي في الصفوف الابتدائية العليا كمرحلة أولى. لقي المقترح تجاوباً مشكوراً من المدينة، وكلفت فريقاً مختصاً بالتنفيذ. قننت الاختبارات المطلوبة في المشروع، وسلمت نتائجها إلى الوزارة، بالطبع ليست العبرة هنا أو الغاية أن ينتهي المشروع بانتهاء التقنين، بل أن يستخدم من قبل أصحاب القرار وصانعي السياسات التعليمية ضمن نظام شامل للتقويم، وأن يكون أداة تستخدم وتطور باستمرار وتوسع لتشمل كافة المراحل الدراسية.

ربما يتساءل المرء عن المدة التي سنقضها دون وجود نظام مستمر لتقويم التعليم، وعمّا إذا كنا سنظل نلقي أحكاماً عامة على التعليم دون وجود أدوات موضوعية للتدليل على ذلك. لقد شاركت الوزارة، ويشكر الدكتور الرشيد على هذه المبادرة، في الاختبارات الدولية للعلوم والرياضيات (TIMSS)، رغم المعارضة الشديدة من قبل عدد كبير من قيادات الوزارة. كانت هذه القيادات ترى أن نتائج التقويم ومقارنة أداء طلاب المملكة بطلاب دول أخرى مثل الصين واليابان والولايات المتحدة وسنغافورة وغيرها ستكون وخيمة الوقع إعلامياً على سمعة الوزارة والعاملين بها. كان رأي الوزير والمؤيدين للمشاركة، يقوم على أساس أن العلم بمستوى أداء طلابنا في العلوم والرياضيات سيفيدنا في معرفة أين نقف عالمياً، وما هي الأمور التي يتعين أن نقوم بها لمعالجة الخلل والرفع من مستوى التعليم. أتت النتائج مخيبة من حيث ترتب المملكة بين الدول المشاركة، لكن تأثيرها لم يكن بذلك الحجم الذي توخاه المؤيدون أو خافه المعارضون. لم يدر الإعلام عن النتائج ولم تخرج الوزارة، ولم تستثمر في تقصي الأسباب وراء تدهورها.

معايير إضافية وموضوعية للقبول

كان مشروع اختبار الاستعداد، من بين المشروعات التي قدمتها أيام عملي بالوزارة، وحرصت أن تتبع الروح فيها بوجود أبي أحمد. وضعت التصور لهذا المشروع، بدافع لإيجاد معايير إضافية للقبول في الجامعات تضيف الكثير من الدقة والصدق إلى اختبارات الثانوية العامة، وتؤدي إلى جعل قرارات القبول أكثر سلامة وعدلاً، مقللة في الوقت نفسه من الفاقد التعليمي الناجم عن نقص الاستعداد للفلاح في الدراسة الجامعية. كان المشروع يقضي كذلك، إلى جانب اختبار الاستعداد، بإيجاد قياس للميول يساعد في تقديم الإرشاد الدراسي والأكاديمي لطلبة المدارس الثانوية.

وبدفع ومتابعة من الدكتور الجمار، أمكن أن يحظى المشروع بموافقة للجنة العليا لسياسة التعليم، بل وبالموافقة السامية عليه وتوجيه الوزارة ووزارة التعليم العالي بالبدء فيه.

لم أكن بحاجة لأن أفنح أبا أحمد بفكرة المشروع، أو بالحاجة إلى إحيائه، فهو من المؤمنين به. ولذا لم يكن صعباً العودة إلى الوثائق الخاصة به في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وصور البرقيات الواردة من المقام السامي المستفسرة عن مصيره، تشكلت لجان وفرق عمل لمراجعة المشروع، ونوقش في ضوء ما كان قائماً حينها من اختبارات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وعلاقة اختبار بالوزارتين (المعارف والتعليم العالي).

استمر عمل اللجان الفنية زمناً، لكن لم يسفر عن أثر ملموس. ووجدتني بعد انقضاء مدة طويلة، أبحث عن تفسير لدى الوزير لصدور قرار مجلس الوزراء بإنشاء المركز الوطني للتقويم والاختبارات في التعليم العالي، (وليس في التعليم بعمومه)، وعلاقة المركز، الذي سيكون معنياً باختبارات القبول في الجامعات، بمشروع الاستعداد الذي يدرس من قبل اللجنة العليا لسياسة التعليم. كنت سعيداً بإنشاء مؤسسة وطنية للاختبار، وكنت أسعد بأن هذه المؤسسة ستكون معنية بالتقويم، حتى وإن اقتصر مجاله في البداية

على التعليم العالي، لكنني مع ذلك شعرت ببعض الأسى واللوم الذي لم أفصح عنه لأبي أحمد، وبخاصة أن مشروعاً آخر عملت عليه طويلاً، هو إنشاء مركز وطني للقياس والتقويم التربوي. وكم كان جميلاً لو أن المركز الجديد أتى ليشمل قطاعي التعليم.

من يرضى عن المعلم؟

يتفق المربون على أن المعلم يمثل حجر الزاوية في العملية التعليمية. وكان واضحاً لكينا، وللكتيرين أن المستوى العلمي والمهني لعدد كبير من المعلمين أقل من المستوى الذي يؤهلهم للقيام برسالتهم على الوجه الأتم. جزء من المشكلة يعود إلى الضعف في مستوى برامج الإعداد، وجزء آخر يعود إلى عدم وجود معايير مهنية لتقويم الأداء قبل الخدمة وخلالها. طبعاً توجد أسباب أخرى كثيرة ومعروفة، عمل الوزير منذ البداية على مباشرتها من خلال مضاعفة ميزانية التدريب التربوي وتغيير التوجيه. مفهوماً وممارسة إلى إشراف، وتحسين ظروف انتقال المعلم، وتطوير أوضاع كليات المعلمين، وغير ذلك. لكن وجود مقياس (اختبار) يساعد في اختيار الملحقين بالمهنة، والحكم على الأداء خلالها، مثل خياراً مهماً للتطوير.

كانت الجهود اللازمة لتنفيذ مشروع قياس كفايات المعلمين كبيرة من الناحيتين البشرية والمادية، ومع ذلك وافق أبو أحمد على المشروع بعد أن عرض عليه في ضوء مراجعته من قبل الأسرة الوطنية للمعلمين. أو كل الإشراف على تنفيذ المشروع إلى الدكتور علي الحكمي، وهو زميل في منتهى الكفاءة والقدرة والإلمام بالمتطلبات الفنية والإدارية للمشروع. وقد عمل جاداً على تكوين الفريق العلمي لوضع مواصفات الاختبار، وإعداد الأسئلة، والتقنين. مع الأسف، ترك الدكتور علي الحكمي، وبعده الوزير، الوزارة بعد أن شارف المشروع على الجاهزية للتطبيق. ولأن العمل في المشروع مؤسسياً لا يعد مكتملاً عند مرحلة معينة، مثل الانتهاء من إعداد الاختبار مثلاً أو تطبيقه، أو استخدامه فعلياً في الأغراض المقصودة منه، فقد أدى التغيير في الإدارة إلى توقف المشروع وضياع الكثير من تلك الجهود.

سمات حياتية مهمة

يتمتع أبو أحمد بسمات حميدة عدة، لكنني لا أعبطه إلا على اثنتين ليس لأنني امتلك الصفات الحميدة الأخرى التي يمتلكها، بل لأنني أشعر أن امتلاك المرء لهاتين الصفتين، يمكن أن يحدث تأثيراً كبيراً في حياته الشخصية والمهنية. المزية الأولى: الذاكرة القوية. كنت أذهل من قدرته العجيبة على تذكر الأحداث والقصص واستعادة الماضي البعيد، وكأنه غير مفصول عن اللحظة بزمان، كان قادراً على تذكر أسماء الأشخاص والأماكن مهما ندر تكررها، أو تضاءلت قيمتها. كانت ذاكرته أشبه بوعاء غير محدود السعة. وفي الوقت الذي كنت أجد حرجاً في تذكر أسماء الأشخاص حين مقابلتهم، أو الحاجة إلى استدعائها في أثناء حديث، كانت هذه الأسماء تثب تلقائياً إلى لسانه، ربما قبل أن يراهم. كان حافظاً طبيعياً، ومن دون تكلف، أو مشقة للقصص والنكات، يعيدها بتفاصيل بلورية واضحة.

أما السمة الأخرى فكانت اجتماعية، وتمثلت في قدرته على تكوين علاقات قوية مع الآخرين. توجد تسميات عدة لهذا النوع من القدرة، مثل الذكاء الاجتماعي، أو العاطفي، أو الانفعالي، أو غيرها حيث يندرج تحت كل من هذه التسميات جملة واسعة من الخصائص والمهارات والميول الاجتماعية والانفعالية الدالة عليها. هذه القدرة مهمة لقيادة الناس والتواصل والإقناع والوصول إلى التوافق العام، وبناء الثقة، وتقدير مواقف الآخرين وتفهم ظروفهم والتعامل معهم، وتحقيق الانسجام والتواءم بين مجموعات العمل، وتسهيل إدارتهم وقيادتهم، وغير ذلك من النتائج الإيجابية. طبعاً توجد تبعات تترتب على الإفراط في التأكيد على البعد الاجتماعي، مقابل البعد المؤسسي. سيشك في شهادتي بالنسبة لتقدير مستوى التوازن في التأكيد على أي من البعدين أكثر لديه، لكنني أشير هنا إلى أنه بقدر ما ثمنت هذه السمعة الاجتماعية، بقدر ما كانت مصدر إزعاج لي في بعض الأحيان. تراوح هذا الإزعاج بين التافه جداً وبين المهم كثيراً. تمثل التافه، في شعوري أحياناً بلا جدوى، أو نقصان القيمة لبعض العلاقات الاجتماعية، لكونها إما مملة، أو مضيعة للوقت، ومن حسن الحظ، أنها نادرة، الحدوث، وغالباً ما يكون أثرها وقتياً.

شتات عبق

تتزاحم، الذكريات والصور أحياناً حتى يصعب معها اختيار ما يصلح قوله في مثل هذه المناسبة. لم أعرف هل كان الأفضل الإطالة، أم الاختصار. وفوق هذا لم يكن واضحاً في نفسي الأسلوب الأنسب للكتابة. كان هناك الكثير من الذكريات في أثناء عملي ضمن الفريق الاستشاري للوزير على مدى ست سنوات. وكانت هناك بعض الأحاديث الجادة والنقاشات الواسعة حول تطوير المناهج، وعن مبادرة الوزير بإدخال مادة للتربية الوطنية، وعن التعليم الأهلي، وعن مشروع الموهوبين الذي تحول إلى مؤسسة، وعن مشروع جامعة البنات، وعن غير ذلك من الأمور. وكان هناك الكثير من السفر، رسمياً وغير رسمي، داخل المملكة وخارجها. ولم يشح الوقت أو تنعدم الفرصة للعمل والمتعة.



متوقد منه الزمان

د. أحمد البراء الأميري

لما أسندت إلى معالي الأخ الكريم والصديق النبيل الحميم الأستاذ الدكتور محمد ابن أحمد الرشيد أعباء القيام بمسؤوليات التربية والتعليم، هاتقني - بعد شهور قلائل - وقال لي: يا أبا عمر، أنت تشكو من إحساس بالإحباط، لأنك - كما تقول - لا تؤدي رسالتكم في الحياة كما تتمنى! فما هي ذي الفرصة قد واثتت، تعال للعمل معي!

كنت أدرس في كلية التربية بجامعة الملك سعود حينذاك، وكنت أعرف أبا أحمد وما يتحلّى به من صفات، أشهرها - لمن يريد العمل معه - اثنتان: أنه يحترم زملاءه مهما كان مركزهم، وأنه يتعب في العمل ويتعب من معه، فلبيت دعوته مختاراً مسروراً، ولم أندم، فقد كانت السنوات التي قاربت العشر، التي قضيتها في مكتبه أغنى سنوات عمري بالعمل والخبرة والإنتاج، والحمد لله، وتعلمت فيها منه أشياء ما تعلمتها من سواه من الكبار الذين أكرمني الله بلقائهم وصحبتهم.

سأذكر في هذه الصفحات لمحات مما تسعف به الذاكرة من الأعمال التي أنجزت خلال تلك المدة وكنت طرفاً فيها، ومن المؤسف أن ذاكرتي لا تسعف إلا بأقل القليل:

أولاً: كتبت للوزير في ١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ

«تبدو الحاجة ماسة إلى معجم مدرسي يلبي حاجات الطلاب اللغوية، وينمي مفرداتهم ويغنيها، ويكون لطيف الحجم، سهل المتناول يصطحبه معه الطالب إلى فصله كل يوم، ويقوم مدرسو اللغة العربية بتعليم الطلاب كيفية استخدامه، وتدريبهم عليه، وغرس حب البحث في نفوسهم».

فوجه بتشكيل لجنة لهذا الغرض، وبدأت عملها في ١/٣/١٤٢٣هـ ولا تزال ماضية

فيه، وسيكون المعجم - بإذن الله - الأول من نوعه في تاريخ اللغة العربية، لأنه اعتمد على الحاسب الآلي في إعداد مدونته، التي وصل عدد كلماتها إلى ثلاثة ملايين كلمة، حوالي ٢١ ألف كلمة منها ستشكل كلمات المرحلتين المتوسطة، والثانوية.

ثانياً: كنت حريصاً على تعليم الطلاب مهارات التفكير وتدريبهم عليها منذ أن ابتدأت التدريس بكلية التربية فحاولت ولم أفجح، فلما جئت إلى الوزارة فكتبت للوزير باقتراحي، فاقترع بالفكرة، وأخرجها إلى حيز الوجود، وتحقق الأمل. فتكونت (لجنة التعليم التفكير)، وصدرت الطبعة الأولى والثانية من كتاب (دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير)، وطبعت منه مئات الآلاف من النسخ، ووزعت على المعلمين في الميدان، ورأينا بعض أزهاره وثماره.

ثالثاً: اقترحت أن يكون لكل فصل دراسي شعار تربوي يكون حديث المعلمين والطلاب في طوابير الصباح، والإذاعة المدرسية، وتخصص له - مثلاً - أول خمس دقائق من الحصة الأولى يوماً في الأسبوع للتفكير فيه، والحديث عنه، وإلقاء الضوء عليه من جوانب مختلفة، ويكون واحداً من موضوعات التعبير، ويستكتب فيه الطلاب، وتحدد للفائزين منهم جوائز رمزية تشجيعية... إلخ، والقصد منه برمجة الطلاب بشكل إيجابي على الأفكار الجيدة والعادات النافعة ومن أمثلة الشعارات التي طرحت:

﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠)، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء: ٣٦)، (المؤمن مرآة المؤمن)، (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)، (الإخفاق يعلم النجاح)، (الأفكار بحاجة إلى الأعمال).. وقد قام بتنفيذ هذه الفكرة الدكتور محمد بن سليمان الرويشد مدير عام النشاط الطلابي آنذاك.

رابعاً: من أصدقائي المقربين الأخ الأستاذ محمد مرشد ديفدز، مدير مركز التدريب في مدينة (جوها نسبرغ) بجنوب أفريقيا، وتمتد صلتني به إلى عام ١٩٨٤م، ولما أفرج عن الزعيم الكبير نلسون مانديلا، وخرج من السجن، ثم أصبح رئيساً

للجمهورية، تحركت في نفوسنا - مثل كثيرين غيرنا - رغبة صادقة في أن يعتنق هذا الرجل العملاق الإسلام.. وفكرنا تفكيراً عملياً في أن تحتضن المملكة هذا المسعى، وعرضت الأمر على الدكتور الذي أعطاه من الاهتمام ما يستحقه، ومهد له بالحكمة المناسبة مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي كان ولياً للعهد آنذاك، إذ الأمر على درجة عالية من الحساسية والحرص السياسي.. ولأمر يريده الله لم يكتب لمساعدنا النجاح، لكن رأيت أن أذكر - للتاريخ - سعي الدكتور محمد الرشيد، وإخلاصه في هذا الأمر.

وقد كتبت الرسالة التالية التي كان مرجواً لها أن تصل مترجمة إلى يدي الرئيس نلسون مانديلا، لكنها لم تصل..

بسم الله الرحمن الرحيم

ماديبا^(١) أيها الوالد العزيز، السيد الرئيس نلسون مانديلا الموقر

يا رجل القرن العشرين.. يا والد الأحرار في أفريقيا

يا أحد رموز النضال في العالم..

نحييك بتحية الإسلام الخالد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

- هذه رسالة من أبنائك: بضعة شباب مسلمين من جنوب أفريقيا.
- دافعها الحب لك، والإعجاب بك، وتمني الخير الدائم لك، والنعيم المقيم.
- جرأنا على كتابتها مباشرة وبصراحة: أنك إنسان كبير، ومتواضع، وفي الوقت نفسه أكبر من المناصب والألقاب.. كما جرأنا أيضاً ما نعرفه عنك، وما قرأناه في سيرتك، وما سمعناه منك وشاهدناه: جرأتك في الحق، وقوتك في إعلانه على

(١) كلمة باللغة المحليّة تدل على الاحترام والمحبة يُخاطب بها نلسون مانديلا.

الناس، ولو خالفت أو أغضبت الدول الكبرى والقوى العظمى، لأن الحق أكبر من الجميع، ولأن الرجوع إلى الحق فضيلة لا يملكها إلا قلة نادرة من أقوياء الرجال.

• إننا - أيها الوالد العزيز - نؤمن بأن القرآن كلام الله، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي سلم من التحريف على مر القرون. والقرآن يعلمنا أن نؤمن بجميع أنبياء الله، ونحبهم، ونحترمهم، ولا نفرق بينهم.

• ونؤمن أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كلمة الله، وروح منه، وأن أمه صديقة طاهرة مطهرة، ومن لم يؤمن بهذا فهو خارج عن الإسلام.

• كما نؤمن أن الإسلام فيه حل لكل المشكلات التي تعاني منها الإنسانية اليوم، وشفاء لكل أمراضها، وهو في الوقت ذاته (لكل من عرفه حق المعرفة) الطريق الوحيد لسعادة الآخرة التي لا تنتهي:

- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

• اسمح لنا - أيها الوالد العزيز - أن ندعوك للإيمان برسالة محمد ﷺ، كما آمنت، وآمنا معك، برسالة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

• اسمح لنا أن ندعوك لإعلان هذا الإيمان على العالم لتكون كبيراً في عين الله، كما أنت كبير في أعين الناس.

• واسمح لنا أن ندعوك لزيارة مكة المكرمة، والطواف حول الكعبة المعظمة، وزيارة المسجد النبوي الشريف، والسلام على محمد ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، لا لشعبٍ دون شعب، أو أمةٍ دون أمة.

• ونحن على شبه يقين من أن صديقك الكبير، الذي يحبك وتحبه الأمير عبد الله ابن

عبد العزيز، ولي العهد السعودي، ومعه أكبر الشخصيات في المملكة سيكونون سعيدين باستقبالكم، ومرافقتكم في زيارة المدينتين المقدستين.

- وأن ملياراً ونصف مليار من المسلمين، سيسعدون، ويكسبون، ويفاخرون بانضمامك إليهم.
- وأن إعلانك سيكون من أهم أنباء القرن.

• وأن كثيراً من أغنياء المسلمين سيتبرعون لدعم المشاريع الإنسانية التي تتبناها وتعمل لها.

• ومتأكدون - قبل ذلك وبعده - أنك ستكون الكاسب الأول، إن شاء الله، فالذي ينحأ إلى الحق هو الذي يكسب، لا الحق؟ لأن «الله غني عن العالمين»، وهو القائل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦ .

- نسأل الله لك العمر المبارك، والصحة والعافية، والعطاء المستمر.

أبناؤك المخلصون

حررت في الرياض بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٢٢هـ (٨ يناير ٢٠٠٢م)

خامساً: من صفات أبي أحمد أنه لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد، بل إنه إذا استطاع أن يقوم اليوم بعمل الغد وما بعده فلن يتردد في ذلك، متعباً نفسه ومن معه!! وأذكر - مرة - أنني كنت معه في جدة، في المدة التي تنتقل فيها مكاتب الوزارات من الرياض إلى جدة صيفاً، وكنت أقيم معه في الدور العلوي من المكاتب، فاشتغلنا حتى الساعة الواحدة صباحاً، وبقي لدينا صفيحات قليلة، فقلت له: هذه أنجزها غداً صباحاً إن شاء الله، فقال: أرجوك لا بل الآن، فهي لن تأخذ منك أكثر من نصف ساعة!! لقد بحثت في معجم أبي أحمد عن كلمة «التسويق» فلم أر لها وجوداً!!

سادساً: ومن الطريف أن أبا أحمد (يتحسس) من بعض الكلمات فيسارع إلى شطبها، وأغلبها من الأخطاء الشائعة مثل كلمة (فترة) ويستعمل عوضاً عنها (مدة)، وقد تذكرت هذا وأنا أكتب قبل بضعة أسطر أعلاه: «... في المدة التي تنتقل فيها مكاتب الوزارات من الرياض...» ومنها: زخم (فهي: رائحة اللحم المنتن)، وكفاء (ويفضل عليها: كفاء)، ويعكس (ويفضل: يظهر) ولا يجب: نشاطات، بل يكتب: أوجه النشاط... وهكذا.

سابعاً: لا بد لي أن أشير إلى أن من أهم المناسبات التي جمعتني للعمل عن كثب مع الدكتور محمد الرشيد أنني كنت معه عضواً في اللجنة الأهلية الإسلامية للإصلاح بين العراق وإيران إبان الحرب المشؤومة التي نشبت بينهما وأهلكت الحرث والنسل، والتي ظلت من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٨ م.

ثامناً: عاصرت الحملة الظالمة التي تعرض لها الدكتور محمد الرشيد من بعض الناس، حتى دُعي عليه - سمعت أذني ورأت عيني - على منابر الجمعة وقنوت الوتر في رمضان!! تألمت كثيراً لما ناله من أذى، عزيز نفسي عنه، وعزيبته بما ينال المخلصين والمصلحين على مدار التاريخ، وأن الله عالم بالسرائر والضمائر، وحساب العباد ليس للعباد إنما لرب العباد، وكنت أقول في غيابه لمن يثير هذه الافتراءات أمامي: أشهد - أمام الله - أن محمداً الرشيد - فيما رأيته أو سمعته واعتقدته فيه محب لله ورسوله، صادق الولاء للإسلام، وهذا يكفي لانهايار موقمكم، كنت أقول هذا الكلام واستشهد للحضور بالحديث النبوي الشريف، الذي رواه الإمام أحمد: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغبية كان حقاً على الله أن يقيه من النار».

تاسعاً: غني عن القول: إن أبا أحمد رجل غير منزّه عن الأخطاء، يعرفها في نفسه ويعترف بها، ويراهما فيه المقربون من أصدقائه وزملائه، لكن من منا يزعم أنه منزّه، ثم من منا يزعم أنه يشاركه فيما حباه الله من المزايا؟

يقول عباس محمود العقاد - رحمه الله - في مقال له بعنوان: «اعترافاتي»:

«... وحسبي اعترافاً أن أحداً من الناس لم يسلم من عيوبي وخطاياي، فهل في وسعهم جميعاً أن يدعوا مساواتي في جميع فضائلي ومزاياي؟».

عاشراً: الدكتور محمد بن أحمد الرشيد واحد من صفوة تحظى بهم مجتمعاتهم، ليحملوا على عواتقهم أعباء النهوض بها للسير في دروب العلم والحضارة والتقدم، ويصدق فيه وفي أمثاله من البناة والرواد قول الشاعر:

متوقد منه الزمان وربّما كان الزمان بأخريين بليداً

ويجتمع فيه من السجايا والمزايا ما يتفرق في أحاد الناس سواه:

وتوجز في قارورة العطر روضة وتوجز في كأس الرحيق كروم

وبعد.. فالحديث عن أبي أحمد طويل، رَحَبُ الأبعاد واسع الامتداد، فسيح الآفاق بعيد الأعماق، وحسبك من أزهير الروض طاقة⁽¹⁾ تحمل لك عبق الأطياب وسحر الألوان!.



(1) يقال: طاقة ربحان، وباقية بقل.

العمل بروح الفريق

د. بهجت بن محمود جنيد

أقر بدءاً أن ما سأكتبه لم أعد له سلفاً وإنما يأتي عفواً الخاطر، من المخزون الصادق الشعور، المكنوز في ذاكرتي وقلبي. حقائق عشناها، ومواقف شهدناها، أسهمت في تغيير مسار هذه المؤسسة العظيمة (وزارة المعارف) (وزارة التربية والتعليم) تغييراً إيجابياً، من خلال (العمل بروح الفريق الواحد)، هذا الشعار الثابت الذي أطلقه أبو أحمد، ونجح منطلقاً منه في فرض واقع جديد للعمل المؤسسي التربوي التعليمي (نحن) (لا) (أنا) فكان للجميع حضور الطالب (المحور الأساسي للعملية التربوية التعليمية) والمعلم، ومدير المدرسة، والمشرف التربوي، ومدير التعليم، وغاية بالمسؤول الأول في الوزارة، شاركوا كافة بفكرهم وجهدهم، باعتهم الأول التغيير للتطوير والبحث الدائب عن المجدي والأفضل وصولاً إلى الأكمل، ومن هنا كانت لقاءات (مديري التعليم) (قادة العمل التربوي)، فتصافحت القلوب، وتماسكت الأيدي، وتلاقحت الرؤى، وتواشجت الطروح، فالمنطلقات مشتركة، والغايات واحدة.

ازدانت تلك اللقاءات برعاية كريمة من ولاية الأمر، وأصحاب السمو الملكي أمراء المناطق، فحظي اللقاء السادس ١٤١٨هـ في أبها برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي جسد اهتمام القيادة بالتربية والتعليم، وحظي اللقاء السابع ١٤١٩هـ المنعقد في الرياض برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز وزير الدفاع (أمير منطقة الرياض آنذاك)، وحظي اللقاء

مدير عام التربية والتعليم للبنين بمنطقة المدينة المنورة سابقاً.

العاشر ١٤٢٢ هـ في جدة، والثاني عشر ١٤٢٥ هـ في مكة المكرمة برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبدالعزيز -رحمه الله- أمير منطقة مكة المكرمة حينئذ، ورعى أصحاب السمو الملكي الأمراء: الأمير مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة آنذاك اللقاء التاسع ١٤٢٢ هـ في المدينة النبوية، والأمير محمد بن ناصر بن عبد العزيز أمير منطقة جيزان اللقاء الحادي عشر عام ١٤٢٤ هـ في جيزان، وهذا اللقاء كان البداية لمشاركة مسؤولي التربية والتعليم للبنات في الوزارة بعد دمج قطاعي تعليم البنين والبنات تحت مظلة وزارة التربية والتعليم، والأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية اللقاء الثامن ١٤٢٠ هـ في الدمام، والأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم اللقاء الخامس ١٤١٧ هـ في بريدة، والأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز أمير منطقة تبوك اللقاء الرابع ١٤١٦ هـ في تبوك، وكان اللقاء الثاني عشر في مكة المكرمة آخر لقاء شرفنا فيه معالي الدكتور محمد ابن أحمد الرشيد، وفي هذه اللقاءات توطدت أواصر العلاقات وظهرت الأخوة والمحبة في أجمل الصور في قلوب المشاركين، لتصنع علاقة شخصية أخوية تضاف إلى علائق العمل والزمالة بين مديري التعليم والمسؤولين في الوزارة، فقد كنت قبلها لا أعرف الكثير منهم، وأذكر من الأخوة الذين عرفتهم في أثناء هذه اللقاءات وما زال تربطني بالكثير علاقات الأخوة والمحبة، وستستمر بإذن الله (مع حفظ الألقاب الرسمية) محمد الرشيد، وسعيد المليص، وعبد العزيز الثنيان، وخضر القرشي، وخالد العواد، عبد الله الفوزان، ومحمد العصيمي، وسعد الراشد، وعلى القرني، وإبراهيم الشدي، وسليمان الزايدي، وصالح التويجري، وإبراهيم الدريس رحمه الله، وعليوي القرشي رحمه الله، وأحمد الأحمد، وحمد الحلوة، وعبد العزيز المنصور، وصالح العمير، وصالح الضبيبان، وعبد الرحمن البراك، ومحمد المهنا، ومحمد الرويشد، وأحمد السناني، وعبد الله المسعودي، وعبد الله الهذلي، وعبد العزيز الحارثي، وصالح الحميدي، وعلي الخبتي، وناصر الموسى، ومحمد الصانع، وسعود المصبيح، وزياد الدريس، وحمد البعادي، وعلي الوزرة، وعبد الخالق الخلف، وعبد العزيز الديبان، وناصر العبد الوهاب، وعبد الله الحسني، ومحمد إبراهيم الفوزان، ومحمد العتيق، وعبد الله الغدير، وفهد السعيد، وخالد العمير.

ومن مديري التربية والتعليم: عبد الله المعيلي، صالح الدوسري، سليمان الزايدي، عبد الله الهويل، عبد الرحمن المديرس، عبد العزيز الراشد، صالح التويجري، محمد اللحيدان، حسن القربي، حمد الشغروود، سيف آل خشيل، مهدي الراقدي، ظافر حبيب، عبد الخالق الحفظي، هجاد الغامدي، مطر رزق الله، رشيد العمرو، عبد الرحيم الزلباني، عليوي القرشي رحمه الله، كرامة الأحمري، على عريشي، عبد الله الضويان، محمد الغفيلي، محمد الفوز، محمود السالك، إبراهيم القاضي، يحيى آل فايح، إبراهيم الفقيه، بلغيث القوزي، إبراهيم الصويهد، عبد الرحمن الروساء، عبد الحكيم الصالح، مرزوق الخنجر، عبد الله الهذلي، خلف العريفي، ناصر أبو دجينة، إبراهيم آل عبد الله، سمير العمران، عبد العزيز العقلا، يوسف الفقي، محمد الملح، عبد الكريم الحقييل.

كما شارك في هذه اللقاءات عمداء كليات المعلمين أذكر منهم: عبد العزيز العمر، فهيد السبيعي، محمد الدخيل، صالح معمار، إبراهيم مناع، سالم القرشي رحمه الله عبد اللطيف الحلبي، أحمد البهكلي، عثمان العامر، عبد الملك الثبتي.

وفي هذه اللقاءات وقف الطالب والمعلم والمشرف التربوي ومدير المدرسة على صعيد واحد مع مديري التعليم ومسؤولي الوزارة يدرسون المشكلات، ليقترفوا من هذه الدراسات التوصيات التي تبني عليها القرارات منها تمثيلاً لا حصرًا ما يلي:

- بعث مجلة المعرفة بعد غياب طال أمده فامتد أكثر من ثلاثين عاماً.
- كسر نوعي لحدة مركزية العمل في (وزارة المعارف وزارة التربية والتعليم) بإعطاء مديري التعليم ومديري المدارس مزيداً من الصلاحيات.
- تشجيع على استخدام التقانة المعاصرة: الحاسوب في المعاملات الإدارية والتعليمية، فظهر برنامج معارف موظفًا إمكاناته في جمع المعلومات عن واقع المدارس القائمة وتكوين تصور عن أوضاعها بجميع عناصرها، ومعالجة تلك المعلومات للإفادة منها في التطوير المبتغى.

- إيلاء المعلم مزيد اهتمام فشجع المبرز، وأشيد به وكرم، وأقر (اليوم العالمي للمعلم) مناسبة سنوية يحتفل به فيها، يشارك في ذلك الطلاب وأولياء أمورهم ومؤسسات المجتمع الأخرى واعتمد أمر آخر جميل في هذا المسار هو (تكريم رواد التعليم).

- اتخاذ التقويم المستمر وسيلة قياسية تقويمية لتحصيل الطلاب في الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية.

- صدور لائحة السلوك والمواظبة محددة العلاقة بين الطالب ومدرسته.

- استكمال مشروع (بطاقة معلم) وإيصالها إلى المعلمين جميعاً بلا استثناء.

- تعزيز المهارات العقلية ومهارات التفكير، والبحث والحوار عن الطالب من خلال المقرر المدرسي والنشاط الطلابي.

- السعي الحثيث لتمكين الطلاب والطالبات من دراسة البيئة والاهتمام بها.

- الدعوة إلى الاهتمام بأوجه النشاط الطلابي وخصوصاً ما يعزز القيم الأخلاقية.

- التوسع في تقديم برامج التربية الخاصة في مدارس التعليم العام والاستمرار في برامج الدمج.

- تفعيل بنوك الأسئلة في إدارات التعليم.

- الاهتمام ببرامج رعاية الموهوبين وتوعية الطلاب وأولياء أمورهم بأهميتها.

- العمل على إنجاز مشروع اختبارات المعلمين المكلف به التطوير التربوي.

كما تميزت هذه اللقاءات بعدد من الأمور التي أسهمت في رسم العلاقة بين

الميدان والوزارة من خلال:

- القضاء على الأحادية في اتخاذ القرار.

- تهيئة بيئة طيبة لتلاقي الآراء وتبادلها وصولاً إلى رؤى موحدة.
- الإسهام في تطوير التواصل بين المنتمين إلى المهنة الواحدة في إطار علاقة أخوية موطدة الدعائم، انعكست إيجاباً على جو العمل المشترك، مما أدى إلى تحسين العمل التربوي والتعليمي.
- تُكوّن اللقاءات تصوراً كاملاً لدى كل مشارك عن وطنه من خلال ثقله بين جهات المملكة الأربع.

وأخيراً فقد تميزت هذه اللقاءات بإسهام نخبة من رجال الفكر والتربية في المملكة العربية السعودية والعالم العربي، ذوي خبرات عميقة، وعلم واسع، ونظرة حكيمة، ووعي شامل بواقع هذا الكيان العظيم، أذكر منهم معالي الدكتور محمد عبده يماني، ومعالي الأستاذ هشام ناظر، ومعالي الدكتور غازي القصيبي، ومعالي الشيخ صالح الحصين، ومعالي الدكتور صالح العذل، ومعالي الأستاذ عبد الرحمن السدحان، وسعادة الدكتور عبد الله الرشيد من المملكة العربية السعودية، ومن خارج المملكة معالي الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، ومعالي الدكتور أحمد عبد الله الربيعي وزير التربية والتعليم بدولة الكويت سابقاً، ومعالي الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي بجمهورية مصر العربية سابقاً، وسعادة الدكتور وديع حداد، وسعادة الدكتور هيثم الخياط، وسعادة الدكتور محمد سليم العوا.



ريادة في الإدارة ومدرسة في الكياسة والنبيل والوفاء

د. دحام بن إسماعيل العاني

تعرفت على الدكتور محمد بن أحمد الرشيد عام ١٤٠١هـ منذ اليوم الأول لقدمي للمملكة العربية السعودية.

ففي عام ١٤٠١هـ وبعد أن اتخذ قرار توسيع نشاط وجهود مكتب التربية العربي لدول الخليج ليشمل العلوم أيضاً إضافة للتربية والثقافة، بحث الدكتور الرشيد عن مختص للعمل معه في المكتب في هذا المجال، واستعان بمعارفه في منظمة اليونسكو في باريس، وقد صادف في تلك السنة أن أكرمني الله بتقدير خاص علمي في فرنسا، وعلم بهذا التقدير بعض المسؤولين في اليونسكو ممن استعان بهم الدكتور الرشيد لترشيح أحد العلميين للعمل معه، فكان أن شرفوني بهذا الترشيح. وبناءً عليه أرسل الدكتور الرشيد أحد مساعديه لمقابلتي في باريس، ولرفع توصيته حول إمكانياتي لتحقيق أهداف المكتب في قطاع العلوم. وفعلاً تم ذلك، وأكرمني الله بالاتفاق مع المكتب، وقدمت للرياض في أواخر عام ١٤٠١هـ. وفي اليوم الثاني لقدمي صعدت لمكتب د. الرشيد للتعرف عليه واستقبلني بابتسامته ولباقته التي لا أخفي إعجابي بها ودهشتي لها. ذلك أن ما كان يطرق مسامعي من كثير من الناس: أن طابع الصرامة المجردة من المجاملة تغلب على أهالي نجد. وكنت مهياً لهذا اللقاء بذلك الانطباع. ولهذا فوجئت أن هذا الرجل من ألطف وألبق وأكيس من قابلت في حياتي. ولا يتسع المجال لتدوين ذلك الحوار لأول لقاء لي معه، ولكنني بعد انتهائه وخروجي من مكتبه شعرت بارتياح بالغ، وحمدت الله تعالى على ما هداني إلى عمله، حيث عرّضت عليّ في تلك المدة ثلاثة عروض عمل: أحدها مكتب التربية العربي لدول الخليج واستخرت الله وسألت بعض معارف الدكتور الرشيد فشجعوني على العمل معه، لدرائتهم بطموحاته الكبيرة في كل عمل يوكل إليه، ولتميز علاقته بمن يعمل معه، ووصفوه لي بأنه رجل عروبي صادق.

وأتوقف عند كلمة عروبي صادق. نعم كان يحرص الدكتور الرشيد وبحكم عمله على رأس منظمة إقليمية ذات طابع عربي: أن يؤكد لنا أن جغرافية المكتب في دائرة الخليج العربي، إلا أن حدود العمل هو الوطن العربي.

ولهذا كان يحرص في توجيهاته عند تنفيذ أي مشروع على تنسيق العمل مع المنظمات العربية النظيرة في أعمالها مع المكتب. وفعلاً كانت البرامج المنفذة تتم بتنسيق تام ويتعاون كامل مع نظيراتها العربيات.

أذكر هنا أحد البرامج التربوية الرائدة التي تبنها الرشيد في المكتب، وهي معسكر الحج لطلاب جامعات الخليج العربي. وقد عملت مساعداً معه في هذا البرنامج الروحاني الرائع والناجح الذي التقى فيه أكثر من ٦٠٠ شاب مسلم جامعي، لتأدية فريضة الحج المصحوبة ببرنامج ثقافي إسلامي. وقد أكرمني المولى وأديت فريضة الحج معه، وكانت هذه الرحلة أولى رحلاتي أو أسفاري معه، التي تكررت فيما بعد كثيراً. لقد أتاحت لي هذه الرحلة المباركة أن أتلمس بعض أبرز صفات هذا الرجل، فقد نمنا في غرفة واحدة، وطفنا وسعينا يداً بيد، وأكلنا من طبق واحد. لن أنسى هذه الرحلة المباركة والحمد لله إذ تكررت رحلاتي معه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كان إيمانه بأهمية العمل العربي المشترك راسخاً، وبحكم إدارته لمكتب خليجي في هذا الإطار، كان يقترح على مساعديه رؤيته وطموحوه لتحقيق هذه الغاية النبيلة. ولهذا نفذ المكتب بتوجيهاته سلسلة اجتماعات مسؤولي البحث العلمي لدول الخليج العربي، التي هدفت إلى تعاون دول الخليج في مجال البحث العلمي وتنسيق جهوده تبادلياً للتكرار وهدر المال والوقت، مادامت طبيعة وبيئة هذه المنطقة واحدة، ولهذا يصبح التعاون والتنسيق فريضة أكثر منها واجباً. ولكي لا تكتسب هذه اللقاءات صفة نظيراتها، التي تنتهي دون فاعلية، فقد وجه بعمل دراسة مسحية شاملة عن التعليم العالي والبحث العلمي في دول الخليج العربي. وفعلاً فقد تم إعداد الدراسة وطباعتها عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)، ولاقت هذه الدراسة استحساناً كبيراً غير متوقع، ونفذت الطبعة الأولى بسرعة كبيرة

وتوالت الطلبات عليها مما حدا بالدكتور الرشيد أن يوجه بتحديثها. وصدرت الطبعة الثانية في عام ١٩٨٦م باللغتين العربية والإنجليزية.

وأكثر من هذا فقد خاطبت أكاديمية العالم الثالث للعلوم في إيطاليا (وكان يرأسها البروفسور الباكستاني الراحل عبد السلام حامل جائزة نوبل في الفيزياء) الدكتور الرشيد لنشر هذه الدراسة في أولى إصداراتها أو نشر ملخص عنها لأهميتها، وفعلاً فقد كلفني الدكتور الرشيد بتلبية طلب الأكاديمية، ونُشرَ ملخص عنها في العدد الأول لنشرة الأكاديمية الصادرة في شهر يونيو ١٩٨٥م.

لقد كانت اجتماعات مسؤولي البحث العلمي لدول الخليج ناجحة، ونجم عنها تعاون وتنسيق حقيقي لا يتسع المجال لاستعراضه.

وتعزيراً لهذا التوجه في التعاون والتنسيق بين دول المنطقة الذي يعيره الرشيد أولوية خاصة، فقد وجه ببرنامج يقوم من خلاله مسؤولو البحث العلمي في دول الخليج العربي بزيارات علمية إلى دول أوروبية وإلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفعلاً فقد تم التنسيق في أول زيارة مع الحكومة الفرنسية، وترأس الدكتور الرشيد الوفد وكانت زيارة ناجحة توثقت من خلالها علاقات الإخوة الخليجيين المسؤولين عن البحث العلمي، حيث استمرت هذه الزيارة قرابة أسبوع، وتمخض عنها تنسيق وتعاون بين المسؤولين ثنائي الجانب أو أكثر. ولا يغيب عن القارئ أن مثل هذه الرحلات الطويلة العلمية تسهم في عقد علاقات مفيدة جداً، وهذا ما كان يرمي إليه د. الرشيد من توجيهاته بتبني مثل هذه البرامج. وقد تكرر البرنامج لزيارة للولايات المتحدة الأمريكية لمدة أسبوعين أيضاً، توثقت فيها أو اصر العلاقة أكثر فأكثر والحمد لله.

استعرض هذه البرامج المتعلقة بالعمل الخليجي المشترك لأسلط الضوء على الجانب العربي وإيمان الرشيد الراسخ بضرورة تبنيه واستثمار مخرجاته لفائدة الأمة.

إن هذه الانطباعات عن الدكتور محمد الرشيد ليست نتاج علاقة عابرة، أو وليدة مواقف محددة لسنوات معدودة، وإنما هي استقرارات علاقة إنسانية امتدت على مدى

ثلاثة عقود من الزمن، تجردت عن المصالح الدنيوية، وتسامت عن المنافع المادية، خبرته فيها ساعات العمل وإرهاصاته، وأيام السفر ومكاشفاته، فكما يقال: في الأسفار تعرف حقيقة الرجال. فقد أشرتُ عن أسفارنا معاً ولا أبالغ إن قلت: إنني كنت أكتشف في كل رحلة مزية جديدة في هذا الأخ الذي اعترز به وبصداقته. وسأستعيد بعض الذكريات عن واحدة من هذه الرحلات التي صحبته فيها إلى باريس.

ففي إحدى رحلات العمل لتوقيع اتفاقية تعاون بين مكتب التربية العربي لدول الخليج ومنظمة اليونسكو، (وللأمانة فإن مثل هذه الاتفاقية ما كان لها أن تتم لولا توفيق الله ثم جهوده الشخصية، وتقدير الآخرين في المنظمات الدولية لهذا الرجل، وقد أشرت لمثل هذه العلاقات وكيف كان يجيد استثمارها لصالح أهداف وغايات المكتب)، وكان ذلك خلال المدة التي شنت فيها إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان حملتها المشهورة والموسعة ضد المنظمة العالمية، واتهمت مديرها العام السيد أحمد مختار أمبو المسلم السنغالي بسوء الإدارة وفشل المنظمة، وقررت الانسحاب من المنظمة. بل أكثر من ذلك طلبت مساندة بريطانيا لهذه الحملة لتتحقق بها. وكانت حقبة عصيبة على المنظمة، وكان زلزالاً حلَّ بها. أدرك الدكتور الرشيد حجم المأزق وثقله على المدير العام أحمد أمبو، فارتجل كلمة خلال الاجتماع الموسع بين الجانب العربي وأعضاء المنظمة، فقال في كلمته: إنه أتيج له أن يزور مؤخراً إحدى المدارس الابتدائية في منطقة نائية جداً في المملكة الواسعة الأطراف، وفوجئ (أي الدكتور الرشيد) بأن يوجه إليه أحد التلاميذ سؤالاً يقول: يا دكتور ماهي اليونسكو؟

ويستطرد الرشيد في كلمته موجهاً الحديث للسيد أمبو: يا معالي المدير العام أرادوا أن يحاربوا منظمنا العالمية، فشاع اسمها وصيتها بفعل الحملة الهوجاء، حتى شدت انتباه أبناء القرى النائية في المملكة، فرب ضارة نافعة، وأجزم لك أن هذه الحملة قد سلطت الأضواء على اليونسكو في العالم كله، فهنيئاً لك بهذا الانتشار لاسم اليونسكو، الذي وصل الأطفال والصغار.

دون شك كان للكلمة وقع كبير أمام الحضور، وصفقوا طويلاً تحية للرشيدي على هذه المعاني التي كانت موضع إعجاب وتقدير المنظمة، وأسهمت في عقد اتفاقية تعاون كبيرة تم بموجبها تنفيذ مجموعة من البرامج العلمية في منطقة الخليج العربي، ما كان لها أن تتم بمجملها لولا فضل الله ثم براعة الرشيدي وفننته وكيف أدرك أن واجب دول العالم الثالث: أن تشد من أزر المنظمة، وترفع من معنوياتها الهابطة بفعل آلة الإعلام الأمريكي ومن ورائها إسرائيل، التي تحركها لأغراض سياسية انتقامية، كما تبين لاحقاً.

فبعد هذا اللقاء وما ترك من أثر في نفس السيد أحمد مختار أمبو طلب من الدكتور محمد الرشيدي اجتماعاً خاصاً ثنائياً، لا يشارك فيه أحد لسرية الموضوع الذي سيتناوله هذا الاجتماع. غير أن الدكتور الرشيدي طلب من المدير العام لليونسكو أن يحضر الاجتماع أحد مساعديه ممن يثق بهم للترجمة بينهما، حيث إن المدير العام لليونسكو لا يفضل التحدث إلا باللغة الفرنسية، والدكتور الرشيدي يريد أن يتحدث بالعربية. وهكذا وافق السيد أمبو على حضوره هذا الاجتماع للترجمة بينهما.

كان موضوع الاجتماع: الأسباب التي تقف خلف حملة الولايات المتحدة وبريطانيا على المنظمة، وكيف أن أسبابها تعود إلى موقف اليونسكو من التعديلات التي تقوم بها إسرائيل في القدس، فيما يتعلق بالاستيلاء على الوقف الإسلامي وعلى الأماكن المقدسة في القدس الشريف. وحين اتخذت اليونسكو موقفاً صارماً من هذه الإجراءات وأبلغت بها، حركت الآلة الصهيونية أذرعها في إدارة ريجان للضغط على اليونسكو.

وذكر السيد أمبو أن بعض المساعدين للرئيس الأمريكي قد أدركوا هذه الحقيقة، ونقلوا له استياءهم ومحاولتهم أن يثبوا الرئيس الأمريكي عن قرار الانسحاب، إلا أن قوى الضغط كانت أقوى في البيت الأبيض.

أما المشاريع العلمية الأخرى التي كان لمحمد الرشيدي رؤيته الخاصة بتنفيذها، وحققته نجاحاً تعدى حدود المنطقة وأصابته اعترافاً عالمياً (المؤتمر الأول للرياضيات في دول الخليج العربي)، الذي عقد في الرياض في شهر أكتوبر في عام ١٩٨٢م بالتعاون

مع جامعة الملك سعود. واعترف بصدق أن أسباب النجاح الكبير الذي حققه هذا المؤتمر يعود الفضل فيه بعد الله تعالى لمحمد الرشيد، فقد دعم القائمين على هذا المؤتمر بكل الإمكانيات المطلوبة، ليكون عالمياً من حيث المستوى والمتحدثين والحضور. على سبيل المثال: تجاوز في هذا المؤتمر عدد المتحدثين الرئيسيين أكثر من عشرين عالماً، يعدون بكل المقاييس العلمية نجوم العالم في مجال الرياضيات، وفي مقدمتهم السيد مايكل عطية الذي حظي المؤتمر بمشاركته، وكانت الرياض أول عاصمة عربية يزورها. ويعد مايكل عطية في نظر الكثيرين من علماء الرياضيات أعظم عالم رياضيات ليس في عصره لوحده بل في كافة العصور، والذين يتابعون مسيرته يعرفون أنه العالم الوحيد في كل حقول العلم الذي كرمته الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما حضر هذا المؤتمر المتميز العالم الفرنسي ديودونيه (صاحب مجموعة بورباكي المعروفة في الرياضيات)، وساندرز ماك لين الذي عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي نيكسون وميتشيل الاسكتلندي، وليشنيروفيتز الفرنسي وبيكرت الألماني. وكل منهم يعد العالم الأول للرياضيات في بلاده. على هامش المؤتمر عقدت أول ندوة عالمية حول الرياضيات الحديثة في التعليم العام في المنطقة، وفي ذلك التاريخ كانت لاتزال مسألة غير محسومة علمياً في جدواها. وتختلف آراء العلماء حول تبنيها أو رفضها.

وقد وجه الدكتور محمد الرشيد بأهمية استثمار هذا التجمع العالمي للاستفادة من وجهات نظرهم عن مستقبل الرياضيات الحديثة. وفعلاً فقد شارك في هذه الندوة أقطاب الرياضيات في العالم، ممن وردت أسماؤهم وأدلو بأرائهم، وتم توثيق هذه الندوة ووضع تحت تصرف وزراء التربية والتعليم في دول الخليج العربي. لقد كان التوجيه لعقد هذه الندوة فيه بُعد نظر خاص، إضافة إلى النجاح الكبير في عقد المؤتمر وطباعة كتاب وقائعه الذي وزع عالمياً وحرره باقتدار الأستاذ الدكتور يوسف الخميس، وجمع بين طياته بحوثاً ندر أن تجتمع في كتاب واحد، نظراً لصعوبة التقاء مثل هذا التجمع من العلماء ومن هذا المستوى في مناسبة واحدة، فلم يحدث قبل هذا المؤتمر أن التقى جميعهم معاً، لأن كل واحد منهم نجم ساطع في سماء الرياضيات، ويكفي أي

مؤتمر فخراً أن يستضيف أحدهم منفرداً، كي يعد مؤتمراً ناجحاً. فكيف إذا احتضنت الرياض هؤلاء جميعاً في قاعة واحدة؟!

لقد عبر المشاركون جميعاً في استبانة وزعت عليهم على أن هذا المؤتمر من أنجح المؤتمرات التي شاركوا فيها خلال مسيرتهم العلمية.

أتذكر هنا كيف كان يتدخل محمد الرشيد، فيتحدث مباشرة مع سفراء المملكة هاتقياً، لتسهيل حضور العلماء وإشعارهم بالتكريم قبل أن يطأوا سفارات المملكة في عواصم بلادهم. وأستدل بحادثة واحدة حين خاطب محمد الرشيد معالي الشيخ جميل الجيلان، وكان يومها سفيراً للمملكة في باريس، لتيسير حضور العالم الفرنسي المشهور (جاك سير) من الأكاديمية الفرنسية وكوليج دوفرانس. حيث كانت شهرة هذا العالم الفرنسي تملأ الأطباق بعد أن حصل هذا العالم الكبير ومايكل عطية على أرفع تكريم علمي يمنح لعلماء الرياضيات هو (ميدالية فيلد)، وهي تعادل جائزة نوبل في العلوم نظراً لأن جائزة نوبل لا تمنح في علم الرياضيات، ولهذا أنشئت «فيلد» التي تمنح مرة واحدة كل أربع سنوات لأفضل عالم رياضيات في العالم.

حين وجه الدكتور محمد الرشيد بإنشاء مجلة للبحوث العلمية، شكل لها هيئة تحرير علمية بطابع خليجي، تضم أساتذة مرموقين من خلال مسيرتهم العلمية المتميزة في غزارة ومستوى نشرهم العلمي على المستوى العالمي. وقد كانت رؤيته البعيدة لهذه المجلة أن تكون وعاءاً ومورداً للبحوث العلمية المتعلقة بمنطقة الخليج العربي، بحيث تكون مرجعاً معلوماتياً عن المنطقة يقصد بحوثها العلميون من كل أقطار العالم الذين تنقصهم معطيات ومعارف عن هذه المنطقة التي ابتدأت تستأثر باهتمام العالم بعد أن أصبح للنفط دوره المحوري في اقتصاد دول العالم.

أذكر في ترأسه للاجتماع الأول لهيئة تحرير (مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية) كيف استعرض تطلعاته حول مستوى المجلة، وكما يتمنى أن تكون في مصاف المجلات العالمية باللغة العربية، وتوثق بحوثها قواعد المعلومات العلمية العالمية، واستدرك مشيراً

إلى معرفته باستحالة تحقيق ذلك لاستبعاد البحوث باللغة العربية عن توثيق (معهد المعلومات العلمية)، الذي يقبل البحوث الكاملة المنشورة بالإنجليزية دون غيرها، وقال: لا بأس أن نسعى لكي يكون لكل بحث ملخص وافٍ باللغة العربية، فهذا أضعف الإيمان. كما وجه بأن تكافئ المجلة البحوث المنشورة بالكامل باللغة العربية تشجيعاً لأصحابها ولزيادة رصيد اللغة العربية من حصة البحث العلمي العالمي. تذكرت هذا الموقف للدكتور محمد الرشيد خلال قراءتي لمقالاته السابقة حول التعليم بغير اللغة العربية في مناهج المدارس الخاصة ومعارضته الشديدة لهذا التوجه من خلال سلسلة المقالات التي نشرتها صحيفة الرياض.

عملت هيئة تحرير المجلة لتحقيق تطلعات المدير العام وفي مدة قياسية وجيزة تمكنت مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية من أن تنتزع بجدارة من معهد المعلومات العلمية (ISI) Institute of Scientific Information إدراج المجلة في توثيقها العالمي، وكانت في ذلك الحين أول مجلة علمية عربية تحظى بهذا التمييز. علماً بأن عدد المجلات العلمية الصادرة في البلاد العربية التي حظيت بهذا التقدير وبعد مرور أكثر من ربع قرن لا تزال أقل من أصابع اليد الواحدة.

د. محمد الرشيد كان دؤوب الحرص على ألا تتوقف مسيرة تطوير مجلة علمية عربية، وكان يعبر دائماً لهيئة تحرير المجلة خلال افتتاحه لاجتماعاتها أن رؤيته لهذه المجلة أن تكون حاضنة تستولد مجموعة من المجلات المتخصصة في العلوم، وبخاصة التطبيقية منها، وأن تكون مدرسة لتخريج مجلات كثيرة. وقد خطا نحو تحقيق هذه الرؤية من خلال انقسامها وإصدارها في مجلتي أحدهما للعلوم الفيزيائية، وأخرى للعلوم الأحيائية. ولوطالت مدة إدارته لمكتب التربية العربي لدول الخليج لحقق ذلك باقتدار.

لقد حققت المجلة التي كان له الفضل الأول في إنجازاتها ما لم تحققه أي مجلة علمية عربية، فقد نشرت بحثاً لأساتذة عالميين. كما حرص على الاشتراك السنوي

فيها أكثر من ٢٠٠ جامعة عالمية مشهورة بالإضافة إلى حرص أفراد كثيرين على دفع الاشتراك لاقتنائها.

أذكر هذه الفقرة الموجزة عن مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية فقط لأعترف بأننا مقصرون في مضمار النشر العلمي العالمي، مما يجعل حصة العالم الإسلامي برمته في النشر العلمي أقل من حصة إسرائيل منفردة مع الأسف. وحين يناقش المسؤولون هذه الظاهرة يرمون بالأسباب على السدود المانعة التي ينصبها الغير في وجوهنا دون اعتراف صريح منا بالتقصير. فهناك ٤٧ مجلة علمية تصدر في المملكة العربية السعودية لا تحظى أي منها باعتراف معهد المعلومات العلمية، ومن ثم فإن ما ينشر منها من بحوث لا تحسب ولا تصب في حصة المملكة من النشر العلمي. وينسحب هذا على المجلات العلمية العربية وكثير من المجلات العلمية في دول العالم الإسلامي (حصته ١٪ من الحصة العالمية)، والسبب دون موارد أول تضليل هو قصور القائمين على هذه المجلات لكي ترتقي لمستوى العالمية، ومن ثم تستبعد عن إحصاءات النشر العلمي العالمي. فلماذا نجحت مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية وحقق محمد الرشيد رؤيته، في حين أخفقت نظيراتها العربيات؟

في عام ١٩٨٤م تعاقدت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن مع الأستاذ الدكتور محمد زهير ناشد. وكان يرأس في تلك الحقبة تحرير عدة مجلات علمية في الرياضيات، حيث كان رئيساً لقسم الرياضيات في جامعة (ديلاوير) في الولايات المتحدة الأمريكية قبل استقدامه للمملكة. وبعد أن عرفنا بوجوده في الظهران اقترحت على الدكتور محمد الرشيد أن ندعوه للرياض لإلقاء محاضرة في جامعة الملك سعود، ومن ثم يقوم بزيارة المكتب ونطلعه على جهود المكتب في إصدار مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية، ونطلب منه أن يفيدنا نظراً لخبراته العالمية ورئاسته تحريره لمجلات عالمية عدة. وفعلاً شجع الدكتور الرشيد المقترح وحضر الأستاذ الزائر وشرحنا له آلية العمل بالتفصيل الكامل، ثم طلبنا منه توجيهاً لتطوير عملنا في المجلة في نهاية برنامج الزيارة. وخلال مقابلة مدير عام المكتب محمد الرشيد. قال له: كنت أظن أن هذا المبنى بكامله لمجلة الخليج إلى أن أدركت

أن المكتب يقوم على تنفيذ مئات المشاريع العلمية والتربوية والثقافية التي لا تمثل المجلة إلا واحداً منها. ما تقومون به في المجلة يستحق أن نأخذ منه فبارك الله في جهودكم.

استعدت ذكرى هذه الحادثة كشاهد لما حققته مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية منذ ربع قرن تقريباً.

كانت توجيهات الدكتور الرشيد في أن تركز جهود المكتب العلمية على التقنيات الحديثة في العالم، التي تعد جديدة على المنطقة، وألا تكون الجهود تكراراً لأوجه نشاط سابقة قامت بها المؤسسات العلمية في الخليج العربي. ومن هذا التوجه تم التخطيط لعقد المؤتمر العالمي الأول (للبايوتكنولوجيا والميكروبيولوجيا التطبيقية) في منطقة الخليج العربي بالرياض في نوفمبر ١٩٨٤م.

وقد كان هذا الحدث العلمي عالمياً بامتياز من حيث الإعلان عنه ومستوى المحاضرين فيه، نظراً لحدثة هذا العلم وقلة المؤتمرات النظيرة السابقة التي عقدت قبله. ولكي نفهم بُعد الرؤية في التوجيه بعقد مثل هذا المؤتمر وفي وقت مبكر وفي دولة من الدول النامية، نشير إلى أن تعريف هذا العلم لم يقر من الهيئات والمؤسسات العلمية إلا في عام ١٩٨٢م، أي قبل عقده بسنتين فقط، ولهذا ندرت المؤتمرات في هذا العلم قبل انعقاد مؤتمر الرياض.

وكان كثير من المتخصصين يتساءلون عن طبيعة هذا المؤتمر وتطبيقاته وأهميته بالنسبة للمنطقة وللمملكة بشكل خاص، واليوم وبعد مضي أكثر من عشرين عاماً على انعقاده، لم يعد يغيب على أحد طبيعة هذا العلم وتطبيقاته والإجماع العالمي على الاهتمام والتركيز عليه، حتى إن الخطة الوطنية للعلوم والتقنية والابتكار في المملكة العربية السعودية قد أدرجت هذه التقنية من ضمن تقنياتها الإستراتيجية الإحدى عشرة، وجعلت موقعها ضمن ترتيب أهمية هذه التقنيات في المرتبة الخامسة بعد المياه، والنفط والغاز، والبتير وكيماويات، وتقنية النانو. وهذا ما يؤكد صواب وعمق وبعُد رؤية الدكتور محمد الرشيد، وتميز قدراته الإدارية والتخطيطية.

وكما هو الحال في مؤتمر الرياضيات، فقد نجح هذا المؤتمر في أن يجمع معاً في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في الإنترنت ننتال أساطين هذا العلم الوليد في حينه، قدموا من اليابان والولايات المتحدة وكندا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا والهند وممثلي المنظمات الدولية العلمية. وبقيناً لم يجتمع معاً في مؤتمر واحد هذا الحشد من أقطاب العلم قبل ذلك على الإطلاق. ولكن هذا الحدث أمكن تحقيقه في الرياض بفضل الله ثم قدرات الدكتور محمد الرشيد الإدارية، ونزوع رؤاه ومبادراته للانفراد والتميز دون أن يصيب هذه الرؤى وتلك المبادرات خلل أو فتور، عندما تسلك منحاهما نحو التنفيذ والإنجاز.

كان الدكتور محمد الرشيد يقف بنفسه على توفير كل أسباب النجاح للمشاريع التي يتبناها، ويتولى بنفسه إزالة العقبات وتخطي العثرات، التي تعترض تحقيق أي من مشاريعه العلمية مهما كانت طبيعتها، ليهيئ بذلك أسباب النجاح الباهر لها.

ولست في صدد سرد واسترجاع الذاكرة لعشرات المشاريع، التي أنجزها على نحو ما سبق الإشارة إليه، ولكنني أذكر بندوات ومؤتمرات لن يغيب عن شريحة المفكرين والعلماء استذكارها، نظراً لما كان لها من أثر بالغ على الفكر والثقافة في منطقة الخليج العربي منذ عقدين وأكثر من الزمن. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: «التحديات الحضارية والغزو الثقافي في دول الخليج العربي». وقد حاضر فيها معظم المفكرين ومسؤولي الفكر والثقافة العرب.

وندوة: «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟» حيث تقابل خلالها قادة التربية وقيادة الإعلام أيضاً. وسلسلة مؤتمرات الاتجاهات الحديثة في تدريس المواد العلمية: الرياضيات - الفيزياء - الكيمياء - البيئة والإنسان.

وندوة: (جامعة الخليج العربي: «رؤية مستقبلية») التي شارك فيها من العلماء من حملة جائزة نوبل والمفكرين والفلاسفة والكتاب بصورة ليس لها نظير، ولم تشهد المنطقة لقاءً علمياً على هذا النحو.

لقد أغنت تلك اللقاءات والمؤتمرات المكتبة العربية برصيد ثمين من الكتب والمراجع ضمن الدراسات والبحوث التي أقيمت من على منابرها وتعد بحق ذخراً علمياً وتوثيقاً فكرياً لا غنى للمختصين عنه.

أعود إلى المؤتمر العالمي للبيوتكنولوجيا والميكروبيولوجيا التطبيقية الذي عقد في الرياض فقد تمخض عنه مرجع علمي عالمي كمحصل طبيعي للنخبة من العلماء الذين شاركوا فيه ببحوثهم، وقد أقدمت على طلب نشر هذا المرجع دار النشر العالمية الأولى في الكتب التقنية وهي: Elsevier Applied Science Publishers في نيويورك ولندن، وتولت توزيعه عالمياً وبيعه، وحقق عائداً مادياً كبيراً للمكتب، إذ بيعت النسخة الواحدة منه بأكثر من مائة دولار في ذلك الوقت، ويعد واحداً من المراجع القليلة في هذا العلم حين نشر في عام ١٩٨٦م، ولا يخفى الاهتمام العالمي حالياً بهذا العلم.

تحتضن المنطقة بين وقت وآخر مؤتمرات علمية رفيعة، ويشارك فيها صفوة المختصين في المنطقة، ويدعى لها أبرز العلماء في العالم، غير أننا لا نشهد بعد أن تنتهي اللقاءات والمؤتمرات نتائج وآثاراً باقية بعد انقضائها، فيطوى سجل هذه اللقاءات وتندثر في طيات النسيان. غير أن الدكتور محمد الرشيد كان يتلمس هذا ويدرك قيمة استبقاء ثمرة هذه الجهود، فيوجه في استثمار عوائدها العلمية وتوثيق وقائعها حتى لا تنقطع فوائدها، وهذا ما فعله في مؤتمر الرياضيات ومؤتمر البيوتكنولوجيا. ولهذا وبعد أكثر من عشرين عاماً على هذا المؤتمر يكفيك أن تبحث في الإنترنت بأي من محركاته، وتذكر عنوان المؤتمر لتحصل على عدد كبير جداً من المصادر عن دور توزيع هذا المرجع لوقائع المؤتمر والمكتبات الجامعية العالمية التي يتوافر فيها، ومعلومات أخرى عنه. وكل هذه الشواهد للاستدلال على تميز في حسن استثمار المؤتمرات، التي عقدت حين كان محمد الرشيد مديراً لمكتب التربية العربي لدول الخليج. وهذا الاستثمار المفيد قليلاً مانرى له نظيراً في اللقاءات الكثيرة التي تشهدها المنطقة.

لقد عقد أيضاً على هامش هذا المؤتمر العالمي طاولة مستديرة ضمت عدداً من علماء التقنية الحيوية المشاركين في المؤتمر، ورفعوا توصيتين: أولاهما: بضرورة أن

تتبنى إحدى الجامعات الخليجية برنامجاً للدراسات العليا في التقنية الحيوية. وقد دعم الدكتور محمد الرشيد هذه التوصية، واستطاع أن يتابعها إلى أن أقرت جامعة الخليج العربي في مناهجها برنامجاً لمنح شهادة الماجستير في التقنية الحيوية، وكانت بذلك أولى الجامعات في العالم العربي، التي تقدم برنامجاً للدراسات العليا في التقنية الحيوية، وواحدة من الجامعات القليلة أيضاً على مستوى العالم في ذلك الحين. وأعتقد أن هذا الإنجاز كان بحق سابقاً لعصره في المنطقة.

أما التوصية الثانية: فقد كانت استثماراً لحماس واهتمام المشاركين بمؤتمر البيوتكنولوجيا فتضمنت اقتراح إجراء ورشات عمل وبرامج تدريبية حول تطبيقات البيوتكنولوجيا، وربطها بالحاسب الآلي. وفعلاً تبني الدكتور الرشيد تنفيذ هذه التوصية ووجه بتنفيذ مضمونها.

وتحقق ذلك من خلال عقد برنامج تدريبي يستفرد في تنفيذه معهد ماسا شوستس للتقنية في (كامبردج) بالولايات المتحدة الأمريكية (MIT)، ويكلف الالتحاق به مبلغاً يتجاوز في حينها أكثر من ٥٠٠٠ دولار أمريكي. فوجه الدكتور الرشيد باستقدام القائمين على البرنامج من MIT، والاتفاق معهم على تنفيذه في المنطقة، ليستفيد منه أكبر قدر ممكن من المختصين، ولتأهيل الكفاءات العلمية الخليجية في مجال البيوتكنولوجيا. وقد نفذ البرنامج فعلاً بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية، وحضره أكثر من عشرين متدرباً لمدة أسبوع، ووفر مكتب التربية نفقات مادية كبيرة لعقده في الكويت. وأذكر حينها أنه قد وجهنا بأن نحرص على أن يشارك في البرنامج العدد الأقصى المطلوب من أبناء المنطقة، وإذا تعثر ذلك ولم يكتمل النصاب فليكن ذلك باستكمالته من المختصين من الدول العربية الأخرى تعميماً للفائدة.

هذه النماذج الثلاثة أستشهد بها كأمثله للبرامج التي وجه بها الدكتور الرشيد وحققته نجاحاً غير مسبوق في مجالاتها بفضل إدارته وتوجيهاته المتميزة باقتدار.

لا يتسع المقام لاستعراض الجنوح الدائم للتميز في التخطيط والتنفيذ لكافة المشاريع والأعمال، التي يتولاها الدكتور الرشيد، ويقوم بنفسه على متابعتها حتى تنفرد بنجاح فائق يتفق عليه الجميع.

وينسحب هذا التميز بالمؤتمرات العلمية والنشر العلمي أيضاً على برامج المكتب في ترجمة أو تأليف الكتب الفكرية، التي تفتقر لمادتها المكتبة العربية. حيث أثرت هذه البرامج المكتبة العربية بمجموعة من الكتب التي قدمها محمد الرشيد للقراء، في أثناء توليه منصب المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج وكان لها أثرٌ وفائدة ولا تزال مراجع يعتمد عليها المختصون، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر منها: مناهج المستشرقين - وسلسلة الكتب التربوية المترجمة، التي ذاع صيتها في كل أنحاء البلاد العربية، وفي مقدمتها:

- أمة في خطر.
 - التربية في ألمانيا.
 - التربية في الصين.
 - التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية.
 - الإنسان والطاقة.
 - ودورية «رسالة الخليج العربي» التربوية المحكمة، التي لا تزال تصدر حتى اليوم.
- إضافة إلى دعوته لكبار المفكرين والكتاب العرب للرياض للتعرف على فكرهم وإنجازاتهم، وأذكر على سبيل المثال المفكر الكبير زكي نجيب محمود، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، الذي دُعي لإلقاء محاضرة عن الدين والتطرف عام ١٩٨٢م، ولا يخفى على أحد أهمية هذا الموضوع، وكيف استبقت المحاضرة قبل عقدين من الزمن المزلق الذي عانت منه الأمة بعد أن أصبح التطرف الديني ظاهرة خطيرة، لا تزال أمم كثيرة تعاني من نتائجها وويلاتها.

ولهذا وبعد عقدين من الزمن على هذه المحاضرة التي طبعت في حينها، تناولت أقلام المفكرين والكتاب هذه الظاهرة وألفوا فيها، وأذكر على سبيل المثال كتاب المفكر الدكتور راشد المبارك المعنون: (التطرف خبز عالمي) الذي صدر منذ عامين تقريباً.

لقد حظيت التربية والثقافة الإسلامية والفكر عموماً بقدر كبير من المراجع المهمة بفضل إدارة محمد الرشيد لمكتب التربية العربي لدول الخليج، والتي ما كان لها أن ترى النور لأسباب كثيرة قد لا تخفى على الكثير من العارفين، لولا أن تبناها المكتب وأصدرها.

لقد تمكن محمد الرشيد أن يحول مكتب التربية العربي لدول الخليج في سنوات قليلة من مسمى مكتب إقليمي مؤطر المهام عند تأسيسه إلى واقع دولي كمنظمة خليجية للتربية والثقافة والعلوم، حتى أطلق عليها الكثير من الخبراء الأجانب اليونسكو الخليجية. لقد حقق المكتب حضوراً كبيراً في أهم التجمعات واللقاءات العربية والدولية واختير مديره أيامها في مجلس التربية العالمي الذي يضم عدداً محدوداً من المسؤولين التربويين العالميين. وما كان يمكن أن يتم ذلك حقاً لولا شخصية الدكتور محمد الرشيد وحضوره العلمي العالمي في المنظمات التربوية فأتاح له باقتدار اعترافاً عالمياً استحقه عبر مكتب تربوي صغير فتح من خلاله بوابة كبيرة وأشاد جسوراً للتعاون الدولي بين هذا المكتب والمؤسسات العلمية والتربوية والفكرية المرموقة في العالم. ولا يتسع المجال لاستعراض الفوائد الكبيرة التي نالتها المنطقة من خلال العلاقات الدولية التي أشادها المكتب، وربما يكفي استعراض قائمة المطبوعات الطويلة التي صدرت عنه آنذاك، ليدرك القارئ حجم ومقدار العوائد العلمية والتربوية التي استفادت منها دول الخليج العربي. وأستطيع أن أقول: إن إنجازات مكتب التربية خلال سنوات إدارة محمد الرشيد قد تجاوزت التصورات والمهام المنوطة به، التي رسمها المسؤولون الذين أوصوا بإنشاء هذا المكتب.

هذا الإنجاز الإداري الذي حققه الرشيد كان بحق جزءاً يسيراً من رصيد مسيرته المهنية، التي بوأته على رأس الهرم التربوي في المملكة العربية السعودية بعد ذلك بسنوات.

لقد كانت طبيعة علاقة العمل بين الدكتور محمد الرشيد وأي واحد من مساعديه أو مرؤوسيه تتخذ شكلاً غير تقليدي، وتخرج عن النسق المعروف في العلاقات التراتبية المعهودة في محيط العمل، التي تتسم بها كافة العلاقات السائدة في بلادنا العربية عموماً. فمحمد الرشيد يحرص على أن يجعل علاقات العمل أشبه ما يكون نسيجها لما نعهده في الروابط العائلية العربية. فالعلاقات التي عقدها خلال كل محطة من محطات مسيرته المهنية هي علاقات نشأت وبقيت، بل أكثر من ذلك تَرَسخُ وأواصرها وتممو وشائجها بعد أن تفترق مواقع العمل، فتسمو بذلك عن دنس المصالح وريبة النوايا غير الخالصة. إن مصطلح العلاقات العابرة التي توجدنا زمالة العمل ليست في قاموس مفردات الرشيد الإنسانية، فمنذ أن تعمل مع هذا الرجل يتولد لديك إحساس غامر بأنك اكتسبت صديقاً وفاقاً. وبترسخ لديك هذا الشعور، وتلمس صدقه عندما تجابهك أولى مواجهات الحياة وما تتطلبه من وقفات الوفاء وشواهد الإخلاص والصدق لدى الأصدقاء.

إن هذا التوصيف لطبيعة علاقة الدكتور محمد الرشيد مع زملاء العمل أجمع عليه وأيقن به كل من عمل معه في محطة من محطات حياته الوظيفية، وقد تواتر إجماع كثير من الأشخاص على أن هذه السمة هي إحدى خصوصيات شخصية محمد الرشيد، وأكدوا على عفويتها وفطريتها، فهي تتسق مع صفات أخرى في شخصيته تعزز هذا الرأي. وقد كُتِبَتْ مقالات عدة في الصحف بعد أن ترك الرشيد آخر مناصبه هذه الصفة الكريمة، التي تميز بها وانفرد بها عن كثير من المسؤولين. وقد نشرت هذه المقالات بعد أن تقاعد الدكتور محمد الرشيد عن آخر مناصبه القيادية، مما يدل على صدق نوايا الكتاب. وقد ورد في إحدى المقالات التي كتبت عن الدكتور الرشيد هذه الجوانب في شخصيته بأقلام نوه فيها البعض بأنهم لا يعرفونه شخصياً، ولا يمت لهم بصلة معرفة أو صداقة.

في مقال تحت عنوان: (د. محمد الرشيد (الأنموذج)) بقلم د. موسى بن عيسى العويس بصحيفة الجزيرة اقتطع هذه الشهادة من سياق كلامه:

«لم يجانب الحقيقة من قال عنه: كنا إذا ففتشنا عن الصديق وجدناه مختبئاً في قلبه، وعن المحسن الكريم وجدناه لائئداً في جيبه، وعن الرفيق الأنيس نشدناه في رحاب مجلسه، وعن المساعد الأمين ألفيناه في أركان وزارته».

ويقول في فقرة أخرى: «د. محمد الرشيد شخصية تسامت ولم تمالئ، وتعاليت ولم تتحن، فاستحق بهذا التوثب، وذلك الطموح الذي لا يحده حدود أن يكون واحداً من أبرز رواد التجديد، والتغيير، والتطوير والانفتاح في تعليم هذه البلاد في القرن الحادي والعشرين».

وكتب محمد بن حسن الصائغ مقالاً نشرته الجزيرة بعد أن تقاعد الدكتور الرشيد من الوزارة يقول: وجدنا الأخ الودود، والصديق العطوف، والوزير المحنك والقائد التربوي الملهم، والمتابع للعمل بكل دقة، والمنضبط في دوامه، وذا الخلق الرفيع والتعامل الإنساني الراقي. ثم يستطرد في فقرة أخرى، يقول فيها عنه: «مما يتسم به د. محمد الرشيد خلقه الرفيع وتواضعه الجم، ورعاية مصالح العاملين وتفقد أحوالهم. والحضور معهم في الأفراح والأتراح، فتراه حاضراً لمناسبة زواج أو نجاح، وتجده سباقاً للعزاء والمواساة، يعرف معظم العاملين معه في الوزارة، ولا يخاطبهم في المعاملات الرسمية إلا بأسمائهم، ويتجنب الألقاب، ويكتب: الأخ الكريم فلان بن فلان».

... ويختتم قائلاً: «إن أعداد الذين زاروا الرشيد في منزله بعد انتهاء مدة عمله فاقت من زاروه يوم ولايته، وهذه عبرة، فالناس شهود الله في أرضه».

وأكد هذه السجايا في الدكتور الرشيد الأستاذ الأديب عبد الله بن إدريس في مقال آخر نشرته جريدة الجزيرة أيضاً، يؤصل فيه هذه الانطباعات وعنوانه: (الإنسان: محمد أحمد الرشيد).

واقطع منه ما يعزز ما أشرت إليه عن طبيعة علاقاته مع العاملين معه فيقول: «محمد أحمد الرشيد واحد من الصف المتميز في أجهزة الدولة، يقود وزارة التربية والتعليم بروح الأخوة كقاسم مشترك بينه وبين زملائه مسؤولي الوزارة، بل هو يقودها بروح المناخ العائلي المتناغم». وينهي مقاله بما يلي:

«ليس الوفاء والنبيل في الدكتور محمد أحمد الرشيد جديداً أو معروفاً داخل أسوار العمل فقط، فقد سمعت عن محمد أحمد الرشيد من زملائه في الدراسة ومن أصدقائه حالياً كثيراً من الحكايا عن أريحيته وعفويته وصدقه في التعامل مع الآخرين».

هذه المقتطفات أوردتها وأود أن أورد آخر ما قرأت في هذا السياق عن د. محمد الرشيد من المقالة التي كتبها عبد الرحمن السليمان، ونشرت في جريدة الجزيرة بتاريخ ١٢/١٢/١٤٢٩ هـ ذكر كاتبها: «أن الدكتور الرشيد لا يعرف الكاتب شخصياً، كما لا يعرف الكاتب عن الرشيد إلا ما رصده من أعمال وما سمعه من أقوال، وكان محور مقاله التأكيد على الجانب الإنساني لعلاقة الرشيد مع الغير والاحتفاء به بعد أن ترك منصبه».

يقول صاحب المقال:

«حدثني أحد الأصدقاء ممن يترددون على بيت د. الرشيد في لقاءات بعد مغرب كل يوم سبت، قال: حينما كان وزيراً كان عدد الحضور على الأصابع.. ولا يزيد عن عشرة أو خمسة عشر، والله أعلم بنواياهم وراء حضورهم، أما اليوم فقد ضاق المجلس على اتساعه بالحضور».

ويستطرد: «كثروا.. تضاعفوا.. وكلهم حضور بلا دعوات سابقة، ولكنهم مدعوون من أنفسهم بدعوة الحب والوفاء وإخلاص الصداقة، وبراءة التعارف، واستمرارية العلاقة الأخوية القوية الرباط الخالية المقصد».

«قلت لصديقي هذا: أعرف أن الناس ينفضون عن المسؤولين إذا ما تركوا مناصبهم، لانقطاع النفع الشخصي عنهم، أو لانتهاج دوافع النفاق والمجاملة والتزلف لهم».

«قال: قلت لك يا أخي ما كل هذا الحشد الذي يأتيه مساء كل سبت من الأصحاب إلا دليل على تميزه بسمات هي جديرة بأن يلتفت حولها الناس، ويتمسك بها الأصحاب».

«إنني أكتب هذه السطور عن الدكتور الرشيد بعد أن ترك الوزارة، ومثلي من يكتبون في مثل هذا الموقف هم أبرياء من شبهة النفاق للكبراء، ابتغاء استجلاب مصلحة خاصة أو دفع مفسدة».

وينهي مقاله المطول بقوله: «هذه إلماحة عجلت بها النفس قبل أن يفيض بها القلم، أردت لها أن تكون كلمة شكر صغيرة لرجل كبير».

«اللهم اشهد أن هذه ترجمة لمشاعر صادقة وآراء شاهدة سوف تبقى حية..».

أنا أعرف يقيناً أن هذه الانطباعات لا يتمنى أن يسمعها أبو أحمد في حقه وينحني رأسه تواضعاً لله تعالى لو ذكرت عند مسامعه، ولكن هذا الرجل بحق يتمتع بصفات هو فيها مدرسة قائمة بذاتها بما يمثله من منهجها. إن هذا الجانب من شخصيته وبخاصة ما يتعلق منه بعلاقاته الإنسانية من نبل العطاء وصدق الوفاء وعفوية اللباقة والكياسة والحرص على تلبية الواجبات نحو الغير بإنسانية رفيعة، تقتصر على عدد قليل من الرجال. وأحسب أن ما ذكرته في حقه لا يخالفني الرأي فيه أحد ممن عملوا معه واكتسبوا صداقته. وتأكيداً على صدق الوفاء عند محمد الرشيد فقد رافقته في ربيع عام ٢٠٠٨م خلال زيارة للولايات المتحدة الأمريكية. كان سبب الزيارة بالنسبة له زيارة وفاء. فقد زار فيها مريضاً عزيزاً عليه، وأستاذين من أساتذته خلال مرحلة الدكتوراه في ولاية أخرى، وقد أدهشني مدى سعادتهم بلقائه وحبهم وعواطفهم نحوه واستيائهم من موقف حكومة الولايات تجاه قضايا أمتنا حتى إن أحدهم وقد تجاوز عمره ٨٥ سنة أطلعنا على مقال نشره يعبر فيه عن سخطه لسياسة حكومته، ويمتدح فيه شعب المملكة.

وأكد لنا ونحن نودعه أنه يشعر بالعار من مواقف حكومته، وطلب منا أن ننقل عنه أن الغالبية من أبناء أمته مستأؤون من موقف حكومتهم تجاه قضاياها. وغني عن التعبير أن طبيعة العلاقة بين الرشيد وأساتذته التي تجاوز عمرها أربعين عاماً تشهد على صدق الوفاء الذي أشرت إليه، كما أن معرفتهم العميقة به دفعتهم لتقدير وحب الشعب الذي ينتمي له محمد الرشيد. خلال هذه الزيارة أيضاً تلقى د. محمد الرشيد تكريماً خاصاً من جامعة أوكلاهوما.

ولقد تأثرت وأنا أشهد حفلة التكريم التي ضمت مع الرشيد أربعة خريجين من الجامعة من غير الأمريكيين، الذين حققوا في مسيرتهم المهنية إنجازات تفتخر بها

جامعتهم، فقررت أن تقيم احتفالاً استمر لمدة يومين تكريماً لهم. هذا الحدث وجه من أوجه الوفاء الصادق أيضاً، إنه من جهة أكاديمية لم تنس خريجها بعد أربعة عقود، فتابعت مسيرتهم المهنية ثم قررت أن تحتفي بهم، وتعلن اعتزازها بهم، كما تستفيد من خبراتهم العملية في لقاء كبير جمع بين المكرمين من قدامى الخريجين مع طلابها الحاليين، فأسدى كل منهم نصائحه التي صاغتها خبرة الحياة وحكمها المكتسبة.

لقد كان الاحتفال مصدر اعتزاز وافتخار لأكثر من أربعين طالباً وطالبة، ينتسبون حالياً للجامعة من السعوديين في شتى التخصصات. اجتمع بهم الدكتور محمد الرشيد لمدة ساعتين تقريباً، وحثهم على ألا تقتصر إقامتهم على الدراسة فحسب، بل يضعوا نصب أعينهم التفوق الدراسي إلى جانب الحرص على العلاقات الإنسانية مع الأمريكيين وغيرهم من الطلاب بما يحافظ على سمعة المملكة ورفعتها.

حين انتهت مدة إدارة الدكتور محمد الرشيد لمكتب التربية العربي لدول الخليج وجه لزملائه ممن كانوا يعملون معه رسائل يودعهم فيها من اللقاء اليومي على رأس العمل، ويعددهم فيها بالتواصل وتوثيق العلاقات في المستقبل.

وأختتم هذه الصفحات بالاستشهاد ببعض ما ورد في رسالته لي كشاهد على ما ذكرته في الصفحات الأولى أن هذا الرجل يحمل صدق الوفاء في عفويته وفطرته التي جُبل عليها يقول في خطابه:

«وانني لأشد على أيديكم مباركاً ومحياً فيكم هذه الروح الوثابة، ومودعاً لكم وداع المؤمل باللقاء، الحريص عليه الساعي إليه، راجياً أن تتقبلوا كل تقديري وودي، مؤكداً لكم يا عزيزي وإن تفرقت بنا السبل فإن أختوتنا باقية وصدافتنا دائمة، وأعدكم أن أكون طرفاً إيجابياً فيها، داعياً لكم بالتوفيق والسداد».



أخي محمد الرشيد . . كما عرفته

د. راشد بن عبد العزيز المبارك

يأتي المرء إلى هذه الحياة فيجدها طريقاً عابراً أو رحلةً مسافراً، فإذا أعطاهما مزيداً من تأمل تراءى له ألا وجود لها على وجه من وجوه الحقيقة، إذ لا بقاء لأجزائها؛ فحياة الإنسان هي عمره وعمره، ليس سوى وحدات زمنية، أي: مجموعة من الآتات المتوالية (أي مجموعة الآن)، التي نجد لها اسماً دون أن يكون لها وجود حقيقي، فهذه الأجزاء ليست سوى سلسلة متصلة من (الآتات)، وهذه المفردة من مفردات اللغة (الآن) لا مدلول واقعي لمعناها، إذ إنه بمجرد لفظ الكلمة يكون مدلولها صار ماضياً ذهب، ولم يعد حاضراً يُعاش، فضلاً عن أن يكون مستقبلاً ينتظر، فهي أي الحياة سلسلة متصلة من لحظات سريعة التلاشي لا يُشعرنا بها إلا توالي تسلسلها. على أن هذه السلسلة لا تخلو عند فئة من الناس من محطات تستوقف العابر وتشدُّ المسافر، لما يجد فيها من بهجة الحياة ومن متعتها، فهي في صحراء الحياة الإنسانية كالخمائيل في صحراء الأرض؛ يفيء إليها المسافر ليجد فيها وقاية من وهج الشمس بالظل، وما يطفئ لذع الرمضاء بالماء، ويُبدي السموم بأنفاس الشجر، وأنضر هذه الخمائيل وأبقاها تذكراً وتصوراً علاقة حميمة لأخ كريم وصديق حميم، وأبقى هذه العلاقات وأقواها ما تزول معه الحواجز، فلا يكون بينك وبين من تصادق حاجز عن أمر أو غطاء على سر مما عناه مسكين الدارمي بقوله:

واخوان صدق لست مطلع بعضهم على سرّ بعض غير أني جماعها

يظنون شتى في البلاد وسرهم لدى صخرة أعياء الرجال انصداعها

لكل امرئ شعب من القلب فارغ وموضع نجوى لا يُرام اطلاقها

ولعل من ذلك الجانب ما جاء في الأثر: أن المؤمن مرآة أخيه.

والمعرفة بالآخر نوعان: أحدهما أن تلقى من لا تعرف فتحس أنك تحتاج إلى وقت قد يطول أو يقصر لترتاد أبعاده وتعرف منه زوايا أو خبايا، لا تكشفها نظرة أولى ولا لقاء غير متكرر، فتحتاج من أجل ذلك لمعرفة ذلك الفرد وصحبته إذا تمت (إلى معرفة منشئه)، يقابل هذه المعرفة معرفة أخرى، وهو أن ترى الفرد، فتشعر للوهلة الأولى أنك تعرفه منذ زمن، وألا حواجز بينك وبينه تُشعرك بالتكلف أو التعسف، فتذهب نفسك معه على سجيتها؛ لأنك وجدت مقابلاً لا يحيط نفسه بأسوار؛ فتكون هذه المعرفة في هذه الحال (معرفة كاشفة) بمعنى أنه لم يكن بينك وبين هذا الفرد سوى ستارة أزيحت، فبدت العلاقة مكتملة البناء تامة الخلق.

كانت معرفتي بمعالي الأخ د. محمد منذ السنة الأولى من سنوات عملي بهيئة التدريس في جامعة الملك سعود، وقد سبقني إليها بعام أو نحوه، فشعرت منذ لقائنا أو لقاءاتنا الأولى بتلك المعرفة الكاشفة التي لا تحيط ذات المكتشف بأسوار، واسترحت منه وبه إلى تلك السجية السمحة، التي لا تجد فيها انفصلاً بين لسانها ووجدانها، بل إنها تشعرك في يسر بقصر المسافة بين اللسان والوجدان، أو بين التفكير والتعبير، وتمر الأيام فتزيد هذه العلاقة توثقاً وتجذراً، ثم تجمعنا زمالة عمل ورحلات سفر، فعرفت منه في عمله ذلك المخلص له المقبل عليه إقبال والهة على حبيبها، وقد كنت أعجب منه وأعجب له من القدرة على مواصلة عمله ساعات طويلاً دون ملل أو كلل، ولا أجد تفسير ذلك إلا في قول ذلك البدوي:

على مناحي القلب يمشنُ القدام..

يصاحب ذلك قدرة مماثلة على تحويل من يحيط به في العمل إلى إخوان إلفة وشركاء مشروع. وصحبته في سفر، بل عدة أسفار فوجدته في سفره، كما هو في إقامته، من يؤنسك منه صدق الإلفة وزوال الكلفة، ومبادلة البث فيما تحزن منه وفيما تُسرُّ به، كما جمعنا عمل مشترك في كثير من المجالات، فلم يباعد بيننا اختلافٌ على غاية أو

تعارض في هدف، وإذا كنا نختلف في الرأي أحياناً فإننا لم نختلف في غاية من الغايات، ثم يتولى أخي محمد منصباً كبيراً، أو يُبتلى بمسؤولية كبيرة، فلم تصرفه كثرة ما وُجّه إليه من نبال قد تصد كثيرين عن التفرغ إلى العمل إلى دفع النبال وردّ النصال من باب قول بدوي الجبل:

أرد وقع الظبا عن مهجتي بيدٍ وتمسح الدم من نرف الجراح يدُ

بل لقد ترك - مع ما أصابه - في مجال عمله لمسات، ونقش في توجهه بصمات، لا يخطئها متتبعٌ منصف أو باحثٌ متعفف، هذا ما عرفه زميل له، عرفه فألفه، لم تجمعهما شراكة مال أو رباط منفعه، ولكن ربط بينهما رباط أقوى هو رباط أخلاق.

وبعد؛ فهذه كلمات اختلطت فيها الفلسفة بالأدب، والعقل بالقلب، والفكر بالشعور، وكلها دقيقة في وصف الحقيقة، لكن بإجمال في غير تفصيل. أما إن شئت أن أوضح بالمثال بعض ما تقدم، فأقول:

عرفت أخي الدكتور محمد عام ١٣٩٤هـ عندما كان عميداً لكلية التربية، وكنت آنذاك أحد أعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم، والتقينا في أول مؤتمر تعقده الجامعة بموافقة المقام السامي باسم «رسالة الجامعة»، واشتركت فيه بالإضافة إلى كليات الجامعة قطاعات حكومية أخرى، وقطاعات خاصة، نوقشت فيه رسالة الجامعة، وما هو المطلوب والمؤمل منها.

وضمنتي وإياه بعد ذلك عضوية في هيئة استشارية تلتقي أسبوعياً، أسسها معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله عندما كان وزيراً للتعليم العالي.

ثم التقينا في لجنة معادلة الشهادات الجامعية، وسافرنا معاً إلى عدد من البلاد منها: إستراليا، وفنلندا، والفلبين، وإندونيسيا، وبريطانيا... زرنا جامعاتها، واطلعنا على أنظمة التعليم في تلك الجامعات، ومستوى التعليم فيها، وجدارتها على المستوى العالمي..

ثم التقينا بعد ذلك في لجنة المصالحة التي سعت لإيقاف الحرب بين العراق وإيران، وبدأت مساعيها في رمضان ١٤٠٤ هـ (يونيو ١٩٨٤ م)، وقد كانت محاولة قام بها بعض المفكرين والعلماء المسلمين، الذين لا تربطهم روابط رسمية بأي دولة، ولا يتولون مناصب حكومية في أي مكان. وقد جرت تمهيداً للقيام بمحاولة الصلح عدة لقاءات في الرياض، وجدة، والقاهرة، وكراتشي، واسلام آباد، وكوالالمبور، واستامبول، وأنقرة، والجزائر، وأبوظبي، والكويت، والدوحة، والبحرين، ولندن، وباريس، وروما.. ولم تحقق هذه المحاولة النتائج المرجوة منها مع الأسف.

هذه إضاءات من روح إلى روح، وعقل على عقل، حسبها الصدق البعيد عن المجاملة، والصفاء الذي تمليه الحقيقة ولا يُنقّيه الإخاء أو الوفاء.



في البدء، كانت . . . "المعرفة"!

د. زياد بن عبد الله الدريس

من «الصحة» إلى العافية

في عام ١٤١٦هـ كنت موظفاً بوزارة الصحة، أعمل في مجال دراستي وتخصصي (العلوم الأحيائية). أما هوايتي (الكتابة) فكنت أزوالها بمزاجي بين حين وآخر. لم يخطر ببالي أن أتفرغ للعمل الصحفي أو الثقافي، برغم أكثر من عرض تلقيته من الصحف السعودية، كنت أظن وما زلت أن العمل في الصحافة محرقة للثقافة.

في أحد المساءات جاءني اتصال من الصديق الدكتور سلطان باهبري يعرض عليّ استلام مسؤولية تحرير مجلة المعرفة، منذ أن سمعت كلمة (مجلة) تحرك عندي هاجس (المحرقة). قال لي سلطان مطمئناً أو محذراً: هذه ليست مجلة بالمفهوم الصحفي الذي في ذهنك، هذه دورية شهرية تعني بالثقافة التربوية، ولذا فهي عمل ثقافي أكثر مما هو صحفي.

هذا هو التفسير الوحيد الذي جعلني أوافق على خوض التجربة. قلت لزملائي في وزارة الصحة عند الوداع: بعد أشهر من التجربة سأخبركم إن كنت قد انتقلت من «الصحة» إلى «المرض»، أم من الصحة إلى العافية!!

مضيت في تجربة «المعرفة» وفي نيتي البقاء سنة.. أو سنتين لو طاب المقام، أتممت عشر سنين في «المعرفة» كانت من أثنى وأسمى أيام عملي وحياتي.

وكنت وما زلت أتساءل: لو لم يكن الرئيس المباشر آنذاك هو معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، هل كنت سأستمر ١٠ سنوات؟ بل الأهم: هل كنت سأستطيع إنجاز ما تحقّق لـ «المعرفة» من مكانة ونجاح يفري بالاستمرار فيها؟!

المدنوب الدائم للمملكة العربية السعودية في باريس، ورئيس تحرير مجلة المعرفة سابقاً.

البروفة الأولى

كان ذلك اليوم هو موعد عرض (البروفة الأولى) للمجلة أمام الوزير، كما قال لي كبار مسؤولي الوزارة.

بالنسبة لي كنت محتاراً هل هي البروفة الأولى لعرض (المعرفة) أم البروفة الأولى لعرض (زياد) أمام الوزير!! كنت أسمع بمحمد الرشيد وربما التقيته مرة أو مرتين عن بعد، لكنه الآن (وزير) وهذه هي البروفة الأولى لي للعمل مع وزير.

لأول مرة أقف بجانب وزير بهذا الاقتراب. كنت أظن لسنين طويلة: أن المنطقة المحيطة بالوزير معلق عليها لوحات مرور «افتراضية»، مكتوب عليها: (ممنوع الوقوف)، و(ممنوع الاقتراب قطعياً)، وأنه سيتم سحب (دمك) عند الوقوف في هذا المكان.. بجانب الوزير!! كان معالي الدكتور محمد الرشيد أول وزير أقف بالقرب منه دون أن أحصل على (مخالفة)!

أدرك أنه خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الماضية تغيرت أمور كثيرة، تلاشت كثيرٌ، (وليس كل!) من لوحات (ممنوع الاقتراب) بجانب الوزراء. أصبح النظام المروري في حارة البورجوازية والأرستقراطية أكثر مرونة مما كنت أتصور، أصبح مألوفاً الوقوف جنب الوزير، واستعمال المنبه أمام المسؤول، وإضاءة الأنوار العالية في الطرقات المظلمة، ومناداة الوزير من دون لقبه (العسكري)!

محمد الرشيد كان أحد أول معاول هدم هذه الحواجز بين الوزير والموزور.

خرافة الصلاحيات

لطالما سمعت وقرأت عن خرافة إدارية اسمها (تفويض الصلاحيات). هي خرافة يبشر بها الإداريون ويغتهاها المديرون، أولئك الذين يظنون أن إعطاء صلاحيات للموظفين يعني، أقل ما يعنيه، التخلي عن بعض (الحيال) التي بيد المدير!

بدأت في اختيار الأسماء التي سنسكتبها في مجلة (المعرفة) ، وضعت في الورقة: فلان وفلان وفلان... دخل عليّ في المكتب (فاعل خير!) سألني: ماذا تفعل؟ قلت: أضع أسماء مقترحة للكتابة في المجلة. قال: وهل عرضتها على الوزير؟ قلت له لا، ولماذا أعرضها، أنا المسؤول عن تحرير المجلة، وأنا الأعرف بالكتّاب الملائمين للمجلة وللمناخ المحيط بها؟! قال لي فاعل الخير: أنت ما زلت حديث تجربة في موقع سياسي مثل هذا، لا بد من الاستئذان في أسماء الكتّاب ودولهم وتوجهاتهم. غداً تذهب بقائمة الأسماء هذه وتعرضها على الوزير، هو سيختار منها من يناسبه ويستبعد آخرين.

بدأت أفكر في العودة إلى (الصحة) بدلاً من البقاء مع (مرض) الشكوك والتخوين. بدأت أتذكر (قناعتي) القديمة أن العمل في الصحافة محرقة للثقافة.

من الغد ذهبت إلى الوزير، قال لي: كيف تسير الاستعدادات لإصدار العدد الأول من (المعرفة)؟ قلت له: كما تحب (قلتها وأنا أتخيل لوحة ممنوع الاقتراب هذا اليوم!)، وقدمت له قائمة الأسماء. قبل أن يفتحها سألني: ما هذه؟ قلت: معاليكم، هذه قائمة أسماء مقترحة للاستكتاب في المعرفة، لعل معاليكم يطلع عليها إن كان لدى معاليكم أيّ تحفظ على بعض الأسماء أو أن معاليكم يرغب إضافة أسماء أخرى (أعني من معارفه وأصدقائه). لم يفتح د. الرشيد الورقة، أقولها للأمانة، أعادها إليّ دون أن يطلع على الأسماء، وقال لي عبارة، كانت هي الوقود الذي عملت به طوال عشر سنوات معه: (يا زياد أنا ما وضعتك مسؤولاً عن المجلة حتى تأتيني كل يوم والثاني تعرض عليّ أسماء كتّاب أو عناوين أبواب أو ربما ألوان أغلفة يوماً ما، لو لم أكن أثق فيك وفي معاييرك لما وضعتك مسؤولاً أصلاً).

خرجت من عند الوزير وأنا أشعر أنني شريك معه في اللقب والمنصب، أما قائمة الأسماء التي لم تُفتح، فقد أهديتها إلى فاعل الخير كي يضع اسمه فيها إن شاء!

كان ذلك الموقف محورياً في مسيرتي مع (المعرفة) التي أتاح لها د. الرشيد أن تتطلق حيث كان يردد دوماً لي ولغيري من مسؤولي الوزارة: (انطلقوا في العمل والإبداع..

حدودكم السماء). كنت دوماً أطمح إلى الوصول إلى السماء، حتى أستطيع أن أقول حينها للناس: إن د. محمد الرشيد بدأ يحد من صلاحياتنا!

الخوف من المنافسة

في احتفالية إصدار العدد الأول من (المعرفة) كنت أهيب نفسي لأداء دور الجندي المجهول. هكذا تعلمت أنه في المناسبات الكبرى وأمام الضيوف الفاخرين يختفي الجنود الذين يعملون، ويظهر القادة الذين يعلمون أو لا يعلمون!

أمام راعي حفل بقامة الأمير سلمان بن عبد العزيز، كيف لي أن أظهر؟! على المنصة كان الأمير وكان الوزير.. فأين التحرير؟

لم تدم تساؤلاتي طويلاً حتى فوجئت بالوزير يناديني لاعتلاء المنصة، لأقدم بيدي نسخة العدد الأول إلى الأمير، ثم أتمادى فأطلب من الأمير أن يوقع على أول قسيمة اشترك في المجلة.. قال الأمير: سأدفع لكم رسوم الاشتراك لاحقاً، وبالفعل وصلت الرسوم حتى قبل صدور العدد الثاني.. إنها «المعرفة» حقاً.

كانت احتفالية خالدة، لم أكن أطمح أن أكون أكثر من أحد الحضور. لكن أريحية الوزير ونبله وثقته بنفسه لم تمنعه دوماً، وليس في ذلك الموقف فقط وليس معي فحسب، من تقديم وإبراز وتوجيه أعضاء فريق العمل الذين معه.

كان في كل عام يأخذ مسؤولي الوزارة للالتقاء بالملك فهد رحمه الله والملك عبد الله والأمير سلطان رحمه الله، والأمير نايف حفظه الله، وأصبح هذا اللقاء راتباً في كل عام ينتعش به مسؤولو الوزارة، ويشعرون أنهم شركاء مع الوزير في حق الالتقاء والحوار مع القيادة.

كانت هي التجربة الأولى من نوعها التي يقوم بها وزير.. وأخشى أنها الأخيرة!

الوزير الخفي!

في أحد الأيام كنت أجلس مع صديق مثقف يعمل في وزارة مثقفة، يحكي لي ازدواجية الثقافة والبرستيغ، وأنهما لا يجتمعان إلا نرف أحدهما! قال لي، برغم أنه مدير عام مؤثر في وزارته، أنه لم يلتق وزيره منذ أربعة أشهر، قلت له بعفوية: ولماذا لم تبادر وتطلب مقابلته؟ قال: أنا أتحدث هنا عن مدة انتظاري حتى الآن لتحقيق طلب مقابلته! كانت المعلومة كالصاعقة عليّ. أحياناً اختفاء الرئيس عن موظفيه يساعد في ستر عيوبه ومحدودة إمكانياته، التي ستُجرب وتُفحص لو التقى بالموظفين والناس كل يوم أو كل أسبوع. من الأفضل أن يبتعد بالصورة حتى لا تتضح العيوب والبهثر الموجودة في الأصل عن قرب!

سألني صديقي محمد: وأنتم كيف وضعكم؟ قلت له: نحن نلتقي مع (أبو أحمد) لقاءً أسبوعياً ولقاءً شهرياً ثابتين، ولقاءات فردية متاحة وميسرة كل حين.. قاطعني: من هو أبو أحمد؟ قلت الوزير د. محمد الرشيد. قال تتادونه أبو أحمد. قلت هو الذي طلب ذلك. قال نحن ننادي وزيرنا (معالي الوزير) ونخشى أننا أسأنا الأدب. قلت لصديقي: أنتم تمنوا أولاً أن تلتقوا به، ثم نادوه بما يشاء!

أسطورة فريق العمل

على غرار (خرافة الصلاحيات).. تشكلت في ذهني أسطورة فريق العمل، التي لا تميز فيها بين الرئيس والمرؤوس، فالأداء الشامل هو الذي يتحكم في هذا الفريق. مع أبي أحمد شعرت للمرة الأولى بأن فريق العمل يمكن أن يظهر في (حارتنا). عندما نلتقي في قاعة اجتماعات الوزارة، لا تستطيع التمييز بين الوزير والوكيل والمدير. الكل لديه نفس الفرصة والوزن الاعتباري للتعبير عن رأيه وموقفه. أما في اللقاءات غير الرسمية خارج الوزارة فأنت لا تدري إن كان ثمة وزير أو وكيل أو مدير بين شلّة اللقاء. لا تسمع حين التنادي داخل الوزارة أو خارجها إلا: أبو أحمد.. أبو تركي.. أبو

رافد.. أبوحسن.. أبو عبد المجيد.. أبو عبد الله.. أبو عبد العزيز.. أبو فلان.. أبو علان.
وكل واحد من أعضاء (فريق أبو) يعرف أسماء وكنى الآخرين كأنها لأقاربه ومعارفه لا
للملاء في العمل.

عشر سنين من العلاقة الراقية / الراقية لفريق عمل يزاوّل مهامه كما لو كانوا في
بيت واحد، (سأنوه هنا أن فريق العمل ذلك لم يكن من الملائكة، وأن الإخوة في البيت
الواحد قد يختلفون أحياناً).

الفجيرة

لم يكدر صفو العشر سنين البهيجة تلك سوى فجيرة فريق العمل المفاجئة بوفاة
أحد أفرادها المحوريين: الدكتور إبراهيم الدريس، وكيل الوزارة الأسبق وأمين عام
اللجنة العليا لسياسة التعليم. كانت تعليقات وتندرات أبي عبد الرحمن رحمه الله ذات
مفعول سحري في إزالة الإرهاق أو تخفيف الانقباض الذي يعتري الفريق أحياناً.

كانت حكاياته الطريفة هي الوقود الذي يشحن مركبة الفريق نحو محطة أخرى،
كما كانت عباراته الإيمانية الموجزة والمكثفة تهز أعضاء الفريق في لحظتها المناسبة،
حيث يُحسن د. إبراهيم، غفر الله له وجعل ذلك في موازين أعماله، اختيار الزمان
والمكان الملائمين لتلك الكبسولات الوعظية الفاعلة. (بالمناسبة المرحوم إبراهيم
الدريس هو خالي شقيق والدتي حفظها الله، لكنني أتحدث عنه هنا لا بوصفه خالي بل
بوصفه أحد أعضاء فريق العمل، وبما وصفه ورثاه الآخرون من السجايا والخصال
الكريمة له رحمه الله).

اليونسكو.. اللقاء الأول

لطالما سمعت وقرأت عن منظمة اليونسكو منذ بطولات مديرها العام الأسبق أحمد
مختار أمبو، وحتى المحاولات البطولية لمرشحها العربي الأبرز د. غازي القصيبي
رحمه الله.

كان حلمي أن أرى اليونسكو.. أن أدخلها.. أن أمكث في قاعاتها قليلاً.. أن أتذوق عصارة جدرانها المرتوية بالحبر والكلام.

في عام ٢٠٠٣ م تحقق الحلم، وفي عام ٢٠٠٦ م تضخم الحلم!

في أكتوبر ٢٠٠٣ م كنت ضمن الوفد المشارك في المؤتمر العام للمنظمة الذي ينعقد كل سنتين، كانت تلك الزيارة مثل لحظة التقاء العاشقين! كانت مدة المؤتمر تطول وتمتد، ولذا كانت الوفود تتناوب بالمجيء والذهاب حسب التخصص، لكن (أبو أحمد) طلب مني استثناءً أن أمكث طوال مدة المؤتمر حتى أكوّن تصوراً متكاملًا عن المنظمة، يكون نواة لملف شامل عن اليونسكو في مجلة المعرفة. وما كنت أدري، وما كان يدري، أن هذا التصور المتكامل سيكون نواة لشيء آخر يتجاوز الحلم إلى اليقظة!

عشرون يوماً من الحضور المتواصل لندوات اليونسكو كانت كفيلاً بإنتاج ملف شامل متكامل بالتعاون مع الزملاء المهنيين المحترفين في فريق (المعرفة) عن منظمة اليونسكو في (٦٠ صفحة)، أظن أن كل من له مساس بالمنظمة لا يستغني عن مثل هذا الملف للتعرف عليها.

لم تتوقف علاقتي باليونسكو عند هذا الملف، فقد انسقت الأمور دون ترتيب مسبق إلى تمديد حلم اللقاء بعد حضوري مؤتمر عام ٢٠٠٥ م أيضاً، حين أبلغني بعده معالي الدكتور عبد الله العبيد وزير التربية والتعليم سابقاً بأنني قد رُشحت للعمل مندوباً دائماً للمملكة العربية السعودية لدى منظمة اليونسكو، وكان اللقاء، الدائم هذه المرة حتى حين يعلمه الله، بدءاً من شهر مارس ٢٠٠٦ م.

ويبعد..

سيقول كثير من القراء: إنني تحدثت عن الدكتور محمد الرشيد أكثر مما تحدثت عن فريق العمل والوزارة والتربية، وسأقول: إن هذا الاتهام صحيح، وهو طبيعي في ذات الوقت، فالناس والتاريخ دائماً ما يتحدثون عن قائد المعركة أكثر من حديثهم عن

الضباط والجنود المشاركين. هكذا يُكتب التاريخ حتى في صورته المزيفة، فكيف إذا كان (أبو أحمد) هو المحور الحقيقي، غير المزيف، في كل حكاية، ليس لأنه الرئيس فحسب، فهناك رؤساء كُثر هم من النوع الذي ليس له حكايات إلا مع نفسه أو السكرتير الملتصق به!

أبو أحمد.. كان رئيساً ومرؤوساً.. قائداً وجندياً.. أمراً ومأموراً في آن. وبرغم هذا التبسط والتنازل عن صرامة المنصب إلا أنه كان محافظاً على هيئته بمعادلة مذهلة يصعب فهمها على البعض أحياناً. فهو يضحك ويمازح ويتبسط مع الجميع، لكن عند حدوث الخطأ أو الخلل فإن الجميع ينسى أن هذا الرجل هو الذي كان يضحك معهم قبل قليل!

ستقولون أكثر من المديح!

سأقول لكم: إنني لا أنزه أبا أحمد ولا فريق العمل ولا الوزارة ولا العشر سنين تلك من الخلل أو التقصير أو النقائص، لكن مقام هذا الكتاب ليس مقام نقد وتقييم، بل هو مقام ذكريات وأحاديث إخوانية، يجدر فيها ذكر الخصال التي تمثل الإخوانية بمفهومها الشامل النبيل.

وحسبي أنني مدحت أبا أحمد صادقاً الآن، إذ إنني لا أمدح الوزير الذي كان.. بل الإنسان الذي هو كائن حتى الآن.

والله الموفق لكل خير..



"الراشد والرشد"

"حقة من العمل مع وزير التربية والتعليم"

د/ سعد بن عبد العزيز الراشد

تمهيد

هذه خواطر أكتبها مستذكراً حقة من حياتي العلمية والعملية والإدارية في حقل الآثار والتراث، قضيتها مع معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد (وزير التربية والتعليم سابقاً). وهي كلمة وفاء وعرفان لواحد من القيادات التربوية البارزة، ليس على مستوى بلادنا فحسب، بل على مستوى واسع من عالمنا العربي والإسلامي. واني أمل أن يجد القارئ في هذه الخواطر، ما يغني في توثيق جوانب مهمة ذات صلة وثيقة بتراث بلادنا وحضارتها في المدة التي عملت فيها مع هذا الرجل النبيل بكل ما تعنيه الكلمة.

أبدأ حديثي بالإشارة إلى أنني أحد أبناء جامعة الرياض (جامعة الملك سعود)، احتضنتني طالباً ومعيداً ومبتعثاً، ثم أستاذاً جامعياً، وأحد من تولى في هذه الجامعة مسؤوليات ومهام علمية وإدارية. وبحكم تخصصي في الآثار كانت صلتني بوزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم)، من خلال إدارة الآثار والمتاحف، الجهة الرسمية المسؤولة عن الآثار في المملكة العربية السعودية. كانت جامعة الملك سعود قد شهدت ولادة قسم الآثار والمتاحف في عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، كأول قسم ينشأ على مستوى الجزيرة العربية، وكان ذلك بعد عام من عودتي من بعثتي الدراسية في المملكة المتحدة. كانت إدارة الآثار والمتاحف التي أنشئت عام ١٣٨٣هـ، قد شهدت مرحلة من التطوير، وبدأت في تنفيذ عدد من المشاريع الرائدة وفي مقدمتها مشروع المسح الأثري الذي اشتمل على تسجيل وتوثيق آلاف المواقع الأثرية، وتسجيل المواقع الأثرية الكبيرة، حفاظاً عليها من الزحف العمراني. وواكب ذلك العمل تأسيس أول متحف وطني للآثار والتراث

وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف سابقاً.

في المملكة، والشروع في بناء متاحف محلية وإقليمية حديثة، وتوظيف المباني التاريخية لتصبح متاحف ومراكز للتراث. وفي إطار تطوير إدارة الآثار صدرت موافقة المقام السامي في عام ١٣٩٢ هـ، على نظام الآثار للمملكة العربية السعودية المعمول به حتى كتابة هذه الخواطر. وفي الوقت الذي كانت فيه إدارة الآثار السعودية تسير في نشاطها الإداري والفني والميداني في ضوء الخطوط العريضة التي يرسمها المجلس الأعلى للآثار، فقد كان قسم الآثار والمتاحف، وبدعم من الجامعة، ينمو ويرقى أكاديمياً، فخلال خمسة عشر عاماً من تأسيسه أصبح يحتضن ثلاث مراحل من الدراسة الجامعية هي: مرحلة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

ويشرف القسم على حضريتين أثريتين في قرية الفاو ومدينة الريدزة الإسلامية. وكان القسم يضطلع بعدد من المشاريع العلمية وتزايد فيه مع الوقت العناصر الوطنية الشابة العائدة من الابتعاث الخارجي، ويشاركهم كوكبة مختارة من علماء الآثار العرب ومن غيرهم في مختلف التخصصات الأثرية والأنثروبولوجية والعلوم المتحفية. وكان عدد من خريجي القسم يتوجهون للعمل في إدارة الآثار، التي تحولت إلى وكالة مساعدة. لكن هذه الإدارة سرعان ما واجهت عقبات كثيرة، حالت دون استمرارية عملها العلمي والمهني والإداري، فأصبحت ميزانيتها محدودة جداً مع نقص في الكوادر البشرية المؤهلة، وتسرب بعض موظفيها للبحث عن بيئة عمل جديدة، تضمن لهم أماناً وظيفياً ومجالاً أرحب، وفي الوقت ذاته غادر زملاؤهم من ذوي الخبرة من غير السعوديين تبعاً إلى أوطانهم، فأصبحت إدارة الآثار (الوكالة) مشغولة الحركة. كانت وزارة المعارف (التربية والتعليم) هي صاحبة المبادرة الأولى في تأسيس إدارة الآثار وهي الجهة الحكومية المخولة من الدولة للحفاظ على الآثار الوطنية وتراثها الحضاري. نجحت الوزارة في مجال الحماية والمحافظة على المواقع الأثرية والمعالم الأثرية بحكم انتشار الوزارة على مستوى طبوغرافية الوطن. فارتبطت المراقبة والحماية بإدارات التعليم في المناطق والمحافظات، ومراكز الإشراف والمدارس في القرى والمناطق النائية والبعيدة في الجبال والسهول والسواحل والجزر، وبذلك كانت عين الوزارة على معظم المعالم التاريخية والمواقع الأثرية. لكن النهوض

بالآثار ليس بالحماية فقط، فهناك أعمال كثيرة ومسؤوليات عديدة أمام جهاز الآثار، وهي أعمال التّحري والمسح والتنقيب والبحث والنشر العلمي وإنشاء المتاحف وتطويرها وتنظيم المعارض والتواصل مع المنظمات المتخصصة إقليمياً وقارياً ودولياً، ويتبع ذلك الرفع من قدرات منسوبي الجهاز فنياً وعلمياً، وتوفير الوسائل والتجهيزات الفنية والتقنية. تلك كانت أهم متطلبات الآثار، وهي مسؤولية كبيرة تتحملها الوزارة بالإضافة إلى دورها الأساس وهو التعليم، الذي له متطلبات متشابكة، تتركز في المعلم والطالب والكتاب والمبنى المدرسي والمناشط المتعددة المرتبطة بالتعليم، وهذا الأمر يحسن لغيري من التربويين وأصحاب المهنة والاختصاص تناوله بالشرح والتحليل. والوزارة بدأت في نشأتها إدارة صغيرة بمسمى (مديرية المعارف) في عهد الملك عبد العزيز (رحمه الله)، ثم وزارة في عهد الملك سعود (رحمه الله)، وتعاقب عليها وزراء ترك كل واحد منهم بصماته في تطوير التعليم من حيث الرؤية والهدف وهم:

- الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود (١٨/٤/١٣٧٣هـ - ٣/٧/١٣٨٠هـ).
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ (٣/٧/١٣٨٠هـ - ٩/١٠/١٣٨١هـ).
- الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ (٩/١٠/١٣٨١هـ - ٨/١٠/١٣٩٥هـ).
- د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر (٨/١٠/١٣٩٥هـ - ٦/٣/١٤١٦هـ).
- أ. د. محمد بن أحمد الرشيد (٦/٣/١٤١٦هـ - ٢٨/١٢/١٤٢٥هـ).

الوزير الرشيد والنهج الجديد

تسلم معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد حقيبة وزارة المعارف، في ٦/٣/١٤١٦هـ، بعد مدة وجيزة قضاها في مجلس الشورى، وكان التعليم العام يمر بمخاض صعب، وكان على الوزير الجديد، تقويم تاريخ التعليم من جديد، وتحديد أولويات التغيير في الهيكلة والتنظيم، وتطوير القيادات الإدارية والرفع من قدراتهم وتحفيز عطائهم، واستقطاب دماء جديدة، تربوية وإدارية، وازعاً نصب عينيه التأكيد على وسائل التقنية العصرية في وسائل التعليم، والأخذ بتجارب الدول الأخرى والمنظمات والمؤسسات

التربوية، مستعيناً في ذلك بالله ثم بتوجيهات الدولة، وتحريك قادة الميدان التربوي في مختلف مناطق المملكة.

كانت البداية إقامة حفل بهيج تقديراً لجهود الوزير السابق معالي الوزير الدكتور عبد العزيز الخويطر الذي قاد دفة التعليم العام لمدة تجاوزت العشرين عاماً. كان الوزير الجديد (أبو أحمد) يواجه حملاً كبيراً ومسؤولية أكبر، التغيير والتطوير أمران ضروريان في العملية التربوية، وعليه أن يعدل ويوزن الأمور، ويحدد الأولويات. بدأ بتحديد أوجه الصرف من ميزانية التعليم، وتحفيز الموارد المالية، وإشراك المجتمع المحلي في تحمل المسؤولية الوطنية في هموم التعليم ومتطلباته، فعدت دهاليز الوزارة وإدارات التعليم وأجهزة الوزارة، خلايا نحل. وشعر (أبو أحمد) أن إدارة شؤون التعليم من الرياض (العاصمة) لا يخدم العملية التربوية، وأن التواصل مع الميدان جزء أساس لمتطلبات العمل من جهة، ومن جهة أخرى الاطلاع عن كثب على واقع التعليم والالتقاء بالمسؤولين في مواقع عملهم وتفقد أحوال الطلاب والاستماع إلى هموم المعلمين وأولياء أمور الطلاب ومعرفة وضع البنى التحتية واحتياجات التطوير.

في هذا الخضم من المسؤوليات والمطالب لرسم خطة تطويرية للتعليم، وفق الشعار الذي رفعه الوزير الجديد «وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة»، هذا الشعار كان له ما يبرره، إذ إنه يخص أمة وبلداً كرمها المولى تعالى أن تكون أرضاً للحرمين الشريفين، وأرض الرسالات ومنبع الإسلام، وخرجت منها رسالة الإسلام الخالدة للعالمين، وأول آية نزلت على سيد البشرية محمد ﷺ هي ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٤]؛ هذا التحدي بعينه، خاصة وأن هذه الأرض مرت بحقب تاريخية قاسية، حتى أراد الله سبحانه وتعالى لها أن تتم وحدتها على يد الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله، وقد عوّل الملك عبد العزيز من أول يوم من استرداده للرياض (٥ شوال ١٣١٩هـ) على التعليم وسار من بعده أبناؤه البررة من الملوك على نفس النهج.

الأثار والتحدي في عهد الوزير الجديد

وهنا يأتي الحديث عن وضع (الأثار والمتاحف) في خضم المسؤوليات الكثيرة أمام الوزير الجديد (أبي أحمد)!! كان جهاز الأثار له وكالة مساعدة، وكانت تلك الإدارة تمر بمخاض صعب، وفي حالة من التردّي. فقد غادرها قبل سنوات، المسؤول الأول المتخصص (د. عبد الله حسن مصري). وأوكلت المهمة الإشرافية من بعده لبعض القياديين في جهاز الوزارة، من غير ذوي الاختصاص، ولم يكن بمقدور الموظفين المؤهلين علمياً وفنياً أخذ دورهم القيادي أسوة بقطاعات الوزارة الأخرى، وأصبحت الإدارة في مؤخرة اهتمام الوزارة، وأدى ذلك إلى تردّي وضع الأثار على مستوى الوطن، وكان المجلس الأعلى للأثار في حالة من البيات الشتوي لعدد من السنوات، وزاد من الطين بلة، أن عدداً كبيراً من منسوبي الأثار، نقلوا عنوة من مواقعهم وكفوا بأعمال إدارية في جهاز الوزارة وفي المدارس وإدارات التعليم. تلك كانت ممارسة إدارية غير مبررة وغير مسؤولة (سواء كانت بقصد أو بغير قصد). بقيت المتاحف في حالة يرثى لها، وتقلصت الأعمال الميدانية من معاينة ومسح أثري، وأعمال ترميم وحماية للمواقع الأثرية، والبحث والنشر العلمي، إلى أقل من الحد الأدنى، ولم يكن تمثيل المملكة في هذا الحقل المهم إقليمياً وعربياً وقارياً ودولياً على المستوى الذي يليق بمكانة المملكة. ولعل أهم ضرر أصاب جهاز الأثار أنه لم يعد لمنسوبي الأثار نصيب في الابتعاث والتدريب الخارجي وكسب الخبرة، كما أن القلة الباقية من الفنيين من غير السعوديين عادوا أدرجهم إلى أوطانهم، وبقيت الإدارة شبه مشلولة في قدراتها الهندسية وأعمال ترميم الأثار وفي مجال التصوير وغيره.

هذا هو التحدي الذي واجهه جهاز الأثار في عهد الوزير الجديد (محمد بن أحمد الرشيد). يا ترى ماذا عساه أن يفعل؟ هل بيده عصا سحرية ليقلب الموازين، ويعيد للأثار مكانتها، ويرتقي بها أسوة بما يجري في بلاد العالم التي تهتم بتراثها وإراثها الحضاري؟ وهو يعلم أن بلادنا لا يمكن أن تدخل في مقارنة حسابية مع كثير من الدول في كمية وأهمية مخزونها الثقافي.

الواقع أن (أبا أحمد) لم يكن بحاجة إلى من يذكره بقيمة تراث المملكة الحضاري، ودور المتاحف في التربية، وأهمية المعالم التاريخية والجغرافية المرتبطة بتاريخنا من عصور ما قبل الإسلام وبعده. فقد سبق له جهود في هذا المجال عندما كان مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، فقد عمل على إصدار سجل تعريفي بآثار الدول المؤسسة للمركز (المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، قطر، سلطنة عمان، الكويت، العراق).

ومن الصدق الجميلة أني شاركت مع (أبي أحمد) في زيارات لبعض المواقع الأثرية في المملكة ومنها مدائن صالح والعللا (وغيرها) على هامش مناسبات ثقافية خارج مدينة الرياض، و (أبو أحمد)، لديه خبرة كبيرة في الخطط التربوية للجامعات على مستوى العالم مبتدئاً بدور جامعة الملك سعود الريادي في هذا المجال.

لعلي استطرقت كثيراً في هذه المقدمات لكنها في ظني مهمة تمهيدا لما يمكن إضافته في سجل الذكريات عن تاريخ بلادنا وحضارتها وما تحقق في عهد الوزير الرشيد.

تجربة جديدة مع وزير جديد

فعندما باشر (أبو أحمد) عمله في الوزارة، بدأ يبحث عن القياديين المؤهلين في المجالات التي تدفع بالعملية التربوية والتطوير الإداري. وأحدث تغييرات في المواقع القيادية وتوزيع المسؤوليات داخل دهاليز الوزارة. كان وضع الآثار يشغل باله وبدأ اتصالات متأنية بعدد من المتخصصين في الآثار والتراث ومن رجال الفكر والتاريخ، يستأنس بأرائهم في الكيفية التي تنهض بها الآثار في بلادنا، وجمع أفكاراً عديدة، وكانت عينه على جامعة الملك سعود، التي تضم عدداً محدوداً من الأكاديميين في الآثار، ويبدو أن الوزير الجديد تواصل مع بعض الزملاء، ليعرف منهم ما لديهم من أفكار ومقترحات للنهوض بالآثار، وربما فهموا أن الوزير يسعى لترشيح أحدهم في جهاز الوزارة مسؤولاً عن الآثار، وبدأت الإرهاصات والحكايات تتناقل في الكواليس والدهاليز، ولم يكن الأمر

يعنيني من قريب أو من بعيد. كنت للتو قد انتهى تكليفي عميداً لشؤون المكتبات، وتسلمت رئاسة قسم الآثار والمتاحف، وكان وقتي جله مسخراً للعمل الأكاديمي والميداني واللجان المتعددة في الجامعة. ولم يكن في ذهني البتة أن أنتقل للعمل في أي جهة أو مؤسسة حكومية غير الجامعة التي كنت أرى فيها حياتي وامتعتي.

اتصل بي معالي الوزير الجديد (أبو أحمد) طالباً مني زيارته بمكتبه في الوزارة، فقابلته في صباح الثلاثاء ٩ جمادى الأولى ١٤١٦هـ (٣ أكتوبر ١٩٩٥م). وكان الحديث مركزاً على نظريته للآثار وأهميتها في تاريخ الوطن، وأن جهاز الآثار ينبغي أن يتطور ويعمل باستقلالية أسوة بالدول الأخرى، وأنه سيعمل ما في وسعه لتحقيق ذلك. وذكرت له أن جهاز الآثار وضعه لا يسر، والمملكة قارة والجهاز بحاجة إلى موارد بشرية ومالية وتدريب وابتعاث. ومن الموضوعات المهمة التي تحدثنا عنها، أهمية الشروع في تحريك ملف المتحف الوطني الجديد، الذي سبق للوزارة أن أكملت دراساته منذ سنوات وتأخر تنفيذها لأسباب مالية، وأكد لي أنه سيتحدث مع سمو أمير منطقة الرياض بهذا الخصوص، وطلب مني أن أكون عوناً لمعالیه في إدارة شؤون الآثار في الوزارة، وأن أفكر وأعود إليه بعد مدة. وبعد هذه المقابلة، بدأ أبو أحمد يحيل إليّ - بصفة خاصة - بعض المواضيع المتصلة بالآثار لإعطائه الرأي العلمي والفني فيها. كان أبو أحمد في غاية الخلق، فبعد ذلك اللقاء بعث إليّ برسالة شخصية بخط يده يقول فيها:

«أرغب في عونك، وأطمع في إسهامك، وأثق في قدراتك. وأقترح على أخي الكريم أن تأذن لي بأن أطلب من وزارة التعليم العالي إعارتك لنا بوظيفتكم أستاذاً ونكلفكم بالعمل وكيلاً مساعداً للآثار.. وحتى تتجلي الصورة فيما بعد لأننا بصدد دراسة هيكل الوزارة، وستكون أنت مشاركاً في هذا الجانب، وأمل أن أسمع جوابكم». بهذه الكلمات الجميلة، وبهذا الخلق الرفيع، لم أجد بداً من أن أعطي الموضوع حقه من التفكير الجاد، لأن ما كنت سأقدم عليه من قرار سيكون له تبعات على وضعي الأسري من جهة وعملي العلمي في الجامعة والدراسات البحثية التي كنت أقوم بها وأشرف عليها. وفي هذا الوقت كان هناك عدد من زملاء المهنة لهم تطلعات لنيل منصب وكيل وزارة (مساعد)، وبعضهم

توهم من خلال مقابلاتهم للوزير بأن العين عليه، وأن الخطوات النهائية لتعيينه على وشك الصدور. وكنت أشفق على مثل هؤلاء الزملاء الأعزاء من هذا التعجل، وهناك غيرهم كثير ممن أعرف وعرفت عنهم من جامعات أخرى ومن مؤسسات حكومية وأهلية ممن تهافتوا على الوزير يسلمون عليه ويعرضون خدماتهم للعمل معه، إما في جهاز الوزارة أو في إدارات التعليم، ربما بعضهم بحسن نية، والبعض الآخر طمعاً في مراكز قيادية. ترددت كثيراً في اتخاذ القرار، وقطع عليّ أبو أحمد تفكيري بتعقيب هاتفي، فأخجلني بدماثة خلقه، فقابلت معاليه في صباح السبت ١١ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ (٤ نوفمبر ١٩٩٥ م.)، وبلطفه المعهود ذكرني بحديثنا السابق، وأكد لي عن رغبته في طلبي من وزارة التعليم العالي على سبيل الإعارة، لكي أتولى إدارة شؤون الآثار في الوزارة، فما كان مني إلا أن أقبل ليس طمعاً في منصب أو جاهة، ولكن لإيماني بأن هذا فيه خدمة للوطن من جهة، وأن من سأعمل تحت إدارته سيعينني على أداء عملي على الوجه الذي يتوافق مع حركة التغيير في الوزارة وتطلعات الدولة. طلبت من معالي الوزير تزويدي بتقرير عن وضع جهاز الآثار لأكون على اطلاع بالجوانب المالية والإدارية، وكانت النتيجة لا تسر، وشعرت أن التحدي كبير، فهناك عدد من منسوبي الجهاز موزعين على قطاعات الوزارة، يعملون في السكرتارية وشؤون الموظفين، وبعضهم في إدارات التعليم، والوظائف القيادية معدومة، والميزانية متدنية، والمشاريع معطلة، وكل ذلك كان يبعث على الإحباط لأي شخص سيتولى مسؤولية هذا الجهاز.

أخذت طلب الإعارة وقتاً ليس بالقصير داخل أروقة الجامعة. وفي الوقت ذاته كان الدكتور الرشيد يلح عليّ في مباشرة العمل قبل صدور قرار الجامعة، كما طلب مني معالي الدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي أن أباشر العمل مع الدكتور الرشيد، فذكرت له أن مباشرتي للعمل قبل صدور قرار رسمي قد يكون فيه مخالفة نظامية من الجهتين، وأكد لي أن الموافقة ستصدر إن شاء الله ولن تأخذ وقتاً طويلاً، والدكتور الرشيد، ألح عليّ في الطلب وأنا موافق. باشرت العمل في وكالة الآثار والمتاحف في مبني

الوكالة القديم بالشميسي في الخامس من شهر رمضان وصدرت الموافقة الرسمية على التكليف لمباشرة العمل في ٦ شوال من عام ١٤١٦هـ.

الوزير والطموح

كان أول ما واجهت في عملي هو حالة مبنى وكالة الآثار والمتاحف، فقد كان في الأصل سكناً خاصاً ثم نقلت ملكيته للوزارة ليكون مقراً لإدارة الآثار مع مجيء الدكتور عبد الله حسن مصري، واستقطع الدور الأرضي لتأسيس أول متحف وطني للمملكة العربية السعودية، وأضيفت له ملاحق خارجية لمعروضات التراث الشعبي، وقاعة لعرض الأفلام والمحاضرات، ومختبرات للتصوير، ومكتبة للدوريات والمراجع والمصادر المتخصصة، ومستودعات في الفناء الخلفي، وأضيف دور علوي للهندسة والمشاريع. وقد افتتح هذا المتحف رسمياً برعاية كريمة من سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض - آنذاك - في ٢١ محرم ١٣٩٨هـ، وبقي مقر إدارة الآثار على حاله سنوات طويلة، ولم يعد بالإمكان التعامل مع المبنى إنشائياً وتحسين مظهره الخارجي أو معالجة أحشائه الداخلية المتمثلة في الأنابيب الصدئة والأسلاك المهترئة وتشققات الجدران، ولم يعد أثاث المبنى صالحاً للاستعمال، فكانت أوضاع المبنى تلك لا تتوافر فيها البيئة الصالحة للعمل، وما صاحب ذلك من توتر وضعف في التواصل بين إدارة الآثار وجهاز الوزارة. ووجدت أن في هذا الوضع الكئيب قد لا أكون قادراً على تسيير العمل وتطويره، وأصبت بحالة شديدة من الضيق وخيبة الأمل، وشعرت أن التحدي كبير، خاصة وأن تباشير إنشاء المتحف الوطني في منطقة المربع بدأت تلوح في الأفق، وأخذت أجول بهدوء في مكتبي وأتأمل خارطة المملكة العربية السعودية واتساع رقعة بلادنا العظيمة وما فيها من تاريخ وحضارة وتراث، وكيف يمكن النهوض مجدداً بإدارة الآثار وإكمال المسيرة، في وقت كانت ميزانية الوزارة (المعارف) لا تتناسب مع الآمال والتطلعات لتحسين التعليم وتطويره مع قدوم الدكتور محمد الرشيد، وكيف سيكون وضع الآثار التي تقلصت ميزانية بنودها إلى أقل من الحد الأدنى، بل إن عدداً من البنود كان أمامها أصفاراً بدلاً من أرقام، وكانت بعض النفقات تصرف من بند الإعانات للكشفة

والنشاط الطلابي وغيرها. وأمام هذا الوضع، شعرت أني لا أستطيع تحمل المسؤولية وقررت مقابلة الوزير لطلب الاعتذار منه والعودة للجامعة.

عندما قابلت الوزير (أبا أحمد) استقبلني كما هي عادته بحرارة وسرور عظيمين، وبكلمات عذبة كلها أمل واستبشار بغد مشرق للتعليم وكل ما له صلة بعمل الوزارة. شرحت له باختصار وضع الآثار وهمومها وحاجتها للتطوير والتحسين في الكوادر البشرية والمباني والتجهيزات والمرافق والخدمات، خاصة وأنا مقبلون على مرحلة جديدة وحاسمة، وخشيتي أنني قد لا أستطيع القيام بهذه المسؤولية في ظل هذه الظروف. قال لي الوزير: «يا أبا وائل أنا واثق من قدراتك، وعلى يقين أنك ستقوم بالمهمة على الوجه المطلوب، ولك صلاحيات بلا حدود، وسنذهب جميعاً إلى ولاية الأمر، ونشرح لهم وضع الآثار وحاجتها للتطوير، وهدفنا أن تكون جهازاً مستقلاً عن الوزارة أسوة بالبلدان الأخرى، كما أن الوزارة ستمر بهيكله الجديدة وسيكون للآثار نصيب من التطوير، فتوكل على الله وكلنا معك». لم أجد بعد تلك الكلمات الرقيقة والمشجعة سوى أن أشكر أبا أحمد وقلت له: إن شاء الله سأكون عند حسن الظن، وسأعمل كل ما في وسعي في سبيل النهوض بتراث الوطن، ولكن لا تنزعج من مطالباتي وتحمّلوني، لأن الحمل كبير والمسؤولية أكبر!!

العمل بروح الفريق

أشاع أبو أحمد ثقافة العمل بروح الفريق والشفافية، وأكد على أن كافة قطاعات الوزارة تكمل بعضها البعض، وانتقلت هذه الممارسة إلى الميدان، ومنح الصلاحيات، وكثف الزيارات التفقدية لوضع التعليم العام في كافة المناطق والمحافظات، والالتقاء بمديري التعليم والعاملين في الميدان التربوي، وتقعد مشاريع الوزارة القائمة وما هو تحت التنفيذ، والمتعطل منها والمتوقف، وحلّلت القضايا المالية مع الجهات المعنية، والتواصل مع أمراء المناطق، والعلماء، وأولياء أمور الطلاب، والمواطنين، والفئات النخبوية في المجتمع ورجال الفكر والأدب والإعلام، بهدف سماع ما لديهم من آراء وأطروحات ومفاهيم، تساعد في الرفع من شأن التعليم، وفي الوقت نفسه مد جسور

التواصل مع المجتمع. وكانت الآثار إحدى القضايا التي تثار في كافة اللقاءات مع معالي الوزير، منهم من كان يعتب على الوزارة في عدم إعطاء هذا القطاع حقه من الاهتمام، وكان هناك فئات أخرى لها توجهات مغايرة لا ترى للآثار أهمية، إما لجهل منهم أو لديهم أحكام مسبقة حول الآثار.

وضع أبو أحمد تنظيماً للاجتماعات الأسبوعية والشهرية، فكان يوم الأربعاء مخصصاً لكبار المسؤولين في الوزارة (الوكلاء ومن في حكمهم)، واجتماعاً في نهاية كل شهر يحضر فيه مديرو العموم (ومن في حكمهم). وكانت هذه الاجتماعات تعقد في وقت محدد، ولا يقبل فيها تأخير أو غياب دون عذر، لكون هذه الاجتماعات جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الإدارة، وكانت بمثابة ورش عمل وعصف ذهني، تتخللها مناقشات ساخنة وتنتهي بقرارات حاسمة. وانتقل هذا النهج إلى إدارات التعليم والميدان التربوي، وشاع روح الحوار الذي أذاب الكثير من الشحنة بسبب اختلاف وجهات النظر. وتعددت المؤتمرات والندوات وورش العمل في مختلف أرجاء المملكة، وكان جميعها موجهاً لتحسين بيئة تعليمية جيدة، وتحسين أداء المعلمين، وتطوير المناهج والمبنى المدرسي ومصادر التعلم.

وفي أول اجتماع أسبوعي لمسؤولي الوزارة أكد أبو أحمد على الآثار وأهميتها ومسؤولية الوزارة تجاهها، وطلب من قطاعات الوزارة التعاون وتسهيل الصعوبات التي تعترض عمل الآثار. وبعد أسبوع من مباشرتي العمل، في ٦ من شهر رمضان، ١٤١٦هـ، اصطحب الوزير كافة القياديين في الوزارة لزيارة حصن المصمك، الذي تم تحويله إلى متحف يحكي تاريخ المملكة، وتم تفقد معالم المباني الطينية وقصر المربع بمنطقة المربع، التي سيتم إنشاء المتحف الوطني فيها. واشتملت الزيارة كذلك لمقر وكالة الآثار والمتحف القديم، ومن المفارقات العجيبة أن معظم القياديين كانت هذه أول مرة يطلعون فيها على بعض مرافق وكالة الآثار وإنجازاتها، وكانت ردة الفعل على وجوههم واضحة. وقد شعرت بشيء من الطمأنينة بأن الأمور ربما ستتحسن بالرغم من العقبات المالية والإدارية.

المجلس الأعلى للآثار

كان المجلس الأعلى للآثار في حالة ركود لسنوات عدة، ولم يعاود نشاطه إلا قبل عام من قدوم الدكتور الرشيد للوزارة، وكان معالي الدكتور الخويطر قد رشحني في عضوية المجلس، وحضرت معه جلسة واحدة قبل تركه للوزارة وجلسة أخرى بعد تولي الدكتور الرشيد. وقد رأى معالي الوزير أن إعادة تشكيل المجلس قد يكون بداية جيدة لدعم مسيرة النشاط الأثري في المملكة، وتم اختيار أعضاء ممثلين للجهات الحكومية وآخرين لذواتهم، وبعضهم ممن شارك في عضوية المجلس من بداية تشكيله. وأرى من باب العرفان الإشارة إلى أولئك الأعضاء الذين كان لجهودهم وتعاونهم مع الدكتور الرشيد الأثر الكبير في دعم مسيرة العمل الأثري في بلادنا، وهؤلاء هم:

الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الثبيان.

معالي الأستاذ إبراهيم بن عبد الرحمن الطاسان (وزارة المالية).

(ثم جاء بدلا عنه الأستاذ حامد بن محمد الغامدي).

فهد بن محمد الفهيد (وزارة الداخلية).

ثم (تركي بن محمد الملا فح).

ثم (الدكتور أحمد بن أحمد السناني).

الأستاذ محمد بن علي الخضير (وزارة الإعلام).

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن السبيهي (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد).

الدكتور مهندس عبد العزيز بن عبد الله الخضير (وزارة الشؤون البلدية والقروية).

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري.

والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي.

والأستاذ عبد المقصود خوجة.

والدكتور عبد العزيز الخضير.

وقد كان للمجلس برئاسة الدكتور الرشيد تأثير كبير في مسيرة العمل الأثري في المملكة ودعم استقلالية الآثار عن الوزارة. ومن الأعضاء السابقين مع بداية تولي الدكتور الرشيد حقيبة الوزارة:

معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.

الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان (وزارة المعارف).

والأستاذ إبراهيم بن شخبوط السلطان (وزارة الداخلية).

والحقيقة أن أعضاء المجلس تفاعلوا جميعهم مع توجهات الوزير الرشيد رئيس المجلس في أهمية الارتقاء بجهاز الآثار على مستوى أفضل مما كانت عليه.

الحي أولى من الميت

تسارع نشاط وكالة الآثار على صعيد واسع في أرجاء الوطن، ولم أذكر أن الوزير الرشيد، أعاد طلباً واحداً بالفرض أو الاعتذار، ولكن البنود المالية كانت تحول دون تحقيق الاحتياج ضمن الحد الأدنى لمتطلبات العمل، إضافة إلى شح الوظائف والابتعاث والتدريب. وقد سرت على ألسن بعض التنفيذيين في كواليس الوزارة عبارة «الحي أولى من الميت» عندما تعرض عليهم المعاملات الخاصة بطلبات الآثار. فكتبت للوزير الرشيد عن تلك الحال، فأصدر قراراً عاجلاً أن يتم ربط الوكالة بمعاليه مباشرة، وتمنح لوكيلها صلاحية وكيل وزارة. وكان لذلك القرار أثره الإيجابي على نشاط الوكالة، وساعد في ارتفاع الروح المعنوية لمنسوبيها. ولم يكتف الوزير الرشيد بإصدار ذلك القرار، بل

أتبعه بالحديث في الاجتماع الأسبوعي لمسؤولي الوزارة، مؤكداً على أنه لا يوجد أي مبرر لوضع أي عراقيل أمام وكالة الآثار. وإذا كان أحد من مسؤولي الوزارة غير مقتنع بالآثار وأهميتها، فهذا شأنه، ولا يوجد أي مسوغ لعرقلة هذا الجهاز بأي حال من الأحوال، والوزارة مسؤولة عن الآثار ووزيرها مسؤول أمام ولاة الأمر في رعاية الآثار وجهازها، ويجب على الجميع التعاون من الآن فصاعداً. وقد سعى الوزير لتحويل وكالة الآثار لتصبح جهازاً مستقلاً له شخصية اعتبارية أسوة بالدول الأخرى، وبذل الوزير جهوداً حثيثة أمام ولاة الأمر، وتقدم بطلب تحويل وكالة الآثار والمتاحف إلى هيئة عامة للآثار، وصدرت التوجيهات السامية بالموافقة، وشكلت لجنة وزارية عليا لوضع النظام والتنظيم للهيئة، وكانت اللجنة برئاسة معالي الوزير الرشيد وعضوية أصحاب المعالي: الدكتور محمد بن عبد العزيز آل الشيخ والدكتور مطلب النفيسة والدكتور مساعد العيبان. وقد أكملت اللجنة عملها ووضعت مشروع النظام والتنظيم للهيئة العامة للآثار والمتاحف، ورفعت توصياتها للمقام السامي الكريم، وأجيزت التوصيات من هيئة الخبراء، وخلصت توجيهات الدولة بضم الوكالة إلى الهيئة العليا للسياحة، وكان لهذا التوجه فيه بعد نظر، ويتفق مع التوجهات التي كان يتطلع إليها الوزير الرشيد وأعضاء المجلس. كما أن المجلس استجاب للتوجيهات السامية بأهمية فتح آفاق التعاون العلمي المشترك مع المؤسسات والهيئات الخارجية في مجال الدراسات والتنقيب عن الآثار على أساس شروط وضوابط، والحمد لله وضعت الشروط المطلوبة وبدأت الوكالة في تطبيق التعاون مع البعثات العلمية المشهورة من ألمانيا واليابان وفرنسا وأمريكا. وتطورت هذه الجهود لمستوى أفضل بعد انضمام وكالة الآثار والمتاحف للهيئة العليا للسياحة، وكان معالي الوزير الرشيد عضواً في مجلس إدارة الهيئة في بداية تكوينها.

المتحف الوطني (المشروع الجديد)

مع بداية تكوين إدارة الآثار وصدور نظام الآثار وتشكيل المجلس الأعلى للآثار، صدرت الموافقة السامية على نزع المباني التاريخية في منطقة المربع لصالح إدارة الآثار لتقييم عليها المتحف الوطني للمملكة، وقد بقي هذا المشروع حلماً يراود ذوي

الاختصاص، ويساندهم في ذلك عدد من القياديين في بلادنا، الذين يرون أهمية الآثار والتراث وحاجة المملكة عامة والرياض خاصة إلى متحف وطني، يحكي قصة هذا الكيان الكبير وما على أرضها وفي باطنها من مكنون تراثي وحضاري، وفي مقدمة هؤلاء جميعاً سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي صرح من أول يوم تشرفت به الرياض أميراً لها، بأن العاصمة بحاجة إلى مكتبات ومتاحف ومراكز ثقافية وحضارية. كما أن سموه سبق أن كتب بخط يده كلمة في سجل الزوار لأول متحف وطني في حي الشميسي بالرياض في ١٢ محرم ١٣٩٨ هـ قال فيها «... إن هذا المتحف على قصر عمره قد خطا بالآثار والتاريخ خطوات طويلة أمل أن نواصلها بما يحقق الغاية والهدف المنشود».

وقد بذلت الوزارة (المعارف) ما استطاعت في وضع عدد من الدراسات والتصاميم للمتحف حتى استقر الأمر على دراسة تفصيلية شاملة لكامل المنطقة التاريخية في حي المربع، لكن وبالرغم من أن المبالغ المالية بقيت مرصودة لصالح المشروع إلا أن شيئاً لم يتم على مدى عشرة أعوام فأعيدت المبالغ لوزارة المالية. وبقي المشروع الحلم على حاله حتى قضى الله له أن يعود من جديد بهمة سمو الأمير سلمان ورؤيته الثاقبة، فصدرت توجيهات المقام السامي الكريم بتنفيذ المتحف الوطني للمملكة العربية السعودية ودارة الملك عبد العزيز في موقع واحد، واشتمل المشروع كذلك إنشاء فرع لمكتبة الملك عبد العزيز العامة وقاعة للمحاضرات ومرافق وخدمات عديدة، ويشرف على تنفيذ المشروع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وليتزامن هذا المشروع العلمي والثقافي الرائد مع احتفالية المملكة العربية السعودية بمرور مائة عام على تأسيسها في دورها الثالث. وتشكلت لجنة عليا تنفيذية ولجنة تحضيرية لهذه المناسبة الاحتفالية برئاسة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز، وكان لي شرف الانضمام إلى اللجنة التحضيرية ممثلاً للوزارة (المعارف)، وتشكلت لجنة تحضيرية علمية لتنظيم مؤتمر عالمي عن المملكة في مائة عام، وكان لي الشرف أيضاً أن أكون عضواً في هذه اللجنة.

وفي الواقع كان الحمل كبيراً على الوزارة (ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف)، في توفير المواد العلمية والمواد الأثرية والتراثية وتجهيزها للعرض في المتحف، وكان هذا

لن يتأتى إلا بتوفير فريق علمي وفني وإداري يدير العمل، وبالتنسيق المباشر مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. وتشكل فريق علمي من المختصين في الآثار والتاريخ (باقتراح من وكالة الآثار) ليكون دور الفريق العمل على وضع سيناريو العروض المتحفية، وكان الاختيار مناسباً لكون جل من اختيروا من أساتذة الجامعة متخصصين في آثار المملكة وتاريخها، كما أنها كانت مناسبة للعديد منهم للتواصل مع المتاحف العالمية وخبراء المشروع، فازدادت خبرتهم في مجالات عدة. وكان على وكالة الآثار تنفيذ عدد من المهام الأساسية، وهي:

١ - تهيئة آلاف القطع الأثرية والمواد التراثية والصور والمعلومات الدقيقة عن تلك القطع بالوصف والصورة.

٢ - توفير المعلومات عن المواقع الأثرية والتاريخية والخرائط والرسوم والصور الفوتوغرافية.

٣ - تقديم الدعم الميداني للفريق العلمي في جمع المعلومات ومواد العروض المتحفية في المناطق والمحافظات من خلال إدارات الآثار والمتاحف المحلية والإقليمية.

٤ - اعتماد الدراسات والتصوير النهائي لسيناريو العروض المتحفية.

ونظراً لأهمية هذه المناسبة الوطنية وبالرغم من محدودية الكوادر الفنية والعلمية في وكالة الآثار والموارد المالية والإحباطات والعقبات الكثيرة، إلا أنه بتشجيع ومؤازرة معالي الوزير تم توفير المتطلبات اللازمة، وكان الحس الوطني والهمة الصادقة لدى الأخوة الزملاء أعضاء الفريق يفوق كل تصور. فقد وفرت هيئة تطوير الرياض مقراً مؤقتاً في قصر الثقافة بحي السفارات، وكانت المواد الأثرية والتراثية والوثائق تنقل أولاً بأول إلى هذا المقر، ويقوم الفريق العلمي بتنظيف القطع وتسجيلها وتوثيقها وتنسيقها حسب سيناريو العرض المتحفي. ولما ضاق بهم المكان تم اختيار مستودع كبير على

طريق صلبوخ، وكان العمل يمتد وعلى مدى عامين كاملين على مدار الساعة، وقد كنت أشعر بأن بعضهم كان يضيق ذرعاً بسبب ضغط العمل وقلة المردود المادي بالنسبة للساعات الإضافية، إلا أن زيارات معالي الوزير (غير المبرمجة) المفاجئة والمتكررة طوال العمل والتهيئة كان لها أثرها الإيجابي على نفسيات الزملاء، فكان يشجعهم ويشد من أزرهم ويبارك جهودهم، ويتابع كل صغيرة وكبيرة، وينقل الصورة كاملة لسمو الأمير سلمان وللمسؤولين. والحمد لله تكفل هذا الجهد والتعاون والتنسيق المتواصل مع الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بالنجاح. ومع تباشير صباح الجمعة الخامس من شوال من عام ١٤١٩هـ، كان بهو المتحف الوطني مكتظا بكبار مسؤولي الدولة يتقدمهم الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وسمو ولي العهد (النائب الثاني آنذاك) وسمو الأمير سلمان بن عبد العزيز رئيس اللجنة التنفيذية واللجنة التحضيرية للاحتفال المؤسي، وعدد كبير من أصحاب سمو الأمراء والمسؤولين، وعندها شُرف هذا الجمع الكبير بقدم خادم الحرمين الشريفين الذي رفع الستار عن اللوحة التذكارية مؤذناً بافتتاح مشروع المنوية مركز الملك عبد العزيز التاريخي في منطقة المربع التي رسم منها الملك عبد العزيز (رحمه الله) مسيرة التنمية لهذا الوطن العزيز المملكة العربية السعودية. حقا لقد أنستنا فرحة اكتمال هذا الصرح العلمي والتاريخي والثقافي كل المتاعب والمعاناة التي واجهتها وكالة الآثار والمتاحف، والتي يصعب سردها في هذا الإطار، لكن العبرة بالخواتيم، ولولا أريحية سمو الأمير سلمان ومتابعة الدكتور محمد الرشيد ودعمه وتشجيعه لما تمكنت الوزارة (ممثلة في وكالة الآثار والمتاحف) من أداء دورها في هذا الإنجاز الرائع. غير أنه بقي أمامنا مسؤوليات جديدة تتلخص في إدارة وتشغيل المتحف، والمحافظة على العروض المتحفية فيه، والتعامل مع الزوار والوفود الرسمية. فالمتحف الوطني يشكل العنصر الأكبر في منظومة مركز الملك عبد العزيز التاريخي، وبالرغم من كل الجهود التي بذلت مع الجهات المختصة فقد بقي المتحف دون كوادر بشرية ودون حراسات أمنية، وهنا ألح علي أبو أحمد أن أعمل ما في جهدي، وأن أتصرف وأفكر في الحلول مهما بلغ الأمر، فكان الآتي:

- ١ - تم تفرغ عدد كبير من صفوف المختصين في وكالة الآثار والمتاحف للعمل في المتحف الوطني بإدارة الدكتور علي بن صالح المغنم.
- ٢ - تم تكليف الأستاذ إبراهيم البريهي (رحمه الله) مديراً عاماً لإدارة الآثار.
- ٣ - تم تكليف مؤسسة وطنية للحراسات الأمنية للعمل في المتحف.

وقد واجهتنا مشكلة كبيرة في توفير الاستحقاقات المالية للمؤسسة، وكنا نعلم أن في ذلك مخالفة نظامية تقتضي مسائلة صاحب الصلاحية. وكان أبو أحمد يكرر عليّ مقولة: «ليس هناك أشجع من بريء»، وبعد مراسلات ومطالبات من صاحب المؤسسة وكان محققاً في ذلك، وانتهى به الأمر بتقديم شكوى وتظلم أمام المقام السامي، وبالرغم من اللوم الذي صدر للوزارة إلا أن المقام السامي الكريم تفهم مصداقية الوزارة، وحرصها على أمن المتحف، فصرفت مستحقات المؤسسة كاملة من ميزانية الوزارة، وتضمنت التوجيهات تخصيص وظائف حراس أمن للمتحف، وهذا ما تم ولله الحمد.

الإدارة النسوية للمتحف الوطني

ومن الأمور الأخرى التي واجهناها في إدارة المتحف، وهو كيف يتسنى لنا التعامل مع طالبات المدارس والكليات والمعاهد والوفود النسائية وتوفير الخدمة لهن دون توفير كوادرنسائية مدربة، تتولى تقديم الشرح للزائرات وتنفيذ برامج متحفية تهم المرأة والطفل، وكان هذا الأمر غاية في الأهمية. وإزاء ذلك وافق معالي الوزير على مايلي:

- ١ - الاستعانة على سبيل الإعارة بإحدى منسويات إدارة تعليم البنات بالرياض للعمل مديرة لوحد الإدارة النسوية في المتحف الوطني، وقد وقع اختيارها لكونها تربوية من جهة، ولأن زوجها من قدامى الآثاريين ويعمل في المتحف، غير أن الانتظار كان مملاً للحصول على موافقة الرئاسة العامة لتعليم البنات، لأن الطلب كان غريباً، ولأن امرأة تعمل في المتحف الوطني كان أيضاً أمراً غير مفهوم بالنسبة لهم. وعلى أي حال باشرت تلك السيدة الفاضلة (سوزان حسن جوهرى)، عملها واشترطت

عليها أن تصطحب خادمتها معها حتى ينتظم عقد الإدارة النسائية، وحتى تطمئن في مكانها المعزول عن الإدارة الرجالية. وقد أدت تلك السيدة الفاضلة عملها حتى انتهاء فترة إعارتها.

وتبين لمعالي الوزير أهمية المتحف ودوره التربوي بالنسبة للأسرة والطفل والطالبات والمعلمات على حد سواء، ودون توفير كوادر نسائية لتقديم هذه الخدمة للمجتمع فلن يكون هناك فائدة من المتحف، وكان الحال هو التوظيف على بند الأجور وعلى نظام الساعات، والحمد لله تم توظيف عناصر نسائية في تخصصات متنوعة تتناسب مع رسالة المتحف: (رياض أطفال، جغرافيا، تاريخ، علوم، لغة إنجليزية، اجتماع، تربية فنية، ثقافة إسلامية). وأمام تزايد أعداد الزيارات ومجموعات المدارس والفعاليات المنوطة بالإدارة النسائية، فقد تم توظيف عناصر نسائية للحراسات، وبلغ مجموع العناصر النسائية في المتحف الوطني ما يقارب من سبعين موظفة. والحمد لله أثمرت هذه الجهود، وكان لهن دور بارز، في تقديم خدمة مميزة للمجتمع، وتبين أن بنات الوطن لديهن تميز وإبداع إذا أعطيت لهن الفرصة للإنجاز، وتولت إدارته سيدة كفوءة تحمل درجة الدكتوراه في الآثار هي الدكتورة دليل القحطاني.

٢- الهيئة الاستشارية

ومن النجاحات المهمة التي نفتخر بها هو مبادرة كريمة من صاحبة السمو الملكي الأميرة عادلة بنت عبد الله بن عبد العزيز بتشكيل فريق من سيدات المجتمع اللاتي لهن إسهامات في المجتمع وفي العمل التطوعي للتعاون مع المتحف الوطني، وتوصيل رسالته للمجتمع المحلي وبناء جسور للتواصل مع المتاحف والمؤسسات خارجياً، ولم يتردد معالي الوزير في مباركة هذه الفكرة الرائدة، والموافقة على تأسيس الهيئة الاستشارية للمتحف الوطني برئاسة الأميرة عادلة. وقد قدمت الهيئة أعمالاً جليلة في ترسيخ رسالة المتحف في المجتمع المحلي، ونقل صورته خارج المملكة، وذلك بفضل الله ثم بجهود سمو الأميرة وزميلاتها الفضليات. وللتاريخ أود التأكيد على الدور الفاعل والمؤثر للهيئة

الاستشارية الذي ساعد في تفعيل دور المتحف في ظروف صعبة، وتحملت سمو الأميرة عادلة الشيء الكثير من مآلها ووقتها، واستمر هذا الدور بفاعلية أكثر بعد ضم وكالة الآثار إلى الهيئة العامة للسياحة.

المتاحف الوطنية

كانت وزارة (المعارف) قد شرعت في إنشاء متاحف إقليمية ومحلية حديثة في كل من (جيزان، نجران، الهفوف، الجوف، تيماء، العلا)، وقد صممت هذه المتاحف لتستوعب العروض الأثرية والتراثية من المناطق نفسها مع مواد أخرى من باقي مناطق المملكة، لتعطي صورة متكاملة عن تعاقب الحضارات على أرض المملكة، وتتوافر في هذه المتاحف تجهيزات لأعمال البحث العلمي. وبمجيء الوزير الرشيد تم افتتاح متحف الهفوف برعاية الأمير سعود بن نايف نائب أمير المنطقة الشرقية -آنذاك-، كما زار معالي الوزير في مدة وجوده بالوزارة كل المتاحف المحلية والإقليمية خلال جولاته التفقدية للتعليم في مناطق المملكة. وكان لهذه الجولات أثرها الكبير في النهوض بالمتاحف وتطوير أدائها وتحسينها. ومن بين الأعمال الجميلة تطوير متحف الآثار والتراث في الدمام بالمنطقة الشرقية، واستحداث قاعة متخصصة في المسكوكات وآثار المنطقة تحمل اسم قاعة الأمير محمد ابن فهد بن عبد العزيز، وبالرغم من وجود هذا المتحف ضمن مبنى مكتبة الدمام العامة، إلا أنه يعد من أهم المتاحف المحلية في المملكة، نظراً لأهمية المواد الأثرية المعروضة فيه. وتمكنا ولله الحمد من ترميم وتطوير عدد من المباني التاريخية التي تشرف عليها الوزارة، ومنها قصر شبرا بالطائف الذي أعيد ترميمه وتجهيزه بالكامل على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله-، وافتتحه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد. ومن المباني التاريخية التي نجحنا في ضمها لمنظومة متاحف المملكة، قصر الملك عبد العزيز بحي الزاهر بمكة المكرمة، الذي أعيد ترميمه وتوظيفه متحفاً للآثار والتراث، وافتتحه سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية نيابة عن صاحب السمو الملكي ولي العهد -آنذاك- الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله-. كما تمكنا من إنشاء نواة لمتاحف في عدد من المناطق

والمحافظات، لتكون انطلاقة للتخطيط المستقبلي لمتاحف المملكة، ومنها: متحف منطقة تبوك، متحف منطقة الحدود الشمالية في عرعر، متحف منطقة حائل، متحف القنفذة، ومتحف تراثي في محافظة النماص، ومتحف منطقة الباحة (افتتحه صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز)، وإنشاء قاعة لتراث الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله في قصر خزام بجدة. وتوسعة قاعة جديدة بمتحف نجران للآثار والتراث. كما تم تشجيع إدارات التعليم بتنظيم عروض تراثية دائمة ضمن مبانيها أو احتوائها في مدارسها الكبيرة. ومن الأشياء الجميلة التي نفتخر بها هو النجاح في ضم عدد كبير من مباني الدولة التاريخية وإعطائها الأولوية في أعمال الترميم والتأهيل، ويضاف هذا إلى النجاحات الكثيرة التي حققتها الوزارة في المحافظة على التراث المعماري والتاريخي، ومن هذه المعالم التي شملتها أعمال التوثيق والترميم والتأهيل قصور الملك عبد العزيز في المويه و الدوادمي والخرج وقصر " أبو جفان " قلعة ضبا وقصور ومباني الدولة في عدد من المناطق والمحافظات، ومنها: مبني القشلة وقلعة أعيرف في حائل، وقصر الحديثة والعيسوية وقصر لينة والكاف وقصر الملك عبدالعزيز بوادي الدواسر. ومن المشاريع الرائدة في المحافظة على المباني التاريخية قصر إبراهيم ومسجد القبة وهو مشروع فريد ورائد، وأصبح معلماً تاريخياً ومركزاً للفعاليات الثقافية والتراثية في قلب مدينة الهفوف. وبالإضافة إلى ذلك فهناك مباني تراثية أخرى عديدة، شملتها برامج التوثيق والتسجيل وأعمال الترميم تمهيداً لتوظيفها وتأهيلها. كما تم إنشاء معرض دائم لآثار المملكة في قاعة العروض بمركز الملك فهد الثقافي بمناسبة تزامن افتتاحه مع اختيار مدينة الرياض عاصمة للثقافة العربية، وقد كانت ليلة الثلاثاء ٢٥ من شعبان ١٤٢١هـ (٢١ نوفمبر ٢٠٠٠م)، أمسية جميلة وعيداً تراثياً وأثرياً، عندما سُرِّفَت الوزارة بافتتاح هذا الجهد من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وبحضور سمو ولي العهد الأمير سلطان بن عبد العزيز - رحمه الله - (النائب الثاني آنذاك).

وبالرغم من القيود وظروف الميزانية وقلة عدد الموظفين إلا أن الروح العالية لدى منسوبي الآثار وتعاون مديري التعليم في المناطق والمحافظات كان عاملاً مهماً في

تقدم المسيرة في المحافظة على الآثار وبتراث الوعي بتراث المملكة، وقد بذل الزملاء في الميدان جهوداً مضاعفة بهذا الخصوص، أدت إلى أن اعتمدت الدولة مشاريع متحفية جديدة في عدد من المناطق والمحافظات. وقد حرص معالي الوزير الرشيد في اطلاع مسؤولي الدولة على وضع الآثار في المملكة وفي تنظيم زيارات مجدولة لكبار الشخصيات لزيارة المتحف الوطني والمتاحف الأخرى في مناطق المملكة. ويأتي متحف المصمك في مقدمة متاحف التي استقطبت العديد من الشخصيات الكبيرة من داخل المملكة وخارجها، وقد سعدت الوزارة ومنسوبي وكالة الآثار بزيارة صاحب السمو الملكي الأمير نايف التفقدية لمتحف المصمك مساء الثلاثاء ١٦ شعبان ١٤١٨ هـ (١٦ ديسمبر ١٩٩٧ م)، وتركت تلك الزيارة نتائج إيجابية لاحقة ساعدت الوزارة في النهوض بالآثار وتنمية متاحف. وأذكر مما قاله سمو الأمير نايف في تلك الأمسية الجميلة:

«نحن الآن في المكان الذي قدّر الله أن يكون فيه النصر لعبد العزيز - رحمه الله - وصحبه الأشاوس، ومن هنا بدأ البناء.. بناء هذه الدولة (المملكة العربية السعودية) ووحد الأمة، وحقق الوحدة الحقيقية الشاملة لأبناء هذا الوطن، وحقق الأمن في هذه البلاد والرخاء، وفتح أبواب العلم الذي نهل منه كل مواطن، ورفع شأن الأمة بإرادة الله وتوفيقه» ومما قاله سموه أيضاً «أشكر أخي الدكتور محمد (الرشيد) أن هيأ لي هذه الفرصة لأزور هذا القصر للمرة الثانية، أما الزيارة الأولى فقد أشار إليها الأخ محمد باقتضاب وهو يعلمها، وزيارتي الأولى زرت هذا القصر سجيناً أنا وأخي تركي بن عبد العزيز وأخي الأمير سلمان بن عبد العزيز لتأخرنا عن المدرسة، ومن الصدق الغربية أننا اليوم نزور هذا القصر، وهو يحظى برعاية وزارة المعارف ورجال التعليم، وكأنهما حادثتان مستمرتان لبعضهما، وفي هذا المكان حقيقة أريد أن أشكر وأقدر لأخي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض حفاظه على هذا المعلم التاريخي المهم لمملكتنا العزيزة...».

أما الوزير الرشيد فقد تحدث في كلمة أمام سمو الأمير نايف جاء فيها:

«إن المملكة العربية السعودية غنية بآثارها التاريخية، وبآثار الحضارات التي تعاقبت على أرضها، التي جعلت علماء الآثار في مختلف البقاع يفتنون إليها، يدرسونها، ويستطلقونها، وجسدت هذه الأهمية الزيارات التفقدية التي قام بها خادم الحرمين الشريفين -أيده الله- لكثير من المعالم التاريخية والحضارية في المملكة، وتوجيهه -حفظه الله- بالحفاظ عليها ورعايتها، ذلك التوجيه الذي كان أساساً لسياسة وزارة المعارف في العناية والمحافظه على مواقع التراث في كافة المناطق والمحافظات...»، ومما قاله الوزير الرشيد:

«.. ومن باب نسبة الفضل إلى أهله، فإنني أغتنم هذه المناسبة لأذكر شهادة للتاريخ هي أن هذا الصرح الذي نحن فيه اليوم ما كان لينقذ من زوايا النسيان لولا فضل الله ثم حكمة الأمير سلمان بن عبد العزيز حفظه الله الذي أدركت خبرته أهمية احتضان هذا المكان التاريخي المتميز، بعد أن كاد يصبح محلات تجارية أو مستودعات عادية!! فلم يتم إنقاذه فحسب، إنما ركز صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز كل الجهود لترميمه وإعادة تشييده وصيانته وحسن إدارته، وهي حلقة واحدة في سلسلة أياديه البيضاء على مدينة الرياض، فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه».

موسوعة تاريخ التعليم

كان لدى معالي الوزير فكرة رائدة تهدف إلى توثيق مسيرة تاريخ التعليم في المملكة، وازدادت الفكرة نضجاً مع اطلاعه على بعض العروض المتحفية، التي اشتملت على وثائق ومواد تراثية مرتبطة بالتعليم وتاريخه. ومع بدء الاستعدادات للمناسبة الاحتفالية بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، كتب معالي الوزير لسمو أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا واللجنة التحضيرية للاحتفال المئوي بالبرامج والفعاليات، التي ستتولى الوزارة المشاركة بها في هذه المناسبة، وفي مقدمة ذلك تقديم عمل موسوعي يوثق لتاريخ التعليم في بلادنا خلال مائة عام.

وقد شرفني معالي الوزير برئاسة فريق علمي وفني للشروع في جمع المعلومات والوثائق والسجلات والصور والمواد التراثية ذات الصلة بتاريخ التعليم، ويضاف إلى ذلك توثيق رواد ورائدات التعليم في بلادنا. وقد تركزت أهداف الموسوعة في الآتي:

- ١ - رصد التطور التنظيمي للتعليم في المملكة العربية السعودية.
- ٢ - الإلمام بحالة التعليم ورواده في العهدين السعوديين (الأول والثاني) اللذين سبقا تأسيس المملكة العربية السعودية في حقبتها الثالثة.
- ٣ - توثيق الأحداث والوقائع التربوية التاريخية ذات الأثر المهم في مسيرة التعليم.
- ٤ - إعداد ترجمات للشخصيات التربوية التاريخية والمعاصرة ممن عمل في التعليم (رجالاً ونساءً).
- ٥ - تسجيل المنجزات التربوية السعودية في تاريخ التعليم ورصدها.
- ٦ - رؤية استشرافية لمستقبل التعليم في المملكة العربية السعودية.

ولم تكن المهمة سهلة للغاية لفريق العمل، وكنا أمام تحدٍ كبير أوله المدة الزمنية لإنهاء المهمة، وثانيه جمع المادة الوثائقية والعلمية، وثالثه إعداد مادة الموسوعة ومراجعتها وتقديمها للطباعة. وبفضل الله وتوفيقه ثم بمتابعة معالي الوزير فقد تمكنا من إنجاز المهمة، وفي وقت قياسي وصدرت الموسوعة في طبعتها الأولى خمسة مجلدات (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، وكانت الموسوعة وفي الوقت المحدد في المعرض الخاص بإصدارات المؤوية في ٢ شوال ١٤١٩هـ أي قبيل ثلاثة أيام من بدء المناسبة الاحتفالية للمملكة.

ونظراً لأهمية هذا العمل فقد صدرت توجيهات الوزير بإعادة طباعة الموسوعة بعد استيفاء كافة الملاحظات عليها من كافة النواحي العلمية التوثيقية واللغوية والإملائية وصدرت الموسوعة بحمد الله في طبعتها الثانية في عام (١٤٢٣هـ)، في ستة مجلدات وعلى مستوى جميل من حيث الطباعة والإخراج الفني.

لقد أثمر العمل في هذه الموسوعة في جمع وثائق نادرة توثق لتاريخ التعليم ومواد تراثية ساعدت في تقريب الصورة للأجيال الناشئة عن حركة تطور مسيرة التعليم في بلادنا وإبراز جهود الرعيل الأول من رجال التعليم وطلاب أمس الذين قطفوا الثمرات المبكرة من التعليم، وعملوا في مرحلة مهمة من تاريخ بناء هذا الوطن العزيز.

فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف

من الأعمال التي شرفني بها معالي الوزير هو تكليفي برئاسة فريق علمي لإخراج كتاب توثيقي يحمل عنوان: (فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف)، وذلك وفاءً واعترافاً لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (رحمه الله) الذي كان أول وزير للمعارف، والذي تابع مسيرة التعليم طوال حياته. وقد تم في هذا الكتاب توثيق جهود الملك فهد في التعليم، وتضمن خواطر وكلمات رقيقة صادقة بأقلام أبنائه ومعاصريه. وقد صدر الكتاب سنة ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م) ليتزامن صدوره مع المناسبة الاحتفالية: عشرون عاماً على تولي الملك فهد مقاليد الأمور، وقد حملت هذه المناسبة عنوان: (عشرون عاماً بناء ورخاء).

معرض تاريخ التعليم

وكان من ثمار توثيق مسيرة تاريخ التعليم في العمل الموسوعي الكبير، أن توافرت مادة متحفية متميزة، تمثلت في أعداد كثيرة من الصور والوثائق والسجلات النادرة عن مسيرة التعليم في بلادنا وتطوره، والمواد التراثية المرتبطة بالتعليم، وإزاء توافر هذه الثروة من الوثائق فقد أيد معالي الوزير فكرة إقامة معرض كبير في المتحف الوطني وتشارك فيه أيضاً الوزارات والمؤسسات والهيئات المعنية بالتعليم، وتم عرض هذا الأمر على صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي ثمن للوزارة هذه المبادرة ووافق على إقامته. وفي ٦ محرم ١٤٢٢هـ (٣١ مارس ٢٠٠١م)، افتتح -رحمه الله- المعرض والفعاليات المصاحبة له، كما التقى -رحمه الله- بمسؤولي التعليم في جلسة أبوية حانية في قاعة كبار الزوار بالمتحف الوطني.

لقد حقق المعرض نجاحاً باهراً، واستقطب أعداداً كبيرة من الزوار والمعلمين والطلاب والطالبات والمهتمين من مختلف مناطق المملكة. ونتيجة لذلك وجه سمو الأمير سلطان بأهمية انتقال المعرض إلى باقي مناطق المملكة، ليتسنى لأكبر شريحة من المواطنين الاطلاع على مسيرة تاريخ التعليم. كما أيد -رحمه الله- أن يكون هناك متحف دائم لتاريخ التعليم. وكان المكان المقترح هو قصر الملك عبد العزيز بالبدية على ضفة وادي حنيفة بالرياض، وهو القصر الذي تعلم فيه أبناء الملك عبد العزيز وعدد من رجالات الدولة ومن غيرهم من خاصة الناس وعامتهم، ذلك القصر الذي تحول فيما بعد إلى مدرسة تحمل اسم (صقر قريش)، ثم انتقلت المدرسة إلى مبنى حديث مجاور.

وبحمد الله وتوفيقه جال المعرض في مناطق المملكة الثلاث عشرة، وفي كل محطة يتم افتتاح المعرض من قبل أمير المنطقة، وبحضور وزير التربية والتعليم ومشاركة مسؤولي كل منطقة من القطاعات المختلفة. وكانت المحطة الأخيرة للمعرض في العاصمة المقدسة (مكة المكرمة)، حيث افتتح المعرض والفعاليات المصاحبة له صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية نيابة عن سمو ولي العهد (آنذاك النائب الثاني ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام رحمه الله).

أما بالنسبة لتنفيذ فكرة تاريخ متحف التعليم الدائم فقد وضعت رؤية مبدئية للمعرض شاملاً لمسيرة تاريخ التعليم من الماضي إلى الحاضر، وإدخال النواحي التقنية الحديثة ومصادر التعلم الجديدة حتى تكتمل الصورة. ومع انتقال تبعية وكالة الآثار والمتاحف إلى الهيئة العامة للسياحة والآثار حسب توجيه المقام السامي، فإن وزارة التربية والتعليم تعمل الآن على تحديد مكان بديل لإقامة المتحف.

وعلي أي حال فقد كان إصدار الموسوعة وتنفيذ معرض تاريخ التعليم من البرامج الرائدة التي تفاعل معها المجتمع والمسؤولون على حد سواء، وحققت الفائدة التي كانت الوزارة تصبو إليها، وكان هذا بتوفيق الله أولاً ثم بتشجيع الدكتور محمد الرشيد.

المعارض والندوات

نجحنا في تنظيم عدد من المعارض الأثرية والتراثية المتخصصة، في المتحف الوطني والمتاحف المحلية والإقليمية، والمشاركة في الفعاليات المميزة التي تتم في المناطق. ولعل من أهمها المعرض الكبير للآثار والتراث، الذي أقامته وكالة الآثار والمتاحف في قرية المفتاحة بمنطقة عسير، مساء الجمعة ٦ ربيع الثاني ١٤٢١هـ (٧ يوليو ٢٠٠٠م)، وتزامنت المناسبة مع افتتاح مبنى صحيفة الوطن. وقد نقلت مواد العرض بطائرة عسكرية، وخصصت له قاعات واسعة، وكان لدعم ومؤازرة سمو الأمير خالد الفيصل أثره الكبير في نجاح المعرض، الذي تم تمييزه عن سائر الفعاليات الأخرى، فقد افتتحه ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله- (النائب الثاني آنذاك)، وتوقف سموه الكريم كثيراً عند خزائن العرض واللوحات والخرائط، واستفسر عن العديد من المواقع الأثرية والمعالم التاريخية، وعلق على بعض الأحداث التاريخية. وكان لتشريف سموه -رحمه الله- لهذا المعرض أثره الكبير في دعم مسيرة النشاط الأثري في المملكة، وتأكيد سموه على أهمية الآثار والتراث في السياحة الوطنية وفي إبراز تاريخ المملكة وحضارتها داخلياً وخارجياً.

ومن المعارض الخارجية التي استضافها المتحف الوطني معرض «كنوز من الكويت»، وذلك مشاركة من دار الآثار الإسلامية في الكويت بمناسبة اختيار مدينة الرياض عاصمة للثقافة العربية، وقد افتتح المعرض صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض -آنذاك- مساء الأحد ١١ رجب ١٤٢١هـ (٨ أكتوبر ٢٠٠٠م)، وبحضور الشيخ ناصر بن صباح الجابر. وأقيم حفل افتتاح نسائي لهذا المعرض في اليوم اللاحق نظمه سمو الأميرة عادلة بنت عبد الله بن عبد العزيز على شرف صاحبة السمو الملكي الأميرة البندري بنت عبد العزيز، وبحضور سمو الشبيخة سعاد الصباح، واستضاف المتحف الوطني معرضاً دولياً عن تراث الألبسة في الهند عبر العصور (لباس)، وقد افتتح المعرض في ٢٨ رجب ١٤٢٣هـ (٥ أكتوبر ٢٠٠٢م). وقد حرص الدكتور محمد الرشيد، وبالرغم من نقص الموارد المالية، على أهمية التعريف بآثار المملكة على الصعيد

الداخلي والدولي، بهدف إبراز الجهود التي تحققت في مجال المسح الأثري والتنقيب، فتم إعداد معرض على أعلى درجة من التنظيم والإخراج بعنوان: «آثار المملكة: أعمال المسح والتنقيب الأثري» وقد تم افتتاح المعرض في قاعة العروض المؤقتة بالمتحف الوطني من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، أمين عام الهيئة العليا للسياحة مساء الإثنين ١٧ محرم ١٤٢٥هـ (٨ مارس ٢٠٠٤م)، وقد جسد المعرض الجهود التي بذلت في الميدان، وبيّن مدى ثراء المملكة تراثياً وحضارياً.

ونفذت وكالة الآثار والمتاحف معارض آثارية وتراثية خارجية في عدد من عواصم العالم في فرنسا واليابان والبرتغال وكندا. ومن المعارض المتخصصة التي لامست جذور التاريخ الإسلامي وحضارته، معرض «نقوش إسلامية مختارة من مكة المكرمة والمدينة المنورة» في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية بإسطنبول وذلك في ٦ شوال ١٤٢٣هـ (١٠ ديسمبر ٢٠٠٢م). وقد لقي هذا المعرض قبولاً كبيراً من العلماء والباحثين في تركيا وتحدثت عنه وسائل الإعلام.

ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية

ونجحت وكالة الآثار والمتاحف وبدعم ومؤازرة المجلس الأعلى للآثار ومتابعة الدكتور الرشيد في تنظيم «ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها»، وقد عقدت بمركز الملك عبد العزيز التاريخي في المدة من ١٥-١٨ رجب ١٤٢٠هـ (٢٤-٢٧ أكتوبر ١٩٩٩م) وذلك برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية. وشارك في هذه الندوة اختصاصيون من جهات عديدة، من الجامعات والجهات الأمنية والقطاع الخاص. وحضرها عدد من مسؤولي الآثار في الدول العربية المجاورة. وقد ألقى سمو الأمير نايف كلمة جميلة معبرة كان لها نتائج إيجابية لاحقة، ومن النقاط التي ذكرها سموه:

- «تعلمون أن الأمم ذات التاريخ العريق لا تفرط بآثارها.. تحتفظ بها وتحافظ عليها.. تعتز بها وتفتخر.. فالآثار شاهد حي على الحضارة والعراقة.. ودليل قاطع على إبداع الأمم وما قدمته للإنسانية من علم ومعارف.. وصناعة وبناء».

- «إننا أمة عريقة ذات تاريخ مجيد.. أمة عظيمة أسهمت عبر تاريخها باقتدار في وضع أساسات الحضارة.. أبدعت فانتفعت الإنسانية جمعاء. بإبداعاتها... استجابت لنداء الرب عز وجل في الاستخلاف، فعمرت وشيدت وتسامت في أخلاقها فحكاها الآخرون.. أمة جمعت بين عزة الإسلام وشموخ الأصالة، وتركت لنا آثار إنجازاتها وشواهد عطاءاتها.. فوجبت علينا الأمانة في حمل الرسالة وصيانة التراث».
- «إننا نتطلع أن تكون هذه الندوة انطلاقة جديدة في العناية بالآثار والتنقيب عنها.. وإنشاء المتاحف المحلية والإقليمية.. والمعارض الثابتة والمتقلة.. لتكون مصدراً ثقافياً متاحاً للمواطن والزائر».

وألقي الدكتور محمد الرشيد كلمة مركزة اشتملت على عدد من النقاط الجوهرية، تتكامل مع ما أشار إليه سمو الأمير نايف في كلمته، ومما ورد فيها:

- «إن للعناية بالآثار صلة وثيقة بالتربية والتعليم خصوصاً وبالمعارف عموماً، فالعمل فيها تدريب على حب العمل وتحمل مشقاته، وعلى حب التاريخ والبحث والتنقيب في مصادره، وفيه تدريب على أخلاق هذه المهنة: كالأمانة في نقل المعلومات والإخلاص ودقة الملاحظة وما إلى ذلك وإن توعية النشء بأهميتها، فيه ربط الحاضر بالماضي في نفوس الجيل الصاعد، والتعرف على خبرات السابقين في الهندسة والزراعة والعمارة والفنون والصناعات والعلوم المختلفة من طب وفلك واستنباط للمياه الجوفية والمحافظة عليها، فصلة الآثار بالتربية صلة وثيقة، وإن بدا للناظر -من الوهلة الأولى- أنها غير ذلك».
- «إن لوزارة المعارف طموحاً ومساعٍ ترجو لها أن تتحقق في مجال الآثار، منها أن يكون للآثار كيان مستقل مقتدر، فاعل، له شخصيته الاعتبارية المستقلة، وأن يكون هذا الكيان المستقل مسؤولاً عن المتاحف والتراث العمراني، وأن يكون له برنامج خاص لتدريب العاملين والراغبين، ورفع كفاياتهم الفنية والعلمية، ورفع مهاراتهم، وتوعية المجتمع بهذا الجانب الحضاري الإنساني الحيوي».

والحمد لله كانت تلك الندوة ناجحة بكل المقاييس وجمعت الأبحاث المقدمة فيها في سجل يتكون من مجلدين مشتملين على التوصيات التي توصل إليها المشاركون، التي أصبحت من الأسس المرجعية في المحافظة على الآثار وتطوير وكالة الآثار فيما بعد. كما رفعت التوصيات للمقام السامي الكريم ولسمو وزير الداخلية، الذي أجاب عليها بخطاب سموه رقم (١/م/١/١٣٩٠) في ٨ شوال ١٤٢٠هـ مؤكداً فيه على الآتي:

«... وبتطلع إلى أن تنتهي هذه التوصيات إلى مرحلة التنفيذ الفعلي، لما فيه مصلحة

الوطن...».

وبفضل الله فقد كان لتوجيهات سموه تلك أثرها في دفع مسيرة العمل الأثري. وكان الوزير الرشيد دوماً ما يؤكد على أهمية الأخذ بالتوصيات، وبما ورد من توجيهات من سمو وزير الداخلية.

البحوث والدراسات

من الأمور المتعارف عليها: أن النشاط الأثري في أي دولة يصحبه نشر البحوث والدراسات وإصدار مجلات ونشرات علمية دورية بهدف توفير مصادر معلوماتية تقيّد البحث العلمي، وتوعية الناس بالمواقع الأثرية والتاريخية. وكانت إدارة الآثار قد قطعت مرحلة لا بأس بها، ومن ذلك إصدار مجلة متخصصة، وهي حولية «أطلال» وعدد محدود من البحوث، ولكن هذا الجهد أصابه ما أصاب الكثير من مشاريع إدارة الآثار. والواقع أن أعمال النشر المرتبط بمؤسسة لها جانب بحثي مثل إدارة الآثار، يلزمه توفير متخصصين في إعداد البحوث والتقارير العلمية والفنية، وإمام بأسلوب التحرير والإخراج. وكان الأسلوب المتبع أن تؤخذ موافقة المجلس الأعلى للآثار على الدراسات والبحوث، ومنها «حولية أطلال». وتعد الحولية النافذة الأهم، التي تعرف بأعمال المسح والتنقيب والمعانيات والتوثيق، وتأخر إصدارها يؤثر سلباً على جهود الإدارة، ويفوت الفرصة على الباحثين في متابعة المكتشفات الأثرية في المملكة. والمشكلة التي كانت واجهتها إدارة الآثار هي توقف اجتماعات المجلس الأعلى للآثار مدة من الوقت، وبعد

معاودة المجلس أعماله واجهت الإدارة مشكلة توفير البنود المالية، وقد استطعنا ولله الحمد وبالتنسيق مع الوزير الرشيد أن نعطي الأولوية لحولية «أطلال» في النشر، وحاولنا قدر الإمكان إصدار الحولية كل سنتين على الأكثر، كما تمكنا من إعادة طباعة الأعداد السابقة من الحولية، وقدمنا للباحثين دراسات جديدة في آثار وتراث المملكة، وهي حصيلة الدراسات التي قدمت من منسوبي وكالة الآثار أو أساتذة قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، ومن جامعات أخرى. كذلك حرصنا في وكالة الآثار والمتاحف على توثيق جميع المعارض التي نظمتها الوكالة داخل المملكة أو خارجها بأدلة ونشرات، لأن هذه المطبوعات وعلى اختلاف أحجامها ومحدودية مادتها المكتوبة، لكنها كانت تعد مصادر مهمة، توثق جهود الوكالة في إبراز كل ما هو جديد للمختصين والمهتمين من عامة الناس وخاصتهم.

سلسلة آثار المملكة

ومن الأعمال الجليلة التي تعزز بها وكالة الآثار هو إصدارها سلسلة آثار المملكة العربية السعودية بعدد مناطق المملكة. وقد تم تقويم حصيلة أعمال المسح والتنقيب الأثري، الذي قامت به إدارة الآثار خلال مدة زمنية تزيد على خمسة وعشرين عاماً، وكانت جميع التقارير محفوظة في أرشيف مركز الأبحاث في الوكالة، وتفرغ محتوى الملفات يحتاج إلى مال وجهد مضاعف من منسوبي الوكالة والاستعانة بالكفاءات العلمية من الجامعات السعودية ومن غيرها. وقد عرض الموضوع على المجلس الأعلى للآثار وتم مخاطبة وزارة المالية، ولكن لم نتمكن من الحصول على الدعم المالي المطلوب، فأصابنا اليأس والإحباط من أن هذا الموضوع لن يرى النور. وكعادة الوزير الرشيد في إعطاء الفرصة لمسؤولي الوزارة الحديث أمام ولاية الأمر في كل مناسبة تتاح لهم عن طبيعة عملهم والمعوقات التي تقف أمامهم، فقد كنت مع عدد من مسؤولي الوزارة مع معالي الوزير في جدة لحضور اللقاء السنوي لمسؤولي التعليم، واشتمل البرنامج

على مقابلة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رحمه الله، وذلك في ٤ محرم ١٤١٧هـ (٢١ مايو ١٩٦٦م)، وقد استأذن لي معالي الوزير التحدث أمام سموه الكريم، وحسب المعتاد كنت آخر المتحدثين، والواقع أن همومي كانت كبيرة وتطلعاتي أكبر، وأعلم أن سمو الأمير سلطان يشجع ويدعم المشاريع الناجحة التي لا يعود نفعها على الوطن فحسب، بل يتخطى ذلك إلى خارج الحدود. فاقتصرت حديثي في أقل من خمس دقائق مركزاً على الآثار وأهميتها للعلم والثقافة وتحتاج إلى تكاتف كل أجهزة الدولة، وأن هناك عوائق كثيرة تعترض مسيرتها، والأمل في الله ثم في القيادة الحكيمة أن تعطي الآثار الاهتمام الذي تستحقه أسوة بما يجري في بلاد العالم.

وعقب سموه قائلاً: إن الآثار مهمة وأن سموه لن يتوانى في تقديم كل ما يمكن لحماية الآثار والعمل على تطويرها. وهنا عرضت على سموه فكرة إصدار عمل موسوعي كبير عن الآثار بعدد مناطق المملكة، فأعجب (حفظه الله) بالفكرة، وقبل إكمال شرحي، سألني عن الكلفة المتوقعة التي يحتاجها المشروع، فذكرت أن المبلغ التقديري في حدود ثلاثة ملايين ريال، فوجه سموه فوراً بالشروع في إخراج هذا العمل على نفقته الخاصة. والحمد لله استطعنا تشكيل فريق عمل بمشاركة نخبة من المختصين في الآثار من منسوبي وكالة الآثار ومن جامعات المملكة المختصين في هذا المجال. وخرجت هذه الموسوعة العلمية على مستوى جيد من الإخراج والمحتوى. وفي عصر الأحد من ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ (٢٢ يونيو ٢٠٠٣م)، تشرفت بصحبة معالي الدكتور الرشيد بمقابلة سمو الأمير سلطان ابن عبد العزيز -تغمده الله برحمته- بقصر سموه في جدة، وتم تسليم سموه الكريم سلسلة كتب الآثار بعدد مناطق المملكة الثلاث عشرة، وحضر المناسبة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني (آنذاك وزير الداخلية) وعدد من أصحاب السمو الأمراء ومعالي الوزراء، وفي تلك المناسبة تحدث معالي الوزير قائلاً: «يسعدني ويشرفني أن أضع بين يدي سموكم ثلاثة عشر كتاباً تمثل مشروع سلسلة كتب الآثار، الذي تفضلتم حفظكم الله بتشجيعه وتمويله على نفقتكم الخاصة وتولت تنفيذه وكالة الآثار والمتاحف». وأشار معالي الوزير إلى تزامن صدور هذه السلسلة مع المناسبة الاحتفائية

بمرور خمسين عاماً على إنشاء وزارة المعارف. ومما قاله معالي الوزير: «إن خروج مشروع سلسلة الكتب هذه ما كان له أن يتم بعد توفيق الله لولا دعمكم وتشجيعكم لجهد وزارة المعارف في مسيرتها للمحافظة على آثار المملكة، وتعهدها بالدراسة والبحث». وقد وجه سمو الأمير سلطان أهمية توفير هذا العمل الموسوعي في الجامعات والمؤسسات البحثية داخل المملكة وخارجها. وتبرع سموه بمبلغ مليون ريال لطباعة المزيد من النسخ، فبلغ إجمال عدد النسخ من السلسلة (٧٨٠٠٠) نسخة. وتتراوح صفحات هذه الكتب من (٢٠٠) إلى (٢٥٠) صفحة، وتضم ما يزيد على ثلاثة آلاف صورة ورسم توضيحي. وقد أعجب الملك عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك) وسمو الأمير سلمان بن عبد العزيز بهذه الموسوعة الأثرية. وهذه ولله الحمد من النجاحات التي تحققت لوكالة الآثار والمتاحف بتشجيع ولاة الأمر وبمتابعة الوزير الرشيد.

عيد الأثاريين

الوزير الرشيد يشجع على التواصل الاجتماعي، وهو صاحب مبادرات إنسانية عالية. ووضع ترتيباً سنوياً للمعايدة لكافة منسوبي الوزارة، في أول يوم دوام بعد إجازة عيدي الفطر وعيد الأضحى، ولم أعرف أنه تأخر عن هذه المناسبات إلا في حالات نادرة بسبب ارتباطه بمهام رسمية خارج المملكة. وقد شعرت أن منسوبي وكالة الآثار وزملاء المهنة لا بد أن تكون فرحتهم مختلفة، وأنها فرصة لتجديد التواصل بين جيل الأثاريين. وقد وفقت ولله الحمد في تنظيم لقاء معايدة سنوي خارج مبني الوزارة، ويجمع بين الرسمية والبساطة، وقد شجعتني زملائي في الآثار على هذه الخطوة، وكانت الدعوة توجه على شرف معالي الوزير، (ويُدعى) لها كبار المسؤولين في الوزارة ومن الميدان التربوي وأعضاء المجلس الأعلى للآثار وأساتذة الآثار، ورجال الفكر والأدب، وكانت هذه المناسبة تقام في المراكز والمواقع التاريخية والثقافية في مدينة الرياض، وكنا نحرص على إقامة بعض العروض المصورة لنشاط الآثار بهدف التعريف بآثار المملكة، أمام مسؤولي الوزارة والضيوف. وقد كان الوزير الرشيد يسعدنا بالحضور، ولا أذكر أنه اعتذر عن هذه المناسبة السنوية طوال عمله في الوزارة. وكان يحرص على تدوين هذه المناسبة

في مفكرته الشخصية، ويحث زملائي المسؤولين في الوزارة على تلبية الدعوة. وكنت أسعد أنا وزملائي بحديث الوزير في المناسبة، وحثه لكافة قطاعات الوزارة وأجهزتها المختلفة على مؤازرة الوكالة وتسهيل مهمتها. وقد حرصت شخصياً أن أقدم في هذه المناسبة السنوية، كلمة موجزة، ألخص فيها أهم نتائج أعمال وكالة الآثار الميدانية والبحثية، وأتناول فيها كذلك بعض المواضيع الساخنة، ودعوة المجتمع بأهمية المحافظة على الآثار، وعدم التعرض لها بالتعدي أو الإزالة أو التشويه والنهب والسرقة. وكانت هذه المناسبة السنوية تحظى باهتمام وسائل الإعلام، وتظل حديث المجتمع لمدة من الوقت، كما كانت ترد تعقيبات من ولاة الأمر عن بعض القضايا التي تثار على الملأ، وأذكر أن من المواضيع التي أثارها علناً خروج بعض الآثار في وقت مضى إلى جهات خارج المملكة، والحمد لله أثمرت الجهود في إعادة بعض الآثار التي خرجت من المملكة، بتظافر الجهود مع وزارتي الداخلية والخارجية، ومن الشخصيات القيادية في الدولة. لقد أثمرت مناسبة المعايدة السنوية للآثاريين في لمّ الشمل وتبادل الآراء بين المختصين حول تراث بلادنا وحضارتها، وقد كنا نشعر أن تشريف قيادات التربية والتعليم ورجال الفكر والأدب والتاريخ، وفي مقدمتهم الوزير الرشيد، ليس تقديراً لشخص بعينه بقدر ما هو اعتراف وامتنان بالجهود التي تبذلها الوزارة في المحافظة على الآثار والتراث التاريخي للمملكة، ودعم وتشجيع منسوبي وكالة الآثار والمتاحف. والشكر في ذلك للوزير الرشيد، الذي وقف بجانبني ولم يعبأ بالسهام التي كان يصوبها البعض، معتقدين أن إقامة مثل هذه المناسبة السنوية هو التلميح الشخصي والبروز الاجتماعي. ولكن هيهات هيهات!! «يأكل الحسد الحاسدين كما يأكل الحديد الحديد».

زملاء المهنة

وإذا نظرنا لحجم الأعمال المنوطة بوكالة الآثار والمتاحف، فقد يخطر لدى البعض أنها تكتظ بالموظفين وذوي الاختصاص، ولكن الوضع خلاف ذلك كما أسلفنا. ومما يؤسف له أن الوكالة لم تأخذ نصيبها في الابتعاث والتدريب ورفع القدرات، ويضاف إلى ذلك أن زحمة الوظائف كان محدوداً ووقف ذلك حائلاً أمام التدرج في السلم الوظيفي،

ولم يتوافر للوكالة وظائف قيادية أسوة بالإدارات الأخرى في جهاز الوزارة. وقد تفهم زملائي هذه الظروف وقدموا كل ما لديهم من طاقة لخدمة تراث الوطن. وأمام قفل الباب أمام الابتعاث أخذت على عاتقي تحمل المسؤولية في التسهيل لعدد من الزملاء في الدراسة العليا للمجستير والدكتوراه في جامعة الملك سعود والجامعات الأخرى، وقتعنا بمنحتين دراسيتين للدكتوراه في أوروبا. وأعطينا الفرصة للمتميزين إدارياً وفتحاً لتمثيل الوكالة في المعارض الخارجية وحضور اجتماعات المنظمات الإقليمية والقارية والدولية في مجال الاختصاص. ولولا تشجيع الوزير الرشيد لهؤلاء لما تمكنت وكالة الآثار من أداء دورها بالرغم من الصعوبات التي واجهتها. كنت ممناً لكثير من زملاء المهنة وفي مقدمتهم (إبراهيم الرسيني، على المغنم، عبد الله السعود، ضيف الله الطلحي، فهد الحواس، حسين أبو الحسن، محمد سراج، عبدا لعزيز آل الشيخ، محمد السلوك، عبد الله الراشد، عوض الزهراني، خالد أسكوبي، عبد الرحمن المنصور، ناصر العريفي، عبد العزيز النفيسة، وغيرهم من منسوبي الوكالة والعاملين في المناطق والمحافظات ومنهم صالح المريخ، عبد الحميد الحشاش، خالد الفريدة، وليد الحسين، عبد العزيز العمري، محمد النجم). هؤلاء جميعاً أحسنوا في عملهم، وشاركوني في محبتهم وتقديرهم لوزيرهم محمد الرشيد.

طرائف ومواقف

لم تخل مدة عملي مع الوزير الرشيد من مواقف وطرائف، وهي كثيرة، والرشيد رجل يحب الدعابة وكثيراً ما كان يضيفي على اجتماعاتنا ولقاءاتنا، في داخل الوزارة وخارجها، بعض الطرائف التي تكسر حدة الجدية، وتذيب شيئاً من التوتر لدى البعض، وخاصة من الذين اتصفت حياتهم الإدارية بالرتابة المملة والتعامل الحرفي مع قضايا العمل. كما وضع الرشيد برنامجاً للتواصل الاجتماعي خارج الوزارة، وكنا نقضي يوماً كاملاً في محيط الرياض أو يومين خارجها، كل شهر على الأقل، ويجدول البرنامج على قطاعات الوزارة، ويشتمل على أحقاب ترفيهية ومسابقات رياضية وأحاديث سمر، ويستقطع وقتاً كافياً لمناقشة قضية تربوية أو إدارية بطريقة العصف الذهني أو من أجل

التشاور الهادئ بعيداً عن الشد العصبي أحياناً في محيط العمل، وينتج عن ذلك قرارات هادفة تعود بالمصلحة على التعليم. وبالنسبة لي شخصياً فقد كانت لي مواقف جميلة وطريفة، وبعضها محرجة وخاصة أن الوزير الرشيد من الناس الذين يحاول إشراك الآخرين في الأحداث التي يشاهدها أو يسمع عنها. وهناك مواقف فرضتها طبيعة بيروقراطية الإدارة، ولعلي أستشهد ببعض المواقف والطرائف التي قد لا أجد حرجاً في ذكرها.

• قصة الوكيل المساعد

صدر عن مجلس الوزراء، مساء الإثنين ١٣ محرم ١٤١٨هـ، قراراً بتعيين الزميل الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس رحمه الله على وظيفة وكيل الوزارة المساعد للآثار والمتاحف، وكانت مفاجئة لزملائي ومن عدد كبير من المحبين والأقارب، وانهالت عليّ الاتصالات الهاتفية، بين مستغرب وبين من حاول مجاملتي بكلمات رقيقة، ظناً منه أن الوزارة قد استغنت عن خدماتي، وكنت أمازح بعضهم أن الدكتور الدريس فيه الخير والبركة لأداء المهمة وعليكم التعاون معه. وفي صبيحة اليوم اللاحق كنت مع معالي الوزير بصحبة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز لنشهد وضع سموه لحجر الأساس لمشروع مركز الملك عبد العزيز التاريخي بالمرج. وقد استفسر مني العديد من الحضور: ماذا سأفعل بعد أن تم تعيين شخص آخر بدلاً عني؟ وبعد عودتي لمكتبي، بدأت أتلقى اتصالات المهنيين للدكتور الدريس وكيل الآثار الجديد. والقصة وما فيها أنتي عندما كلفت بالعمل في الوزارة، كنت أمارس عمل وكيل الوزارة المساعد، معاراً بدرجة أستاذ، وعلى ملاك كلية المعلمين بالرياض، أما وظيفة (وكيل الوزارة المساعد) فقد بقيت شاغرة، ولهذا رفعت الوزارة للمقام السامي بترقية الدكتور الدريس على هذه الوظيفة، ولم أكن أنا شخصياً على علم بهذا التوجه، وكانت النتيجة هو ما حصل من ردود فعل وإرباك، وكنت أتمنى أن تحتفظ الوزارة بهذه الوظيفة التي تخص جهاز الآثار، ويتم تعيين أحد المختصين في الآثار عليها، ولكن ذلك لم يتم، والدكتور الدريس يحمل مؤهلاً تربوياً في الكيمياء، وأسندت إليه الوزارة التعليم الموازي، واستمر على

مسمى وكيل الوزارة المساعد للآثار والمتاحف حتي تمت ترقيته إلى منصب وكيل وزارة. رحم الله الدكتور إبراهيم الدريس فقد كان هو أيضاً من رجال الوزارة الأكفاء.

• قصة الديناصور

الديناصور حيوان فقاري ضخيم عاش على الأرض قبل أكثر من ١٦٠ مليون سنة، ابتداء من العصر الثلاثي المتأخر أي قبل ٢٣٠ مليون سنة وحتى نهاية العصر الطباشيري قبل ٦٠ مليون سنة، حيث انقرض بعد هذه الحقبة. وبقيت الديناصورات مجال بحث بين علماء الأرض والحفريات في مختلف بلاد العالم حتي يومنا هذا، واكتُشفت هياكل عظمية كاملة أو أجزاء لهذا الحيوان العجيب، ويعرض بعضها في عدد من المتاحف المعنية بالعلوم والطبيعة (Natural History Museums). وقد يطلق الناس كلمة ديناصور على بعض الأشخاص لتوضيح صفاته بأنه: رهيب أو قوي أو مذهل في عمله أو إدارته، وهذه قد تكون صفة حميدة في الشخص الجاد والملتزم لعمله. كما أنها تلبس أحياناً على الشخص الاستحواذي أو الذي لا يترك المنافسة للآخرين. وهذا ما أعرفه عن استخدام هذا المصطلح على حد علمي أو فهمي. وبعد حوالي عامين من عملي وعودة الانتعاش لنشاط وكالة الآثار والمتاحف، وكثرة التقارير والمكاتبات التي تصل على مدار الساعة لمكتب الوزير، أطلق (أبو أحمد) هذه الكلمة (الديناصور) على عملي في الآثار، فقد شبه الرشيد الآثار بالديناصور الذي مات أو انقرض، ولكن الحياة بدأت تدب في جسده، ليقوم مجدداً ويستولي على ما حوله. والقصد من إطلاق معاليه هذه العبارة على الآثار تتم عن إحساس الوزير بأهمية الآثار، وأن رعايتها سيعيد لها البريق والأهمية لتاريخ الأمة، كم أن في ذلك المصطلح تشبيهاً للآخرين في جهاز الوزارة بعدم بخس الآثار حقها من الاهتمام.

• الوزير والمكتب الصيفي

تعودت من الوزير الرشيد الإشادة بسلامة اللغة والتعبير والأسلوب في صياغة المكاتبات والتقارير التي تأتيه من وكالة الآثار. وكنت أنا وزملائي نجتهد في تدقيق كل

مايخرج من الوكالة من معاملات، وخاصة المكاتبات التي تعرض على الوزير للتوقيع. وكان الوزير دوماً يشير لهذا الجهد ويعلنه أمام الزملاء من القياديين في الوزارة. غير أن الأمور لم تكن دوماً هكذا مع الرشيد، فعندما ينتقل إلى مكتبه الصيفي في جدة أو الطائف، كنت أحملهما كبيراً، عندما ترسل معاملات الآثار مع بريد الوزارة، لتعرض على الوزير للاعتماد أو طلب الموافقة أو التوقيع، فكثيراً ما يكتشف الوزير أخطاءً إملائية أو نحوية أو تعبيرات يرى أهمية تغييرها، ويعود بعض ما عرض على معاليه في جدة أو الطائف مرة أخرى للرياض، ولم يكن الوزير ليكتفي بالملاحظات أو التصويبات، بل كان يتبع ذلك بمهاتفة ساخنة موضحاً أنه سيفرغ نفسه للتصحيح اللغوي لصالح الآثار. وأصبحت هذه لازمة نحملهما أنا وزملائي في الآثار عندما ينتقل الوزير إلى مكتبه الصيفي، وكنت أقول له «اللَّهُ يعيننا عليك يا أبا أحمد».

• الجوال

وللجوال قصة خلال عملي في الوزارة، وملخصها: أن أسلاك المقسم في مبنى وكالة الآثار في المقر القديم في الشميسي كما يقول المثل: «أكل عليها الزمان وشرب»، فأعطالها مستمرة، وكان عليّ أن أتابع كل صغيرة وكبيرة والتواصل مع قطاعات كثيرة ولجان متعددة، خاصة أن وكالة الآثار كانت قد جندت كل موظفيها في التجهيزات للمتحف الوطني الجديد، الذي أخذ جل وقتي، بالإضافة إلى المهمات التي ارتبطت بوكالة الآثار أو بشخصي في متابعة عدد من المسؤوليات ومنها مشروع موسوعة تاريخ التعليم. كما أن معالي الوزير بعد أن وجد أن المبنى القديم لوكالة الآثار لم يعد يتحمل المزيد من الجهد وجه باستئجار مبنى جديد بجوار الوزارة، ويفصله عنها شارع من الجهة الغربية، وللأسف أيضاً أننا مكثنا في هذا المبنى عامين كاملين دون خط هاتفي، والسبب أننا لم نتمكن من الحصول على إذن بالحفر لتوصيل الأسلاك مع مقسم الوزارة بين المسافة الممتدة من سور الوزارة وحتى مبنى الآثار، والذي لا يزيد عن ٣٠ متراً، فقد بقيت المكاتبات مستمرة بين الوزارة والجهات ذات الاختصاص من أجل تنفيذ الحفر الذي لا بد أن تجتمع عليه لجان من وزارات ومصالح حكومية عديدة، وقد لا يتصور

أحد أن قطاعاً كاملاً يعمل سنتين متواصلتين دون اتصال هاتفي. وأذكر أن وكالة الآثار انتقلت إلى مقرها الجديد بمركز الملك عبد العزيز والخط الهاتفي لم يصل بعد إلى ذلك المبني المستأجر، والذي حل فيه بعد رحيل الآثار إدارة جديدة للوزارة. ونتيجة لهذه المعاناة كان عليّ أن أستخدم الجوال المحمول في متابعة عمل الوكالة والاتصال بالإخوة الزملاء أينما كانوا، وبالرغم من أنني تحملت نفقات كبيرة، لكنني كنت أشعر براحة كبيرة في متابعة أعمال الآثار وإنجازها في وقتها أو قبل الوقت المحدد. وكما يقول المثل الفقهي «الأجر على قدر المشقة».

ولكن الإحراج الذي كان يواجهني عند استخدام الهاتف المحمول في أثناء الاجتماعات التي يرأسها الوزير وقد كانت كثيرة، ومنها الاجتماعات الرئيسية الأسبوعية والنصف أسبوعية والشهرية، وكلما دعت الحاجة. وإزاء ذلك لجأت إلى تركيب سماعة في أذني وأتابع المواضيع هاتفياً في أثناء الاجتماعات دون أن يلمحني الوزير. ومن الطرائف التي مررت بها أننا في واحد من الاجتماعات الساخنة، كنت أهدق في معالي الوزير وهو يتحدث، لإشعاره بأنني أتابعه باهتمام (وأنا كذلك) وأدون بعض نقاط الاجتماع، وفي الوقت نفسه أتابع مكالمة خارجية لموضوع هام جداً، وأرد على المتحدث بالعبارات المألوفة «نعم!! أه!! إيه!! صح!! صحيح!! وهكذا»، وظن الوزير أنني متفاعل جداً مع أحاديثه وتوجيهاته، واستغرب الوزير أن بعض العبارات التي كنت أطلقها للطرف الآخر لا تتوافق مع مسار النقاش والتعليقات، وعندما توقف الوزير عن الحديث وصمتت القاعة كنت ما زلت مستمراً في تحديقي للوزير وأواصل حديثي الهاتفي، فاكتشف الوزير تلك الحيلة مني والتي سببت لي حرجاً كبيراً في ذلك الموقف ولكن (أبا أحمد كعادته) يقدر كل من يعملون معه، وقد تكرر موقف مشابه ولكن بطريقة مختلفة، ففي أثناء أحد الاجتماعات لم يكن بمقدوري مغادرة القاعة من جهة، وكان عليّ أن أجري اتصالاً هاتفياً مهماً جداً، فما كان مني إلا أن أختفي تحت الطاولة التي أمامي مستغلاً سخونة المناقشات، وبدأت اتصالي الهاتفي المهم، ويبدو أنني استطردت في الحديث، وفجأة ساد الصمت في القاعة إلا من صوتي الذي بدا مرتفعاً، ولم يعرف أحد مصدره حتى

انكشف أمرى، ولكن ولله الحمد كانت تلك المواقف من الطرائف الجميلة التي أضفت على الاجتماع شيئاً من المرح. وأنا أعلم أن الاجتماعات لها أديبات ينبغي التقيد بها.

• الوزير ورياضة المشي

الوزير الرشيد يهوى رياضة المشي ولا تفارقه في حياته اليومية، وهو يمارس هذه الرياضة بعد قطيعة أبدية مع البدانة، التي كان يتصف بها لسنوات طويلة من حياته، (متعته الله بالصحة والعافية)، وبعد أن عملت معه في جهاز الوزارة، اعتدنا أنا وعدد من الزملاء ملازمته المشي خاصة في أثناء رحلاتنا معه في مختلف مناطق المملكة. وأنا من محبي الرياضة وأمارس المشي بين مدة وأخرى وأجد في ذلك متعة. وكنت أعتقد ألا أحد يجاريني في رياضة المشي، ولكن بعد ملازمة أبي أحمد تبين لي عكس ذلك. ومن المواقف الظريفة مع الرشيد، أنني اصطحبته في زيارة قصيرة لمنطقة عسير في عام ١٤١٧هـ، وبعد وصولنا مساءً إلى مقر إقامتنا في منطقة السودة، ارتدى الرشيد لبس الرياضة وخرجت بصحبته ومعنا الدكتور محمد الصائغ بملابسنا المعتادة، وبدأنا نمشي هرولة لأن الطريق كان في نزول، ولم نشعر بالمسافة التي قطعناها لأننا كنا نتحدث في مواضيع شتى، وكان الرشيد يمشي على الأقل ساعة لا ينقص منها دقيقة واحدة، ويستوفي الحد الأدنى من مدة المشي مهما كانت التزاماته. ولما كان الوقت متأخراً ظننا أننا سنعود لمقر إقامتنا في وقت أبكر، ولكن الوزير تابع المشي والطريق مظلم، ولما بدأنا العودة لم يكن الطريق سهلاً فقد كان في طلوع، ولم نتمكن من مجاراة أبي أحمد في المشي في تلك الليلة وكانت المسافة بيني وبينه في حدود الكيلو ويتوسطنا الدكتور الصائغ.

والموقف الآخر كان في العام الذي يليه (١٤١٨هـ) وفي ذات المكان، وكنا على مأدبة غداء فهمس الوزير في أذني أن نخفف من الأكل حتى يتسنى لنا المشي قبل أن نحضر حفلاً كبيراً تقيمه إدارة التعليم على شرف سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله-، وكان الطقس جميلاً ومغرياً للمشى، وقطعنا مسافة بعيدة ونحن نتحدث في شتى الأمور، وفي تلك الغابات الكثيفة والممرات الجبلية اختفى الوزير الرشيد، ولم أهتد

لمكانه ولم يكن يحمل معه جهازه المحمول، وشعرت بحرج كبير، فظننت أنه سلك طريقاً آخر للعودة للفندق أو أنه استمر في المشي، ولكن كيف يكون ذلك؟ ونحن على موعد مع مناسبة لا بد أن نصل في الموعد المحدد لاستقبال راعي الحفل، ولم أكن أحتفظ برقم الفندق أو أي من أرقام المرافقين لمعالي الوزير، ولم أكن أحمل مفكرتي الخاصة، وشعرت بإحراج إن عدت والوزير لم يصل بعد والجميع كان ينتظر والحافلات جاهزة وكافة الاستعدادات على قدم وساق. فقامت بالاتصال بالدكتور حمد الشغرد مدير عام التعليم بالمنطقة، الذي كان في المدينة الرياضية يشرف على جاهزية الاحتفال، فقال لي: أين أنتم؟ نحن بانتظاركم!! فأخبرته بأني ضيعت الوزير في السودة ولا أعرف مكانه!! ولا يوجد في المكان إلا القروء التي تحوم حولي من كل الاتجاهات، وطلبت منه وسيلة للاتصال بالفندق وبجناح الوزير، وكتبت جميع الأرقام مستخدماً عود حطب على أرض شبه صلبة، وبدأت أتصل طالباً المساعدة، وبعد مدة أطلّ عليّ الرشيد وهو في غاية السعادة والحيوية في ذلك الجو اللطيف، وعرفت أنه ذهب بعيداً على طريق السراة ولولا ارتباطه بهذه المناسبة لوصل المشي في ذلك المكان الجميل.

وعلي أي حال، استطاع الرشيد تحبيب منسوبي الوزارة، وإدارات التعليم في جميع مناطق المملكة، في رياضة المشي، وكان يحرص على حضور أوجه النشاط المدرسي والمناسبات الرياضية والبرامج الكشفية ويدعمها، كما وجه الإدارة العامة للوحدات الصحية بالقيام بعمليات توعية بأهمية رياضة المشي، والرياضة عموماً للطلاب وللعاملين في التعليم على وجه الخصوص.

• الشفافية

عندما تسلم الرشيد حقيبة الوزارة، بدأ يرسخ مبدأ الشفافية، بين مسؤولي الوزارة ورجال التعليم، بمعنى أن الوضوح في الفكرة والهدف، وقبول رأي الأغلبية في اتخاذ القرار المناسب، لأن في ذلك خدمة للمصلحة العامة وبلوغ الهدف. ومع ذلك ما انفك أبو أحمد، يواجه صعوبات من امتعاض البعض من بعض القرارات أو الآراء التي تطرح،

وكثر عليه اللفظ في مواقف كثيرة، وبالرغم من أن الوزير كان يعرف أن أولئك قلة، ولم يكن لديهم مآرب أو نوايا غير محمودة، ولكنهم لم يتعودوا على الأسلوب والمنهج الجديد والممارس في الإدارة العصرية الحديثة، فالقرار الجماعي، أو بالأغلبية يلزم الجميع تفعيله على أرض الواقع. فأخذ الوزير عهداً على نفسه ألا يستمع لأي شخص في القضايا التي تتصل بالتعليم لأنها مسؤولية جماعية، وأن من يأتيه للحديث منفرداً في القضايا التربوية دون مشاركة مسؤولي الوزارة فيها فلن يستمع إليه، وسينقل ما يصل إليه من ذلك الشخص علناً في الاجتماعات التي يرأسها الوزير، أو أنه سيبلغ رؤساء اللجان الأخرى التي يشكلها الوزير، وأتبع أسلوبه ذلك بقوله «صدري ما هو جراب لأحد».

وقديما قال أحد الشعراء:

وما كل من يبدي المودة ناصح كما ليس كل البرق يصدق خائله

لقد بذل الوزير نجاحاً كبيراً في إشاعة الشفافية، وجعلها واحدة من العوامل التي تقود العمل للأفضل. وبالرغم من أنني كنت وحيداً بين زملائي (بحكم اختلاف اختصاصي) بين منظومة قيادات الوزارة، إلا أن الشفافية لم تكن تنطبق على عملي مع بقية مسؤولي الوزارة، بالنسبة لوضع الآثار، ولكون التعامل معها لا يتوافق في نظرتهم مع البرامج ذات الارتباط الوثيق مع طبيعة أعمالهم في الوزارة، ومع ذلك فقد شاركت ولله الحمد وبحماس شديد، في لجان عدة معنية بقضايا التربية والتعليم وفي كثير من القضايا المرتبطة بالطالب والمعلم والكتاب والمنهج والكتاب والمبنى المدرسي والبيئة التربوية، والأمور الإدارية والتنظيمية. ولم تكن تطرح قضايا الآثار في الكثير من تلك اللجان، وكنت سعيداً أن الزملاء كانوا يتقبلون أطروحاتي وملاحظاتي في مجال التربية بكل امتنان وتقدير. أما في محيط عملي مع زملائي في وكالة الآثار فقد ساعدني زملائي بفضل الله، ثم بفضل دعم وتشجيع الرشيد أن نقود دفعة الآثار بكل شفافية بالرغم من وجود العوائق التي بقيت دون حلول، ولا زالت تلازم الآثار وهمومها حتى اليوم.

• النقد السلبي

فتح الوزير الرشيد الباب واسعاً، لاستقبال كل أنواع الآراء والنصائح، المكتوبة منها أو التي ترد إليه مشافهة، أو من خلال اللقاءات الجماعية، والتواصل الرسمي وغير الرسمي، مع شرائح المجتمع، من رجال الفكر والعلم والاقتصاد والإعلام ومن عامة الناس وخاصتهم.

ولكن تظل النفس البشرية عند البعض مجبولة على النظر للنصف الفارغ من الكأس. ومن المفارقات العجيبة الغربية، أن الكثير من اللغط والتشكيك في تطوير التعليم كان يصدر من أناس عليهم «الشرهة» بحكم أنهم ممن يؤمل فيهم النزاهة والخلق. ولكن للأسف تبين أن هناك عدداً غير قليل من البشر ممن يتصفون بأنهم أعداء التغيير والتحسين للصالح العام. فبعد أن أخذت العجلة تدور في خطة تطوير التعليم وتحسين المناهج بدأت بعض الأصوات ترتفع على منابر المساجد، وخلف الكواليس، وعبر ساحات الإنترنت، غير عابئين بحرمة الغيبة والنميمة، وبالرغم من الحضور الاجتماعي الكبير للوزير الرشيد وأريحيته مع كل الناس، لكن ذلك لم يشفع له. وأسوأ شيئاً أننا مع كثير من الزملاء في الوزارة نحسب أنفسنا من زملائه وأكثر من إخوانه المقربين، لكن شوكتنا لم تكن حادة لإيقاف النقد السلبي غير المبرر لشخصية الوزير، ولم يشفع للوزارة ووزيرها ما تحقق من نجاح على مختلف الأصعدة، وتمادي بعض أصحاب الأقلام في توجيه النقد اللاذع، وكذلك الخطب الرنانة التي كان يطلقها بعض خطباء المساجد بطريقة مفرزة، وهم أبعد ما يكونون عن التعليم وهمومه، ولم يكن أحد من أولئك يعرف مقدار أهمية اللغة الإنجليزية في تعليم أبنائنا، ولا يعرف أحد من أولئك أبعاد قرار الدولة بتوحيد إدارة التعليم العام تحت مظلة وزارة واحدة هي (وزارة التربية والتعليم) مع الاحتفاظ بحقوق ومكانة الفتاة في تعليمها والمعلمة في دورها المهم بالتساوي مع زميلها المعلم في الحقوق والواجبات. ولم يلتفت أولئك إلى التطور الذي حصل بالنسبة للتوسع في مدارس تحفيظ القرآن والتوعية الإسلامية، ولم يلتفتوا كذلك إلى التطوير الذي حدث للتعليم الأهلي ولا ما حققه أبنائنا الطلاب على المستوى العربي والقاري

والدولي في بروز مواهبهم والقفزة التي حدثت في تبني الدولة إنشاء مؤسسة كبيرة للموهبة والإبداع. أيام عشتها في هذا الجو الخائق، والسهام توجه لوزارة التربية والتعليم ولوزيرها الرشيد، وكنت أسمع بأذني وأشاهد تلك الحملة المسعورة على الوزارة وفبركة الحقائق وبث الشائعات، والسعي بالنميمة، وترويج الأقاويل، والشكاوى الكيدية وكيل الشتائم والسباب، ولم يكن لدى من كُنَّا نواجههم القابلية للفهم والإدراك. لقد بيَّن الوزير الرشيد تلك المواقف في مذكراته المطبوعة في كتابه «مسيرتي مع الحياة». وللأسف مررت بتجربة شخصية، علمتني كيف أن الناس مهما بلغوا من التعليم أو درجة حضورهم الاجتماعي، يمارسون شتى أنواع النميمة والغيبة، وكأن هاتين الخصلتين ليس فيهما ما يسيئ لهما وللمجتمع. ففي مناسبة اجتماعية خاصة، حضرها عدد ممن يتصفون بأنهم أكاديميين وأصحاب فكر، فقد تناول أحدهم التعريض بوزارة التربية وأن وزيرها (الرشيد) يتفرد بقرارات اللجنة العليا لسياسة التعليم، ويمررها على المسؤول الأول للجنة لاعتماد القرارات. حاولت مناصحته وأن يتوخى الحذر فيما يقول، وأن القيادة العليا في الدولة تعمل لكل شيء حسابه وخاصة في التعليم، وهذه مسؤولية كبيرة لا ينبغي الخوض فيها بهذا الأسلوب. ومن المفارقات العجيبة أنني في صبيحة اليوم اللاحق كنت على موعد لمقابلة الوزير لمناقشة أمور تخص شؤون الآثار، فإذا بذلك الشخص الذي كان، مساء البارحة، يكيل النقد اللاذع للوزارة ووزيرها، يجلس أمام معالي الوزير في مكتبه، وهو في غاية السرور (والله أعلم عن مغزى تلك الزيارة) وكأن شيئاً لم يكن في الليلة السابقة. وأخذت أردد قول الشاعر:

«كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً يؤذى برجم فيعطي خيراً ثمار»

مسك الختام

تلك كانت خواطر أحببت إهداءها للوزير والأخ الصديق الصدوق (أبي أحمد) محمد الرشيد، وفاءً وعرافناً، لجهوده المخلصة في التربية والتعليم، عشتها على مدى ما يقارب من عشرة أعوام، عرفت فيها (أبا أحمد) عن قرب، وتعلمت من خبراته وتجاربه،

وأساليب العمل، وأوكل إليَّ مهمات عديدة، بدءاً بإدارة شؤون الآثار في بلادي الغالية، وأخرى متصلة مباشرة بالتربية والتعليم، وفي قضايا اجتماعية متعددة. وأحسب أنني كنت على مستوى الثقة، وكنت ناصحاً وأميناً في كل أعمالي. وليس من باب التفاخر بالإنجاز، ولكن واقع الحال يقتضي أن أسجل للتاريخ أن الآثار عندما أسندت حقيبة الوزارة للوزير الرشيد كانت «على شفا جرف هار» وبفضل الله ثم بجهود معاليه، عادت لها الروح والنشاط والحيوية. وقد كان الوزير الرشيد سعيداً بضم وكالة الآثار والمتاحف للهيئة العامة للسياحة والآثار، وكان خير معين لهيئة السياحة وتعامله المباشر مع سمو الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، من أجل أن تنهض الآثار مع السياحة إلى المستوى الذي تصبو إليه القيادة الرشيدة. ولن أنسى ما حييت تلك الأيام والأشهر والسنوات التي عملت فيها مع الرشيد (حلوها ومرها)، وكنت أتألم لألمه إذا تعقدت وتأزمت أمور الوزارة، وأفرح لفرحه عندما يتحقق الإنجاز. فالرشيد أحبَّ العمل بكل شغف، وأحبَّ الناس، وتعامل مع الجميع بالود وصفاء النية.

إذا رَضِيتُ عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لثامها

لقد سعدت بالعمل تحت قيادة الدكتور محمد الرشيد، وعملت مع كوكبة من الزملاء الأ خيار في جهاز الوزارة وإدارات التعليم في المناطق والمحافظات. أذكر بعض من عملت معهم عن قرب في جهاز الوزارة وبعيداً عن الألقاب وهم:

(عبد العزيز الثنيان، محمد العصيمي، عبد الله بن حمد الفوزان، خالد العواد، محمد الصائغ، إبراهيم بن عبدالعزيز الشدي، إبراهيم الدريس، عبد العزيز العياضي، محمد بن نوح، ناصر العبد الوهاب، عبد الله المعيلي، أحمد السناني، عبد الرحمن الشويعر، خضر القرشي، يوسف القبلان، ناصر الموسى، محمد الرويشد، عبد العزيز الديبان، سليمان الزايدي، صالح الدوسري، عبد الرحمن الروساء، وصالح التويجري، محمد اللحيان، وآخرون كُثُر)، وأسأل الله مثل ما جمعنا معهم في الدنيا أن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

لقد ترجل الرشيد عن العمل الحكومي، ولكنه لم يتوقف عن العمل التربوي، مستمراً في خدمة الوطن في العمل التربوي بعيداً عن المنصب الإداري، فهو قائد تربوي في بلادنا وفي الوطن العربي الكبير، ويحظى بالتقدير والاحترام من ولاة الأمر وكل الأخيار في المجتمع. وكأنني بأبي أحمد يردد قول الشاعر:

«وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبة للناس»



تلازمي المهني والإنساني برجل المرحلة " محمد الرشيد "

د. سعيد بن محمد المليص

ترتبط حياة الناس وذكرياتهم وتاريخهم بالإنسان والزمان والمكان، فهي العناصر المكونة لأحداث مسيرتهم، ومنعطفات حياتهم، وعندما يستعيد الفرد ذكرياته يندر أن يجد تلك العناصر وقد ترابطت في صورة متصلة متناسقة ومتزامنة، غير أنني حينما أسترجع ذكريات جميلة مضت جمععتني بالصديق والزميل محمد بن أحمد الرشيد، أجد نفسي وكأنني أحاول كتابة تاريخي التربوي والتعليمي بكل معنى الكلمة، أو قل: المراحل الأهم والأبرز المهنية، وكأنني كنت على موعد دائم معه، إذ شاء الله تعالى أن أخلفه في كثير من المحطات المهنية في حياتي، وهذا من فضل الله تعالى أن أكرمني بهذا الارتباط الأخوي مع رجل من خيرة الرجال علماء وأدباء وإنسانيه، فكان بحق رجل مرحلة ملهماً، له بصمات مشرفة في تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية ومسيرة التعاون التربوي المشترك لدول الخليج، بل امتدت على عالمنا العربي، لتؤكد قدرة أبناء المملكة على العطاء في مختلف الميادين.

وحينما أود تسجيل أبرز المحطات العملية التي جمععتني بأبي أحمد، والتي تعد منعطفات مهمة كان لها ما بعدها في حياتي المهنية الطويلة أجدني أعود بالذاكرة إلى المحطات المهمة الآتية:

١. كلية التربية بمكة المكرمة عام ١٣٨٥هـ.
٢. جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، قسم تقنيات التعليم ١٣٩٨هـ.

عضو مجلس الشورى، نائب وزير التربية والتعليم للبنين سابقاً.

٣. مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٢هـ.
٤. جامعة الملك سعود ١٤١٠هـ.
٥. مجلس الشورى ١٤١٤هـ.
٦. وزارة المعارف ١٤١٦هـ.
٧. مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤١٨هـ.
٨. وزارة التربية والتعليم ١٤٢٦هـ.

إنني أستذكر هنا تجربة طويلة حافلة قاربت نصف قرن من الزمان من عمرها، ولا زالت هذه التجربة تتموفي كل مرة ألتقي فيها (أبا أحمد) أو أهاتفه، فقد كانت البداية الأولى العام الدراسي ١٣٨٥/١٣٨٦هـ، حين قررت مع بعض زملائي إكمال تعليمنا والالتحاق بكلية التربية والشريعة بمكة المكرمة، التابعتين لوزارة المعارف في ذلك الحين.. ودعنا مدارسنا، حيث كنا نعمل مديرين لها في زمن كانت المدارس لا يتعدى عدد طلابها بضع مئات.. واستقر بنا المقام في مكة المكرمة وكان عدد الطلاب قليلاً في هذه الكلية، إذ لا يزيد مجموع طلبة كلية التربية بأقسامها: الاجتماعيات وعلم النفس والعلوم والرياضيات واللغة الإنجليزية عن ١٥٠ طالباً، يعلمهم أساتذة مسلمون وعرب، ولا يوجد سوى دكتور سعودي واحد أو اثنين، ولكنها كانت ملاًى بعدد من المعيدين الشباب، الذين كنا نعجب بهم، ونتطلع إلى اليوم الذي نكون فيه في صفوفهم، ومن هؤلاء الشباب المتوقدي الحماسة كان الشاب «محمد بن أحمد الرشيد» خريج جامعة الرياض المعيد بكلية التربية بمكة المكرمة.

في جامعة إنديانا يشهدون ويشيدون

مضى العام الدراسي الأول ومضى المعيدون معه، وتساءلنا عن سبب انقطاعهم، فجاءتنا الأنباء: أنهم يواصلون تعليمهم العالي في جامعات غربية، ومن ضمنهم بطبيعة

الحال أستاذنا محمد الرشيد الذي كان له تقديره الخاص بين أقرانه، لما تميز به من مؤهلات القيادة والريادة والأخلاق الرفيعة، التي تتسم بها شخصيته، وتميزه بين أقرانه «وما فتئ يمارسها إلى اليوم أمد الله في عمره».

لقد انطلق «المعيدون والطلاب» ينهلون بحماسة منقطعة النظير من العلوم والمعارف في تلك الحقبة المفصلية للتعليم في المملكة العربية السعودية، وغابت الأخبار عقداً من الزمان حتى كتب الله تعالى لي السفر لإكمال تعليمي في جامعة إنديانا وهناك حدثني رئيس البرنامج التدريبي السعودي - وهو البرنامج الذي وقعته الوزارة مع مجموعة من الجامعات الأمريكية لرفع مستوى الإدارة التربوية في المملكة وإطلاع العاملين فيها على المستجدات في حقل التعليم والتربية - هناك حدثني ذلك الرجل عن مجموعة من الشباب الذين حصلوا على الماجستير من الجامعة، ثم انتقلوا إلى ولاية أخرى للحصول على الدكتوراه، وأثنى ثناءً عظماً على اثنين منهم، وهما الشابان محمد بن أحمد الرشيد وعبد الله الزيد.

بعد ذلك الموقف بمدة ليست طويلة وصلنا خبر أن عميد كلية التربية بجامعة الرياض (الملك سعود) يعترض على مستوى التعليم في جامعة إنديانا وعلى المستوى التحصيلي لبعض خريجها، ولم يكن عميد الكلية ذاك إلا الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، الذي شغل أساتذة الجامعة حينئذ، فكان مصدر إعجابهم، وانضم إلى رأيه شريحة كبيرة منهم لمعرفة أن بعض أقسام جامعتهم ينقصها الاهتمام بمستوى طلابها التحصيلي، وكان لذلك الجدل تأثيره البالغ على بعض الطلبة السعوديين، الذين أدركوا أنهم أمام مأزق حقيقي إذا لم يهتموا بما أتوا من أجله من الدراسة والتحصيل والنهل من معين العلوم وحقول التجارب.

وتسارعت الأيام، وعدت من الولايات المتحدة الأمريكية، وعضواً عن العودة إلى المكان الذي انطلقت منه للتعليم عملت في الرياض في مركز العلوم والرياضيات والكلية المتوسطة في ذلك الحين، ومن ثم عملت في جهاز الوزارة مديراً عاماً للتوجيه التربوي

والتدريب، وكان الأخ الصديق الدكتور محمد بن أحمد الرشيد في ذلك الوقت مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

مكتب التربية العربي والتعاون المشترك

يؤمن الدكتور الرشيد أن «العلم رحم بين أهله»، وأنه جسر للتعاون وطريق للترابط بين الأشقاء، وقد استطاع أن يجعل مكتب التربية العربي لدول الخليج مؤسسة فاعلة في هذا الميدان، وكعهد الحقل التربوي به أينما حط رحاله في مؤسسة تربوية أبدع في أوجه نشاطها، لتجاوز حدود أسوارها، وتفتح على من حولها، وأذكر أنه في عام ١٤٠٢هـ واصلتني دعوة من مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج للمشاركة في حلقة دراسية يقيمها المكتب كل أسبوع أو أسبوعين، حيث تتم دعوة أحد العلماء في فن من الفنون ويجري النقاش حول مائدة مستديرة، لتبادل الخبرات حول موضوع أو قضية تهم التربويين، فيما يعد ورشة عملية تدريبية مثرية.. وكان هذا البرنامج منعطفاً مهماً في أروقة المؤسسات التربوية ليس في المملكة فحسب، بل في دول الخليج.

حضرت حلقات عديدة، وفي كل مرة وجددتني أزداد إعجاباً وتقديراً لهذه القامة التربوية، التي يتمتع بها هذا الرجل المبادر، الذي حمل هموم التربية والتعليم في مجتمعنا المحلي والخليجي بل والعربي.. وانطلق يخلق حتى برز مكتب التربية العربي لدول الخليج وجمع حوله من علماء الأمة العربية والإسلامية التي يشهد لها اليوم على الساعة الإسلامية والعربية بالريادة والمعرفة وسعة الأفق والفكر والقيادة الفكرية، واستطاع أن يؤسس للمكتب قامة بارزة وصرحاً تربوياً في الساحة الخليجية هي جامعة الخليج العربي، التي احتضنت مملكة البحرين مقرها ولا تزال حتى اليوم تعمل تحت مظلة المكتب، الذي كان له دوره المعروف في تثبيت دعائمها واستمراريتها في ساحة العمل التربوي المشترك.

وبحكم عملي في وزارة التربية (المعارف) توطدت صلاتي بمكتب التربية، لأنه كان المعين الأبرز في الفكر والثقافة خارج الوزارة.. وشاء الله أن أكون ممثلاً للمملكة في المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، التابع للمكتب بدولة الكويت، وهنا

زادت صلتني بالدكتور/ محمد الرشيد، وأصبحت من القريبين والمحبين لهذا الإنسان المحترم صاحب الخلق الرفيع والمثقف والقيادي النشط، وكنا نعول عليه في الفكر التربوي، ونرغب عن كذب نشاطه ومؤتمراته الكبيرة التي تعد نتائجها مرجعاً حتى اليوم، ومن أشهرها (ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟)، وهو المؤتمر الذي تردد صداه طويلاً على الساحتين الإعلامية والتربوية، وكان منطلقاً لوضع بذور التعاون بين رجال التربية والتعليم ورجال الإعلام في المملكة، التي أثمرت فيما بعد العديد من البرامج التي حفل بها الحقل التربوي.

العودة للجامعة وتوطيد العلاقة

عندما عاد الدكتور الرشيد إلى جامعة الملك سعود بعد انتهاء مدة ندبه للمكتب.. كنا قد أصبحنا صديقين حميمين، واستمراراً لذلك الوفاء أكرمني (أبو أحمد) مرات عدة بأن أقوم مقامه في تدريس بعض محاضراته في الجامعة - إذ كنت متعاوناً مع الجامعة في ذلك الوقت - وذلك لتوافق آرائنا إلى حد بعيد، خاصة في الدعوة إلى الثقة في القائد التربوي في الميدان وتأهيله للريادة وتحمل المسؤولية، وأن نكسر مقولة (اتبع الخط)، فكنت ألقى بعض محاضراته في الجامعة بدلاً منه، لأنه لم ينفك من ارتباطاته مع المؤسسات العالمية التي شيد معها أكبر الجسور من التعاون والتكامل في أثناء مدة إدارته لمكتب التربية العربي لدول الخليج.

أول تربويين في عضوية مجلس الشورى

شاء الخالق تبارك وتعالى أن نلتقي مجدداً في مجلس الشورى، فكنا أول تربويين تتشرف بعضوية مجلس الشورى بعد إعادة تأسيسه عام ١٤١٤ هـ - وكان عاماً مشهوداً في تاريخ المملكة العربية السعودية، صدر فيه عدد من التنظيمات الوطنية المهمة متمثلة في «نظام الحكم ونظام المناطق ونظام مجلس الشورى» - وكنت وأخي الدكتور/ محمد الرشيد نمثل قطاع التربية والتعليم، أن يتولى هو القطاع الإعدادي النظري، وذلك لسابق خبرته في المجالات التي خدم فيها وعن طريقها، ومنها جامعة الملك سعود،

ومكتب التربية العربي لدول الخليج، والمؤسسات التابعة وذات الصلة والعلاقة بالمكتب، كجامعة الخليج، ووزارات التربية في دول الخليج، والمؤسسات العلمية الأخرى.. فيما مثلت أنا قطاع التربية والتعليم الميداني بحكم خبرتي الطويلة في وزارة المعارف (التربية والتعليم) معلماً ومديراً ومشرفاً ومديراً عاماً في الوزارة ووكيلاً مساعداً لمعظم قطاعات الوزارة.

وهكذا بدأنا العمل سوياً مرة أخرى في موقع آخر من مواقع الخدمة التي نتشرف بها، واستمر عطاء أخي الدكتور الرشيد، فكان من أبرز المشروعات التي تبناها في ذلك الحين: مشروع «إصلاح التعليم» الذي درسته لجنة التعليم والثقافة، وهو المشروع الأشمل الذي أقره المجلس بعد دراسة معمقة ورفع للمقام السامي الكريم، وحينما عُرض على مجلس الوزراء تم التوجيه بتشكيل لجنة لتقويم التعليم وتطويره نتيجة لهذه الدراسة، وفي عام ١٤١٦هـ حظي الدكتور محمد الرشيد بثقة القيادة بتكليفه وزيراً للمعارف (التربية والتعليم).

ومرة أخرى شرفت بعضوية فريق تقويم التعليم ضمن مجموعة من العلماء والمفكرين الذين شرفوني برئاسة لجنة التعليم العام، وذلك إلى جانب أخي وزميلي صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور منصور بن متعب بن عبد العزيز الذي كان مسؤولاً عن التعليم الفني والقطاع العسكري، وأخي الأستاذ الدكتور فالح الفالح الذي كان رئيساً لقطاع التعليم العالي.. وجميعنا نعمل تحت إشراف رئيس الفريق الأخ الزميل الدكتور سعود بن إبراهيم الجماز الذي كان وكيلاً لوزارة المعارف في حقبة سابقة.

مكتب التربية يسير على خطى الرشيد

مرة أخرى يشاء الله تعالى أن أعمل في مكتب التربية العربي لدول الخليج نائباً للمدير العام بعد انتهاء مدة عملي في مجلس الشورى، ونقل لي الدكتور محمد الرشيد بعد حين أيضاً توجيه القيادة الرشيدة، بأن أكون مرشح المملكة لإدارة المكتب، وتوليت هذه المهمة واستمر الركض في المكان ذاته الذي كان محمد الرشيد المحرك الأساسي

له، وخلال قيادتي للمكتب كان يكرمني وزملائي في المكتب بالموافقة على كل فكرة أو برنامج نقدمه له ولزملائه وزراء التربية والتعليم في دول الخليج، الذين يكونون له كل تقدير ومحبة واحترام، وأي نجاح لمكتب التربية طوال عملي فيه يعزى الجزء الأكبر منه إلى هذا الرجل الذي ينطبق عليه قول الشاعر:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

حقة مكتب التربية العربي كانت بالنسبة لي منعطفاً فكرياً تربوياً ومهنياً راسخاً ولا سيما مجلسه التنفيذي الذي كان يقوده مربون فضلاء من الخليج وهم: د. خالد العواد من السعودية، ود. حمود السعدون من الكويت، ود. حسين السادة من البحرين، ود. جمال المهيري من الإمارات، ود. منى الجردانية من عمان، والأستاذ ربيعة الكعبي من قطر، وأخيراً د. عبد العزيز الحبتور من اليمن.. إنهم نخبة من القادة يدعمهم وزراؤهم وعلى رأسهم الدكتور محمد الرشيد وزير التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية والخبير الإنساني المعروف..

وأذكر هنا أن وزراء التربية العرب استحدثوا لقاء فكرياً في كل دورة يختص بدراسة موضوع فكري تربوي تعد له العدة باكراً، ونقلنا في مكتب التربية العربي لدول الخليج هذه التجربة إلى الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بناءً على اقتراح من الدكتور محمد الرشيد، وأصبح الوزراء في كلتا المؤسسات فيما بعد: المكتب والمنظمة يجتمعون سنوياً لمدارسة الأعمال الخاصة بالجهتين وميزانياتهما، والتحاور حول موضوع فكري وتربوي نوعي تشارك فيه الجهتان بما يعود بالفائدة على التعليم في الوطن العربي.

وفي العهد الذي كنت فيه مديراً لمكتب التربية العربي لدول الخليج، أقيمت مشروعات وبرامج نوعية عالية الجودة، وتأسست أرضية فكرية لعديد من المشروعات المستقبلية، وتبوعت تلك البرامج والمشروعات لتشمل: مشروع الخطة المشتركة لتطوير مناهج التعليم العام التي وجه بها القادة الأجلاء في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية،

واشتملت على عشرين برنامجاً طموحاً، وكذا وثيقة مشروع تطوير التعليم العام في دول الخليج بالتعاون مع مجلس التعاون، واشتملت على أربعة وثلاثين مشروعاً أو برنامجاً فرعياً كبيراً، تناولت مختلف مجالات العمل التربوي، ووثيقة تطوير اللغة العربية في دول الخليج والعالم العربي بالتعاون مع المنظمات الأخرى، ووثيقة تطوير مادة التربية الإسلامية، ومشروع تطوير مناهج الرياضيات والعلوم، ومشروع مدارس المستقبل، وبرنامج لقاءات الأجهزة المتناظرة في الدول الأعضاء بالمكتب، ومشروع إنشاء المركز التربوي للغة العربية بالشارقة، وبرامج الرسائل الإعلامية التربوية الموجهة للطلبة، ومشروع التأمين الصحي لكل العاملين في المكتب وأجهزته، وبرنامج تنمية الموارد الذي فتح القنوات بين المكتب ومؤسسات المجتمع الداعمة، وهذه وغيرها مشروعات شكلت علامات فارقة على المستوى الخليجي والعربي، وهي ثمار سنوات من الجدية والعمل المخلص منذ عهد الدكتور الرشيد، والمكتب الآن يواصل عمله بنجاح وبخطى واثقة وأسس واضحة تحقق له المزيد من النجاحات المتلاحقة بإذن الله.

خلافتي للدكتور الرشيد.. اليوم

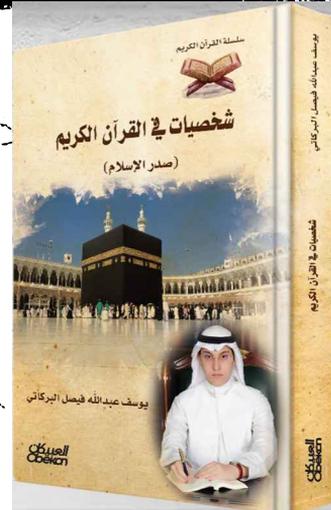
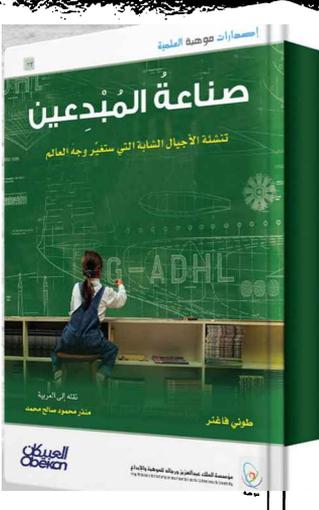
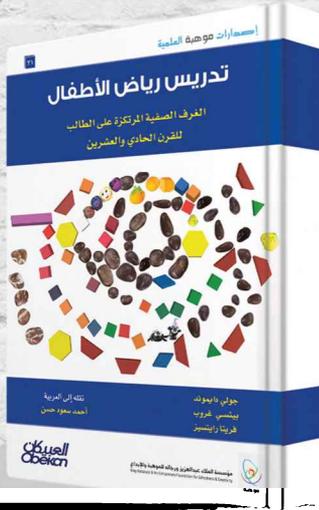
وكتب الله تعالى أن أعود بعد انتهاء مدة عمل الدكتور محمد الرشيد في وزارة التربية والتعليم إلى حين الأول في ذات المؤسسة التي ودعها د. الرشيد وكأنني أسير وإياه على الخط نفسه، وشرفت بثقة ولي الأمر وتعييني نائباً لوزير التربية والتعليم لتعليم البنين، وهو الجزء الذي كان يديره ويقوم عليه أخي الدكتور محمد الرشيد حينما عين وزيراً للمعارف - أي قبل ضم رئاسة تعليم البنات إدارياً تحت مظلة واحدة - وهكذا حللت مرة أخرى في ذات المكان الذي كان يمارس فيه زميلي عمله، لأكمل المشوار بما يسمح لي بقائي فيه، قبل أن أسلم زمام الأمانة إلى زميل آخر. (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

«محمد بن أحمد الرشيد» الآن بعيد عن المسؤولية الرسمية، إلا أنه في ذاكرة الوطن بكل مكوناته ومنجزاته وآماله، وسيبقى محبوبه وزملاؤه وكل من عرفه عن قرب يكونون

له الاحترام والإجلال، وهم يتذكرون مآثره ومواقفه من المجدين والمتحمسين، ودعّمه غير المحدود لكل من عمل معه.. ولازلت أؤمن بأن الإنسان حينما يشعر بسند قوي فإن إبداعاته لا حدود لها، خاصة إذا صاحب ذلك العمل جو من الود والحميمية والصدق مع الله والناس، ولا تملك عندما تذكر هذه القامة التربوية إلا أن تدعوه وتسال الله تعالى أن يمد في عمره ويجزيه خير الجزاء.



أحدث الإصدارات



Follow Us



كتبنا الصوتية



كتبنا الإلكترونية



لخدمات البيع والتوصيل



الوفاء والذكريات

سعود بن صالح المصبيح

لا شك أن كتابة الذكريات تتطلب الكثير من المواقف الذاتية الشخصية، ولكنها ذاتية شخصية نحن بحاجة إلى تباينها؛ لأن الحياة ليست نتائج واجتماعات وإنجازات، ولكن هناك الجانب المعاملاتي، الذي يربط القلوب ويقربها، ويدخل الابتسامة على الشفاه، ويولد العمل الجماعي التنظيمي المفيد، وهذا جزء من نجاح الدكتور الرشيد؛ إذ حول جهد المجموعة بأسلوب إنساني ودي قربهم بعضهم من بعض، وكان الهدف تربوياً لمصلحة الوطن، لذا فإن مشاركتي هذه محاولة لاستعادة بعض ذكرياتي في وزارة التربية والتعليم مع معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الإنسان؛ لتكون هذه التجربة متاحة للأجيال والتاريخ، ويكفي د. الرشيد حب الناس واستمرار تواصلهم معه في مجلسه الأسبوعي الذي زاد أكثر بعد أن ترك مقعد الوزارة؛ لأنه يملك فكراً متوقداً وقلباً مفتوحاً مفعماً بحب الخير ومساعدة الناس وحب الوطن.. وسأسجل هنا التدايعات على شكل نقاط أرجو الله عز وجل التوفيق والسداد... والبداية بالبداية.

كنت أعمل في جريدة عكاظ نائب رئيس تحرير في المنطقة الوسطى إبان تشكيل أول مجلس شورى للمملكة في مطلع عام ١٤١٢هـ وكانت مهمة الصحفي هي استطلاع آراء الأعضاء الجدد وعلى رأسهم الدكتور محمد الرشيد... بحثت عن هاتفه بعد إعلان الأسماء، وتتبعته ذلك حتى وصلت إليه في لوس أنجلوس مدينة أيرفان كاليفورنيا، حيث يقضي إجازته السنوية، وكان هذا أول اتصال بمعاليه... هناته بالثقة الملكية وعرفته

مستشار وزير الداخلية، المشرف العام على العلاقات العامة والتربوي بوزارة التربية والتعليم سابقاً.

بنفسي وأعطاني التصريح المعتاد ونشر ذلك في حينه... وخلال عملي في عكاظ كان مكتب الرياض حافلاً بالنشاط والزيارات لمختلف شخصيات المنطقة الوسطى، ومن ذلك سلسلة الندوات الأسبوعية الحوارية، التي تعقد في المكتب وتشرها الجريدة أسبوعياً في عكاظ الأسبوعي، ويحضرها وزراء وأعضاء مجلس شورى ومسؤولون حكوميون ورجال أعمال ومثقفون وغيرهم، وكنت ممن حرصت على دعوته الدكتور محمد الرشيد، وللأسف في مناسبتين يحدث له ظرف ولا يستطيع الحضور، وكنت من عادتي إذا كانت الندوة تتطلب أربعة ضيوف غالباً أدعو سبعة ضيوف تحسباً للاعتذارات، ولهذا لم يحدث اللقاء مع الدكتور الرشيد إلى أن جاء حج ١٤١٥ هـ حيث كنا مع إحدى حملات الحج، وتعرفت عليه حيث أسرني وأسر الجميع في الحملة بتواضعه وجاذبيته وثقافته ونقاشاته الجميلة، وكانت بداية رحلة المشي اليومي إذ نذهب سوياً لممارسة رياضته المفضلة وتبادل أطراف الحديث، وفيها كان الدكتور الرشيد كما قال - مستغرباً - من كثرة معرفتي للشخصيات والأسماء والموظفين والمسؤولين وأعمالهم، وقلت له: إن هذا الأمر تكوّن عندي من طفولتي، حيث أقرأ الصحف بدقة نتيجة للفراغ وأربط بين صورة المسؤول والخبر، ولهذا لا غرابة في تلك الأيام أن أعرف مدير عام الزراعة بمنطقة المدينة المنورة مثلاً...

وانتهت رحلة الحج وبدأنا (دوريات) لبعض الحضور آنذاك، وكان التواصل حميماً بأريحية الدكتور الرشيد وحرصه على التجمع الإنساني... وفي ربيع الأول صدر القرار الملكي بتعيينه وزيراً للتربية فهااتفته للتهنئة والباركة، وشكرني على ذلك ثم قال لي كلاماً لا زلت أذكره بأنه بحاجة إلى من يساعده ويعمل معه في الوزارة، ويعرض عليّ في تلك المكالمة العمل معه ضمن فريق الوزارة، وكان ذلك قبل أن يؤدي القسم؛ ونظراً لإعجابي بشخصيته، فقد قمت بإلغاء إجازتي العائلية وذهبت إليه وباشرت في صالة الاجتماعات في مكتب الوزير، فبدأت أحضر معه لقاءاته اليومية مع المراجعين والمسؤولين والمشاركة في تنظيم ذلك كعمل يدخل في نطاق عمل العلاقات والإعلام، وكان الوقت صيفاً وكنت حينها في كلية الملك خالد العسكرية والوقت إجازة في الكلية،

حيث انتهت مدة إعارتي من الكلية لجريدة عكاظ.. والذي عرفته لاحقاً أن ما قاله الدكتور الرشيد كان يقوله للكثيرين ممن اتصلوا به لتهنئته، ولم يكن عرضاً خاصاً لي.

قد أكون الوحيد والأول الذي باشر العمل معه في مكتبه من خارج الوزارة دون قيد أو شرط أو السؤال عن المردود الوظيفي والمميزات المادية، بينما كان يدخل بعضهم في مفاوضة معه على ذلك، وكان السبب هو إعجابي وارتياحي للعمل مع الدكتور محمد كونه صاحب رسالة، وله رؤية، بل إنني أسهمت لاحقاً في مفاوضة بعض الأسماء بتكليف منه لاستقطابهم للوزارة، وكان حريصاً على استقطاب المميزين مثل الدكتور سعد الراشد للأثار والدكتور ناصر الموسى للتربية الخاصة، والأستاذ يوسف القبلان للإدارة وغيرهم، ولا أنسى معالي الدكتور حمود البدر الذي شاورته في عملي مع الدكتور الرشيد، فأوصى بشدة، وقال: أنت تصلح لأبي أحمد؛ لأنه متحرك وطموح وحيوي.

كان الدكتور الرشيد يدرك أهمية الإعلام وإيصال رسالة الوزارة للمجتمع، وأنه لا يمكن ذلك إلا باستثمار وسائل الإعلام، وكان من ذلك فكرة إصدار ملف صحفي أسبوعي يُجمع فيه ما ينشر في الصحف والمجلات المحلية من نشاط التربية والتعليم، وكذلك الرؤى والملاحظات والمشكلات، ويتم توزيعه على المسؤولين ليزداد تفاعلهم مع نبض المجتمع، ويدركوا الملاحظات على أعمالهم، وكان عددنا قليلاً جداً، ومع ذلك تم تكثيف العمل لإصدار الملف بإمكانات محدودة؛ وبالعزيمة والإصرار صدر الملف وأصبح أسبوعياً مع تقرير يومي، وهذا الملف يؤرخ لمرحلة تاريخية مهمة من عمر التعليم في تلك الحقبة، وكان عملاً توثيقياً يصل للمكتبات في القطاعات الحكومية ويساعد على تقويم أجهزة الوزارة المختلفة، وكان الهدف هو توفير معلومة ورؤية تربوية من خلال ما يتناوله الكتاب المثقفون والمفكرون عبر الصحف والمجلات التي تنشر من واقع مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (رحم الله من أهدى إليّ عيوبي).

الصحف للمسؤولين واللقاءات الصحفية

حرص الدكتور الرشيد امتداداً للخطوة السابقة على إيصال الصحف لمنازل المسؤولين، وكان له أثر معنوي؛ إذ كانت الصحف لا تصل للوزارة مطلقاً في السابق

باستثناء نسخ للإدارة المختصة في المالية بشأن المناقصات، أو لمركز المعلومات في الوزارة، وكان مسؤولو الوزارة يشعرون بالضيق كون الصحف تصل لمسؤولي الوزارات الأخرى بشكل كامل، بينما هم حرموا منها، مما أدى ذلك إلى زيادة تفاعل المسؤولين مع وسائل الإعلام والاستفادة مما ينشر فيها وزيادة الجرعات الثقافية والفكرية والاطلاع على الشأن العام.

سن الدكتور الرشيد سنة حسنة في انفتاح المسؤولين على المجتمع، وأقر نظام اللقاءات الصحفية مع وسائل الإعلام لكبار مسؤولي الوزارة عند أي حدث مهم، واستمرت هذه اللقاءات بشكل يكاد يكون أسبوعياً عند كل حدث أو موضوع جديد في الوزارة.

الشمولية والتفاعل مع الجميع

حرص معالي الدكتور الرشيد على التفاعل مع المجتمع والاستماع إلى آرائهم، لذا قمنا في العلاقات والإعلام التربوي بإعداد قائمة بالكتاب والمثقفين والمفكرين والإعلاميين والأكاديميين الذين سترسل لهم استبانة تحديد الأهداف التعليمية التي أعدتها إدارة البحوث وبلغ العدد ١٥٠٠ شخصية ثم اختصرت إلى ٥٠٠ شخصية، وكانت رؤيتي أن يقوم معاليه بالتوقيع على الخطاب بنفسه، فأيد الوزير الرشيد وجهة النظر هذه ووقع الخطابات مع عبارة أخوكم اللطيفة، مما كان لذلك صدى كبير في المجتمع؛ إذ كتب عنها الكتاب في أعمدتهم، وجاءت ردود ومشاركة جيدة لتعبئة الاستمارة، التي ساعدت على تحديد أولويات عمل الوزارة آنذاك، وحرص الرشيد على الرد على ما ينشر من مقترحات وآراء من الكتاب لزيادة التواصل والاستماع لوجهة نظرهم.

الرياضة المدرسية

لم يكن النشاط المدرسي عند الدكتور الرشيد أمراً ثانوياً أو لا يقيم له أي اعتبار، بل تيقن التربويون أن عهداً جديداً قد كتب للنشاط المدرسي نتيجة أقوال وأحاديث ورؤى الوزير، الذي يؤمن بأن النشاط المدرسي جزءٌ أساس من العملية التربوية، وأنه

لا يمكن بناء الشخصية المتوازنة إلا بالاهتمام بالنشاط المحبب دائماً لدى الطلاب، ولهذا أصبحت إدارات النشاط في الوزارة وإدارات التعليم خلية نحل وعمل دؤوب، لتنظيم أوجه النشاط الطلابي كافة، وحرص معاليه على النشاط الرياضي والثقافي والكشفي والمسابقات والمهرجانات الختامية، حتى شهدت الوزارة عهداً مختلفاً للتعليم، وهو يؤمن أن الرياضة وسيلة أخلاق وتهذيب وتربية وبناء للأجسام والعقول، كما أنها إشغال لوقت فراغ الطلاب بما يعود عليهم بالخير والفائدة والمتعة، وبما يسهم في بناء الشخصية المتكاملة، ولهذا قال: شعارنا هو (الرياضة للجميع، والمتخرجون صفر).

التعليم والأكاديميات في الخارج

وزارة التربية والتعلم وزارة شاملة وكبيرة وتفرعاتها كثيرة، ومن الأمور التي تهتم بها موضوع المدارس السعودية في الخارج، وهي ضمن نشاط الوكالة المساعدة للشؤون الفنية، فبعد مرور شهر من تولي الدكتور محمد الرشيد مسؤولية عمله وزيراً حضر حفل افتتاح الأكاديمية السعودية في (بون) في ألمانيا، والذي رعاه صاحب السمو الملكي / الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز، وقد أقيمت الأكاديمية وفق أفضل المواصفات وبدعم من خادم الحرمين الشريفين، وقد نشرت جريدة عكاظ في ١٣/٤/١٤١٧ هـ خبراً مفصلاً عن افتتاح الأكاديمية وأنها أكاديمية سعودية ١٠٠٪ بهوية عربية إسلامية، ووفق المنهاج السعودي مع بعض التخصصات الأخرى، وهي أمر مهم جداً لتدريس أبناء الجاليات العربية والإسلامية المبادئ العربية النيرة، وكانت رحلة معاليه أول رحلة عمل خارج المملكة، وقد تكون الوفد من الأستاذ إبراهيم الشدي الوكيل المساعد للشؤون الفنية (آنذاك)، والأستاذ أحمد الأحمد مدير عام مكتب الوزير، وإبراهيم الدوسري مستشار معاليه، وكاتب هذه السطور، وكانت هذه الرحلة فرصة كبيرة للتعرف على معاليه أكثر، - وكما يقال: لا تستطيع أن تعرف الرجال إلا بالترحال، وقد اتضحت في هذه الرحلة أريحيته وبساطته وتواضعه الجم، إضافة إلى جديته، فالدكتور الرشيد حريص جداً على الوقت، فنجده يطلب منا الاستيقاظ في الصباح الباكر والبدء بالعمل، وأحياناً من تواضعه هو الذي يقوم بنفسه بالاتصال علينا لإيقاظنا، وقد ألقى معاليه كلمة

متميزة عرضها التلفزيون السعودي الذي نقل الحفل كما عرضتها محطة تلفزيون الشرق الأوسط وراديو وتلفزيون العرب، إضافة إلى التغطية الإعلامية الصحفية المتميزة، وكانت هذه الرحلة أقصر رحلة ممكنة، إذ كانت مدة الرحلة يومين فقط، شهدنا الحفل في يومين ذهاباً وإياباً على متن الطائرة الخاصة التي أُعدت.

الإعلام التربوي

اهتم الدكتور محمد الرشيد بالإعلام التربوي ورسالته العظيمة، كيف لا وهو المخطط والمنظم لندوة: «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟» والتي أقيمت في ٦-٩ شعبان ١٤٠٢ هـ وافتتحها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، وحضرها جمع كبير من الوزراء والمفكرين والمتخصصين في الإعلام والتربية، ونشرت أبحاثها في مجلدات عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، ولهذا كانت رسالة معاليه واضحة في هذا المجال في أن تتعاون التربية مع الإعلام، ويكونان صنوان يسهمان في بناء الشخصية الوطنية السعودية. وبدأنا على خطى معاليه وتوجيهاته في فتح القنوات مع الوسائل الإعلامية، وتم الإعلان على حصر القدرات الإعلامية في قطاع التعليم والاستفادة منهم، واندفع الكثير منهم لإرسال بياناتهم إلى العلاقات العامة، وتم الاستفادة من مجموعة منهم لأوجه نشاط الوزارة المختلفة، وأرسلت أسماء منهم لهيئة إصدار مجلة المعرفة، وهي المجلة التي حرص معاليه على التبشير بها وإعادة نشرها من جديد، والإعلان عنها في لقاءاته مع المعلمين ووسائل الإعلام التي شهدت انطلاقتها في العام الدراسي ١٤١٧/١٤١٨ هـ، حيث دعا معاليه عدداً من المفكرين والإعلاميين إلى اجتماع عمل عقد في فندق الشيراتون لمناقشة موضوع إصدار المجلة، وظهر الاجتماع بتوصيات ببناءه، كما شارك معاليه بتصريحاته في التلفزيون والإذاعة والصحافة.

ولأن الإعلام التربوي رسالته واضحة وعظيمة فقد أصدر معاليه قراراً بتشكيل لجنة لوضع إستراتيجية للإعلام التربوي برئاسة الدكتور محمد الصائغ، حيث تواصلت الاجتماعات على مدار أربعة أشهر، حتى أصدرت الإستراتيجية التي قدمت شاملة لمعاليه.

الوزير في الصحافة

كان عمل العلاقات العامة والإعلام التربوي سهلاً وبسيطاً بسبب تفهم الدكتور الرشيد للعمل الإعلامي، ومتابعته لما ينشر في الصحافة وحسه الإعلامي المتقدم، فهو يرد تقريباً على كل كاتب يناقش قضية تربوية، ويطالب منّا أن نتابع ذلك، وأعترف أن معاليه كان يكشف لنا بنفسه قصورنا بالتبني على مقالة هنا وقضية تربوية هناك، لم نكن نضمنها في الملف الصحفي اليومي الذي نقدمه لمعاليه، ومن أمثلة متابعته للنشاط الإعلامي في بداية عمله رده على مقال للدكتور أحمد درباس في جريدة المدينة، وفيه قال: (أشكر لكم مشاعركم وحسن ظنكم الذي ذكرتموه في مقالكم، وأود التأكيد على أن ما تم إنجازه في وزارة المعارف من نهضة تنموية شاملة غرسها وبدأها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله، ونقول الآن يرحمه الله أول وزير للمعارف يستحق منا جميعاً الإشادة والثناء، ودورنا هو دور تكميلي، وبه نواصل المسيرة، معترزين بالثقة التي أولانا إياها خادم الحرمين الشريفين، الذي يجد منه قطاع التعليم كل اهتمام ودعم ومتابعة، وقال الدكتور درباس في مقال نشر له في ١٤٠٦/٥/٣ هـ بعنوان (تفاعل كريم):

"عندما يتفاعل المسؤول - أي مسؤول - مع رؤية الآخرين، فإنما يفعل ذلك عن قناعة بأهمية الرؤية وجدوى التفاعل وتوظيف التفاعل كإستراتيجية للتعاطي مع مختلف الأطروحات المتعلقة بشأن من الشؤون ذات المساس المباشر (بحيوات) الناس تنبئ بالضرورة عن إحساس مفعم بالمسؤولية تجاه الآخرين بصرف النظر عن صوابية بعض أو كل المطروح من عدمها، طالما أن الغرض الأسمى من التفاعل هو تمهيد الطريق أمام الفعل البناء؛ إما بإقصاء العوائق إن وجدت، أو باستجلاء المعالم إن التبست. ومعالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد يضرب المثل ويؤسس القدوة على نحو غير مسبوق، إلا فيما ندر، يتبنى منهج التفاعل من أجل الفعل مع كل طرح موضوعي تحمله وسائل الإعلام، رغبة منه في التواصل مع نبض الواقع الذي خبره عن قرب، ويود سبر غوره على نحو أعمق لكن من خلال رؤية الآخرين له؛ إذ إن اختلاف زوايا

النظر تحدد معالم المنظور على نحو أكمل - كما يقولون - وتفاعل معاليكم مع ما كتبنا في هذه الزاوية لأسابيع خلت، واهتمامكم الشخصي بكل ما يتعلق بالشأن التربوي لدليل ساطع وبرهان قاطع على عزمكم الأكيد في النهوض بأعباء الأمانة الجسيمة والمسؤولية العظيمة، التي وفق مولاي خادم الحرمين الشريفين باختياركم للنهوض لها، ثقة منه يحفظه الله في قدراتكم، واثميناً منه لمنجزاتكم في الميدان التربوي على مدى عقود خلت".

أما جريدة المدينة فقد كتبت في صفحتها الأخيرة بعنوان: الرشيد متابع جيد للصحافة: "معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف يتابع باهتمام المقالات والزاويا والمطالب، التي تنشر على صفحات الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية، والتي تخص التربية والتعليم، تحديداً وزارة التربية الدكتور الرشيد لا يكتفي بقراءة ما ينشر، ولكنه يستجيب تارة، وتارة أخرى يوجه خطابه للكتاب والصحف مدلاً، علماً أن الملاحظات التي نشرت أخذت في الاعتبار. فوجه معاليه رسالة رقيقة لهذه الصفحة، ليؤكد اهتمامه بما نشر عن المباني المدرسية التي تأخذ اهتماماً كبيراً من متابعة زملائه في الوزارة".

ويلحظ سرعة تجاوب معاليه مع ما يكتب وكذلك شمولية ذلك، بمعنى أنه تقريباً لا يوجد كاتب أو مثقف أو قارئ كتب عن الدكتور الرشيد أو وجه له مقولة إلا وأجابه بخطاب خاص يصله مباشرة، وقد علق على ذلك الكتاب في زواياهم، أمثال (عبد الله الجفري، محمد صلاح الدين، علي العمير، علي عمر جابر، ومحمد عمر العامودي، وعبد العزيز الذكير، ومحمد الصويغ، وسعد الدوسري، والدكتور فوزية البكر، وهدي الدغفق، وخيرية السقاف، وهيا المانع، وعبد الله الجعيثن، ومحمد رضا نصر الله، ويوسف دمنهوري، وحسين الغريبي، ومقبول الجهني، وعلي حسون، وناصر اليجوي، وعلي العبد القادر، وعبد الله الطويرقي، وعبد الواحد الحميد، وفهد السلطان، ومحمد الوعيل) وغيرهم كثير، وكان ما كتبه جهير المساعد في ٨/٥/١٤١٦هـ أنموذجاً لحجم التفاعل بين معاليه والصحافة، حيث كتبت تقول: "تلقيت خطاباً مؤثراً دعا شهيتي إلى

الورق من جديد للكتابة عن التعليم، وكنت أحسب أن الكتابة في مثل هذا الموضوع لم تعد ذات جدوى، ومهما تعددت وتكاثرت وكثرت لن تلم بكل ما نريد أن نقوله، ولن تغطي مشكلات التعليم القائمة حالياً، التي تحتاج كل منها إلى دراسة مستقلة لا تصح فيها زوايا الصحف... وزير التربية من حيث لا يدري أو يدري جدد بي الثقة، وأعاد إليّ الأمل بالغد الذي ننتظر أن يكون أفضل؛ ليس لأنه أمطرنى بوابل من الكلمات الطيبة قال فيها: (اطلعت بكل إعجاب على مقالك المنشور في ٢٧/٣/١٤١٦ هـ حول مهنة الطبيب والمعلم، وما تضمنه المقال من مقترحات وأفكار بناءة في الاهتمام بمعلم الابتدائي، كونه الذي يضع الأساس السليم في العملية التعليمية، أشكر لكم هذا الطرح الوافي والأفكار النيرة، وسأخذ - إن شاء الله - كل بحث ودراسة باهتمام".

"إن ما ورد في خطاب معالي وزير المعارف أسعدني وجدد الثقة بي، لأنني أدركت حميمية النسيج المتقن الذي يربط الصحافة والمتلقي بين من يكتب بأمانة ومن يقرأ بحياد وغاية. والأكثر ابتهاجاً أن يكون القارئ مسؤولاً واعيّاً حماه وعيه من الوقوع في مغبة الانفعال أو الغضب أو التثبث بوجاهة المنصب، التي غالباً ما تكون الإطار الذي يتخذه بعض المسؤولين في التعامل مع الآخرين، الذين يناقشون هموم هذه المسؤولية ولا يمارسونها مثلنا نحن الذين نكتب على ورق الصحف".

"لقد استطاع وزير التربية أن يفلت باقتدار بارع من قيد كل هذه الشكليات التي تضع الحواجز بينه وبين الناس وتقدم بنفسه لتحمل المسؤولية والمواجهة اضطلاعاً بواجبه وحرصاً على مستقبل جيد، وضعت في عنقه وأمانته! لذا كتبت عن هذا الخطاب المؤثر في زاوية اليوم هو ليس خطاباً لي؛ هو خطاب للمسؤولية وللناس وللمستقبل يؤكد أننا بخير، لو كان كل مسؤول لا يجد غضاضة في أن يكون في الواجهة وفي المواجهة، ولمعالي وزير التربية أصدق مشاعر التقدير على المبادرة وعلى صدق المسؤولية وعلى الخطاب".

جولات الوزير التفقدية

من الأمور التي حرص عليها الدكتور الرشيد منذ بداية عمله هي الجولات التفقدية والزيارات المختلفة، التي قام بها لمختلف مناطق المملكة، وكانت أول رحلاته إلى المنطقة الشرقية في ١٠/٥/١٤١٦ هـ وتشرفت بمرافقته بصحبة المهندس عبد الله الفوزان والأستاذ أحمد الأحمد.

وفي هذه الرحلة بدأت أشرف بالتعرف على معاليه أكثر، وكانت أبرز ما لحظته هو دقة العمل والحرص على الإنجاز، إذ كان يحرص على أن يبدأ عمله مبكراً، فوصلنا كان مساء الثلاثاء، واستقبلنا الدكتور صالح الدوسري المعين حديثاً، ثم بعد الذهاب للفندق غادر معاليه لإلقاء محاضرة بعنوان: (الشباب والمستقبل) بدعوة من النادي الأدبي بالشرقية، حتى وصف الأستاذ عبد الرحمن العبيد -رئيس النادي الأدبي آنذاك- ذلك الحضور بأنه أكبر حضور يشهده النادي، كما شرف الحفل سمو نائب أمير المنطقة الشرقية الأمير سعود بن نايف آنذاك، وحفلت المحاضرة بتفاعل من الجمهور وأسئلة ونقاشات جميلة وقد حرص معاليه على تلبية عدد من الدعوات من سكان المنطقة، وبعضهم أصدقاءه وأحباؤه، ومنهم الأستاذ عبد الرحمن العبيد، الذي احتفى بمعاليه بعد مغرب يوم الثلاثاء، وكذلك تناول العشاء عند أحد أصدقائه الأستاذ عبد المحسن المنقور وهو أديب وملحق ثقافي سابق في بيروت ومقيم في الشرقية منذ سنين، وحضر حفل العشاء عدد من مثقفي الشرقية ومديري الجامعتين وغيرهم، كما زار معاليه جريدة اليوم بناء على دعوة من رئيس تحريرها - آنذاك - الأستاذ سلطان البازعي والتقى بأسرة التحرير بحضور عدد من كتابها، أما صباح يوم الأربعاء فقد قام معاليه بجولة تفقدية حرص فيها على رؤية الوضع على الطبيعة، فتعدت المدارس المستأجرة والمباني القديمة، وكان يسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ولا أنسى موقفاً إنسانياً تأثر من خلاله معاليه حينما دخل على أحد فصول الصف الأول ابتدائي فقام الأطفال للترحيب به، فنظر إليهم نظرة تأمل وحب وعطف ولحظت عمق تأثره وإنسانيته وحسه العاطفي، وكأني به يقول: (هذا هو مستقبل الأمة ومستقبل الوطن.. إنهم أمانة في أعناقنا) كانت

وقفه معاليه مُلَاَحَظَةً، وفيها كان الموقف يتصف بالجدية بصورة واضحة، كان يصافح المعلمين ويحدثهم بلطف ويستمع إليهم، وكان يسأل الطلبة يناقشهم ويسألهم عن مستقبلهم، كان يحرص في زيارته المدرسية على زيارة المختبرات وكيفية عملها والمكتبة ومحتوياتها، وكان يناقش كيف يتعود الطلبة على ارتياد المكتبة، كما يتأكد من الساحات ومن نظافة المدرسة ومن أعمال المرشد الطلابي والنشاط المدرسي والبرامج الرياضية والشبابية والاطلاع على المقصف ونوعية مأكولاته، وكان يحث على وجود الحليب والأكل المفيد والابتعاد عن المشروبات الغازية وكل ما يضر الطلبة.

وقد دارت مناقشات عديدة بعد هذه المحاضرة القيمة لمعاليه.

ولا يمكن أن أنهى الحديث عن رحلة الشرقية دون الحديث عن أول لقاء مفتوح لمعاليه، يعقده مع مشرفي ومديري ومعلمي المنطقة الشرقية، إذ كانت الفرصة مواتية للجميع للاستماع إلى وزير التربية، وهو يتحدث عن برامجه وخططه المستقبلية، وهانني حسّ معاليه الإنساني وبساطته في التحدث للمعلمين وحرصه على إزالة الرسميات والشكليات والانطلاق إلى المضمون، كما أنه لا يحيد الأسئلة المكتوبة، ويطلب من الجميع التحدث مباشرة وتوجيه السؤال دون حواجز.

وقد نشرت جريدة اليوم تغطية للقاء معاليه مع منسوبي التعليم بالشرقية في ١١/٥/١٤١٦هـ، وجاء فيه: (أكد معالي وزير التربية الدكتور محمد بن أحمد الرشيد أن رسالة التعليم سامية ومهمة، وأنه كان له شرف الانتماء إليها منذ أكثر من ثلاثين سنة. وأضاف أن عشقه لهذه المهنة لا يوازيه عشق (رفع معنوية المعلمين وأن مهنتهم شرف وأنه برغم أنه وزير إلا أنه يغبطهم على هذه المهنة... وسيلة رائدة للتخاطب مع المتلقين) وطلب معاليه في أثناء لقائه بمديري المدارس ومنسوبي التعليم بالمنطقة الشرقية العون والمساعدة في أداء عمله، وأن يتم العمل بالوزارة أو إدارة التعليم - والأهم بالمدرسة - بروح الفريق الواحد وعدم الأنانية، وأن يكون العمل جماعياً (إشعار الجميع وإشراكهم في المسؤولية)، وقال معاليه: إن هناك شرطاً أساساً لكل معلم، وهو مساعدة المتعلم على الإقبال على ما نعلمه إياه بكل حب، وأن يبتعد عن الضرب والزجر؛

لأنه غير مجد، وأنه إذا أراد الإنسان أن يكون ناجحاً فلا بد أن نزرع في نفوس من نعلمهم روح الحرص لكي يتعلموا منا، وأضاف لا بد أن نجعل الطالب كالحلقة، يتنقل بين الزهور يقطف من العلوم ما يشاء برغبة وحب وحرص وشوق، وأن نغرس في نفوسهم التوجه إلى معرفة العلوم واكتساب المعرفة. وقال الدكتور الرشيد في حوارهِ وإجاباته عن أسئلة مديري المدارس والموجهين: إن هناك لائحة جديدة للاختبارات راعت عملية القياس والتقويم للطالب، بحيث تكون مرنة وسلسة، وستعرض على اللجنة العليا لسياسة التعليم لمناقشتها واتخاذ الخطوات لإقرارها، وأضاف: نرجو أن تتمكن بعد صدور اللائحة من أن نزيل الطوارئ والرعب لدى بعض الأسر عند قدوم الاختبارات (اللائحة درست وأعدت ونوقشت وعمل بها... وعد ووفى).

وتحدث وزير المعارف عن السرفي تقدم أي دولة وأي مجتمع هو الاهتمام بالتعليم والمعلم، وشدد على العمل الجماعي وبروح الفريق الواحد، وأن يطلب مدير المدرسة العون والمشورة من زملائه المعلمين، وأن يتحاور ويستمع إليهم وإلى آرائهم واقتراحاتهم. ووجه وزير التربية رغبته إلى مديري المدارس والمعلمين بأن الأهم ليس تعليم الطلاب المعرفة والعلوم، ولكن الأهم هو تعليمهم كيف يتعلمون، وإنشاء التذوق الأدبي لديهم، وإيجاد روح الاكتشاف والإبداع في المختبر، وكيف يتعلمون كل جديد ومواكب للتطور. وقال معالي الدكتور الرشيد: إننا نتطلع برغبة عارمة إلى صلات قوية بين المدرسة وأهالي الحي، ونجعلهم يشعرون بنا ونستمع إليهم وإشراكهم في المسؤولية في المدرسة التي ائتمنونا فيها على أعلى وأثمن ما لديهم، لا بد من فتح المدرسة لهم، نحن بحاجة إلى تعاونهم وزياراتهم وإشعارهم إن دورنا كبير، ولا بد من وقوفهم معنا من أجل أبنائهم، إن هناك رسالة سامية ومهمة يتحمل كل مدير مدرسة وكل معلم أن يوصلها لسكان الحي وأولياء الأمور، بأن المدرسة ترحب بهم وبآرائهم في العملية التعليمية وفي المناسبات الأخرى، وأن المدرسة جزءٌ منهم، وعلينا أن نغرس في نفوس أبنائهم الإقبال على المدرسة برغبة ومحبة وشغف، وأن يحافظ عليها مثل منزله وأكثر. وعن صيانة المدارس قال معاليه: لدينا أكثر من ١٠٦٠٠ مدرسة لجميع المراحل التعليمية، والنمو

لدينا بالمملكة نمو بشكل مذهل وكبير، ولكن أقول: إنه إذا أحسنت إدارة المدرسة في عملها وعملت بروح الفريق ووجدت التعاون من الأهالي، وتم استثمار ذلك التعاون، فإننا سنجد مدرسة لطيفة، أنيقة نظيفة لا شكاوى منها أو عليها، فقط تعاون إدارة المدرسة وتفهمها لدورها في هذا المجال.

وأكد معالي الوزير على استمرار أي طالب حتى آخر حصة، وأن نغرس في نفوسهم احترام الوقت وعدم إضاعته (احترام الوقت من هنا يبدأ غرسه) وشكر وزير التربية مدير المدارس على دورهم هذا العام في بدء الدراسة في أول يوم دراسي، وقال: أتمنى أن يستمر هذا النهج باستمرار، وأن تكون الدراسة حسبما حدد لها من الجهات المختصة، وألا نهدر أي وقت).

انتهى كلام الدكتور الرشيد في أول لقاء مفتوح مع منسوبي التعليم في الشرقية، وأتركه للتاريخ ولحقيقة محلي التعليم في بلادنا، ليدركوا فكر الرجل ووعيه من خلال لقاءاته وأعماله وإنجازاته.

الوزير في بيشة

قد يكون الوزير الرشيد من أكثر الناس إيماناً بأهمية الجولات التفقدية المفاجئة وزيارات المناطق والمحافظات والالتقاء بمسؤولي التعليم مباشرة، وقد حرص معاليه على أن يزور بيشة، وأن يقوم سمو الأمير خالد الفيصل أمير المنطقة -آنذاك- بافتتاح عدد من المشاريع التربوية، وأهمها مشروع كلية المعلمين في بيشة، الذي تم الانتهاء منه بصفته أحد المشاريع التربوية العملاقة في بلدنا الحبيب.

وقد وصل معاليه لمحافظة بيشة مساء الثلاثاء ١٦/٥/١٤٠٦هـ يرافقه وكيل الوزارة الدكتور عبدالعزيز الثيان وعدد من مسؤولي الوزارة، وقد استقبل استقبالاً يمثل الحب الكبير الذي يحمله الجميع لمعاليه، كما توجه بعد المغرب للالتقاء بالمديرين والموجهين والمعلمين، الذين امتلأت بهم قاعة إدارة التعليم في بيشة وحضر اللقاء (٣٠٠ مدير وموجه)، وقد بدأ معاليه الحديث بقوله: إننا جئنا للتعرف عليكم، وكان بودنا

أن نصافح كل واحد منكم لولا ضيق الوقت، وأضاف بأن مهمتكم نبيلة وعظيمة، وتستحق التضحية والصبر والتفاني والعمل الجاد، وقال معاليه: إنكم مؤتمنون على أغلى شيء، وهم الأبناء فلذة الأكباد، وأضاف: إن أولياء الأمور وضعوا أمانتهم عندكم، فأحسنوا رعايتها والاهتمام بها، على أنها الثروة البشرية التي نعز بها جميعاً، وقال: إن النظر إلى الأمم التي بلغت شأواً في الحضارة والتقدم كان لديها الاهتمام منصباً على الإنسان، فهذه الدول ليس لديها ثروة مادية أو خلافه، وإنما كان لديها الإنسان والاهتمام به وتفجير طاقاته وإبداعاته. ومن ينظر إلى اليابان وكيف خرجت مهزومة مهيضة الجناح، ولكنها في مدة قصيرة وبسبب الإرادة والعزيمة والاهتمام بالتعليم والإنسان وصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم نلمسه في نتاجهم وآلاتهم التي تنتشر في منازلنا ومقر أعمالنا وفي كل مكان، ومثل ذلك ينطبق على تايبيه وكوريا الجنوبية وسنغافورة، وأخيراً دولتين إسلاميتين هما ماليزيا وأندونيسيا. وأضاف معاليه بأن لدينا أمراً عظيماً نعز به دائماً هو ديننا الحنيف، الذي حث على شحذ الهمم والعمل الدؤوب والطموح المتواصل إلى الأمام دائماً، وقال: «إن من أهم الأمور لدى العاملين في القطاع التربوي والتعليمي هو أن يأخذوا عملهم على أنه رسالة وليست وظيفة، ومن هنا يأتي العمل والإنجاز والإبداع للاهتمام ببناء الإنسان».

وفي صباح الأربعاء ١٧/٥/١٤١٦ هـ قام معاليه بافتتاح مدرسة تحفيظ القرآن الكريم، وتفقد عدداً من المدارس الحكومية، ثم تجول في كلية المعلمين في بيشة، وعقد أول لقاء مع عمداء كليات المعلمين الذين دعاهم معاليه لحضور حفل افتتاح كلية المعلمين في بيشة، ثم العمل على عقد اجتماع مهم للكليات لمناقشة عدد من الأمور التي تهمها، وخرج الاجتماع بتوصيات عديدة، أهمها تشكيل لجنتين: إحداها لبحث إمكانية إنشاء مجلس أعلى للكليات ووضع اللوائح والأنظمة، والأخرى لبحث مشكلات القبول والتسجيل في الكليات، وفي الواحدة ظهر وأصل سمو الأمير خالد الفيصل من أبها إلى بيشة، وبدأ الحفل الترحيبي بسموه، وألقى معالي الدكتور الرشيد كلمة شكر فيها الأمير خالد على حضوره وتفاعله، وقال: إن حرارة المناسبة وحبّي لشخصكم الكريم

يجعلني أرتجل الكلمة ارتجالاً، وأضاف لقد حضر معي وكيل الوزارة والوكلاء المساعدون والمسؤولون في الوزارة وعمداء ١٨ كلية من كليات المعلمين، حيث جئنا لتتعرف على هذا الجزء الغالي من بلادنا، وأن نتشرف بكم والاجتماع معكم، لقد جئنا البارحة وعقدنا اجتماعاً مع المديرين والموجهين في المنطقة وكان لقاء مثمراً، ووجدت فيهم عزيمة الرجال وخرجنا بنتائج جيدة، أهمها بأن الأمم تُبنى بالإنسان، وأن أسمى رسالة هي رسالة التعليم، وتحدثنا طويلاً كيف نصل بأمتنا إلى أفضل المواقع في ظل رعاية خادم الحرمين الشريفين، ودعم هذه الأسرة الملكية الكريمة الفاضلة، التي عودتنا على كل الخير لكل إماراتنا ومحافظاتنا، وقال: إن اجتماعاً أيضاً تم مع عمداء الكليات وتم التأكيد من الجميع بأن جيلاً قادمًا سيلحق بهذه التنمية إلى آفاق أرحب وأبعد، وأضاف بأن الكل يلهج لك بالشكر على جهودكم، وأن ما حدث للمنطقة من تقدم وازدهار هو بفضل الله ثم بجهدكم وصبركم وحسن تخطيطكم.

بعد ذلك جرى تكريم الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن آل الشيخ مدير تعليم بيشة سابقاً ضمن خطوة غير مسبوقه لتكريم رواد التعليم في المملكة، تلاها خطوات في مختلف مدن المملكة، ثم افتتح سمو الأمير خالد كلية المعلمين ببيشة إيداناً بعهد جديد لهذه الكلية، ثم غادر معاليه بيشة في السادسة والنصف بعد أن ودع معاليه سمو الأمير خالد الذي توجه إلى أبها، وقد نشرت جريدة الرياض تقريراً موسعاً عن الزيارة في ١٧/٥/١٤١٦ هـ وفي عكاظ في ١٩/٥/١٤١٦ هـ وجريدة المدينة في ١٧/٥/١٤١٦ هـ.

رحلته خارج المملكة

سمعت كثيراً عن اليونسكو وكونها إحدى منظمات الأمم المتحدة، ولكنني أجهل كثيراً عنها، وحينما علمت أن معالي الوزير سيت رأس وفد المملكة إلى مؤتمر اليونسكو العام الذي يعقد كل عامين بدأت بالاطلاع فوراً ومعرفة هذه المنظمة العالمية العريقة، وأما الرحلة إلى هذا المؤتمر فقد سبقها رحلة شرفني معاليه بمرافقته وذلك لحضور اجتماع الموسوعة العالمية، الذي يمثل معاليه الدول العربية قاطبة بصفته عضواً أساساً

لوضع الخطط العريضة ومراجعة إصدارات الموسوعة، وكان الاجتماع في لندن، وغادرنا على الخطوط البريطانية بعد أن حضر معاليه اجتماع مجلس الوزراء، وكان معاليه نعم صاحب في السفر بدقته وتواضعه وحسن تعامله وجديته، وكنت أعتقد أنه حال وصولنا إلى مطار لندن فإنه قد أعدت العدة لاستقبالنا وما يترتب على ذلك من فتح صالة كبار الزوار وترتيبات الاستقبال وغير ذلك، كيف لا ومعاليه وزير التربية وعضو مجلس الوزراء في دولة مهمة كالمملكة العربية السعودية، وقلت لمعاليه بعد هبوطنا في مطار لندن عن الترتيبات فابتسم بتواضع قائلاً: سيكون في استقبالنا الصندوق الأسود أو التجوري الأسود، وتساءلت في نفسي: لعله يقصد وفداً من السفارة أو ما يماثله، وبعد أن نزلنا المطار فوجئت أننا نسير لوحدها ثم نتجه للجوازات ثم الجمارك ثم الحقائق، وهو بنفسه يحرص على حمل حقيبته وأغراضه.

وبعد أن خرجنا إلى المطار إذ بالتاكسي الأسود اللندني المعروف أمامنا، وحينها قال معاليه هذا هو الصندوق الأسود الذي أخبرتك، وذهبنا إلى الفندق وأنا غير مصدق لهذا الذي أراه مقارنة بالكثيرين الذين يعيشون المظاهر، ويشعرون بعقدة النقص لديهم في الحرص على كثرة المرافقين، وكثرة المستقبلين، وكثرة المظاهر البراقة المخادعة. ولأن وصولنا نهاراً فقد وضع معاليه البرنامج على أساس ممارسة رياضة المشي فوراً، وهي واجب يومي يمارسه معاليه لمدة ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات، وأعان الله من يمشي معه -ككاتب هذه السطور- الذي يبدأ متحمساً منطلقاً محاولاً مجاراة معاليه حينما يمشي بملابسه الرياضية في حديقة الهايدبارك في لندن مثلاً، ثم ما أن تمر الربع الساعة الأولى حتى أبدأ باللهاث طالباً الراحة في أقرب كرسي، ولأن المشي عادة عبارة عن استدارة طويلة حول الحديقة، فإنني أرى معاليه يعبر غادياً ورائحاً وأنا من فرط التعب لا أقوى على الحراك، وهكذا يحرص معاليه على ممارسة الرياضة، ثم اقتطاع جزء من وقته للعمل ومتابعة الاتصالات التي تأتي من السعودية، ويحرص معاليه على قراءة الصحف المحلية للبلد الذي نكون فيه، وفي لندن يحرص على الهيرلد تريبيون والإندبندنت والتايمز والجارديان وغيرها، وبدأ مؤتمر الموسوعة

العالمية، وكنت سعيداً بحضوره، وأنا ألمس حماسة معاليه وقدرته على التأثير في نشاط وفعاليات الاجتماع وحرص معاليه - كعادته - في كل زيارته على استثمار الوقت الفائض حتى ولو كان قليلاً، فقد قام بزيارة السفير الدكتور غازي القصيبي -رحمه الله- وعقد معه اجتماع عمل حول الأوضاع التربوية وإمكانية الاستفادة من التجربة البريطانية، وكذلك أوضاع أكاديمية الملك فهد السعودية في لندن وسبل تطويرها، وقابلت معالي الدكتور القصيبي - رحمه الله - الذي حيا الدكتور الرشيد وأشاد بتواضعه وضرب مثلاً بحجم الجهد الموجود على السفارة، وقام معاليه بزيارة للأكاديمية واطلع على مناهجها وخططها وعمل على حل إشكالاتها وتطوير أداء عملها، ثم شرفني معاليه بالسفر معه إلى جنيف لمقابلة سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي كان يستعد للسفر لرئاسة وفد المملكة لاجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وشرفني معاليه بصحبته وبمقابلة سمو سيدي الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله-، وكان لقاء تشرفت بالحديث إلى سموه والاستماع إلى ذكرياته مع والدي الشيخ صالح بن مصبيح -رحمه الله- الذي وصفه سموه (بأنه مطوعي) وروى مواقف حول أريحيته ونفسه المرحلة، ثم تشرفت بتوديع سموه في المطار مغادراً إلى نيويورك، وبقيت مع معاليه ليلة واحدة ليعود إلى المملكة على طائرة الخطوط السعودية لحضور اجتماع مجلس الوزراء، ثم العودة مع الوفد السعودي لليونسكو في يوم الثلاثاء ١٤١٦/٥/٣٠ هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/٢٤ م.

وغادرت إلى لندن على أن أغادر منها إلى باريس لترتيب إقامة معاليه واستقباله هناك، وكانت مفارقة معاليه بالنسبة لي صعبة جداً كوني عرفت فيه الخلق الفاضل والتعامل الحسن والتواضع الرائع، وأذكر أننا يوماً في عمل، حيث يعد معاليه الكثير من الأفكار والنشاط، وأذكر منها مثلاً الإعداد للإصدار التربوي الجديد، مجلة المعرفة حيث وضع معاليه الأهداف من هذا الإصدار، وبدأنا بكتابه أسماء المدعوين للحفل الذي أقيم لمناقشة الفكرة مع عدد من الإعلاميين والمثقفين في المملكة، وهو الأمر الذي قمت بمتابعته بعد عودتي، لقد كان معاليه يوظف كل دقيقة لمصلحة وطنه، إما بالحديث والنقاش أو بالتوجيه والكتابة ومتابعة الأفضل في المجالات التربوية.

مع سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبد العزيز

حدث موقف مهم في رحلة جنيف وهو مقابلة معاليه لصاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز، حيث اتصل معاليه بسموه الذي يسكن في فندق آخر في جنيف، وكان معاليه يريد أن يذهب إلى زيارة سموه والالتقاء به، فأصر سموه على أن يأتي شخصياً لزيارة معاليه، وقال له: أنت أستاذي في مدارس الرياض وأستاذ جيل كامل ومثلك من يزار ويؤتى إليه، وفعلاً قام سموه بزيارة معاليه في مقر سكنه، ودار حوار تربوي جميل، اتضح لي فيها رجاحة عقل الأمير عبد العزيز وتواضعه، ومكانة الدكتور الرشيد العظيمة لدى سموه، حقاً لقد كان موقفاً مؤثراً يدل على إعزاز العلم وتقديره.

المشروبات الغازية

من الأمور التي يحرص معاليه عليها في أثناء زيارته للمدارس هو تفقد المقصف المدرسي، والتأكد من نظافته ونوعية المأكولات فيه، وكان دائماً يحث الطلاب والمعلمين والمديرين والعاملين في المقاصف على أن يقدم لطلابنا الوجبات المفيدة، التي تعود على أجسامهم بالخير والصحة، لذا شن معاليه حرباً ضروساً ضد المشروبات الغازية، وبيان خطورتها على الطلاب، وأثرها على أجسامهم، وتأثيرها على صحتهم ونموهم وأسنانهم، وحرمانهم من الأكل الصحي نتيجة تعلقهم بهذه المشروبات، ولهذا بادر بإلغاء مكائن المشروبات الغازية، وفي ذلك يقول الدكتور محمد العصيمي -وكيل وزارة التربية المساعد لشؤون الطلاب آنذاك - في تصريح لجريدة البلاد في ١٤١٧/٦/٢١هـ بأن إلغاء مكائن المشروبات الغازية جاء بعد دراسة أثبتت عدم جدوى هذه المشروبات وتأثيرها على صحة الطلاب وسلامتهم، وكان معاليه قد أصدر تعميماً بإلغاء هذه المكائن، وقد قوبل من المواطنين وأولياء الأمور، وفعلاً تحقق منع المشروبات الغازية تماماً من مدارسنا؛ لأن ذلك هو القرار السليم دون مسابرة العواطف التجارية.

الرشيد يدعو الكتاب من أجل المجلة

الحس الشوري الموجود عند معالي وزير التربية يجعله دائماً يشاور ويحاور ويناقش قبل اتخاذ أي قرار، وحينما أقدم معاليه على إصدار مجلة تربوية لوزارة التربية حرص معاليه على دعوة أصحاب الشأن من أهل الفكر والإعلام والتربية والثقافة للاستفادة من آرائهم، فقام معاليه بتوجيه الدعوة لعدد من الإعلاميين والكتاب ورجال التربية لاجتماع رائع عقد في فندق الشيراتون في الرياض، وكانت أول تجربة للعلاقات العامة في الوزارة لترتيب إسكان واستقبال وترتيب حفل لضيوف الوزارة، مكثها مستقبلاً من اكتساب الخبرة، ومن ثم المران على الحفلات والزيارات التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً. وقد دار الاجتماع لإصدار المجلة قرابة الأربع ساعات عقبه حفل عشاء وانطباع رائع من المثقفين حول هذا اللقاء المهم، وفي ذلك نشرت المدينة في ١٤١٦/٧/٢ هـ خبراً بالعنوان أعلاه قالت فيه: (معالي الدكتور الرشيد دعا نخبة من الكتاب والصحفيين والمتخصصين من رجال الفكر والأدب والإعلام لاجتماع سيعقده معاليه بمكتبه بالوزارة الأحد القادم، وذلك لتبادل الآراء حول عزم الوزارة إصدار مجلة متخصصة تعنى بشؤون المعلم والتربية والتعليم.. الدكتور الرشيد وجه الدعوة لرئيس تحرير المدينة الأستاذ أسامة السباعي والأستاذ محمد صلاح الدين والأستاذ محمد عمر العامودي والدكتور عبد الله مناع وسعيد السريحي وغيرهم)، كما حضر الاجتماع الدكتور عبد الرحمن الأنصاري والدكتور ساعد الحارثي وفهد العريفي والدكتور عبد الله الجاسر، وسلطان البازعي والدكتور عبد الواحد الحميد وغيرهم.

مجالس المناطق والمدارس

من أبرز إنجازات معاليه خلال حقبة عمله التي مضت، هو محاولة حل إشكالية طلبات فتح المدارس، التي يتقدم بها سكان القرى والحجر ووجهاء القبائل للوزارة في مناطق لا تنطبق عليها الضوابط، وبطريقة تترك الوزارة، وتكلف الدولة مبالغ طائلة، وكذلك لا تملك المدرسة مقومات المدرسة حقاً، حيث إن العدد قليل لكي يتم توفير

البيئة التربوية المناسبة، لذا عمل معاليه على إشراك مجالس المناطق في هذا الأمر، وتفعيل هذه المجالس، وإعطاء الصلاحيات التي تتناسب مع قرارات وأنظمة نظام المناطق. وقد نشرت جريدة الرياض خبراً عن هذا الموضوع يوضح إجراءات هذا القرار الذي خفف المراجعين على الوزارة، وبين تفهم ووعي سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وحسه الإداري الناجح، وأذكر أن معاليه مع بداية عمله قال: إن وقتي في الوزارة موزع بين أربعة أشياء تشغلني عن التخطيط المستقبلي للعمل التربوي في الوزارة، وهذه الأمور الأربعة هي (طلبات نقل معلم من مكان إلى آخر، وطلبات فتح المدارس الجديدة، وطلبات قبول واستثناء طلاب للدخول في كليات المعلمين، وطلبات استثناء لاختبار دور ثالث). أما نص الخبر فيقول في جريدة الرياض ١٤١٦/٧/٢٠هـ: (وجه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أصحاب السمو الملكي الأمراء وأصحاب السمو والمعالي أمراء المناطق رؤساء مجالسها بالاهتمام والعناية بمشاركة وزارة التربية في دراسة طلبات إحداث المدارس الجديدة وإبداء الرأي في كل طلب على حدة؛ وذلك حرصاً من سموه على توفير التعليم حسب أعداد الطلاب وبما يتفق مع قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم المنظم لكيفية وأسلوب إحداث المدارس، ووزارة التربية تأمل أن يكون لهذا التنظيم الأثر الكبير في تركيز المدارس وتوفير التعليم في المكان المستحق لذلك في كل منطقة بل وكل محافظة، وسيحقق كل طلب وعلى ضوء قرار اللجنة العليا لسياسة التعليم عدالة في توزيع المدارس على الأماكن المحتاجة، وسيكون عامل ضمان لاستمرار ونمو المدارس التي يتم افتتاحها نظراً لقدرة المجالس على تقدير نمو كل مكان حاضراً ومستقبلاً، وأهابت وزارة التربية بجميع أصحاب القرى والهجر الذين لديهم تجمعات طلابية مراجعة إدارات التعليم التابعين لها).

الرواد في مكة المكرمة

ضمن جولة معاليه التفقدية في مكة المكرمة أقامت الإدارة العامة للتعليم بمكة المكرمة حفلاً لتكريم الرواد المتفوقين في مكة المكرمة، وهؤلاء هم مكنم اهتمام معاليه، حيث يرى أن الوفاء يجب أن يكون لهم عرفاناً لما قدموه، وبعد أن كرم الشيخ

عبدالعزیز آل الشیخ فی بیشة، حرص معالیه علی تکریم رواد التعلیم فی مكة المكرمة، وهما الأستاذان الجلیلان عبد الملك الطرابلسی ومحمد الخزامی، اللذان یعدّان من الرعیل الأول للمسیرة التعلیمیة فی بلادنا، حیث أسهما خلال سنواتهما الطویلة فی تریبة وتعلیم العدید من أبناء هذا الوطن، وذلك بتقدیم الدرّوع التذکاریة لهما وشهادات تقدیر علی عطائهما التعلیمی، وحرص معالیه علی إعداد کتیب خاص عن الرائدین وتاریخ حیاتهما وسیرتهما العطرة، وكلاهما قد تجاوز المئة عام، وكان المنظر بهیجاً فی الحفل الذی حضره أكثر من ألف شخص، یتقدمهم معالی الدكتور محمد عبده یمانی -رحمه الله- ومعالی الدكتور سهیل قاضی مدیر جامعة أم القرى آنذاك وعدد کبیر من مثقفي وأکادیمی أم القرى. وقد طفرت الدموع من الشیخین الجلیلین وأسرهما وهما یتلقون هذا التکریم الرائع، والجمیل فی الأمر أن الشیخ الطرابلسی قد تم تکریمه فی أبها وفی الریاض بصفته أحد الرواد قبل أن یتوفاه الله فی شهر صفر الذی تلا تکریمه علیه رحمة الله، وكان یحضر بنفسه الاحتفالات رغم تقدمه فی السن، وقد نشرت الریاض فی ۱۶/۷/۲۳هـ تغطية مفصلة عن حفل التکریم تضمن مقتطفات من الکلمة التی ارتجلها معالیه بدأها قائلاً: (إنی أحمل لکم حب وتقدير قائد المسیرة خادم الحرمین الشریفین الملك فهد بن عبد العزیز أیده الله ولأبنائه الطلاب) ونوه معالیه بالدعم اللامحدود الذی تلقاه وزارة التریبة والتعلیم من لدن خادم الحرمین أیده الله وذلك لتحقیق الأهداف التربویة النبيلة فی تنشئة أجال المستقبل، ولیكونوا اللبنة الأساس لهذه الأرض الطیبة.

وتحت عنوان تکریم الرواد كتب الأستاذ فائز صالح جمال المقال اللاحق فی جریة المدینة ۱۶/۷/۲۶هـ أذکره لإیضاح تقدیر أفراد المجتمع لخطوة معالیه فی تکریم رواد التعلیم: "لا یعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهله، والوزیر المربری محمد بن أحمد الرشید أنموذج لهذا النوع الطیب من الرجال، فمنذ تولیه لأمر وزارة التریبة وهو یسعی جاهداً لربط ماضي الوزارة بحاضرها من خلال اهتمامه بالرواد الأوائل من المعلمین وإبراز جهودهم، وفضلهم علی العلم وطلابه وعلی المسیرة العملیة التعلیمیة النظامیة

في بلادنا؛ لتبقى أسماء الرواد حاضرة قوية في أذهان الشباب الواعد. وهذه الكلمة كتبها الأستاذ سليمان الزايدي مدير عام التعليم بمكة المكرمة - آنذاك - في مقدمة كتيب صدر بمناسبة تكريم رائدين من رواد التعليم النظامي في المملكة، وهما الشيخ عبد الملك الطرابلسي والشيخ محمد الخزامي، فقد كرم معالي وزير التربية الشيخين الكريمين في الحفل البهي الذي أقيم لتكريمهما، وتكريم الطلاب المتفوقين في مختلف مراحل التعليم في مكة المكرمة مساء الأربعاء الماضي في ٢١/٧/١٤١٦هـ.

"لقد كان التكريم فرصة لتعريفنا بمن لم يعاصروا الشيخين الكريمين - بفضلهما ومقدار ما بذلوه في البدايات من جهود مشكورة في نشر العلم في أرجاء البلاد الشاسعة، ولم يثن من عزمهما قلة الإمكانيات أو الصعوبات والمشاق التي واجهاها في أثناء أدائها لرسالتهم، فإسهامات الشيخين الفاضلين لم تقتصر على المنطقة التي يقيمون فيها وهي مكة المكرمة، بل امتدت إلى معظم أرجاء المملكة، فقد أسهم الشيخ عبد الملك الطرابلسي - حفظه الله - في افتتاح مدارس في محابيل عسير، ورجال ألمع والنماص، وخميس مشيط، ثم عين مديراً لمدرسة المربع بالرياض ثم معتمداً للمعارف بنجد ثم مديراً للمدرسة السعودية بالطائف، ثم المدرسة السعودية بمكة المكرمة، ثم لدار التوحيد بالطائف".

وأما الشيخ محمد صالح الخزامي فقد عين مدرساً بمدرسة الأمراء أنجال الملك عبد العزيز بالرياض، ثم معتمداً للمعارف في نجد، حيث أسهم في فتح المدارس في كل من حائل وبريدة والقصيم وعنيزة والزلفي والمجمعة والدمام والخبر والجبيل، فجزى الله معالي الوزير خيراً على هذه اللفتة الكريمة والدعاء موصول للمسؤولين في الأسرة التعليمية في مكة المكرمة، وعلى رأسهم الأستاذ سليمان الزايدي على حسن تنظيمهم للحفل وإشراكهم متفوقيه معهد النور ومعهد الأمل في الحفل الخطابي، فقد كانت أبرز فقرات الحفل.

المدينة المنورة

ضمن جولات معاليه التفقدية وزياراته إلى مناطق المملكة قام معاليه بزيارة للمدينة المنورة التقى فيها بمنسوبي التعليم هناك، كما تشرف بحضور الحفل الذي رعاه سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز - رحمه الله - لتكريم رواد التعليم وافتتاح مشروع تعليمي هناك، وقد زامن الزيارة حضور معاليه حفل تكريم الفائزين بجائزة المدينة المنورة، والتقى معاليه على هامش الحفل بعدد من المثقفين والمفكرين، الذين زاروا معاليه في جناحه في فندق شيراتون، ودارت نقاشات مفيدة عن التعليم وقضاياها، وقد نشرت جريدة المدينة في تغطيتها الموسعة عن الزيارة تقريراً مفصلاً عن الأحداث في عددها ١٤١٦/٧/٢٩ هـ جاء فيه: رعى أمس صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد ابن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة - آنذاك يرحمه الله - احتفال إدارة التعليم بافتتاح متوسطة عباد بن بشر، وهي أحد المشاريع التعليمية الحكومية في المدينة، حضر الحفل وزير التربية والتعليم الدكتور محمد الرشيد وعدد كبير من رؤساء الدوائر الحكومية من مدنيين وعسكريين وكبار منسوبي التعليم. وقد تضمن الحفل تكريم عدد من رواد التعليم بالمدينة المنورة الذين أسهموا في النهضة التعليمية والتربوية بالمنطقة، وقد كرم سموه رواد التعليم بالمدينة المنورة في مظاهر مليئة بالتأثر والشكر والعرفان والوفاء وهم: (عادل حافظ إبراهيم، محمد راشد، محمد فوزي شريف، أحمد بن أحمد بشناق، أمين صالح مرشد، حبيب محمود أحمد، محمد بن علي محمد ثاني، حمزة محمد قاسم، عمر محمد حميد الحيدري، الشيخ محمد حميدة، عمر محمد بكر فلاتة)، ثم ألقى معالي وزير التربية كلمة أعرب فيها عن سعادته لتشريف صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز - يرحمه الله - الحفل، ونوه الدكتور الرشيد بأهمية التعليم واهتمامات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وسموولي عهده الأمين أيدهما الله بالعملية التعليمية، التي ينعكس أثرها في تخريج رجال قادرين على الإسهام في النهضة العملاقة بالمملكة. ووجه الدكتور الرشيد كلمة للرواد المكرمين شكرهم خلالها على عطائهم وإسهاماتهم ووصفها بأنها مسجلة في قلوب الجميع قبل الأوراق،

كما ارتجل سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز -رحمه الله- كلمة قال فيها، (أبدأ بالشكر لله سبحانه وتعالى أننا نجتمع في مشاريع الخير دائماً، ولا شك على رأس هذه الأمور المجال التعليمي، حيث خطت المملكة خلال السنوات الماضية خطوات لم تخطها دولة في العالم)، كما خاطب سموه الكريم الرواد الأوائل قائلاً: (أنتم أيها الرواد الأفاضل قدمتم الكثير فشكراً على ما قدمتموه «ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله»، فشكراً جزيلاً على إسهامكم، وهذا ليس بغريب على أبناء هذه البلدة الطيبة)، وأضاف سموه، (أرجو -إن شاء الله- لأخي العزيز الكريم الدكتور محمد الرشيد الذي أبدى نجاحاً في هذه الحقبة القصيرة التي تولى فيها وزارة التربية والتعليم، هذا النجاح لشخصه وتفهمه دائماً النقاط التي تتم بيني وبينه وبين الإخوان أمراء المناطق، ذلك هو قمة النجاح، وكل ذلك ينصب لخدمة الوطن والمواطن، أرجو له التوفيق. وكما تعودنا دائماً أننا سند لكل وزارة، وتعد الإمارة قسماً متنوعاً لكل وزارة في المدينة المنورة وعلى رأسها وزارة التربية).

تعليمنا إلى أين؟

من أهم أوجه النشاط البارزة لمعاليه محاضرة (تعليمنا إلى أين؟) التي شهدتها جامعة الملك سعود بحضور كثيف افتقر فيها الحضور الممرات في قاعة المحاضرات الرئيسية، التي تتسع لأكثر من ١٥٠٠ شخص، وقد قال الدكتور راشد الكثيري رئيس الجمعية العربية السعودية للعلوم التربوية والنفسية في اللقاء الـ (٣٢) لصحيفة عكاظ في ١١/٨/١٤٠٦هـ عند تقديمه للمحاضرة في اليوم نفسه: "إن موضوع التعليم من أهم الموضوعات التي تشغل بال كثير من المثقفين والمفكرين وأولياء الأمور؛ إذ إن التعليم عنصر قوة المجتمع وأساس تنميته، وأشار إلى أن الموضوع ينال أهمية كبرى من أهمية الموضوع ومكانة المتحدث، فمعالي الأستاذ الدكتور الرشيد له خبرة طويلة وتجارب كثيرة في مجال التربية والتعليم اكتسبها خلال العشرين عاماً الماضية، حيث تقلد عدة مناصب كبيرة، إذ كان عميداً لكلية التربية جامعة الملك سعود، ثم مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج ثم عضواً لمجلس الشورى وأخيراً وزيراً للتربية والتعليم".

أما المحاضرة القيمة التي ألقاها الوزير على مدى ساعتين وبمناقشات أخذت أيضاً قرابة الساعتين، فقد حفلت بردود فعل كبيرة بسبب شجاعة الوزير وصدق رؤيته وحرصه على التطوير والتغيير، وقد نشرت الصحف المحلية تغطية موسعة للمحاضرة كما لقيت صدى كبيراً بين أوساط الأكاديمين والمثقفين والمفكرين والكتاب، وقد كتبت عكاظ في عددها ١٢/٨/١٤١٦هـ بعنوان: (الدكتور الرشيد: دراسة تقويمية شاملة لأعمال التربية)، أكد معالي وزير التربية والتعليم الدكتور محمد بن أحمد الرشيد على حرص الوزارة على إعادة النظر في هيكلها الإداري، بحيث تتم الاستفادة القصوى من جميع الموظفين بما يخدم العملية التعليمية ودراسة لائحة جديدة للامتحانات، إضافة إلى دراسة توزيع الصلاحيات والاختصاصات للعاملين في الميدان تدريجياً، سعياً وراء تطوير العمل وتطوير برامج النشاط الطلابي والرعاية الصحية للطلاب، وقد استهل الوزير محاضراته بإطلالة عاجلة على واقع التعليم في المملكة من خلال البيانات والإحصاءات التي توضح ارتفاعاً كمياً ونوعياً في مستوى خدمات التعليم. وتطرق معاليه إلى برامج التطوير في مختلف نواحي التعليم، مشيراً إلى أن الإنسان هو غاية التنمية ووسيلة تحقيقها، وفقاً لخطط التنمية الخمسية، وقال: إنه يرنو إلى دراسة تقويمية شاملة سعياً وراء الانتقال إلى مرحلة الانطلاق كمياً ونوعياً، مستعرضاً أسباب ومؤثرات هذه الدراسة التقويمية، كالآتي:

- وجود خلل في عدم التوجيه المهني واكتشاف المهارات التي تعدُّ من أهم وظائف التعليم وضعف أداء وكفاءة خريجي الجامعات وعزوفهم عن العمل في المجالات التي تخصصوا فيها مفضلين الأعمال الإدارية بسبب اختيارهم تخصصات لا تتلاءم مع رغباتهم. قصر العام الدراسي وقلة عدد الأيام والساعات الدراسية، التي تعدُّ من أقل الساعات الدراسية في العالم.

- الضعف العام في أساسيات المعارف خاصة اللغة العربية واللغة الإنجليزية.
- وأخيراً فيما أسماه الوزير (علة العلة) ضعف روح المواطنة للطلاب ضعف الاعتزاز بقيمهم الدينية والاجتماعية.

ثم تطرق إلى مجالات التقويم ولخصها بالآتي:

- الأهداف المعلنة، اقتصاديات التعليم، خصائص نظام التعليم، العمالة وتركيبها، مدى كفاءة الخريج لأداء الوظائف التي أعد من أجلها، هيكل نظام التعليم، مناهج التعليم، الخدمات المساعدة كما تناول معاليه النتائج المتوقعة، والتي أوجزها: وضع خطط وبرامج مختلفة، تطور الأداء التعليمي، تقويم الأعمال عن طريق فريق عمل مستقل مكون من العلماء ورجال الفكر والرأي، على ألا تتعدى مدة التقويم ثلاث سنوات، بحيث يتم استيضاح نقاط الضعف وكيفية الخلاص منها ونقاط القوة وكيفية تعزيزها.

وقد نشرت الرياض في ١٤/٨/١٤١٦هـ إشادة الدكتور الكثيري بمحاضرة معالي الوزير، وجاء الخبر بما نصه أشاد رئيس الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية الدكتور راشد الكثيري باللقاء الثاني والثلاثين للجمعية، الذي تحدث فيه معالي الدكتور محمد الرشيد بعنوان (تعليمنا إلى أين؟) ووصفه بأنه لم يكن لقاء عادياً، بل هو لقاء حضره كثير من المهتمين بالعملية التربوية أساتذة أكاديميين ورجال تربية ميدانيين وآباء ومهتمين، وعلى الطرف الآخر كان حضور العنصر النسائي عبر الدوائر التلفزيونية المغلقة، فكثافة الحضور تؤكد رغبة الجميع في أن يعرفوا إلى أين يتجه تعليمنا، وقد نوه الدكتور الكثيري بموضوع المحاضرة التي تناولها معالي وزير التربية مشيراً إلى أن معاليه قام بتشخيص تعليمنا الحالي واصفاً إياه بأنه تعدى حدود التصور، إلا أن إنجازات الماضي وبناء القاعدة يتطلب رؤية جديدة مدروسة في إطار حاجيات وتطلعات المجتمع السعودي ومكانة المملكة ودورها في محيطها العربي والإسلامي .

أحلام الوزير

تحت هذا العنوان كتب الكاتب الأستاذ سعد الدوسري في زاويته باتجاه الأبيض في جريدة الرياض في ١٥/٨/١٤٠٦هـ المقال الآتي تعليقاً على محاضرة الوزير، وهو يغني عن أي تعليق لما عُرف عن الكاتب: كل الحضور الذين غصت بهم قاعة البهو الرئيس

بجامعة الملك سعود مساء الثلاثاء الماضي كانوا مبتهجين باللقاء المفتوح للدكتور محمد الأحمد الرشيد وزير المعارف الذي نظمته الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية تحت عنوان: (تعليمنا إلى أين؟) ، فلقد كان الدكتور الرشيد مرتباً ومنهجياً وشجاعاً في طرحه لواقع التعليم ومستقبله، مقسماً حديثه ثلاثة أقسام:

١ - إحصاءات مقارنة بين عام ١٤٠٥هـ - ١٤١٥هـ، وأوضح أنه لا يقتنع بالأرقام التي بين يديه.

٢ - المؤشرات التي تلح عليه بطرح خطط مستقبلية تقييمية.

٣ - الخطط التقييمية.

لقد طرح الدكتور محمد في لقائه مع الجمهور أكاديميين (ومهتمين) رجالاً (في القاعة) ونساءً عبر الدائرة التلفزيونية المغلقة ظاهرة حضارية وثقافية يجب أن يمارسها الوزراء بصفته تقليداً من تقاليد الحوار الديمقراطي بين المسؤول وبين المواطن مهما كانت اهتماماته، وهم بذلك (كما أشارت الأستاذة الجامعية فوزية أبو خالد في مداخلتها) يؤسسون نوافذ خصبة لهم، ستعكس لا محالة على خططهم الإصلاحية أن مشاركة أستاذات متخصصات مثل الدكتورة عزيزة المانع والدكتورة سهام الصويغ وفوزية أبو خالد وأستاذة متخصصين مثل الدكتور عبد العزيز الجلال والدكتور عبد الله المقوشي والدكتور أحمد التويجري في مداخلات على ما طرحه الوزير لا بد وأن تضيف أفاقاً تطويرية للأفاق التشريعية في تصوراته المستقبلية التي سماها أحلاماً!!

إن روعة ومنهجية حديث الوزير وكفاءة مداخلات الحضور جعلت الوقت يمر سريعاً، ويقترب (دون أن نشعر) للحادية عشرة ليلاً مما حدا به إلى ممارسة ديكتاتورية صغيرة لم يكن له فيه حق، فلقد أنهى هذا اللقاء المثمر دون أن يسألنا ما إذا كنا على استعداد للبقاء أكثر لطرح مداخلتنا (نحن المواطنون العاديون الذين لم تمنحنا الجامعة شرف أكاديميتها) وكان لدينا الاستعداد للبقاء أو الحصول منه (حلاً بديلاً) على موعد للقاء آخر نكمل فيه حوارنا الثري معه.

أما مداخلتى التي لم يسعفنى الوقت لطرحتها فهي تعليق على مشاريع الوزير المستقبلية، التي سماها (أحلاماً) فأنا لا أتخيل أن ما ذكره الدكتور الرشيد من خطط تقويمية للمؤشرات المحزنة في واقع التعليم اليوم هي أحلام (!!!) أنا أسميها (ولا بد أن تكون كذلك) إستراتيجية عمل إصلاحية لكل السلبيات الحاضرة التي أشار إليها الوزير من ضعف المنهج إلى تدني مستوى المعلم، إلى عدم ملاءمة المباني المدرسية، إلى خلو المدارس من تقنية الحاسب إلى الظواهر التجارية للمدارس الأهلية، إلى خلو التعليم من الأساسيات المرجوة، إلى قصر أيام الدراسة، إلى أسلوب الامتحانات البعبي، إلى فقر التربية الوطنية واللاصفية، والقائمة طويلة جداً!!

إن الخطط التقويمية المشرفة التي وعد بها الوزير لا يمكن التعامل معها بصفتها أحلاماً؛ لأنها إن لم تتحقق خلال السنوات القادمة، فسيقول لنا: (لقد قلت لكم في البدء: إنها أحلام).

وحيث إن الأحلام قد تتحقق وقد لا تتحقق، فإنني لا أستطيع أن أحاكم الوزير على عدم تطبيق خطته، أما إذا كانت إستراتيجية عمل موضوعة على طاولة العمل الرسمية، والإلزامية، ومحكومة بزمن بدء وزمن انتهاء، فإننا حينها سنتناول ما أنجزه بالثناء، وسنشير في المقابل إلى مناطق التقصير بكل سباباتنا.

تحية ملؤها الإكبار والإعجاب للدكتور محمد أحمد الرشيد لوقفته الواضحة والحكمة والشجاعة والصادقة في هذا اللقاء الذي كان مكتظاً بالحضور الحميمي والجريء، والذي دل على أننا نعاني فعلاً من واقع تعليمي فيه قصور، ودل أيضاً على أننا متفائلون بأن هذا الرجل (الأشهر في مجال التربية) سيكون إن شاء الله طبيبنا الكفاء .

هموم التربية العربية

وفي جريدة الشرق الأوسط وامتداداً للتعليقات حول محاضرة تعليمنا إلى أين؟، كتب الأستاذ الدكتور محمد عبد العليم مرسى في ٢٠/٨/١٤١٦هـ، مقالاً تحت العنوان

أعلاه: (هموم التربية العربية)، ولأن الكتابة جاءت من أستاذ تربوي قدير من مصر الشقيقة ونشرت في جريدة دولية هي الشرق الأوسط، فإن تعليقات الدكتور مرسى مهمة جداً، وأورد بعضها دليلاً على تميّز المحاضر والمحاضرة: قبل بضعة أيام وفي مدينة الرياض تحديداً أثار الدكتور محمد أحمد الرشيد شجون التربويين ساعة، مس قضايا التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، حين تحدث في ندوة موفقة عقدتها جامعة الملك سعود ضمن نشاط الجمعية العربية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، وعلى مدار ما يقرب من ثلاث ساعات متواصلة تحدث الرجل كما تعودنا معه في لقاءاتنا التربوية في ندوات مكتب التربية العربي لدول الخليج، سواء في الندوات الفكرية لرؤساء الجامعات الخليجية أو غيرها من الندوات التي تعوّد المكتب أن يعقدها ويخصصها لشأن من شؤون التربية في تلك المنطقة الحساسة من العالم.

ولكن وقبل أن أدخل في صميم القضايا التي أثارها معالي الوزير الرشيد، لعلي أقول: إن تعيينه من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، في هذا المنصب، أمر يستحق وقفة كما يستحق تأملاً، لأنه وبمنتهى الأمانة والتجرد، ولسنا بحمد الله وفضله من المداحين الذين يحلو لهم الإشادة بأعمال أولي الأمر والمسؤولين، أقول إنه فعلاً قد أعطى القوس باريها، كما يقول مثلنا العربي، وضع أمر التربية في نصابه، وإذا تحدث عن واقعنا العربي المعاصر، أقول: إنه نادراً ما ولي أمر التربية والتعليم في بلادنا وزراء مختصون بالتربية والتعليم فعلاً، ولعل مرد ذلك هو عدم الاهتمام بالتربية الاهتمام الواجب بها، وربما عدم البصيرة بخطورة ما تمثله في حياة الأمم والشعوب، وقد حكى الوزير أحلامه للحضور الذين غصت بهم القاعة الكبرى بجامعة الملك سعود في الرياض عن أحلامه الأولى وقت أن كان مبتعثاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الدكتوراه، ولقد كانت هذه الأحلام خاصة بجامعة الملك سعود، وكيف أنه كان ورفاقه يحلمون بيوم يعودون فيه ليسهموا في بنائها العلمي والتنظيمي والإداري، وقد تحقق هذا الحلم، كما قال هو بذلك، أما الحلم الذي لم يذكره هو فعلياً أذكره به، ألا وهو هموم التربية في عالمنا العربي والإسلامي؛ والتي كانت تطالنا بها مجلة (رسالة

الخليج) كمقالات افتتاحية يطرق فيها الرشيد في كل مرة همأ من همومنا التربوية، ويعالج فيها قضية من قضاياها، وإذا كانت الأحلام الأولى الخاصة بجامعة الملك سعود حملت نبض الشباب المبتعث حين الدراسة بالخارج، وفيما يختص برقعة صغيرة على أرض الوطن، جامعة الملك سعود، إلا أن أحلام (رسالة الخليج) مثلت أحلام (الأستاذ) وقد عاد وحمل المسؤولية وتيقن من خطورة شأن التربية في حياة الأمة، فبدأ يعالجها من موقع المسؤولية.

وأذكر معالي الوزير والذكرى تنفع المؤمنين - أن كثيرين من طلابنا في التربية - وخاصة في الدراسات العليا، والذين يحتلون مواقع تنفيذية الآن، والذين كنا نشير إليهم بقراءة المجلة المذكورة، وخاصة بحوثها الجادة جاءوا يسألوننا الآن عن (أحلام) الدكتور الرشيد في افتتاحياتها، وعن موضع هذه الأحلام - الآن - وقد أمسك بيديه دفة سفينة التربية والتعليم في المجتمع السعودي، الذي يتأثر به بالضرورة مجتمع الخليج العربي كله، ولعلي أشير على الدكتور الرشيد بأن يعهد إلى أحد المتحمسين حوله بتجميع تلك الافتتاحيات، ومن ثم النظر فيها بعين المسؤول التنفيذي بعد أن كتبها بعقل المفكر التربوي، ولعل ذلك يكون فيه خير كبير إن شاء الله، وهنا لا يسعني إلا إبداء الإعجاب بشجاعة (الرشيد) فما تعودنا في حياتنا العربية المعاصرة أن يجلس وزير ليتحدث في صراحة مطلقة عن أمور يعدّ الكثيرون أن الحديث فيها أمر محرّج لوزارته، أو لغيرها وإنما دائماً - وللأسف الشديد - تعودنا أن يشير الوزير إلى كل شيء يقترب من وزارته، كما تعودنا أن يكون الإزورار هو شأن المسؤولين الكبار حين يكتب مفكر أو كاتب بصراحة عن وزارتهم أو حتى عن قطاعات من هذه الوزارات، ولكن (الرشيد) نحنا نحواً آخر هو نحو الذين يشخصون المرض بحثاً عن العلاج، وهذا هو الطريق الصحيح والقيوم للإصلاح التربوي، وكل إصلاح ونحن دائماً - كنا ومازلنا - نشيد بصراحة الأمريكان أمام أنفسهم، هكذا فعلوا حينما هاجموا التربية لما أصابهم الكساد العظيم في بداية الثلاثينيات من هذا القرن، وهكذا فعلوا أيضاً حينما سبقهم الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٧م إلى الفضاء بالقمر الصناعي (سبوتنيك) وهكذا فعلوا ثالثاً حين دهمتهم أزمة

الطاقة عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣م ثم من بعد ذلك ما واجهوا أنفسهم فيه بصراحة منقطعة النظر حين اعترفوا في تقريرهم الخطير (أمة معرضة للخطر) بأن الجيل الحالي (في منتصف الثمانينيات) أقل كفاءة وأقل إنجازاً مما سبقه من أجيال، وهذا مؤشر خطر في حياة الأمة، وعادوا باللائمة على تربيتهم - كما هي عاداتهم - لأن العلاج لا بد وأن ينبع منها، وليس من أي شيء غيرها، أقول كانت هذه هي في تصوري صراحة الدكتور الرشيد حين تعرض لقضايا التعليم في المملكة أي الصراحة التي تشخص بقصد معرفة مواطن الداء، ومن ثم تلزم نفسها أو يلزم أصحابها أنفسهم بالعلاج، وليس هناك علاج ناجح يبني على تشخيص قاصر أو خاطئ أو مجامل.

فلقد كانت هذه هي المائدة العامرة التي دعنا إليها (جستن) التي تولى إعدادها وطهيها وتقديمها خباز وطاه ماهر، وقالوا قديماً (أعطوا الخبز للخبازين... ولو أكلوا نصفه) وبالإضافة لما قدم (الرشيد) فإنه أجاب عن أسئلة وتعليقات عدد من الحضور، كما وعد العنصر النسائي من أعضاء هيئة التدريس بإشراكهن باللجان التي يزمع الاستعانة بها، وكن قد سألن عبر التلفون .

التعليم الأهلي

في خطوة رائدة و متميزة لمعالي الوزير الدكتور محمد الرشيد دعى معاليه مٌلاك المدارس الأهلية إلى اجتماع عمل في مقر وزارة التربية لمناقشة قضايا التعليم الأهلي في حوار علمي وعملي رائع ومكشوف وقائم على النقاش والمصارحة بأسلوب واضح ورائد لم يسبق له مثيل، وقد تشرفت العلاقات العامة بمشاركة إدارة التعليم الأهلي في الوزارة للإعداد لهذا اللقاء والترتيب لدعوة أكثر من مائة مدرسة أهلية غصت بهم قاعة المحاضرات بالوزارة، كما حضر الاجتماع كبار المسؤولين في الوزارة ورجال الإعلام والصحافة.

وقد خرج اللقاء بحوارات متميزة وشكر مٌلاك المدارس الأهلية معاليه على هذه الفرصة، التي تمكنهم من إيصال رسالتهم للمسؤولين في الوزارة والتحاور لما فيه

مصلحة الجميع، وقد نشرت جريدة الرياض تغطية للقاء في ٢٤/٨/١٤١٦هـ: دعا اللقاء الذي عقده وزير التربية الدكتور محمد بن أحمد الرشيد مع ملاك المدارس الأهلية صباح أمس إلى تشكيل لجنة لدراسة توظيف السعوديين في المدارس الأهلية وتتولى دراسة أمر المباني والأراضي لإقامة مدارس أهلية إضافة إلى تقديم أفضل المقترحات والحلول في ذلك كما أوصى الحضور بتشكيل لجنة لتقديم معايير لاختبار مديري المدارس والمعارين من الوزارة بالإضافة إلى تحديد اليوم الدراسي والاتفاق على السير وفق النظام السابق في كادر المعلمين المتعاقدين الذي أصدرته الوزارة. وأن يتقيد الملاك بإعلان موحد يشتمل على اسم المدرسة وموقعها ورقم هاتفها دون عرض لأي من المميزات الأخرى. وأجمع الملاك على تأييد فكرة تخصيص صندوق تشترك فيه المدارس الأهلية مما يعين على إتمام برامج العمل وآلياته وذلك من خلال اللجان التنفيذية، كما تم تحديد أعضاء تلك اللجان لدراسة ما قد يستجد من مقترحات وآراء لتطوير مسيرة التعليم الأهلي. وعقد اللقاء في مقر الوزارة حيث ألقى وزير التربية كلمة أوضح فيها معاليه أن هدف اللقاء هو للمناقشة وتحليل معرفة مواضع القوة في التعليم الأهلي ومحاولة تعميم هذه المواضع في المدارس الأخرى، وأيضاً معرفة مواضع الضعف ومحاولة العمل على إزالتها، كل هذا بناء على رأى ملاك المدارس الأهلية الذين هم من أقدر الناس على تحديد مواضع القوة والضعف والعمل على تطوير أفضل الأساليب للتعامل مع هذه المواضع.

وأشار معاليه في حديثه إلى التطور الهائل الذي شهده التعليم في المملكة خلال السنوات الأخيرة، والذي توثقه الأرقام والإحصاءات، كما أن الوزارة تتوقع زيادة في عدد المدارس الأهلية خلال السنوات القادمة تكون مبنية على أسس قوية ومدروسة وتساعد على الرقي بطلابنا إلى أعلى الدرجات. كما تطرق معاليه إلى الاختلاف والتباين بين المدارس الأهلية فيما تقدمه، وأن الوزارة في كثير من الأحيان تشعر بالفخر والاعتزاز وتبهاى بأن في المملكة مدارس معينة على مستوى عال من التنظيم والتوجيه والتعليم، وأشار الدكتور الرشيد إلى أن الوزارة تعمل بكل جهد ومثابرة على تطوير ومساعدة المدارس الأهلية الأقل تطوراً، وذلك لكي ترقى إلى المستويات التي تضاهي المدارس

الأهلية المتطورة في المملكة، وذلك بتقديم كل المساعدات والاستشارات التي تطلبها المدارس هادفين في عملنا إلى الرقي بالتعليم الأهلي إلى المستويات المرضية. كما تحدث عن سعودة المدارس الأهلية وضرورة تركيز الملاك حول هذه القضية؛ نظراً لأهميتها في تثبيت أسس التنمية التي تشهدها بلادنا، التي تعد العنصر البشري المحلي أهم أسسها، لذا فإن على المدارس الأهلية واجب وطني ومهني في العمل على سعودة مدارسها وتحويل الكادر الوظيفي قدر المستطاع إلى سعودة لتكون بمثابة القدوة للقطاعات الأهلية الأخرى. وبخصوص الأبنية المخصصة للمدارس الأهلية أشار إلى ضرورة توافق الأبنية المدرسية مع طبيعة البيئة المحيطة بالطالب؛ لتوفير جو دراسي ملائم للطلاب لمساعدتهم على الاستيعاب، كما نبه إلى تدني مستوى بعض الأبنية المدرسية وضرورة العمل على تطوير المنشأة المدرسية بكافة الطرق. ودعا معاليه إلى مشاركة المدارس الأهلية في دعم الإصدار الشهري المعني بقضايا التعليم، الذي تصدره الوزارة قريباً، مشاركة من المدارس الأهلية وملاكها في تطوير العمل التعليمي والتربوي .

وتحت عنوان: (نعم المدارس الأهلية ضرورة) كتبت الدكتورة هيا المنيع مقالاً في زاويتها في جريدة الرياض ١٤١٧/٨/٢٣ هـ قالت فيها: «في هذا اليوم يعقد معالي وزير التربية الدكتور محمد الرشيد اجتماعاً مع ملاك المدارس الأهلية في مختلف مناطق المملكة وحقبة فكرة الاجتماع من حيث المبدأ تعد بجد ذاتها خطوة إيجابية في إطار تحقيق العملية التعليمية لأهدافها التربوية والتعليمية سواء كان ذلك عبر المدرسة الحكومية أو المدرسة الأهلية، التي هي في الواقع حلقة مهمة في سلسلة المنظومة التعليمية. محاور هذا اللقاء (التشاورى) متعددة، ولكنها تدور في إطار ذلك الارتقاء بمستوى هذه المدارس، سواء من حيث تحسين وضع المعلمين العاملين في تلك المدارس، أو من حيث تصنيف المدارس إلى فئات وفق قدرة وإمكانات كل مدرسة».

الرحلة الدولية وموقف محرج

١- من أفضل الرحلات التي شاركت فيها مع معالي الدكتور الرشيد رحلة وطنية مخصصة للتعرف على أنظمة ومناهج وأهداف وأسلوب العمل في المجال التربوي وتجربة دول متقدمة، كسنغافورة واليابان وكوريا، وكذلك الاستفادة من دولة طموحة هي أندونيسيا، وضمت الرحلة عدداً من المسؤولين في الوزارة، وكنتُ أحدهم وكانت زيارة مفيدة جداً حيث التقينا فيها بالوزراء وكبار المسؤولين وزرنا مدارس والتقينا بمعلمين، وتم إعداد تقرير مطول على شكل كتاب أذكر أنه وزع على بعض الوزراء، ولكن أين هو الآن؟ (الله أعلم)، فقد كان عملاً مميزاً ورائعاً وشاملاً لأنه جمع بين التجربة والزيارة الشخصية والاجتماعات الرسمية والمشاهدة الطبيعية.

وكان من المواقف المحرجة أننا عند سفرنا من سنغافورة إلى اليابان طلبت إدارة الرحلة الحقائب مبكراً لشحنها في الطائرة ثم نتحرك لاحقاً دون حقائب للطائرة وكان أن شحنت جميع ملابسي، وعند البحث عن قميصي في الخامسة صباحاً وجدت أنني وضعته مع الحقيبة الكبيرة ضمن العفش، والرحلة رسمية ولا بد من لباس رسمي، حيث كان هناك (البنتلون والجاكيت وربطة العنق دون قميص) ومحلات الفندق مغلقة ولا يوجد قميص وكان الحل بيد أحد الزملاء في الوفد الذي قص ثوب نومه على شكل قميص وهو ثوب آخر بعض أزراره قد سقطت ومستخدم لعدة أيام، فكان علي القبول بهذا الحل وصعدت في الطائرة قليل الكلام ومتواري حتى لا يراني الزملاء ماعدا صاحب الثوب الذي يعرف التفاصيل وكنت في غاية الحرج من الثوب ورائحته وقمت بتغطيته بالجاكيت حتى لا يلحظه أحد ولمدة أربع ساعات تقريباً، وهي مدة الرحلة من مطار سنغافورة إلى مطار طوكيو، وبعد الوصول انتقل الوزير بسيارة رسمية مع المسؤول الذي استقبله وركبنا بقية الوفد مع الحقائب في باص، وكان موقفي محرجاً، إذ أخذت حقيبتي الكبيرة واستخرجت قميصاً وأبدلت ملابسي في الباص في الطريق من المطار إلى الفندق والزملاء من الوفد السعودي وكذلك بعض المرافقين من الوفد الياباني في غاية الدهشة من هذا المسؤول الذي

يبدل ملابسه أمام الجميع في الحافلة، ولم يكن لي خيار إلا ذلك، حيث من سألتني أخبرته بأن شيء انسكب على القميص ولا بد من تغييره.

لدي الكثير، ولكن لا أود الإطالة، وإنما هي رؤى صادقة مخلصه وأمينه من خلال تجربتي وملاحظاتني خلال العمل.



رحلة العشر سنوات

مع الدكتور محمد بن أحمد الرشيد

١٤١٦ - ١٤٢٥ هـ

صالح بن جاسم الدوسري

لم يكن اتخاذ القرار صعباً بالنسبة لي، أو يحتاج إلى تفكير ودراسة حينما عرض عليّ معالي الوزير الدكتور. محمد بن أحمد الرشيد بأن أكون مديراً للتعليم بالمنطقة الشرقية، وذلك لاعتبارات عديدة كانت واضحة بمخيلتي في تلك اللحظة فالعمل مع الوزير الرشيد سيكون تجربة فريدة يتمناها كل من يعرفه.

والعمل بمنطقة أميرها محمد بن فهد بن عبد العزيز ستكون أكبر تحدٍ من أجل التميز والإبداع، وأنا التربوي والإداري والأكاديمي المولع والمهموم بقضايا التعليم، فهي الفرصة تتاح لي للعمل في مجال التعليم العام، لتكتمل حلقة خبراتي في التعليم بعد أن عملت في مجال التعليم العسكري (كلية الملك عبد العزيز الحربية)، والتعليم الجامعي بكلية التربية جامعة الملك سعود (أستاذ غير متفرغ) وكلية التربية جامعة الملك فيصل (أستاذ متفرغ)، والتعليم التقني والتدريب المهني (المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني الكلية التقنية بالدمام).

ولهذا لم أتردد للحظة واحدة للقبول بنقل خدماتي من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني إلى وزارة المعارف، الذي تم خلال أسبوع واحد فقط، وباشرت عملي بتاريخ ٢١/٤/١٤١٦ هـ، وكانت تلك الحقيبة بداية الاستعداد للعام الدراسي الجديد ومدة اختبارات الدور الثاني، وعودة المعلمين ومدة تسجيل الطلاب، وكانت في تلك

مدير عام التربية والتعليم بالمنطقة الشرقية سابقاً، عضو مجلس الشورى سابقاً.

الحقبة الإدارة العامة للتعليم في أحد المباني المدرسية، وذلك لإجراء ترميم وصيانة لمبنى الإدارة العامة للتعليم.

وجدت نفسي منذ اليوم الأول لعملي وأنا في معمة العمل أباشر شخصياً تلك الأعمال والمهام، واعتبرت نفسي محظوظاً بأن تتاح لي الفرصة بأن أبدأ عملي مع بداية الاستعداد للعام الدراسي الجديد، وكذلك أن أبدأ العمل مع بداية عمل الوزير الرشيد بالوزارة.

لقد استهليت عملي بالتشرف بلقاء سمو نائب أمير المنطقة الشرقية آنذاك صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز في مكتبه، الذي هنأني باختياري مديراً للتعليم بالمنطقة الشرقية، وحظيت بسماع توجيهاته العامة وتأكيداته على دعم سمو أمير المنطقة الشرقية الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز وسموه لكل ما من شأنه دعم مسيرة التعليم بالمنطقة الشرقية وأهمية التعليم، وبذل كل الجهود من أجل أبنائنا الطلاب.

كما حظيت بمقابلة معالي الوزير، وكان اللقاء الأول بمثابة عقد العمل الذي وقعته معه، بالرغم من قصر مدة اللقاء الأول الذي جمعني بمعالي الوزير بمكتبه بالرياض، إلا أنه كان مثمراً وغنياً. خرجت من ذلك وقد تكونت لدي صورة مشرقة لعملي الجديد، فهذا هو الوزير بكلمات واضحة ومختصرة وواثقة يلخص لي رؤيته للتعليم بالمملكة، ودورنا جميعاً كفريق واحد لتحقيق تلك الرؤية، ولا أنسى كلمته الأخيرة لي (أسأل الله لك التوفيق والنجاح في مهمتك، واعتبر نفسك أنت الوزير في منطقتك). منذ تلك اللحظة وجدت نفسي أتممخص شخصية (الرشيد) فرأه وكلماته وتوجيهاته وحماسه وفكره يراودني ويشغلني ويدفعني في كل عمل أقوم به أو نشاط أمارسه.

ومنذ أن صدر قرار تعييني مديراً عاماً للتعليم بالمنطقة الشرقية حرص زملائي بالكلية التقنية بالدمام بتكريمي بمناسبة انتهاء عملي بالكلية، وقد أقيم الحفل في يوم ١٠/٥/١٤١٦هـ برعاية كريمة من معالي محافظ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني الأستاذ محمد بن سليمان الضلعان وبحضور معالي وزير التربية والتعليم الأستاذ

الدكتور. محمد بن أحمد الرشيد وسعادة وكيل إمارة المنطقة الشرقية الأستاذ سعد ابن عبد العزيز العثمان.

ما يجعلني أن أشير هنا إلى هذا الحفل هو ما ذكره معالي محافظ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني لحظة تسليمه لي درع التكريم، حيث قال قبل أن أستلم الدرع أريد أن أقول كلمة قصيرة: (إننا في المؤسسة افتقدنا ركناً من أركاننا، ولكن طالما أنه سيخدم التعليم فهو هدية منا لكم يا أبا أحمد (وزير التربية والتعليم).

ذكرت ذلك لأنني أريد أن أؤكد على أن كلمات التشجيع والتحفيز التي سمعتها في بداية عملي بالوزارة من سمو أمير المنطقة الشرقية ونائب أمير المنطقة ومعالي الوزير ومعالي محافظ المؤسسة كان لها أكبر الأثر في نفسي وفي تحفيزي للعمل، وبالنتيجة النهائية أصبح التشجيع والتحفيز لزملائني الذين أعمل معهم هو ديدني من أجل أن نحقق مستويات عليا في أداء أعمالنا.

وبدأت عملي متوكلاً على الله واضعاً نصب عيني مخافة الله أولاً، ومن ثم العمل بكل إخلاص وجد وهمّة وحماس لأكون عند حسن ظن من اختارني لهذه المهمة، وأن أبذل قصارى جهدي، وأن أشحن فكري، واستثمر عملي وأوظف خبرتي من أجل خدمة وطني.

وفي بداية العام الدراسي الجديد تشرفت باللقاء والسلام على صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية، وفي ذلك اللقاء استمعت لتوجيهات سموه حول أهمية التعليم، وأنه الركيزة الأساسية لتقدم وتطور أي أمة، وأن المسؤولية المنوطة بنا جداً عظيمة حيال تنشئة وتربية وتعليم شباب الوطن، ومن خلال ذلك اللقاء شعرت بحجم الدعم والتشجيع الذي يولييه سموه للتعليم وأبنائه الطلاب ورجال التعليم وحرصه على التفوق والتميز.

وكانت الأشهر الأولى من عملي هي التحدي الحقيقي لي، فهي حقبة التعرف على كل صغيرة وكبيرة في مجال العمل والوقوف عليها ميدانياً، واكتشفت في هذه الحقبة مدى ضخامة العمل واختلاف مجالاته واتساع رقعته، والاحتياج الكبير لعملية التطوير والتغيير،

وبعد ذلك قمت بعملية التقويم للوضع الراهن وتوصلت إلى نتيجة أوّمن بها، وسبق لي أن طبقتها في عملي السابق، وهي الاستعانة بذوي الاختصاص لمشاركتي في عملية إحداث التطوير والتغيير، كنت مدركاً تماماً بأن أموراً كثيرة تحتاج إلى التطوير والتغيير، ولكنها في ظل الإدارة المركزية تخضع لصلاحيّة الوزارة مثل المناهج والمشاريع التعليمية، ولكنني كنت أوّمن بأننا نستطيع أن نعمل الكثير حتى في مثل هذه المجالات التي ليست من اختصاصنا، فمثلاً المناهج من يقوم بتنفيذها وتطبيقها هم المعلمون ومن يشرف عليهم هم المشرفون التربويون ومديرو المدارس.. فالمعلم يستطيع أن يضيف ويطور ويغيّر في إستراتيجيات وأساليب التدريس والتعلم، مما ينعكس إيجاباً على عملية التعلم بغض النظر عن محتوى المقرر الدراسي ومستواه العلمي، والمشرف التربوي وما يقدمه من توجيه وإرشاد ودعم للمعلم من أجل الرقي بالعملية التعليمية هو بحد ذاته تحدٍ من أجل التطوير والتغيير إلى الأفضل، ومدير المدرسة وما يقدمه من دعم إداري وتوجيه وتهيئة كل الظروف الملائمة للعملية التعليمية هو تطوير وتغيير.. لهذا كان قراري بذل كل الجهود الممكنة من أجل التطوير والتغيير بغض النظر عن الصلاحيات الممنوحة لي.

كان تفكيري في البداية هو كيف يمكن أن أقوم بعملية التطوير، وكيف يمكن أن أوّثر في العاملين معي لكي يكونوا جزءاً فاعلاً في عملية التطوير، لتحقيق ذلك عمدت إلى الاستعانة بالمختصين بمعهد الإدارة العامة، ليقوموا بإجراء الدراسات الاستشارية بالمشاركة مع زملائي بالإدارة، لكي يكونوا مساهمين فاعلين في عملية التغيير، وبهذا نتحاشى ردود الفعل السلبية التي غالباً ما تحدث نتيجة هذه التغييرات.

وفعلاً قام معهد الإدارة العامة مشكوراً بإجراء الدراسات الاستشارية للوضع القائم بالإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية، وتمخضت هذه الدراسات بعد تقويم الوضع الحالي للإدارة بمختلف إداراتها وأوجه نشاطها المختلف تم وضع واقتراح الهيكل التنظيمي للإدارة العامة للتعليم، والوصف الوظيفي له، وتم وضع واقتراح الدليل الإجرائي لأعمال الشؤون الإدارية وشؤون الموظفين وتطوير النماذج اللازمة وكيفية

سير المعاملات بين الإدارات المختلفة، وتنظيم الوثائق والمحفوظات، وإنشاء مركز المعلومات والحاسب الآلي.

وبجانب التطوير والتغيير في أساليب العمل كان هناك تطوير ملحوظ في مبنى الإدارة نفسه من حيث تهيئة المكاتب والمرافق المساندة بحيث تكون بيئة العمل مريحة وممتعة بالنسبة للعاملين في الإدارة.

في الواقع كل تلك المنجزات كان وراؤها تطلعات ورؤى محمد الرشيد الذي ما فتىء يردد تلك الرؤى والتطلعات في كل اجتماع يضمنا إما مذكرة أو تعميم يرسله لنا.

لهذا عملنا بكل إخلاص وجد واجتهاد لترجمة تلك التطلعات والرؤى إلى برامج ونشاط متعدد ملموس وكنا نجد من معاليه كل الدعم والتشجيع لمثل تلك المنجزات. كان محمد الرشيد حريصاً على التفاعل السريع مع ما يجري في الميدان التعليمي، فما أن يصله تقرير عن منجز أو خبر في جريدة، إلا ويسارع بإرسال رسالة شكر ودعم على ما تم إنجازه، ولا يكتفي معاليه بذلك بل كان يعمم تلك المنجزات على باقي المناطق التعليمية، وذلك لإحداث التنافس بين المناطق من أجل التميز والرقي بالعملية الإدارية والتربوية والتعليمية.

وليسمح لي القارئ الكريم أن أستعرض بعض الأساليب الإدارية التي انتهجها معالي الوزير في عمله، وأصبحت هي ديدتنا، وكان لها الأثر الكبير في تحقيق الكثير من الإنجازات في الإدارة العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الشرقية.

إن ما يملكه معالي الوزير من صفات قيادية وخصائص شخصية مؤثرة كان لها الأثر السحري على من يعمل معه، فكانت شخصية الرشيد مؤثرة وفاعلة، حماسه المنقطع النظير، الذي يبدو جلياً في كلماته الواضحة والمؤثرة، إخلاصه وتفانيه في العمل، وقربه وتشجيعه ودعمه لمن يعمل معه، حتى يشعر الفرد منا أنه أقرب الناس إليه، وأن له حظوة خاصة، استيعابه وإلمامه بكل جوانب العمل التربوي، مما يشعرك بأنك تتعامل مع خبير وعالم ومفكر تربوي وأحسبه كذلك، حبه الكبير لوطنه وحينما يتحدث عن قضية تربوية

أو شأن تربوي يربط ذلك بالوطن وبهدف أسمى نسعى إلى تحقيقه وهو الوصول بوطننا إلى مصاف الدول المتقدمة.

كانت تلك الصفات والخصائص التي يتمتع بها الرشيد تعمل التأثير السحري فيمن يعمل معه، فكانت تدفعنا إلى العمل والإنجاز والتميز.

وكان معاليه يؤكد باستمرار على العمل كفريق واحد، واستطاع الوزير أن يفرس مبدأ العمل الجماعي والتشاور واتخاذ القرار بصورة جماعية منذ اليوم الأول من عمله بالوزارة، فاجتماعاته ولقاءاته الدورية والمستمرة مع جميع المسؤولين بالوزارة، أو بإدارات التعليم أو مع المشرفين التربويين أو المعلمين أو مديري المدارس أو ملاك المدارس الأهلية، أو رجال الأعمال، كلها تؤكد أهمية العمل كفريق واحد، وأهمية التشاور واتخاذ القرار بشكل جماعي، لهذا أتت اللقاءات والاجتماعات الدورية وتشكيل المجالس ترجمة عملية لهذا التوجه الذي خطه معالي الوزير.

فكان هناك اجتماع أسبوعي كل أربعاء بالوزارة، يضم الوزير وجميع الوكلاء ومديري العموم، ويتم مناقشة كل القضايا المهمة ومراجعة ما تم إنجازه. كما أن هناك دعوة مفتوحة لأي مدير تعليم يكون موجوداً بالوزارة يوم الأربعاء لحضور الاجتماع، وقد أتحت لي الفرصة أن أحضر هذه الاجتماعات، وبالرغم من العدد الكبير الذي يحضر مثل هذه الاجتماعات وكثرة الموضوعات التي تناقش في هذا الاجتماع، إلا أن الوزير بما يملكه من حس قيادي وصفات خاصة متميزة فإنه يُعطي ضيف الجلسة من مديري التعليم كل العناية والاهتمام، حيث يتيح له المشاركة بالرأي في القضايا المطروحة أو ربطها بما هو موجود لديه بمنطقته التعليمية.

وهذا التقليد كان يُعمل به في إدارة التعليم بالمنطقة الشرقية، حيث شكل مجلس إدارة التربية والتعليم بالمنطقة الشرقية، الذي يضم المدير العام ومساعد المدير العام والمستشارين ومديري الإدارات، ومديري مراكز الإشراف التربوي، ورؤساء الوحدات المستقلة، ويعقد المجلس بشكل أسبوعي كل أربعاء، ويُدعى للاجتماع بعض

مديري المدارس والمعلمين والمشرفين التربويين، وتناقش فيه كل القضايا والبرامج والمشاريع، وذلك حسب جدول الأعمال الموضوع، وتتخذ فيها القرارات بشكل جماعي، وكان لهذا الأسلوب الأثر الكبير في تفاعل الجميع مع القرارات المتخذة، لأنهم يشعرون بأنهم من اتخذ القرار ويعملون على تنفيذه وإنجاحه، ومن صور العمل الجماعي كفريق واحد اللقاءات الدورية بين مسؤولي التعليم بالمملكة التي تتكرر سنوياً، فكان يُعقد لقاء سنوي للقيادات التربوية أشبه ما يكون بالمؤتمر العلمي لمدة ثلاثة أيام تستضيفه إحدى المناطق التعليمية بالمملكة وكانت جلساته تتضمن جانب فكري وآخر إجرائي، وحينما نتحدث عن هذه اللقاءات ومردودها الإيجابي على الفرد نفسه أو على العمل، فهي تتجاوز المردود الفكري الذي يحصل عليه كل منا من خلال الجلسات التي تناقش فيها الأوراق العلمية أو التجارب العملية في الجلسات الإجرائية إلى ما هو أكبر من ذلك بكثير.

إن اللقاءات السنوية أتاحت الفرصة للمناطق التعليمية بدخول تجربة تنظيم المؤتمرات العلمية الكبيرة من حيث التخطيط والإعداد والتنظيم والتجهيز لمثل هذا اللقاء ومثل هذه اللقاءات أتاحت الفرصة للجهات الحكومية والقطاع الخاص بالمشاركة والمساهمة في مثل هذه اللقاءات، سواء بالدعم أو المشاركة الفعلية بالجلسات، وكذلك فرصة لإدارة التعليم بإبراز نفسها ونشاطها وتجاربها، وكذلك فرصة للضيوف للتعرف على المنطقة ومعالمها الحضارية، فكان اللقاء السنوي بحق تظاهرة اجتماعية فكرية يتوج بافتتاح أمير المنطقة ويختتم بتوصيات فكرية وإجرائية يعمل الجميع على تنفيذها.

وقد حظيت المنطقة الشرقية ممثلة بإدارة التربية والتعليم بالمنطقة الشرقية باستضافة اللقاء السنوي لقادة العمل التربوي بالمملكة، وكانت تجربة تنظيم اللقاء بحق تجربة رائعة ومميزة بكل ما تعنى هذه الكلمة من معنى بدءاً من عملية التخطيط للقاء بوقت مبكر إلى عملية التجهيز والتنظيم والإعداد، والجميل في الأمر هو نجاحنا في استقطاب الجهات الحكومية والقطاع الخاص بالمشاركة معنا في التخطيط والتجهيز والمشاركة في اللقاء، فكان دعمهم ومساهماتهم عاملاً كبيراً في نجاح اللقاء وتميزه.

وفي هذه اللقاءات تتجلى روح الفريق الواحد في عملنا وليست فقط في الاجتماعات في أثناء مناقشتنا للموضوعات، بل تتجلى المشاركة الجماعية منذ لحظة الإعداد لهذه اللقاءات، حيث تشكل اللجان وتعد الاجتماعات واللقاءات من أجل الترتيب لمثل هذه اللقاءات، ويشارك الجميع بالرأي في إعداد جدول أعمال اللقاء والموضوعات التي ستناقش، والإعداد للسفر حيث يطلب الوزير من الجميع والذين يرغبون السفر معه بالطائرة الخاصة من الرياض إلى المنطقة التعليمية التي تستضيف اللقاء، وفي الطائرة تتجلى روح الأخوة والصداقة بين الجميع، وتتجلى بشكل ملفت للنظر روح الوزير وشخصيته الاجتماعية المحبة والمهتمة بزملائه، حيث يتفقد الجميع ويتبادل الحديث والتعليقات، وإذا افتقد أحداً أو لم يقع نظره عليه قال أين (أبو فلان) تلك هي كاريزما شخصية محمد الرشيد بما يمتلكه من صفات إنسانية محببة للنفس، وتجعل شخصيته مؤثرة وفاعلة في الآخرين.

ولم تقتصر اللقاءات التي أقيمت في المنطقة الشرقية على اللقاء السنوي لقادة العمل التربوي، بل حظيت المنطقة الشرقية بالتشرف باستضافة العديد من الاجتماعات واللقاءات الدورية، فقد كان هناك لقاء ملاك المدارس الأهلية بالمملكة، والاجتماع الوزاري لوزراء التربية والتعليم بدول الخليج العربية، والعديد من الاجتماعات لمسؤولي القطاعات المختلفة بالوزارة وإدارات التعليم، وكانت المنطقة الشرقية من الأماكن المفضلة لانعقاد الاجتماعات فيها، وذلك لتوفير الإمكانيات الجيدة لنجاح الاجتماع.

وأذكر في هذا المقام إشادة معالي الوزير في لقاء القادة التربويين في كلمته الافتتاحية للقاء بحضور سمو أمير المنطقة الشرقية الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز، حينما قال: (إن بوادر نجاح هذا اللقاء وتميزه تبدو من الوهلة الأولى لوصولنا للمنطقة الشرقية حيث حسن الاستقبال والتنظيم والإعداد للقاء).

ومن الأساليب الإدارية الفاعلة التي أكد عليها معالي الوزير (أهمية العلاقات العامة والإعلام التربوي وأثرها الكبير على العمل).

أكد الوزير على أهمية العلاقات العامة والإنسانية، والإعلام التربوي، واعتبرها عاملاً مهماً ومؤثراً على العمل، فمتى ما هيأت الوزارة الظروف الجيدة لبناء علاقات عمل متميزة بين منسوبيها فيما بينهم وكذلك بين منسوبي الوزارة وبين الآخرين في المجتمع، فمن الممكن أن تتحقق نتائج مبهرة في العمل، وقد تم تفعيل ذلك على المستوى الرسمي وذلك بإنشاء إدارات ووحدات للعلاقات العامة في جميع إدارات التعليم، ومنحها الإمكانيات والصلاحيات للعمل في كل ما من شأنه أن يحقق أهداف الإدارة بتوفير بيئة عمل صحية وملائمة، تسودها الألفة والمحبة والأخوة والتعاون من أجل تحقيق أهداف الإدارة والوزارة، وكذلك بناء علاقة تعاون ومصالح مشتركة مع مختلف مؤسسات المجتمع بالإضافة إلى توضيح رسالة وأهداف ومهام إدارة التربية والتعليم في تحقيق أهداف التربية والتعليم.

وكان من أهم إنجازات الإدارة في هذا المجال إصدار (نشرة تعليم الشرقية)، وهي مجلة دورية تُعنى بقضايا وأخبار التربية والتعليم، وعقد المناسبات واللقاءات الاجتماعية الدورية، سواء في بداية العام الدراسي الجديد، أو في ختامه، أو في مناسبات الأعياد وفي شهر رمضان المبارك، وتطورت هذه اللقاءات الرسمية مع تطور العلاقات الاجتماعية بين منسوبي الإدارة، لتكون لقاءات اجتماعية شخصية في منازلنا وفي مناسباتنا الشخصية.

كما تم إنشاء (صندوق التكافل الاجتماعي) لمنسوبي الإدارة، وذلك باقتطاع اشتراك شهري من منسوبي الإدارة، ويستفيد من الصندوق المحتاجون من منسوبي الإدارة.

كما تبنت الإدارة فكرة حفلات التكريم لمنسوبيها المتميزين في العمل، أو المتقاعدين من العمل، وأصبح لدينا في كل عام حفل ختامي يقام بنهاية العام الدراسي يتم تكريم المتميزين والعاملين في مختلف نشاط الإدارة، كما يقام في كل عام حفل تكريمي للمتقاعدين من منسوبي الإدارة.

كل تلك الفعاليات الرسمية التي تتبناها الإدارة كان خلفها كذلك قيم واتجاهات تدعمها، فسعى الوزير إلى تأكيد ذلك بعلاقاته المتميزة والإنسانية والراقية مع جميع منسوبي التعليم، فبتواصله الإنساني مع الجميع، سواء كانت في المناسبات الرسمية أو الاجتماعية أو الشخصية، ومهارات الاتصال الراقية التي يمتلكها كلها، عملت بشكل إيجابي في تحقيق الكثير من منجزاتنا في العمل، وأصبح في الواقع الوزير هو قدوتنا، ونحاول أن نسير على خطاه.

وإذا ما أردت أن أقوم بشكل عام جهودنا في مجال العلاقات العامة والإعلام التربوي فإنني أستطيع أن أقرر بأننا نجحنا بامتياز، فالإدارة خلال العشر سنوات استطاعت أن تبني لها اسماً، وتؤسس لها مكانة متميزة بين الدوائر الحكومية ومؤسسات المجتمع الأخرى، فهي الإدارة الحكومية التي نالت المركز الأول لجائزة الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز للأداء الحكومي المتميز، في سنته الأولى ١٤٢٣/١٤٢٤هـ هذه الجائزة التي كانت تتوجاً لجهود الإدارة وعطاءاتها خلال السنوات الثمان التي سبقت سنة الجائزة، وقد منحت الجائزة وفق معايير الجائزة التسعة:

- ١- القيادة الفاعلة.
- ٢- الإبداع والتميز.
- ٣- تقنية المعلومات.
- ٤- الخدمات المقدمة للمستفيدين.
- ٥- الإجراءات التنفيذية لأداء المهام.
- ٦- إدارة وتنمية الموارد البشرية.
- ٧- التفاعل والتواصل مع المجتمع.
- ٨- الاستغلال الأفضل للموارد المتاحة.
- ٩- الثقافة والأخلاقيات المهنية.

وبفضل الله ثم بجهود العاملين في الإدارة العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الشرقية استطاعت أن تحقق المركز الأول. كما طلبت أمانة الجائزة مني شخصياً بالقيام بعقد ورشة عمل لجميع الأجهزة الحكومية للشرح لهم: كيف استطاعت الإدارة أن تحقق المركز الأول والإجراءات والأعمال التي قامت بها ملبية معايير الجائزة.

كما أن الإدارة حاضرة وممثلة في جميع اللجان التي تشكل على مستوى المنطقة، كما أن الإدارة تشرفت بالتنظيم للحفل الكبير الذي أقيم على شرف خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حينما كان ولياً للعهد وقام بزيارة المنطقة الشرقية، فشارك آلاف الطلاب في المهرجان بتقديم أوبريت من إعداد الأستاذ حامد الحامد، كما أنني تشرفت بإلقاء كلمة أهالي المنطقة الشرقية، وبنهاية الحفل لأنسى اللحظة التي تشرفت فيها بالسلام على خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ومعني كذلك الأستاذ حامد الحامد معد الأوبريت، وكان الوزير متحمساً ومبتهجاً ومفتخراً بتقديمنا للملك، فشدّ الملك على يدي، وقال: (بارك الله فيك، وكان خطابك جيداً) كما أن الإدارة تشرفت باستضافة اجتماع وزراء التربية والتعليم بدول مجلس التعاون الخليجي في الدورة العادية السابعة عشرة، كما أن مجموعة من منسوبي الإدارة تم نقلهم للعمل بالوزارة، وكذلك لإدارة تعليم البنات مما يدل على السمعة الجيدة التي بنتها الإدارة، والدليل الآخر على نجاحنا في مجال العلاقات العامة والإعلام التربوي بأن مسؤول العلاقات لدينا بالإدارة الأستاذ فيصل بن محمد القوتم طلبه من الإمارة ليكون هو المسؤول عن العلاقات العامة والمراسم بإمارة المنطقة الشرقية، بالإضافة كذلك إلى طلبهم الأستاذ خالد بن أحمد النعيمي مدير مركز المعلومات بالإدارة للعمل بالإمارة في مركز المعلومات لديهم.

ومن الأساليب الإدارية الفاعلة التي كان يؤكد عليها الوزير (تشجيع المبادرات الإبداعية في العمل) ولحث الجميع على العمل والإبداع والتميز فقد أوجد (جائزة التميز)، التي تمنح للمتميزين من منسوبي التعليم.

لهذا عملت الإدارة على حث منسوبيها بالعمل على التميز والإبداع بتطوير أساليب العمل وبرامجه، وبذل كل الجهود من أجل إيجاد بيئة عمل متميزة وأداء متميز، وقد عملت شخصياً على شحذ همم العاملين معي بالإدارة بطرح الأفكار الجديدة والإبداعية، وذلك من خلال اجتماعاتنا الأسبوعية، التي تمخضت عن برامج وأوجه نشاط إبداعية كان للإدارة العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الشرقية الريادة والمبادرة في تطبيقها وتبنيها.

وليسمح لي القارئ الكريم باستعراض هذه البرامج بشكل مختصر للتدليل على نوعية هذه البرامج وأوجه النشاط:

١. الطلب من معهد الإدارة العامة بالمنطقة الشرقية بإجراء دراسات تطبيقية لوضع الهيكل التنظيمي للإدارة العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الشرقية، وتطوير إجراءات وأساليب العمل في الإدارات، وتطوير مكاتب ومرافق الإدارة، لتصبح بيئة نموذجية للعمل.

٢. استخدام التقنية.. كانت من أهم البرامج التطويرية التي تبنتها الإدارة، وكانت الخطوة الأولى في ذلك إنشاء مركز المعلومات والحاسب الآلي بالإدارة وإنشاء البنية التحتية اللازمة لذلك والعمل على ربط مركز المعلومات بالمدارس، وفعلاً استطاعت الإدارة أن تحقق ذلك وبدأ مركز المعلومات بدعم كل الجهود التي من شأنها تطوير العمل باستخدام تقنية الحاسب الآلي، وتم تطوير مجموعة من البرامج الحاسوبية لتخدم الإدارة والبرامج التعليمية والإشراف التربوي والإرشاد، وتم صرف جهاز محمول لكل مشرف تربوي، وتم تطوير متابعة الدوام بشكل إلكتروني ومرتبطة بمركز المعلومات والحاسب الآلي، ويتم تقديم بيان إحصائي كل شهر، ويتم اختيار الموظف المميز كل شهر بناءً على تلك الإحصاءات، ويزود كل قسم بتلك الإحصاءات.

٣. برنامج استقبال المعلمين الجدد.. لقد تم تطوير هذا البرنامج بحيث تتهي جميع إجراءات وتوجيه المعلمين الجدد في مكان واحد وبيوم واحد وفي بيئة مريحة، وكان هذا الاستقبال يتم في قاعة احتفالات كبرى بالدمام بمساهمة ودعم القطاع

الخاص، حيث يتم إنهاء كافة الإجراءات الإدارية، ويتم توجيهه إلى مدرسته، وذلك بحضور جميع مسؤولي التعليم، ويعقد في هذا اليوم لقاء مفتوح مع مدير عام التعليم ومسؤولي الإدارة، ويتم الإجابة على كل تساؤلات المعلمين الجدد وتقديم المعلومات اللازمة لهم مع إعطاء حقيبة لكل معلم بها (دليل المعلم، السياسة التعليمية للمملكة، معلومات عن المنطقة الشرقية، وعن الخدمات التي تقدمها الإدارة، وخرائط بعناوين المدارس ومواقعها بالإضافة إلى ذلك تقديم بوفيه مفتوح طيلة اليوم).

ولنجاح هذه الفكرة بالمنطقة الشرقية تم تعميمها على جميع المناطق التعليمية.

٤. الصندوق التعاوني المدرسي: .. هذه الفكرة التي انبثقت من كيفية الاستفادة من دخل المقاصف المدرسية، بحيث ينشأ صندوق مدرسي تعاوني تساهم فيه جميع المدارس بالمنطقة، بحيث يتم دفع اشتراك أو نسبة من دخل المقصف المدرسي إلى هذا الصندوق، كما يقبل الصندوق التبرعات والهبات، ويهدف الصندوق إلى مساعدة المدارس في تأمين احتياجاتها الضرورية ودعم البرامج والمشاريع التي ليس لها ميزانية، التي تنفذ على مستوى المنطقة، وقد كانت ميزانية الصندوق جيدة كفلت للإدارة أن تنفذ جميع برامجها ومشاريعها دون تأخير وكان للصندوق مساهمات كبيرة في ذلك ولم تقتصر مساهمات الصندوق على الإدارة فقط بل تعدت مساهماته إلى الوزارة وإدارات التعليم الأخرى والمدارس السعودية بالخارج بمساهمته في دعم بعض البرامج.

ولنجاح هذه التجربة في المنطقة الشرقية تبنتها الوزارة وتم تعميمها على جميع المناطق التعليمية.

٥. مراكز التوجيه والإرشاد.. تم إنشاء مركز التوجيه والإرشاد النفسي بمنطقة الدمام، بحيث تقدم الخدمات الإرشادية من قبل مرشدين مؤهلين ومتخصصين في مجال التوجيه والإرشاد، حيث لا يتوفر المرشد المتخصص في كثير من المدارس، لهذا تم

التفكير في إنشاء هذا المركز، ليتم التعامل مع الحالات المحولة من المدارس، التي تحتاج إلى مساعدة إرشادية احترافية، وقد تم افتتاح هذا المركز من قبل معالي وزير التربية والتعليم، وقد أشاد معاليه بهذه الخطوة.. كما تم تدشين أول موقع تفاعلي يقدم الخدمات الإرشادية والاستشارية، ويشرف عليه لجنة استشارية متخصصة من جامعة الملك فيصل وشركة أرامكو السعودية، ومديرية الشؤون الصحية بالمنطقة الشرقية ومن إدارة التعليم.. كما تم تنفيذ برنامج تدريبي رائد في تعديل السلوك كبرنامج شراكة فاعلة بين الإدارة وكلية الطب بجامعة الملك فيصل.. كما تم إعداد دليل أخلاقيات مهنة التوجيه والإرشاد من الوزارة، واعتمد ثم عمم من قبل معالي الوزير على باقي الإدارات التعليمية، كما تم تطوير برنامج الهاتف الاستشاري المهني، حيث يعمل على تقنية الاتصال عن طريق الهاتف، ويقدم المعلومات التربوية والمهنية التي يحتاجها الطالب عن الجامعات والوظائف، وقد تم لاحقاً التوسع في هذه المراكز بحيث غطت مناطق أخرى في القطيف، وشفوى، والجبيل، كما أن الوزارة قامت بتعميم هذه الفكرة بسمى وحدات التوجيه والإرشاد.

٦- إنشاء مكتب لخدمة المستفيدين.. تسهياً على المستفيد للإدارة فقد تم إيجاد هذا المكتب لخدمة المستفيد، لتوفير الوقت والجهد بين الإدارات المختلفة، وإذا ما أراد مقابلة أحد المسؤولين فيمكنه ذلك.

٧- إنشاء مجالس الأحياء.. هذه المجالس تتكون من مجموعة من المدارس الحكومية والأهلية في الحي الواحد أو المنطقة الواحدة، لتشكل فيما بينها توأمة يتم تبادل الخبرات الإيجابية فيما بينها، بحيث تعم الفائدة وحث الجميع على التميز في العمل.

٨- تطوير آلية تسجيل طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية، بحيث يُسجّل طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية تلقائياً دون جهد من الطالب أو ولي أمره حيث يتحول ملف الطالب من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة المتوسطة، التي حددت مسبقاً ويعرفها الطالب، وكذلك طالب المرحلة المتوسطة يحول ملفه تلقائياً إلى المدرسة الثانوية التي حددت مسبقاً ويعرفها الطالب.

٩. التدريب والابتعاث.. لقد أولت الإدارة اهتمامها الكبير بالتدريب، فأنشأت إدارة التدريب والابتعاث ضمن الهيكل التنظيمي للإدارة، كما تم تطوير وإنشاء مركز التدريب وهيأت له المرافق التدريبية اللازمة، ووضعت خطة إستراتيجية للتدريب وفقاً للاحتياجات التدريبية، كما شجعت الإدارة منسوبيها لمواصلة دراستهم العليا، وقد أنهى الكثير من منسوبي الإدارة دراستهم وحصلوا على شهادة الماجستير والدكتوراه.

١٠. تطوير وحدة المتابعة.. وذلك بإنشاء قسم خاص بالقضايا التربوية وتكليف تربويين للعمل به بجانب المفتشين الإداريين والباحثين القانونيين.

١١. تطوير مركز اختبار الثانوية العامة.. لقد تم تطوير موجز اختبار الثانوية العامة بشكل كبير من حيث تهيئة المكان والقاعات الملائمة والإمكانات المتاحة للعاملين في اللجان وتم تطوير سير العمل في اللجان واستخدام تقنية الحاسب في أعمال اللجان، حتى أصبح المركز نموذجاً مثالياً يبين مراكز الاختبارات في المملكة، وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت في تطوير مركز الاختبارات إلا أن الإدارة كانت تقترح في تقاريرها المرفوعة للوزارة بإلغاء مركزية اختبار الثانوية العامة، وهذا ما تحقق لاحقاً.

تلك هي بعض الأمثلة لبعض المنجزات التي تحققت في مدة عملي مع معالي الوزير الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وددت أن أدونها هنا فقط للتدليل على دور الوزير الكبير في حث العاملين معه وتشجيعهم ودعمهم من خلال الأساليب الإدارية التي اتبعها في قيادته دفة التعليم بالمملكة.

وليسمح لي القارئ الكريم قبل اختتام مقالتي هذه بالكتابة قليلاً عن شخصية محمد الرشيد كما عرفته.

لم تبدأ علاقتي به مع بدء عملي بالوزارة، بل عرفته منذ أن كنت طالباً بكلية التربية، جامعة الرياض في عام ١٣٩٢ هـ حينما التحق معاليه بالكلية كأستاذ فيها وكنت أنا طالباً في السنة النهائية لتخرجي.. عرفته أستاذاً متمكناً في مجال تخصصه، مُحدثاً مؤثراً،

وطنياً متوقداً نشاطاً وحماساً لقضاياها، وأتذكر في تلك الحقبة الندوة الكبرى التي أقيمت في الجامعة بسمى (رسالة الجامعة) وكان الرشيد أحد أعلامها، وعرفته حينما كان مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، وكيف استطاع أن يحقق أهداف المكتب بالعديد من الإنجازات والبرامج والمشاريع التربوية والتعليمية على مستوى دول الخليج العربية، ولعل أهمها جامعة الخليج العربي بالبحرين، ومشاريع تطوير المناهج، واللقاءات التنسيقية بين دول الخليج، واللقاءات والمؤتمرات وورش العمل التي تصب في كل ما من شأنه تطوير العملية التعليمية في دول الخليج، وعرفته عن قرب أكثر حينما عملت معه في وزارة المعارف، هو الرجل الأول في الوزارة، وأنا الرجل الأول التنفيذي في منطقتي كمدير عام للتعليم.

وجدت محمد الرشيد (الوزير) هو نفس الإنسان الأستاذ بكلية التربية بتواضعه، وبوطنيته، وإخلاصه، وأخلاقه وسلوكياته الإنسانية الراقية في التعامل مع الآخرين، وجدته أكثر حماساً وتوقداً لقضايا الوطن، وأكثر عمقاً، وفكراً، وخبرة، كل تلك الصفات التي كان يتمتع بها (أبو أحمد) جعلت منه شخصية مؤثرة وفاعلة في عمله، ومؤثرة علينا نحن العاملين معه، فرسمت لنا الطريق لكي نعمل بكل إخلاص وتفان وحماس من أجل الوصول إلى تحقيق أهداف التربية والتعليم في بلادنا.. لقد تبلور ذلك من أول لقاء رسمي يجمعني وإياه في مكتبه بالوزارة، وكذلك الرسالة التي وجهها لنا كمسؤولين في أول لقاء معه يضم مديري التعليم بالمملكة، وقد أكد في ذلك اللقاء على توجهات في غاية الأهمية، وهي (وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة)، و (المعلم هو حجر الأساس في التربية) و (إننا أصحاب رسالة) و (لا سبيل للقيام بمهمتنا إلا حين نعمل جميعاً بروح الفريق الواحد)، هذه المفاهيم والتوجهات شعارنا في العمل، وأصبحت أشبه ما تكون بخارطة الطريق لعملائنا، وأستطيع أن أقرر بكل ثقة بأن توجهات الوزير وشعاراته كانت الوقود الذي يدفعنا لمزيد من العطاء والإنجاز، كان يكفي الواحد منا كمديري تعليم بأنه يكرر في كل اجتماع ولقاء معه قوله: (كل مدير تعليم في منطقته يعد نفسه هو الوزير) كانت هذه الجملة بالنسبة لي هي العصا السحرية التي تدفعني لبث الحماس والتشجيع

والدعم لكل من يعمل معي، تلك الجملة أشعرتني بأنني أستطيع أن أعمل وأنجز الكثير، وأن لدي الكثير من الصلاحيات غير المكتوبة من خلال هذه الجملة، التي تخولني أن أنفذ كل ما هو في صالح العمل دون الرجوع للوزارة.

أما شخصية الرشيد الإنسانية والاجتماعية كما عرفته، فهو يتمتع بشخصية تمتلك الكثير من الصفات والخصائص التي تجعله قريباً جداً من كل شخص حتى يجعل كل واحد منا يعتقد أنه الصديق المقرب وذو الحظوة لديه، وهذه صفة قلما تجدها في القياديين، سأذكر هنا بعض المواقف في بعض المناسبات التي جمعتنا وإياه سواء داخل المملكة أو خارجها، حرصه الدائم ليكون معنا في نفس الطائرة التي تقلنا سواء في المهمات الداخلية أو الخارجية، متابعتة الشخصية لكل فرد في الوفد والسؤال عنه، حديثه مع الجميع وتبادل النكات والتعليقات المرححة، حينما نكون في خارج المملكة وفي مهمة رسمية يحرص على أن يكون مع الجميع في تنقلاتهم واجتماعاتهم وحتى غير الرسمية فهو يطلب برنامجاً اجتماعياً يكون الجميع فيه.

ومن المواقف الإنسانية التي أذكرها فإنني كتبت له عدة مرات عن حالات إنسانية من منسوبي التعليم يحتاجون للمساعدة والدعم، فيتدخل شخصياً ويكتب لولي الأمر فتحل المشكلة، أو إذا كان هو من يستطيع أن يحل الأمر فيبادر على الفور باتخاذ القرار.

والرشيد شخصية اجتماعية قريبة من الجميع، فتجده يحضر ويشارك في المناسبات الاجتماعية غير الرسمية لمنسوبي التعليم، فتجده في دعوة عشاء، أو حفل زواج، أو في عزاء، أو يمارس رياضة المشي مع بعض الزملاء في كل يوم، أو يحضر اللقاءات الدورية الاجتماعية التي تضم الأقارب أو الأصدقاء، أو اللقاء الأسبوعي الاجتماعي الذي يكون في منزله يضم منسوبي التعليم والأصدقاء.

كما يمتاز الرشيد بحرصه الكبير على متابعة كل ما يكتب في الصحافة والإعلام، ويطلب دائماً من العلاقات العامة الإعلام التربوي بالرد على ما يكتب، ويطلب من المناطق

التعليمية إذا كانت هي المعنية في الأمر بالكتابة عن رأيها، والشيء الجميل في الوزير من خلال متابعتة لما يكتب أنه لا يركز فقط على الردود، بل يتفاعل حتى مع الأخبار ومقالات الرأي وكل ما يتعلق بالتربية والتعليم، فإذا قرأ مثلاً خبراً عن برنامج جديد يطبق في المنطقة الشرقية، وهناك إشادة حوله تجده يبادر بإرسال خطاب شكر بخصوص ذلك البرنامج والإشادة به، كما لا أنسى حينما كتب الكاتب الدكتور علي سعد الموسى مقالاً في جريدة الوطن بعنوان: (إلى صالح الدوسري وحده) فعلق الوزير على مقاله بخط يده (سروري بالغ وبهجتي لا تحد بهذه المقالة.. بارك الله فيك ووفقك وأعانك وسدد خطاك، وأدام عليك نعمه الظاهرة والباطنة، وقد عممت المقالة على كثير من الزملاء وشكراً)، وعليها توقيع الوزير وأرسلها لي وعممها على الزملاء في الوزارة وإدارات التعليم.

تلك هي شخصية الوزير الرشيد بما يمتلكه من صفات وخصائص قيادية وإنسانية لها الأثر الكبير على من يعمل معهم وتنعكس بإيجابية على العمل نفسه.

وأخيراً أود أن أقرر وأقول: إن تلك المنجزات التي تحققت لنا في الإدارة العامة للتربية والتعليم بالمنطقة الشرقية لا يمكن أن تتحقق وتجز لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم الدعم السخي الذي توليه حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله ومن قبله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود يرحمه الله ودعم وتوجيه سمو أمير المنطقة الشرقية صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز آل سعود، وسمو نائبه سمو الأمير جلوي بن عبد العزيز بن مساعد آل سعود ومن قبله سمو الأمير سعود بن نايف ابن عبد العزيز آل سعود (نائب أمير المنطقة الشرقية آنذاك)، وبفضل دعم وتوجيه معالي وزير التربية والتعليم آنذاك الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، وبفضل الجهود المخلصة التي بذلها زملائي منسوبي التعليم بالمنطقة الشرقية من قياديين وإداريين وموظفين وعمال ومشرفين تربويين ومديري مدارس ومعلمين، كذلك من منسوبي التعليم الذين سبقونا في العمل، وزملائنا في الوزارة، وكل من له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتعليم.

لكل أولئك الشكر والتقدير، وأسأل الله العلي القدير لهم المثوبة والأجر على كل ما قدموه من جهد وعمل مخلص لخدمة أبنائنا، ومن أجل النهوض بالعملية التربوية التعليمية في بلادنا، ومن أجل أن تصل بلادنا إلى مصاف الدول المتقدمة بإذن الله تعالى في ظل حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله.

والله ولي التوفيق..



إنسانية معالي الدكتور محمد الرشيد

د. عبد العزيز بن محمد الديان

- حرص معاليه على التأكيد دوماً في كل اجتماعاته مع منسوبي الوزارة على وجوب التسامح والتراحم والتواصل ودعوة الجميع لسلامة الصدور وشفاء القلوب ونقاء السرائر.
- حرص معاليه على استمرار التواصل بين مسؤولي الوزارة من خلال عقد اجتماعات أسبوعية وشهرية وسنوية في مكتب معاليه وفي المناطق.
- عقد مجموعة من لقاءات التواصل الاجتماعية الشهرية لمنسوبي الوزارة في بعض الاستراحات خارج الرياض.
- إقامة مراسم عزاء للمرحوم الدكتور إبراهيم الدريس -رحمه الله- بحضور أسرته في مبنى الوزارة وتسمية إحدى قاعات الوزارة باسمه تكريماً له.
- الحرص الشديد على حضور كل مناسبات الفرح ومشاركة الزملاء والوقوف معهم في حالة الأتراح إن وجدت.
- إقامة حفلات معايدة سنوية لجميع منسوبي الوزارة في عيدي الفطر والأضحى، ويكون الوزير على رأس الحضور باستمرار.

مدير عام التربية والتعليم (بنين) بمنطقة الرياض سابقاً.

- زيارة الأستاذ أحمد بن عبد الرحمن الهلال مدير التعليم بالإحساء سابقاً حينما كان مريضاً بعد تقاعده، وذلك خلال اجتماع كبار مسؤولي الوزارة بالإحساء.
- التراجع عن فكرة ضم الوحدات الصحية لوزارة الصحة بعد أن كشف الأستاذ محمد سالم العطاس مدير التعليم بجازان حجم المستفيدين من هذه الخدمة من المواطنين.
- التواضع والبساطة ولين الجانب وحب الخير والحرص على مساعدة الناس وقضاء حوائجهم والبشاشة والابتسام التي لا تغادر محياه عند استقباله المراجعين ومنسوبي التعليم.

الرسائل العشر الموجهة لمنسوبي التعليم.

- اللقاءات السنوية لكبار مسؤولي الوزارة مع ولاة الأمر خلال اجتماعاتهم الدورية قبل كل عام دراسي.
- جهوده في ترشيح معالي الدكتور غازي القصيبي -رحمه الله- مديراً عاماً لمنظمة اليونسكو.
- الأستاذ سياف آل خشيل مدير التعليم بمحافظة بيشة يؤجل تنفيذ قرار معالي الوزير بإلغاء عقد معلم مرحلة أولية متعاقد متميز أكثر من ٦ شهور ومعالي الوزير يشكره على ذلك أمام اجتماع عام بالوزارة.
- اجتماع الإحساء باستضافة الدكتور عبد الرحمن المديرس لعينة منتقاة من كبار مسؤولي الوزارة لوضع برنامج عمل للوزارة بعد التمديد لمعالي الوزير.
- متابعة مبلغ الدعم من سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز -رحمه الله- لوكالة الآثار والمتاحف بشأن تدوين المعجم أو الموسوعة.

من أبرز المنجزات المتحققة خلال تلك الحقبة:

- المشروع الشامل لتطوير المناهج.

- مشروع العلوم والرياضيات.
- مشروع دمج طلاب التربية الخاصة بطلاب التعليم العام.
- المدارس الرائدة.
- التقويم الشامل للمدرسة.
- مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين.
- إعادة الهيكل التنظيمي للوزارة ونقل تبعية الآثار وكليات المعلمين.
- إعداد مشروع: التعليم العام، وإلزامية التعليم.
- إسناد التغذية المدرسية لشركة متخصصة.
- الزيارات الدولية.
- استحداث إدارة الإعلام التربوي وأقسامها بالميدان.
- الخطة العشرية لوزارة التربية والتعليم.
- إقرار التربية الوطنية كمادة ضمن المنهج الدراسي.
- تدريس مادة اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية.
- دمج التقنية في التعليم ودعم المدارس بالمعامل والمختبرات.
- الاستعانة بالفكر الأكاديمي في الجامعات.
- التواصل مع الميدان ومشاركة المعلمين في اللجان وفرق العمل بالوزارة.
- التوسع في برامج التدريب والتطوير المهني وإنشاء مراكز التدريب التربوي في جميع الإدارات ودعمها بالكوادر والميزانيات والأجهزة.



سبع سمان

د. عبدالعزیز بن محمد المنصور

عرفت الدكتور محمد بن أحمد الرشيد منذ أن كان أستاذاً في كلية التربية في جامعة الملك سعود عندما زار جامعة (انديانا) في بلومنجتون بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث كنت أدرس في منتصف سبعينيات القرن العشرين، وقد كان الدكتور محمد ضمن وفد من جامعة الملك سعود يزور عدداً من الجامعات الأمريكية تحضيراً لبناء الحرم الجامعي في الدرعية.

وعندما أصبح الدكتور محمد عميداً لكلية التربية وصرت عميداً للكلية المتوسطة لإعداد المعلمين بالرياض كان الدكتور محمد من طلائع الذين عنوا بتطوير النظام التدريسي في الجامعة، ومن رواد تبني نظام الساعات، وقد تبنيها في الكليات المتوسطة لإعداد المعلمين في وزارة المعارف نظام الساعات نفسه، وكانت تضمنا اجتماعات تطوير هذا النظام، واستمرت المعرفة الشخصية مع الدكتور محمد طوال عمله مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج، وبعد أن عاد للتدريس في جامعة الملك سعود كنت قد عدت بالدكتوراه، وصرت مشرفاً على التعليم الثانوي المطور في وزارة المعارف، طلب مني مرة أن أحضر في أحد لقاءاته التي كان يعقدها لطلاب الدراسات العليا في كلية التربية ففعلت، وكان إسهامي هو الإجابة عن تساؤلات الدارسين عن نظام التعليم الثانوي المطور.

عندما عين الدكتور محمد وزيراً للمعارف كنت في أمريكا، ولم أتصل به إلا بعد خمسة أشهر من التعيين، وبعد لقائي الأول به وحضوري لاجتماع عام حضره لفييف من التربويين بعد ظهر يوم من أيام شهر شعبان ١٤١٦ هـ كانت لي مداخلة فيها نوع من

أمين عام اللجنة العليا لسياسة التعليم سابقاً.

الجرأة من منطلق عشمي فيه، وكان من بجانبني يعاتبني على ذلك، إلا أنه بعد الاجتماع دعاني أبو أحمد لمرافقته لمكتبه، ثم عرض عليّ أن أكون عضواً في الفريق الاستشاري الذي كان قد شكله ممن يظن فيهم الخبرة والمعرفة والإخلاص، وكانت تُعرض على الفريق الأمور المفصلية في الوزارة، وكانت للمجلس آراء في كل الموضوعات لم تكن دائماً تتفق مع رؤى مسؤولي الوزارة، إذ كان معظم أفراد الفريق وخصوصاً المؤثرين منهم من خارج الوزارة مما وضع على عاتقي شرح مواقف أجهزة الوزارة لأعضاء الفريق وتقريب وجهات النظر بين الطرفين.

وبعد أن أصبح أبو أحمد على ألفة تامة بكل شؤون الوزارة كان الفريق الاستشاري قد أدى مهمته، وانتهى عمله وأظن ذلك في حقبة الوزارة الثانية.

من التقاليد الحميدة التي سنّها الدكتور محمد خلال عمله في وزارة المعارف التي أصبحت تسمى (التربية والتعليم) في عهده، اجتماع يوم الأربعاء الذي كان على نوعين: أسبوعي يقتصر على الوكلاء وبعض مديري العموم، يحضره مديرو الإدارات، وكانت هذه الاجتماعات مناسبة لا تقدر بثمن لتبادل الأفكار، والخروج بفهم موحد لمعظم قرارات الوزارة، بحيث إن من يحضر الاجتماع يصبح على دراية بعمل الأجهزة الأخرى للوزارة، ولديه فرصة لإبداء رأيه الشخصي، أو رأي إدارته في ذلك، وكان الاجتماع يبدأ في الساعة الثامنة صباح يوم الأربعاء، وكنت شخصياً أرى أن هذا الاختيار لليوم وللساعة هو إشارة مهذبة من معاليه إلى مسؤولي الوزارة بالبدء مبكراً، واستمرار العمل حتى يوم الأربعاء الذي قد يفكر البعض في التخلص منه مراراً تحت مبررات عدة.. لذلك كنا نسمع من بعض من يحضرون عبارات تتم عن التبرم من حضور هذا الاجتماع، وأن بقاءهم في مكاتبهم يوقعون الأوراق الرسمية أكثر فائدة من الاجتماع.. أما الأغلبية فأظنهم كانوا يستفيدون من هذه الاجتماعات في التواصل وتكوين ثقافة موحدة للوزارة وكانت فرصة لأبي أحمد ليتأكد من الجميع إلى آخر الأسبوع (تفقد)!!

في بدايات عملي في الفريق الاستشاري كنت لا أزال أستاذاً مساعداً في كلية المعلمين بالرياض نما لعلم الوزير أنني أعمل على تعديل نظام التسجيل والقبول في

الكلية، وأنني قد أبلت فيه بلاءً حسناً.. وكان الوزير قد تعاقد مع مكتب استشاري لبدء تطبيق الحاسوب في أعمال الوزارة، لرسم خطة إستراتيجية لاستكمالها، والبحث جار عن من يقود هذا المجهود، فعرض عليّ العمل كمدير للحاسب في الوزارة فاعتذرت فأصر حتى أصبح الاعتذار قلة ذوق، أمام إصراره، فصدر قرار بتعييني مديراً عاماً للحاسب ابتداءً من شهر شوال ١٤١٦هـ، وخلال تلك المدة وجدت دعماً غير محدود من الوزير، مما مكّن المركز من قطع شوط جيد في سبيل حوسبة الوزارة.. وقد أرفقت تقريراً ختامياً عن تلك المدة أسمىته (سبع سمان).

خلال عملي في الحاسب كانت هناك تحديات تمثلت في:

١. ضخامة المهمة.

٢. قلة الوظائف المخصصة للمركز التي يمكن التعيين أو التعاقد عليها.

٣. استقلال بعض الجهات في الوزارة بمراكز وقواعد بيانات خاصة بها خارج سيطرة مركز الحاسب.

أما بخصوص ضخامة المهمة فقد كانت الوزارة في ذلك الحين، (وإن كانت مختصة بالبنين فقط) تضم مئات الألوف من المعلمين، والموظفين، الآخرين، وقد رأينا في المركز أن التطوير الحقيقي لأنظمة الوزارة يمر من نظام مركزي للموظفين يحتوي على قاعدة بيانات موحدة، وإجراءات محددة، تمر من خلالها كل قرارات الوزارة في تعيين، ونقل، وإجازات، وإنهاء خدمة، وابتعاث، وتقاعد الموظفين جميعاً بمن فيهم المعلمين.. فكان حجم المعلومات هائلاً، حيث إن بعض الموظفين لديه سجل وظيفي يمتد لأكثر من أربعين سنة، وكلها معلومات لا بد من استيعابها في النظام قبل أن يصبح مفيداً.. وقد صادفت المركز صعوبات تمثلت في عدم قناعة بعض المسؤولين في بعض الأقسام بجدوى استعمال الحاسب، أو الخوف من كشف كم هائل من الأخطاء المتراكمة على مدى زمني طويل؛ ومن ثم حصل تلكؤ في التعاون مع مركز الحاسب، بل أحياناً تخريب جهوده مما أثر سلباً في مسيرة الحوسبة.. في المقابل كان هناك استعجال للنتائج من

قبل بعض كبار المسؤولين؛ فقد قال أحدهم لي في أحد الاجتماعات: متي نستطيع أن نضغط على زر واحد فنعرف كل شيء عن كل شيء؟ فقلت لسعادته: إن علينا أن نضغط ملايين الأزرار قبل أن نستطيع ضغط زر، وللأسف تقاعد قبل أن يضغط زره.

كنت في الاجتماعات أقول للمسؤولين في سبيل إيضاح الموقف، وكذلك لتلطيفه: إن أمامنا إستراتيجيتين: إستراتيجية (الرشاد)، وإستراتيجية (البطاطس)، فإستراتيجية الرشاد تتمثل بعمل قليل ينتج نتائج باهرة، وهذه استطعنا تطبيقها في المهمات التي ليس لها بعد تاريخي، مثل النظام المالي الذي عمل بشكل جيد منذ العام الأول؛ لأنه يفتح صفحة جديدة في كل عام مالي.. كذلك عملت ولو بتأخر نسبي في نظام الاتصالات الإدارية الذي لمست نتائج في جميع أطراف جهاز الوزارة، ولولا عدم وجود التواصل المعلوماتي بين مناطق المملكة في ذلك الحين لتمّ دمج الوزارة وإدارات التعليم في وحدة إدارية واحدة.

أما إستراتيجية البطاطس ففيها يستمر تكوين الثمرة تحت الأرض لمدة طويلة قبل الحصول على الحصاد المرغوب، وكانت هذه هي إستراتيجية المركز مع النظام المركزي Flagship لجميع الأنظمة وهو نظام الموظفين. هذا النظام ظهرت له نتائج سريعة نسبياً في جهاز الوزارة، مثل: تسجيل الموظفين، وتأدية مستحقاتهم، وإجازاتهم، وما إلى ذلك إلا أن عائق الربط المعلوماتي مع إدارات التعليم لم يمكن من الاستفادة القصوى من النظام. كذلك وجود معلومات أرشيفية لم يستكمل إدخالها.

وكان من العوائق عدم وجود الموظفين والوظائف لتشغيل عمل بهذا الحجم وهذه الأهمية. فلم أكن من المؤمنين بالتكليف الخارجي Outsourcing، بل كنت أوّمن بثقافة موحدة ونظرة متكاملة تنطلق من نقطة واحدة وبروح واحدة، فاللامركزية قد تكون مرغوبة في اتخاذ القرار لكن المعلومات المحفزة لهذا القرار والنتيجة عنه لا بد أن تكون مركزية جداً؛ فكان لا بد من دعم المركز بالموظفين المؤهلين لهذا العمل. الأمر الذي حال دونه شح الوظائف الذي كان عائقاً لم تستطع الوزارة تخطيه، كما تخطت عائق الاعتمادات المالية بالتحويل من بند إلى بند أو توريد شيء باسم شيء آخر.

ومن هنا يأتي الحديث عن العائق الثالث. فبعض جهات الوزارة وبعض إدارات التعليم ممن لديها مرونة في توجيه المعلمين لأعمال غير تدريسية استغلت فورة الحماس والمهارة في بعض أساليب البرمجة البسيطة لدى بعض المعلمين، فكانت منهم مراكز خاصة بها، وكنت أسميها (مساجد الضرار)، ومن أشهرها مركز شؤون المعلمين الذي جند أعداداً ضخمة من المعلمين، وأنشأ قاعدة معلومات مستقلة عن قاعدة شؤون الموظفين دون أي تنسيق بين القاعدتين؛ مما أربك العمل وجعله مستحيلاً، وكان من الصعب إقناع شؤون المعلمين بالتخلي عن (إنجازاتهم) لصالح نظام مركزي محترف. كذلك برنامج (معارف) له معنا قصة تستحق أن تكتب.. لكن لا داعي لروايتها الآن!!

بعد فقد مركز الحاسب الدعم أمام مساجد الضرار طلبت من أبي أحمد إعفائي من المهمة وجعلي مستشاراً في مكتبه فوافق مسروراً، إذ إنني تحولت في مخيلتهم إلى (إسفين) يشق وحدة رأي الوزارة.

كنت أظن أن عمل مستشار في مكتب الوزير هو كناية عن الوضع على الرف كقطعة غيار قديمة، خدمت وقتاً لكن لم تعد لها حاجة آنية.. لكن مع الدكتور محمد الرشيد ومعني لم يكن الأمر كذلك، فقد كانت مدة العامين التي قضيتها مستشاراً في مكتبه حافلة بالنشاط والعمل، فلم أستبعد من الاجتماع الأسبوعي الأربعاوي، وكنت استدعى لحضور الكثير من الاجتماعات المهمة في مكتب الوزير.. كما أصبحت عضواً في مجلس التطوير التربوي، الذي شكل برئاسة نائب الوزير لتعليم البنات بعد الدمج.. أما عملي المكتبي فقد كان منوعاً جداً، ويتوقف على ما كان يحيله معالي الوزير إليّ للدراسة وإبداء الرأي، أو لإعداد ردود، أو للترجمة، أو للتلخيص.. والآن حين أراجع الملفات على حاسوبي أجد أكثر من مائة خطاب وتقرير وتلخيص وردت في موضوعات تراوحت بين الإجرائية، والتربية الأساسية، والاجتماعية، والوطنية، والسياسية.. فالشكر لله ثم لأبي أحمد الذي استخرج مني كل ذلك الإنجاز.

في بداية عملي المتفرغ مع أبي أحمد بينت له أن عمري لا يسمح بالمجازفة؛ فأنا جاوزت الخمسين ولم أتعُد درجة أستاذ مساعد نتيجة تنقلي بين مسؤوليات جهاز الوزارة المختلفة، مشرفاً على التخطيط والميزانية، ثم مشرفاً على تعميم فكرة التعليم الثانوي المطور، وأنا الآن أمام طريقتين: إما التركيز على العمل الأكاديمي والسعي للترقيع عن طريق العمل التدريسي والبحثي، أو صرف النظر نهائياً عن ذلك والاتجاه للمراتب الإدارية.. عندها قال لي: إنني أضمن لك المرتبة الرابعة عشرة، ووعد بالسعي من دون ضمان للحصول على الخامسة عشرة، فكأنه كان يقرأ المستقبل، فقد وُفِّي بتعييني على وظيفة مستشار تعليمي على المرتبة الرابعة عشرة، وقبل أن ينتهي عمله في الوزارة كان قد رشحتني مرة أو مرتين لنيل المرتبة الخامسة عشرة، الأمر الذي لم يتم إلا في عهد خلفه، إلا أنه لولا الله ثم ترشيحه لي في المرات السابقة لما تم ذلك.

في رمضان ١٤٢٥هـ فُجعت الوزارة، وفُجعت أنا على وجه الخصوص بوفاة أحد كبار المسؤولين في الوزارة وأحد أصدق المسؤولين ولأء وأجودهم رأياً وهو صديقي وصديق الجميع الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس رحمه الله، وقد قام أبو أحمد بواجب العزاء، ووقف مع أسرته طوال أيام العزاء، ثم في أول اجتماع للوزارة بعد إجازة العيد كان هناك اجتماع (تأيين) إن كان هذا المصطلح جائزاً في الإسلام، وحضر بعض أفراد أسرة المرحوم ليسمعوا ما يقوله زملاؤه عنه من ثناء عليه، ودعاء له، وذلك من حناجر مخنوقة بالبكاء.. وقد جُمعت هذه المقالات في كتيب وزع على المسؤولين لاحقاً.. كما أطلق الوزير اسم (الدكتور إبراهيم الدريس) على قاعة الاحتفالات الرئيسية في مبنى الوزارة، رحم الله الفقيد، وجزى الله أبا أحمد خير الجزاء على نبه ووفائه.

العمل مع أبي أحمد ليس عملاً نمطياً تسلسلياً، بل هو عمل متشعب متواز، فبينما يكون الشخص موكلاً إليه عمل رسمي فإن ذلك لا يعني انتفاء الاستفادة منه في نواح ومشاريع أخرى يعلم الوزير أن له فيها خبرة ودراية.. ومثال ذلك ما حصل في لائحة (تقويم الطالب) في عام ١٣٩٦هـ، وفي عز الطفرة الاقتصادية الأولى خلال توطد

شعور لدى الناس، ومنهم المسؤولون العائدون حديثاً من الدراسة في الخارج، هذا الشعور القوي بشيء من (الفيلانثروبي)^(١).. وهو التسهيل على الناس مراعاتهم، بل أحياناً مدهنتهم، كان شبح الامتحانات النهائية وقراراته الجازمة في رسم مستقبل الطالب يلقي بظلال من الخوف، والرعب على الطلاب الذين بدأ يدب فيهم وهن الجدة الاقتصادية، فانجرف التربويون في هذا المزلق، وقدموا لائحة للاختبارات عكست هذا التوجه، وكان أبرز معالمها قسمة العام الدراسي إلى فصلين شبه مستقلين، تُعطي لكل فصل ٥٠٪ من درجة المادة الكلية المكونة من ١٠٠، ومن هذه الخمسين جعل بيد المعلم ١٥ درجة، يتصرف فيها كيف يشاء، وخصصت ٣٥ درجة للاختبار النهائي لكل فصل، وذكر في قرار اعتمادها أن تتم مراجعتها بعد عشر سنوات، هذه اللائحة أبدلت اسم (امتحان) باسم (اختبار)، ولم تصدر تعليمات مركزية تبين كيف توزع الخمس عشرة درجة التي تسمى أعمال فصل، حتى إن أحد مديري المدارس الثانوية كان هو الذي يمنح الطلاب هذه الدرجات.

أما في إدارات التعليم الكبيرة فقد وضع تشريع محلي في كل إدارة تعليم، وقسمت فيه هذه الدرجة إلى مشاركة، وواجبات، ومواظبة، وسلوك، وكانت الدرجة عبارة عن متوسط ثلاث مراحل في الفصل الواحد؛ أي أن على المعلم أن يسجل لكل طالب ما يتراوح بين ٩ و ١٢ درجة خلال فصل، ثم يحسب متوسط كل فئة، ويجمع الفئات، ويحصل على درجة أعمال الفصل.. فلك أن تتصور معلماً في صف فيه أربعون طالباً كم من الوقت يحتاج لتسجيل هذه الدرجات فمتى يعلم؟ عند إتمام اللائحة عشر السنوات المحددة للمراجعة شكلت في عام ١٤٠٦ هـ لجنة برئاسة وكيل الوزارة آنذاك الدكتور سعود الجماز وعضوية عدد من المسؤولين والخبراء من بينهم المرحوم الدكتور حمد بن إبراهيم السلوم الذي كان يشغل آنذاك وكيل الوزارة المساعد لشؤون الطلاب، وقد حضرت شطراً من هذه الاجتماعات.. كانت الفكرة المركزية في تلك الاجتماعات ضعف الطلاب في المهارات الأساسية (القراءة والكتابة) و(الحساب)، وأن المعلم يكمل المنهج المرسوم والمتابع

(١) وهي كلمة بالإنجليزية تعني: حب الخير للناس.

من قبل الوزارة دون التأكد من أن الطلاب حققوا النواتج التعليمية المقصودة، وذلك بحجة أنه مقيد بمنهج مجدول، وأن المشرفين يسألونه عن إتمام إلقاء الدروس، ولا يحاسبونه على استيعاب الطلاب.. فكان موقف المجتمعين وعلى رأسهم الدكتور سعود الجماز أن الصفوف الثلاثة الأولى ينبغي أن تعد مرحلة واحدة، مهمتها أن يتقن الطلاب المهارات الأساسية، ثم بعد ذلك ينتقلون للصف الرابع. أخذت مسودات تعديلات اللائحة تراوح بين جهاز الوزارة وإدارات التعليم وبين هذه اللجنة وتلك، وكان كل تعيين يحدث في قيادات الوزارة يترك بصمته على توجه اللائحة، وعندما تعين معالي الدكتور محمد الرشيد وزيراً للمعارف وجد هذا الإرث الكبير من الملفات والأفكار التي تراوح مكانها دون اتخاذ إجراء حاسم بشأنها..

بيدولي أنه وجه بجولة أخيرة لهذه اللائحة بين لجان الوزارة، وردود إدارات التعليم، وبعد عامين من المساجلات رأى معاليه أن الأمر قد نضج ولا بد من حسمه، فشكل لجنة من عدد من خبراء القياس العاملين في الوزارة أو المتعاونين معها بقيادة الدكتور إبراهيم بن مبارك الدوسري، وطلب منهم أن يعتصموا في مكان خارج الرياض، ويدرسوا جميع الملفات والأفكار، ولا يأتوا إليه إلا بلائحة متكاملة جاهزة لأخذ الموافقة من اللجنة العليا لسياسة التعليم.. كان من اللجنة الدكتور صالح الدوسري مدير عام التعليم في الدمام، الذي يسر إقامة الفريق في فندق المريديان، وكنت منهم كما كان منهم الدكتور علي بن عبد الخالق القرني والدكتور عبد الخالق خلف والدكتور عبد الله الدوغان من جامعة الملك سعود، ثم انتقل إلى جامعة الملك فيصل، وأرجو ألا أكون أسقطت اسم أحد بعد طول المدة.. اجتمع الفريق ودرس كل الأمور، وبدأ بوضع هيكل اللائحة على شكل مواد، وكانت تكتب هذه المواد أولاً فأولاً في حاسوب نقال مع الدكتور إبراهيم الدوسري.. كان من سمات هذه اللائحة ما سمي بالتقويم المستمر للصفوف الثلاثة الأولى، والمادة السابعة التي تتيح الترفيع مع انخفاض درجة الطالب في مادة أو مادتين عن النهاية الصغرى، كما قدمت فكرة الدرجة التي في يد المعلم من غير الاختبار، فصارت خمس درجات فقط، ووضع اختبار نصفى لكل فصل، عليه خمس

عشرة درجة، وترك للاختبار النهائي ثلاثون درجة.. كما أزيل شرط الدرجة الحدية للاختبار النهائي الذي كان يتمثل بـ ٢٥٪ من الدرجة، وكما قدم مفهوم الانتساب (أو بالأصح أعيد تقديمه)، وبعد اكتمال صياغة اللائحة تمت طباعة نسخة ورقية منها، وأرقلت بقرص مرن (كان شائعاً وقت ذلك)، وما هي إلا مدة قصيرة نسبياً حتى صدرت الموافقة على (لائحة تقويم الطالب) عام ١٤١٩هـ.

وبعد إقرار اللائحة كان لابد من إرسال فرق للميدان لشرح مستجداتها، وكيفية تفسيرها وخصوصاً مفهوم التقويم المستمر، الذي أزاح عبء إثبات الإلتقان من كاهل الطالب إلى كاهل المعلم، وكنت وزميلي الأستاذ فهد المهيزع مدير عام الاختبارات وقت كتابة هذه السطور نمثل إحدى الفرق المكلفة بشرح مستجدات اللائحة للمعلمين والمشرفين في عدد من إدارات التعليم في منطقة الرياض والتقصيم.

لقد ذكر كما أعتقد في قرار اعتماد اللائحة النظر في تمديد العمل بفكرة التقويم المستمر لبقية صفوف المرحلة الابتدائية بعد ثبوت نجاحها في المرحلة الأولية، وقد تم التوسع دون التأكد من النجاح وذلك في نسخة جديدة من اللائحة تضمنت الكثير من الأفكار التي في لائحة ١٤١٩هـ.

سبق أن أشرت إلى أنني عملت مشرفاً على تعميم مشروع التعليم الثانوي المطور من ١٤٠٥هـ إلى ١٤١١هـ، وقد جرى التوقف عن تبني هذا النظام ضمن موجة اجتماعية كاسحة ضد نظام الساعات، وخصوصاً في الجامعات، لكن التعليم الثانوي كان الأضعف فكان سقوطه هو الأول.

وكان من المآخذ التي أخذت على التعليم الثانوي المطور وجود فراغات في جدول الطالب، وقد درسنا هذه المشكلة في اللجنة المشرفة على سير النظام، ووجدنا أن الحل يمكن أن يكون في جعل معظم إن لم يكن كل المقررات من ذوات الخمس ساعات، وبذلك يسهل عمل جدول الطالب دون الفراغات التي كانت إجبارية عندما كانت معظم القرارات من ذوات الساعتين.. وكتبنا آخر تقرير لنا بتصور عن عمل ذلك وذكر لفوائده

من الناحية التنظيمية الممثلة بالقضاء على الفراغات أو تقليلها، ومن الناحية التربوية بتكثيف التدريس في كل المقررات، وتقليل أحقاب الاختبار، وفي ذلك مصلحة تربوية ظاهرة، كما ذكرنا أن تقليل عدد المقررات يقلل من تكاليف طباعة الكتب وتوزيعها، لكن السيف سبق العذل وتم إيقاف العمل بذلك النظام التربوي المرن القابل للمعالجة والإصلاح، واستمر يحز في نفسي ما أراه من الهدر في أعمار الطلاب نتيجة الربط الأفقي للمواد الدراسية، مما يحتم على الطالب إعادة عام دراسي كامل لمجرد أنه لم يجتز مادة واحدة أو اثنتين، وبعد عودتي من التفرغ العلمي في الولايات المتحدة، وإعادة الاطلاع على تنظيم المدارس الثانوية هناك تبين لي أنهم ينظمون موادهم الدراسية، بحيث تدرس كل مادة يومية، أي أنها في عرف نظام الساعات ٥ ساعات، كما أن معظم المواد تربط على شكل سنوات (أي فصلين) من كل مادة، فيتكلمون عن سنة من الكيمياء أو سنة من الجبر وهكذا، كما أنهم يتعاقدون مع المعلمين على أساس سنوي (بالأصح بعدة أشهر)، فخطرت لي فكرة تنظيم مواد التعليم الثانوي على شكل وحدات سنوية، بحيث تتكون كل مادة من عشر وحدات، وتدرس كل يوم، ومن ثم لا يكون لدى الطالب في أي عام دراسي أكثر من سبع مواد مما يقلل عدد مدد الاختبارات التي تقطع من زمن التدريس، وكنت مستسلماً لحتمية النظام السنوي فرتبت كل الأفكار على ذلك الأساس ووافقت أنظمة الاختبارات لتتماشى مع ما كان سائداً في ذلك الوقت في التعليم الثانوي العادي، وأسميته (نظام الوحدات للتعليم الثانوي) وقدمته للوزير وكان في السيارة وفي طريقه لاجتماع فيبدو أنه أحاله إلى جهة قتلتته..

لكن بعد مدة جمعتني بأبي أحمد رحلة إلى منطقة جازان.. وبعد العودة في طائرة السلاح التي كانت مقاعدها في تلك الرحلة عبارة عن جلسة شعبية وكنت أشترك مع أبي أحمد في متكأ واحد فجرى بيننا حديث، وذكرت له تلك الفكرة فطلب الاطلاع عليها ثانية وكنت لحسن الحظ أحمل نسخة من المشروع، فقدمته له وقرأه وأعجب به إعجاباً عاماً، وحدث أن عقد اجتماعاً كبيراً في قصر طويق في حي السفارات خصص لدراسة التعليم الثانوي، فقدمت ذلك المشروع في ذلك الاجتماع من ضمن عدة أفكار قدمت

ذلك اليوم، استمر الاجتماع ١٢ ساعة متواصلة تخللتها مدة غداء، وثلاث صلوات، وانتهت دون توصيات لسبب لا أفهمه، لكن تقرر بعد ذلك تشكيل لجنة في التطوير التربوي من ممثلين من القطاع الخاص ومن منسوبي الوزارة ومنسوبي الجامعة.

وجرت مناقشة للمشروع مع مشاريع أخرى مع توصيات بالتجريب لكن لم يتبلور من ذلك شيء عندما بدأ الأستاذ سعد الحصين فكرة الثانوية الشاملة التي تطورت إلى التعليم الثانوي المطور كان يسميها مدرسة ما بعد الحلم.. وقد نشأ بعدها بوقت قصير مدرسة ما قبل الحلم تشمل المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وقد افتتحها في مدرسة ابتدائية قرب منزله في حي الملز كانت تسمى مدرسة الفهد فلم يغير اسمها، لكنه غير نظامها التعليمي لتصبح مدرسة يتقدم فيها الطالب في مادة حسب إنجازه فيها وغير مرتبطة بالمواد الأخرى، فأصبح الطلاب يتقدمون حسب قدراتهم، فبعضهم اختصر مدة الدراسة وبعضهم أطالها، ولم تكن هناك أحقاب محددة للتقويم، بل يحق لكل طالب أن يقول لمعلمه في أي مادة قومنني، فقد أتقنت.. فيقومه ويتقدم إلى مستوى في المادة أعلى، وقد يتخرج طلاب في أي يوم من أيام السنة، واستمرت المدرسة على ما هي عليه ونضجت الفكرة لتسهل إدارتها وتركها وترك الوزارة سعد الحصين.

وقد درست من قبل بعض الباحثين التربويين، ومن أميزهم الدكتور حمد البعادي الذي تابعها ونظر لها، وحاول أن يجد لها خانة في المعروف من الفكر التربوي، إلا أن المدرسة كانت غريبة على إدارة التعليم، ومجهولة في الوزارة، وبقيت على حالها لأكثر من عشرين عاماً، فلا الفكرة نضجت وعممت ولم يحكم بفشلها فنتهي، وعندما زارها معالي الوزير الدكتور محمد الرشيد شكل مجلساً لتطويرها بقيادة مدير عام التعليم في منطقة الرياض الدكتور عبد الله المعيلي وعضوية الدكتور حمود البدر أمين عام مجلس الشورى في ذلك الوقت والدكتور حمد البعادي وبعض منسوبي الوزارة والمدرسة وكنت منهم... خلال المناقشات برزت مشكلة خريجي المدرسة الذين يتخرجون في منتصف العام ولا يمكن قبولهم في المدارس الثانوية، واقترح مد المدرسة ليكون فيها قسم ثانوي يتبع النظام الفصلي وليس السنوي فاقترحت على مجلس تطوير المدرسة تحويلاً لنظام

الوحدات ليصبح فصلياً، مع الاحتفاظ بأهم خصائصه وهي فك الارتباط الأفقي بين المواد وجعل معظم المقررات من خمس حصص.

وبعد صراع قوي في أروقة الإدارة العامة للتعليم في منطقة الرياض والإدارة العامة للمناهج في الوزارة تم إقرار المرحلة الثانوية لمدرسة الفهد على نظام الساعات بجهد استثنائي بذله أعضاء المجلس وبالأخص الدكتور المعيلي، واقتصر التدريس على القسم العلمي، وبدأ القبول في القسم العلمي، وسأعود للتعليم الثانوي بعد غلق ملف مدرسة الفهد، فقد قام المجلس بإصرار من الدكتور حمود البدر والتزام وإبداع من الدكتور حمد البعادي بعمل دراسات حول المدرسة، ومحاولة تقنين ممارساتها، ووضعها في خانة مناسبة في المعروف من الفكر التربوي، وقيل: إنها أقرب إلى التعليم غير المتدرج، واستمرت المحاولات ولا تزال تراوح مكانها حتى كتابة هذه السطور.

نعود للتعليم الثانوي فبعد دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات مع وزارة المعارف شكل الوزير مجلساً للتطوير التربوي برئاسة نائب الوزير لتعليم البنات وعضوية عدد كبير من رجال الوزارة ونسائها وأساتذة الجامعات، وكان من مهام هذا المجلس تقديم أفكار لتطوير التعليم الابتدائي والمتوسط، وكذلك التعليم الثانوي، فقدمت خطة للتعليم الابتدائي والمتوسط تمت الموافقة عليها، ورفعت للجنة التربية التي يرأسها -آنذاك- سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز -رحمه الله-، وأظنها أجزت، لكني لا أ لمس لها أثراً في الميدان، أما ما يخص التعليم الثانوي فقد دار نقاش حامي الوطيس حتى تم التوصل للخطوط العريضة للتطوير، وكان نظام التعليم الثانوي المرن كما صرت أسميه هو الهيكل المقبول من الجميع بمعظم محدداته، أما فيما يخص المحتوى فقد شكلت لجنة فرعية من المجلس تولت إكمال صياغته، وتوزيع الساعات على المحتويات والتخصصات المختلفة، ولم يبعد كثيراً عما كان مطبقاً في مدرسة الفهد القسم الثانوي. أجز هذا التصور ورفع للجنة التربية التي أشارت بتجربته في عدد محدود من المدارس، وتقويمه، ومن ثم النظر في تعميمه، ولا يزال تحت التجربة، ويجري التوسع في التعليم الأهلي أما في المدارس الحكومية فتنتظر دراسة التقويم ثم إذن لجنة التربية.

بعد مضي عامين على تطبيق نظام المقررات في مدرسة الفهد تم تبني نسخة الوزارة، وصارت ثانوية مجمع الفهد إحدى ثانويات ما صار يعرف رسمياً (بنظام المقررات).

في ختام مشواري المشترك مع معالي الدكتور محمد الرشيد كلفني بأمانة اللجنة العامة لسياسة التعليم خلفاً للمرحوم الدكتور إبراهيم الدريس، وقد انتهى عمل الدكتور محمد الرشيد بعد ذلك التكليف بقليل، وكانت اللجنة العليا لسياسة التعليم قد ألغيت هي ومجلس التعليم، واستعوض عنها بالمجلس الأعلى للتعليم، لكن صعوبات إدارية اضطرت وزارة التعليم العالي لطلب تمديد عمل مجلس التعليم العالي لما له من مساس بالعمل الروتيني للجامعات، مما استدعى تأجيل تفعيل المجلس الأعلى للتعليم وتمديد عمل مجلس التعليم العالي، ومن ثم اللجنة العليا لسياسة التعليم حتى تحل بعض العقد القانونية، وعندما استلمت العمل في أمانة اللجنة العليا لسياسة التعليم كانت أعمال اللجنة، ومن ثم الأمانة، في انحسار. ومع غياب المشغل المتوازي المسارات (أبي أحمد) اقتصر عملها على ما يخص اللجنة وكان أقل من القليل.

هذا ما استطعت تجميعه من ذاكرة بدأت تتحرق ولا تساعد العيون على مراجعة الوثائق، إذ إن بصري اضمحل في الآونة الأخيرة دون سبب معروف.. لكن العمل مع الدكتور محمد الرشيد ليس من الأمور التي يسهل نسيانها، فكل أحداثها تمثل معالم بارزة في شريط الذكريات، تتميز بلون مختلف، وحجم مختلف، وعمق مختلف، وجميع من عمل مع الدكتور محمد يشعر أن له خصوصية تميزه عن سواه، فأبو أحمد لديه من اللطف وطيب المعشر ما يسع جميع من يحتك به.



ذكريات وتأملات

المهندس عبد الله بن حمد الفوزان

الحديث عن القامات الفكرية في بلادنا والأدوار والمهام التي أنجزها كل منهم يتطلب دقة في الرصد، وصدقاً في العبارة وتوثيقاً للحدث بمساحته وحجمه وتأثيره على مساحة الوطن. وعندما يكون الرصد لإنجاز اقتصادي أو طبي أو إنشاءات يسهل على الكاتب سرد المنجزات بلغة الأرقام والصور، ولكن ما أتحدث عنه في هذا المقام هو مجموعة من المواهب في شخصية إنسان واحد يملك من المشاعر الإنسانية تجاه الآخرين على اختلاف مشاربهم وأقطارهم وثقافتهم وأعمارهم ما لا يمكن تصديقه. يتعامل مع من لا يعرف بالطريقة التي يتعامل فيها مع أسرته، فالعالم هو الأسرة الكبيرة له، ينتمي لناسه، ويحبهم ويخاف عليهم، ويتأمل ويحزن ويتحمل همّ أي حدث في أي بقعة على ظهر الكون، سواء كان هذا الحدث لفرد أو لشعب.

عشت معه مواقف كثيرة جداً من خلال تشرفي بالعمل معه عشر سنوات في العمل الرسمي، ومرافقته في المؤتمرات واللقاءات داخل المملكة وخارجها وتضاعفت هذه العلاقة وتوطدت بعد أن (ترجل عن صهوة جواد الوظيفة)، وترك العمل الرسمي كان لا ينام الليل لمتابعة أي أمر طارئ لشخص من أقاربه أو معارفه أو حدث سياسي أو من الكوارث التي تصيب العالم وما أكثرها، يتابع الخبر ويتفاعل معه ويحمل الهم، وكأنه حدث في منزله، ولا يهدأ له بال حتى يطمئن على سلامة الآخرين وراحتهم.

كانت بداية معرفتي بأبي أحمد (كما يفضل أن ينادى) في واشنطن عام ١٩٩١م إبان حرب تحرير الكويت، وكان شغله شاغل وحديثه الدائم عن الحرب وتطورات الأوضاع

في دولة الكويت الشقيقة، (وكان مكلفاً لإجراء التقييم الأكاديمي للأكاديمية الإسلامية السعودية في واشنطن).

أما اللقاء الآخر الذي وطد علاقتي به بعد أن تم تعيينه وزيراً للمعارف في عام ١٤١٦هـ فكان بحكم عملي الرسمي وكلياً مساعداً للمشاريع والصيانة. كان يعقد اللقاءات والاجتماعات اليومية مع المسؤولين كافة في الوزارة، ويدوم في مكتبه من الساعة صباحاً حتى الثالثة. أخذ - في مستهل عمله - يجمع الأفكار ويطلب الإحصاءات ويسأل عن المعوقات لتذليلها، ويسأل عن مواقع النجاح لتعزيزه، ويتابع مواطن الإخفاقات ويعالجها سريعاً، وبحكم اهتماماته التربوية الممتدة طول حياته الدراسية والعملية كان يسهل عليه تشخيص الجانب التربوي في الوزارة، فيتعامل معه بجدية وبخصوصية، وهذا ليس غريباً عليه فهو فارس هذا الميدان، حينما بدأ تسلمه مقاليد المسؤولية عام ١٤١٦هـ كانت موارد الدولة المالية قليلة بعد أحداث حرب الخليج وتحرير الكويت وانخفاض سعر البترول، وكانت الدولة عاجزة على الاستمرار في إنشاء المدارس الحكومية واضطرت إلى تمويل بناء المدارس من قبل القطاع الخاص باعتماد ٢٠٠ مدرسة للبنين ومثلها للبنات بتكاليف ملياري ريال، وكان المشروع في ذلك الوقت في مراحلها النهائية من الإنجاز، وقد حرص على مشاركة مناطق التعليم في افتتاح المجمعات المدرسية المنجزة. وكان يحرص كثيراً على تشريف أمراء المناطق لتلك المناسبات، ومشاركة الطلاب بهذا الصرح التعليمي، ويدخل الفرحة إلى قلوبهم ويبارك لهم ويحثهم على المحافظة على المبنى ورعايته والاهتمام بكل ركن منه، حتى يستفيد منه من سيشغله من بعدهم.

زار جميع مناطق المملكة ومحافظاتها وعقد اللقاءات الدورية فيها بحضور كافة مسؤولي الوزارة، وكان لا يسمح أن يتأخر عن المشاركة في هذه اللقاءات الخارجية أي مسؤول لأنه يؤمن بالعمل بروح الفريق، ويؤمن أن الرأي والقرار بالأغلبية، وأن المسؤول في أي قطاع من قطاعات الوزارة يجب أن يشارك في كل ما تخطط له الوزارة، وأن يدرك كافة التفاصيل التي تهمه، وأن ينقل رسالة الوزارة ومشاريعها إلى المجتمع.

تشكلت في البداية فرق استشارية من خارج الوزارة عكفت على وضع خطة العمل بعد مناقشة كافة قطاعات الوزارة، لترسم خارطة طريق لانطلاق أوليات العمل التربوي وتصميم البرامج المناسبة والتأهيل الجيد.

وفيما يخص قطاع المباني المدرسية والتجهيزات كلف فريق عمل من الوكالة لإعداد الخطة الوطنية للمباني المدرسية، وتم إعدادها وتقديمها في لقاء قادة العمل التربوي الذي عقد في منطقة القصيم عام ١٤١٧هـ برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة وبحضور معالي وزير المالية وعدد من المسؤولين ومديري التعليم كافة وقد شملت الخطة ثلاثة برامج رئيسة هي:

• برنامج تأمين الأراضي:

ويشمل تأمين مائة موقع سنوياً لتغطية النقص بالأراضي بتكلفة تقديرية (٥٠٠) مليون ريال سنوياً.

• برنامج الإنشاءات:

ويشمل طرح ٣٠٠ مشروع سنوياً لإنشاء ١٥٠ مدرسة ابتدائية، و٩٠ متوسطة، و٦٠ ثانوية بتكلفة تقديرية (١ ٨٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) ريال سنوياً.

• برنامج الصيانة والتشغيل:

ويشمل توفير موارد مالية لتغطية هذه الاحتياجات، بتكلفة تقديرية (٢٠٠) مليون ريال سنوياً.

وقد تمّ تفعيل دور القطاع الخاص في المشاركة في معالجة النقص في المباني المدرسية الحكومية عن طريق تمويل بناء المشاريع الحكومية وتأمين الأراضي، ودراسة فكرة الاستئجار الطويل الأجل، الذي توج بصدر قرار مجلس الوزراء رقم (١٧٨) لعام ١٤١٩هـ، بالموافقة على تولي الوزارة - بالاتفاق مع القطاع الخاص - إقامة المباني

المدرسية حسب الشروط والمواصفات التي تضعها الوزارة وفقاً لعقود تنتهي بالتملك، وبالفعل تم تنفيذ (٤٠٠) مشروع بتمويل من القطاع الخاص أنجز منها (٢٠٠) مشروع لتعليم البنين ومثلها لتعليم البنات.

تبرعات المواطنين

- ولم تقتصر تلك الإسهامات الخيرة والتبرعات الكريمة من المواطنين على منطقة أو محافظة بعينها بل شملت مختلف مناطق المملكة، وقد بلغ عدد هذه المشاريع (٣٥) مشروعاً وبلغت قيمتها (١٨٠) مليون ريال.

- تنشيط برنامج تملك الأراضي، والتأكيد على عدم التنازل عن المرافق المخصصة للمباني المدرسية، واقتراح البناء على المرافق الحالية التي لا تملكها الوزارة ثم سداد قيمتها فيما بعد، واقتراح تملك الوزارة للمرافق الجديدة ضمن النسبة المجانية، واقتراح بيع أو استبدال الأراضي التي أصبحت الوزارة في غنى عنها لاستثمار ريعها في مشاريع الوزارة أو شراء أراضٍ تحتاجها. والذي توج بصدور قرار مجلس الوزراء رقم (١٠٥) لعام ١٤٢٠هـ بالموافقة على بيع الأراضي، التي لم تعد صالحة لإقامة مشروعات عليها مع الموافقة على استثمار جزء من الأراضي والمباني المدرسية الواقعة على الشوارع الرئيسية.

- تشجيع التعليم الأهلي ومناقشة همومه، إذ تم عقد لقاء سنوي لملاك المدارس الأهلية، ونتج عن هذه اللقاءات العديد من القرارات منها في قطاع المباني المدرسية:

(١) السماح لهم بالبناء على أراضي المرافق التعليمية التي لا تملكها الوزارة متى ما كانت الوزارة ليست بحاجة إليها بعد التنسيق مع وزارة الشؤون البلدية والقروية.

(٢) السماح لهم بإقامة مدارس للبنين والبنات على مرفق تعليمي واحد وفق شروط وضوابط يجب توافرها تراعي خصوصية المجتمع السعودي، إذ قدر وجود أكثر من مرفق في الحي لكل منها.

كان الوزير يؤكد دائماً على العمل بروح الفريق والقرار بالأغلبية الذي يتجلى في الاجتماع الأسبوعي يوم الأربعاء، الذي كنا نترقبه بكل شوق، حيث يعرض في هذا اللقاء مشاريع الوزارة كافة وتناقش من قبل الحضور، ولا بد فيه من استعراض أخبار الوزارة فيما أنجز في ذلك الأسبوع، والإشارة إلى ما سوف ينجز في الأسبوع اللاحق إضافة إلى ما يستجد من أخبار اجتماعية عن جميع الحضور سواء من أخبار الترقيات أو الأفراح أو أي مناسبة سعيدة للزملاء الحضور إيماناً من أبي أحمد بضرورة الاستمرار في التواصل بين زملاء العمل، يعقد كل مدة لقاء اجتماعي يوم الخميس للمسؤولين كافة، وتتولى كل وكالة بالتناوب مسؤولية تنظيم هذا اللقاء الاجتماعي الذي يحرص منه الوزير على أن يبتعد عن الرسميات ويكون لقاءً أخوياً كالأسرة الواحدة يتخللها ترفيه ورياضة ومساجلات.

ويعلم الجميع حرص أبي أحمد على ممارسة رياضة المشي يومياً بعد العصر إلى المغرب، ويحاول التغلب على الظروف كافة للقيام بها في أي موقع، ويحرص على أن يشاركه بعض الزملاء الذين يسعد بالحديث معهم وحوارهم، وأتذكر أنه كلفني بالاشتراك في لجنة مهمة يتطلب رفع تقريرها عاجلاً للمقام السامي، وحضرت الاجتماع طوال ذلك اليوم، ورغبت أن يطلع عليه قبل رفع المحضر، وتواعدنا على أن أحضر لموقع ممارسة المشي لقراءة توصيات الاجتماع والمناقشة في أثناء المشي كسباً للوقت، وشدني حرص أبي أحمد إلى ممارسة هذه الرياضة، واستمر حرصي على ممارستها بصحبته يومياً حتى الآن.

اتضح للوزير حاجة المدارس إلى تجهيزات مدرسية وخاصة وحدات التكييف والتبريد، فعرض ذلك شفهيّاً على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله، وما أن علم بذلك قرر منح الوزارة مبلغ (٦٣) مليون ريال لصرفها فوراً لشراء المكيفات والبرادات، وتم تأمينها سريعاً بمواصفات متطورة من الصناعة الوطنية التي دائماً يؤكد أبو أحمد على اعتمادها دون غيرها طالما تحقق الجودة.

ومن اهتمامات أبي أحمد تحسين البيئة للموظفين في مبنى الوزارة والسعي الدائم لدى كافة المسؤولين في الدولة، وخاصة وزارة المالية لاعتماد تنفيذ المقر الجديد

للووزارة على الأرض المخصصة لها في صلاح الدين، وتحقق له ما يأمل، حيث اعتمد مبنى للوزارة بمبلغ ٣٠٠ مليون ريال، وتم طرح المشروع وترسيته بعد زيادة الاعتماد إلى ٤٢٥ مليون ريال، وهذا المبنى بعد اكتماله سيكون بمشيئة الله أحد المعالم المعمارية بمدينة الرياض، لتمييزه في التصميم وإعادة هيكلة الوزارة واعتماد هيكل جديد مطور قطاعات الوزارة كافة ورفع المستوى لكل قطاع إلى وكيل وزارة بدلاً من وكيل للوزارة.

وطالما أن الحديث يدور عن مبنى الوزارة الجديد، فلا أنسى أن لأبي أحمد موقفاً مشرفاً جداً إذ بدأ العمل في المرحلة الأولى لمبنى الوزارة، وهو عبارة عن تسوير الأرض وبناء المستودعات والورش والأستوديو والمطبعة، حين كتبت أمانة مدينة الرياض خطاباً للوزارة ترغّب في التنازل عن مقدمة الأرض الواقعة على طريق الملك عبد الله بمساحة ٢٧ ألف متر مربع وتخصيصها ممرّاً للمشاة على كامل طول الأرض على طريق الملك عبد الله، وتطلب ذلك إعادة تصميم الأسوار والمداخل والبوابات، فوافق معاليه بترحاب إيماناً منه بالمساهمة في خدمة المجتمع، وتحقق لمعاليه ما يأمل من مساهمة الوزارة في الأدوار الاجتماعية مع الأمانة، التي لها الفضل في تنفيذ المشروع وتأهيله وصيانته، وهذا الموقع يلعب اليوم دوراً حيوياً في العاصمة لممارسة رياضة المشي للعائلات والأفراد، واستمرت بعد ذلك الأمانة في تنفيذه في مواقع أخرى بعد نجاح تجربتها مع الوزارة، واتضح أهمية وجوده في كل حي لتشجيع المواطنين على ممارسة رياضة المشي تحقيقاً لصحة المجتمع.

هذا غيظ من فيض الذكريات والتأملات، أرجو من أبي أحمد أن يعذر صديقه المهندس الذي يقضي وقته بين الحسابات والأرقام، ولا يجيد التعبير ورصف الكلام، ولكنه يجيد فن المودة والاحترام والتقدير والمشاعر الإنسانية، الذي كان أحد المعلمين فيه هو أبو أحمد الإنسان، لا محمد الرشيد الوزير!!



الوزير محمد بن أحمد الرشيد

عبد الله بن محمد الهويمل

الوزير محمد بن أحمد الرشيد.. أراد أن يكتب قصة تتميز بمصداقية بالغة فيما يتعلق بشرح ماضيها التعليمي والتربوي (النظام التعليمي) بكل إيجابياته وسلبياته، وكرس جهده وانطلق ينادي التربويين والآباء والأمهات كافة إلى لعب دور في تكوين نظامنا التعليمي الحاضر، ونسج منظومة الأمل بالتفاؤل للمستقبل، لم يكن يتطلع إلى التفوق على الأنظمة التعليمية السائدة، بل كان يريد أن يؤسس لنظام تعليمي فريد وقوي وجدير بالإعجاب ومفتوح على التطلعات والطموحات الإنسانية كافة التي لم تتحقق.. الكل كان يتمنى ذلك.. الطالب، المعلم، الأب المسؤول ولا أكثر من ذلك.

وبدأ يسجل وي طرح كثيراً من الأسئلة، ويجب عليها في الوقت نفسه، ومنها:

١. كيف نكون أمة عظيمة؟.. وأجاب.. وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة.
٢. هل لدينا إدارة تربوية مدرسية؟.. وأجاب.. وراء كل إدارة تربوية ناجحة قيادة تربوية ناجحة.
٣. من هم المشرفون التربويون؟.. وأجاب.. هم صفوة الصفوة.
٤. هل نريد التعليم التقليدي؟.. وأجاب.. نؤسس في مدارسنا التعليم الإبداعي.
٥. هل التعليم خدمة أم مهنة؟.. وأجاب.. التعليم رسالة سامية.

إنه إنسان رائع ونبيل.. كافح من أجل أن تكون هذه القصة واقعاً، وتصبح سبباً للنظام التعليمي المبدع والمشجع للإبداع والمثير للفكر والمبادرات، ولكن الأمور لا تبقى للأبد، ولا يوجد إنجازات تستحق المبالغة في الفخر بها، فكل شيء خاضع للتغيير ولنتائج التجارب المستقبلية.

هذا الوزير.. يجيد لغة التواصل والإبداع في استخدام اللغة كأداة للفكر بل كدافع له، ففجر مكامن الإبداع لدى القيادات التربوية لتتحرك وتتجز وتبادر، وكان يحمل القدر الوافي من المحفزات التربوية، لأنه يمتلك ناصية البعد التربوي النافذ في الميدان، مما عدل من نظرة الميدان التربوي لمركز القرار في وزارة المعارف آنذاك ووزارة التربية والتعليم حيث كنا، أو لنقل غالبية الميدان التربوي ينظر إلى العمل بأنه واجب وظيفي فقط، فبعد توجيهات الوزير أصبح الكل أو الغالبية العظمى يؤمنون بما يؤمن به الوزير، أن العمل في التربية والتعليم يتجاوز هذه النظرة إلى البعد الوطني، وحمل الرسالة التي بنتائجها يوجه المجتمع بأسره إلى ما يتمناه كل مواطن صالح، فأصبح الميدان يرهف السمع والذهن إلى أقوال وتطلعات وزير التربية والتعليم، فالكلمة التي يلقيها في موقع تربوي في شمال المملكة يرددها بعده المعلمون والتلاميذ والطلاب في جنوب المملكة، في صباح اليوم اللاحق: لأنها تُعبّر عما يكونه لهذا البلد وقيادته، فأصبح الكل يؤمن أنهم قادرون على تفعيل عمليات التحويل لمبادرات وزيرهم إلى واقع ملموس، فعمل وفي رأيي أن من أكبر المنجزات في حقبة تولى الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة هو التغير الفكري في الميدان التربوي من الوظيفة إلى المهنية المتطلعة لكل ما هو جديد وإلى السعي إلى المبادرات وتحدي الواقع لتقديم كل ما هو جيد وعدم الانتظار من الجهاز المركزي في الرياض، لتحديد ما يمكن أن يقدم لها بل أصبحت المدارس وإدارات التعليم تتسابق إلى مواطن الإبداع.

يشهد لمعالي الوزير.. أسلوبه الإداري الفريد والمبني على إشراك الميدان في اتخاذ القرارات وبخاصة المتعلقة بالميدان ومسيرته، وذلك من خلال استشراف رأى الميدان التربوي بالاجتماع مع نخبة من المعنيين (مديري مدارس، معلمين، مشرفين، مديري التعليم) وطرح ما هو مقدم عليه لمناقشته وأخذ الرأي فيه وكيف إمكانية تطبيقه وهذا

زاد من حماس الميدان لأنه شعر أن ما يقدم له ليس لأنه يشعر فرضاً وتعليمات، بل هو ما يراه غالبية المنفذين، فهذا ارتفعت درجة النجاح والصواب إلى أعلى المستويات.

من الإنجازات.. التي كان لها التأثير في العمل الانفتاح على المجتمع، فلم تعد المدرسة تعمل في منأى عن المستفيدين منها، بل أصبح ولي الأمر والقادرون في المجتمع والمهتمون يسهمون مع المدرسة في تربية الأبناء، ويقدمون ما يرون أنه في صالح أبنائهم.. إشراك ولي الأمر في اللجان التي تخدم العمل الميداني كمجالس المدارس والمجلس التعليمي بالمحافظة أو المنطقة التعليمية، ووجدنا لهذا مردوداً إيجابياً.

النشاط المدرسي.. لم تكن أوجه النشاط المدرسي غائبة في السابق، ولكنها لم تكن بذلك الحضور الذي شاهدناه بعد تولى الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة، فقد أصبح النشاط الطلابي صورة مشرقة في جبين العمل التربوي أثرى صدق المقولة أن النشاط المدرسي هو الثراء الحقيقي لشخصية الدارسين، فبرزت من خلال الفعاليات شخصيات لم تكن معروفة بهذا القدر من العطاء من العاملين ومن الطلاب، من حيث المشاركات ومن حيث التنظيم وإدارة الفعاليات، وكان لنا في جدة:

- الدورة المدرسية الأولى المحلية عام ١٤١٩هـ، وكانت تحت شرف خادم الحرمين الشريفين.

- الدورة العربية المدرسية (١٥) عام ١٤٢٥هـ كانت تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، التي برزت من خلالها قدرة الشاب السعودي على إدارة وتنظيم الفعاليات العالمية مهما كان حجمها.

من المنجزات.. التي أرى أنها قدمت الشيء الكثير للعمل التعليمي والتربوي (اللقاءات التربوية) على اختلاف تعددها ونوعها، والتشريع الذي وضع لها وتنظيمها، فمن اللقاءات المدرسية وحوار أعضاء المدرسة للراقي بمستوى العمل في مؤسستهم إلى اللقاءات على مستوى إدارات التعليم، التي كان يُدعى لها عدد من المديرين والمعلمين وبعض الطلاب للمشاركة، وانتهاء بلقاءات القيادات التربوية التي كانت تتم كل عام

دراسي، رَبَّتْ هذه اللقاءات في العاملين في الوزارة والميدان التربوي القدرة على الحوار والاستماع والبحث عن الحقيقة، التي تثري العمل التربوي في الميدان.

من المنجزات في الحقبة الذهبية ..

تقنية العمل وللحاق بركب العمل التقني العالمي، فقد كان استخدام الحاسب الآلي في العمل المدرسي قبل ذلك أسلوب يعاقب عليه وبعد أن وظفت التقنية في كل الأعمال فتسابق العاملون في كل المجالات على الاستفادة منها حتى أصبحت وزارة التربية والتعليم تقود العمل التقني على كل المستويات، وهذا الإنجاز يشهد لمعالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وإخوانه في تلك الحقبة، حيث لم يكن الدافع لإتقانه التحفيز الوظيفي، بل كان الدافع إلى التطور والتطوير في الميدان وعند الأفراد تبذلت النظرة، فتسابقوا بقوة لتطوير أنفسهم والرقى بمستوى أدائهم.

الإنجاز الحقيقي لا يكون في المبنى.. أو المصنع، بل يكون في تغيير وتطوير مفاهيم العاملين لما هو أفضل وأنجع، فقد كان لفكر الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وما يحمله تجاه هذا الوطن وقيادته، وما يُعبر عنه دائماً في لقاءاته التربوية مع الميدان الأثر الكبير، ولعلي أستدل بمثال واحد ألا وهو استجابة مجموعة من العاملين في إحدى قرى مكة المكرمة للمضامين التي يدعو لها جزاه الله خيراً، فأسهموا في بناء (مدرسة سبوحه الابتدائية)، فعندما ظهر للمعلمين أن مبنى المدرسة لا يتوافق مع تطلعاتهم، وأن دوره في التجديد في رزنامة المباني المدرسية قد يطول، اتفقوا على تجديد المبنى، فحمد لهم هذا الدور وذاك العطاء، وما كان ذلك إلا استجابة لفكر وزير التربية والتعليم، الذي يرى أن دور المواطن يجب أن يتعدى إلى المساهمة في بناء الوطن بكل ما يستطيع، وألا يجعل الدور فقط للدولة، لأن المواطن جزء من الدولة، فما يقدمه لا يعيب المسؤولين في الوزارة، بل يمنحهم الفرصة للعمل في موقع آخر لا تتوفر به مثل هذه النخبة.

التربية الخاصة..

لم تأخذ التربية الخاصة حقها بمثل ما تحقق لها منذ تولي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة، فقد شهدت التربية الخاصة منذ العام ١٤١٧هـ نقلة نوعية في برامجها بدءاً بتحويل اسمها من الأمانة العامة للتعليم الخاص إلى الأمانة العامة للتربية الخاصة، وهذا التحويل أعطى نظرة شمولية لإستراتيجيات الأمانة حيث وجهت برامجها لفئات أشمل من الفئات التي كادت تنحصر في معاهد الصم والبكم ومعاهد التربية الفكرية وقليل من برامج ضعاف السمع، حيث استحدثت برامج مثل صعوبات التعلم وبرامج التوحد وبرامج متعددي العوق، وبرامج العوق الجسمي والحركي وبرامج الموهوبين، كما ركزت الأمانة في إستراتيجياتها المكونة من عشرة محاور على برامج الدمج، وهذا التوجه أعطى للأمانة فرصة التوسع في برامجها على المستويين الكمي والكيفي، حيث ارتفع عدد المعاهد والبرامج خلال السنوات الثلاث الأولى على مستوى المملكة من ٤٨ معهداً وبرنامجاً إلى ٢٢٦ معهداً وبرنامجاً وهكذا استمر النمو في السنوات اللاحقة.

كما حظيت.. التربية الخاصة في تعليم جدة بنصيب وافر من هذا الاهتمام، وكانت من أوائل الإدارات التعليمية التي سارعت لتبني عملية الدمج، وخاصة طلاب التربية الفكرية في مدارس التعليم العام وفتح أول برنامج في مدرسة (البيروني الابتدائية عام ١٤١٧هـ)، وبدأ التوسع في هذه البرامج حتى وصلت خلال بضع سنوات إلى ٥٣ برنامجاً، كما استحدثت برنامج التوحد وبرنامج لمتعددي العوق عام ١٤١٨هـ وبرنامج لصعوبات التعلم ١٤١٧هـ، وزادت وتيرة هذا التوسع في برامج الدمج أثر توجيه معالي وزير التربية والتعليم الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، بعد زيارته لمعهد التربية الفكرية بصحبة وكلاء الوزارة ومديري العموم في جميع مناطق المملكة، وتوج هذا الاهتمام موافقة معاليه على افتتاح مرحلتي المتوسطة والثانوية للتربية الفكرية عام ١٤٢٣هـ، وهي تجربة تُعد الأولى من نوعها لهذه الفئة، حيث أتاحت للطلاب فرصة الاستمرار في الدراسة سنوات إضافية، بدلاً من إحالة كل طالب بلغ ١٥ عاماً إلى الشؤون الاجتماعية، ومن ثم

لا يجد أمامه خياراً سوى المكوث في البيت واستبدال الدراسة بالإعانة في مرحلة سنوية هو بحاجة إلى الرعاية والاهتمام، وبلغت درجة الاهتمام بهذه الفئات أن يفتح فصل ولو لطالب واحد يُعاني من حالة استثنائية تدخل في نطاق خدمات التربية الخاصة، وأذكر أن حالة نادرة تصنف (بمتلازمة براذويلي)، وهي حالة تعاني من اضطراب هرموني يؤدي إلى حالة عدم الشعور بالشعب اعتمدت الوزارة فتح فصل لهذا الطالب، في إحدى المدارس بجدة وهو اليوم يواصل دراسته المتوسطة.

وسعيّاً لتعزيز هذا التوجه نحو الدمج أقيم في جدة المعسكر الكشفي الثاني عام ١٤١٩هـ ضم وفوداً من جميع معاهد وبرامج التربية الخاصة في المملكة ومعهم بعض الطلاب من التعليم العام، وكان اللقاء برعاية المشرف العام للتربية الخاصة الدكتور ناصر الموسى، وفي عام ١٤٢٠هـ أقيم تجمع الإخاء الرياضي الأول شاركت فيه جميع معاهد وبرامج التربية الخاصة بالمملكة، وشارك معهم أكثر من ١٥ ألف طالب من التعليم العام، وحظى هذا التجمع برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة رحمه الله في الأيام الأولى من مباشرته لمهام عمله.



محمد الأحمد الرشيد . . الإنسان الذي عرفته

د. عبد الواحد بن خالد الحميد

بعد حرب الخليج الثانية برزت مواقف غير متفهمة لظروف تلك الحرب من بعض الأحزاب والجمعيات ووسائل الإعلام في العديد من الدول، التي كانت حكوماتها قدمت دعماً سياسياً وعسكرياً لدول مجلس التعاون الخليجي، فرأت المملكة ضرورة توضيح الصورة لشرائح المجتمع في تلك البلدان. على إثر ذلك بادرت المملكة إلى إرسال بعض الكُتَّاب وأساتذة الجامعات والمثقفين لزيارة هذه الدول بهدف شرح موقف المملكة ودول المجلس من تلك الأحداث، التي عصفت بالمنطقة وبالعالم بأسره.

وقد ذهبت إلى أستراليا ونيوزلندا مع زميلين آخرين هما الدكتور محمد بن أحمد الرشيد والأستاذ إياد أمين مدني، وتجولنا في مدن عديدة في البلدين لمدة قاربت شهراً كاملاً، ثم عدنا إلى المملكة نحمل ذكريات تلك الرحلة المثيرة التي قابلنا خلالها وزراء في الحكومتين وأعضاء في البرلمان وصحفيين وكتاباً وأساتذة جامعات وطلبة وأعضاء في الجاليات الإسلامية والعربية هناك.

لم أكن قد التقيت بالدكتور محمد الرشيد قبل تلك الرحلة، ولكنني كنت أقرأ ما كان يكتب في بعض الصحف المحلية، كما كنت أقرأ وأسمع عن نشاطه وأعماله في حقل التربية والتعليم.

قابلته في مطار الملك خالد بالرياض قبيل إقلاع الطائرة التي كانت محطتها الأولى باكستان، وكنت قد جئت للتو من الظهران حيث أعمل وأعيش، وقبل أن ندخل الطائرة وجدنا أنفسنا أمام مشكلة كبيرة، إذ علمنا من موظف الخطوط الجوية أنه لا بد من

نائب وزير العمل سابقاً المستشار بوزارة التربية والتعليم قبل ذلك.

الحصول على تأشيرة لدخول باكستان، نظراً لما جرى وقتها من تغيير في إجراءات الدخول إلى تلك الدولة لمن سيمكث هناك.. أعطانا موظف الخطوط خيار تغيير الحجز أو تأجيل السفر إلى أن يتم ترتيب الأمور مع السفارة الباكستانية، وقال: إنه لن يتحمل مسؤولية السماح لنا بالذهاب قبل الحصول على تأشيرة!

كان الموقف سيكون عابراً، أو ربما هو الآن بعد تلك السنوات قد أصبح عابراً بالفعل، لكنه ظل محفوراً في الذاكرة لسبب واحد، وهو أنني في تلك اللحظة اكتشفت سمة أساسية في شخصية هذا الزميل الجديد، الذي لم تكن تربطني به سابق معرفة، وهي سمة كما اكتشفت فيما بعد تفسر الكثير من جوانب سلوك ومواقف هذا الرجل.. لقد لفتت انتباهي الطريقة التي تعامل من خلالها الدكتور الرشيد مع الموقف.. ففي البداية حاول أن يقنع الموظف بأن الأمر لا يتطلب تأشيرة هكذا بكل بساطة! وأن بوسعنا أن نساfer على مسؤوليتنا الشخصية! وبطبعي المتحفظ لم أكن أميل إلى هذا الرأي، لكن الدكتور محمد كان مستغرقاً في جدل صاخب مع الموظف، الذي لم يقتنع هو الآخر بشيء مما قاله الدكتور محمد.. وعندما استعصى الأمر، وتصورت أن الرحلة سوف تتأجل طلب الدكتور محمد من الموظف أن يستخدم الهاتف (لم يكن يومها الهاتف الجوال قد دخل الخدمة!)، فاتصل بالسفارة الباكستانية بالرياض، وظل يتحدث في الهاتف مع بعض الموظفين فيها إلى أن جاء الفرج، فلحقنا بالرحلة على عجل وتم تديير الأمر!

ارتحت كثيراً للنهاية التي وصلت إليها الأمور؛ إذ لم أكن أرغب في العودة إلى بيتي في الظهران بعد أن ودعت الأهل والزملاء في الجامعة ثم أرجع مرة أخرى إلى الرياض بعد إنهاء إجراءات التأشيرة، لكنني وقفت متعجباً أمام جسارة الدكتور محمد مع أنني على أي حال لم أكن متأكداً أنني كنت سأسافر معه (على مسؤوليتنا الشخصية)، حسب تعبيره، لو لم تنفرج الأمور!

في مواقف لاحقة في أثناء الرحلة، وبعدها عندما أصبح الدكتور محمد وزيراً للمعارف سابقاً (التربية والتعليم حالياً)، كنت دائماً أتذكر ذلك الموقف في مطار الملك خالد، فقد اكتشفت أن هذه الجرأة ربما تكون هي مفتاح شخصية الدكتور محمد الرشيد.

أمضينا رحلة ممتعة ومفيدة صحبنا فيها الأخ الفاضل والسفير الناجح الأستاذ عبد الرحمن العوهلي، وتجول معنا في ربوع أستراليا ونيوزلندا شارحاً لنا خفايا وخبايا المجتمع الأسترالي والنيوزلندي، وعندما عدنا إلى المملكة وصلتي رسالة قصيرة من الدكتور محمد الرشيد، عبر فيها عن مشاعر إنسانية نبيلة، وختمها بأنه يريد لهذه العلاقة أن تستمر، وقد لخصت تلك الرسالة خصلتين أساسيتين تميزان أيضاً شخصية الدكتور محمد هما: الحميمية، والتواصل، وقد تأكدت لدي هاتان الصفتان أكثر وأكثر بمضي السنين.

بعد أن عدنا إلى المملكة كانت لنا لقاءات عديدة، وسافرنا معاً إلى عدة مناطق في المملكة، وأصبحنا أعضاء في فريق استشاري لدى إحدى الجهات المهمة، نلتقي أسبوعياً في الرياض، وأحضر له خصيصاً من الظهران.. ثم بعد ذلك تم تعيين الدكتور الرشيد وزيراً للمعارف، وبعدها بمدة قصيرة طلب مني أن أعمل مستشاراً متفرغاً له، فوافقت بحماس رغم أن ذلك كان يتطلب الانتقال من الظهران إلى الرياض، وقد كان السبب الرئيس لموافقتي هو حماس الدكتور محمد وطموحاته الكبيرة لإصلاح التعليم في المملكة، فاعتبرت أن المشاركة في ذلك المشروع الوطني فرصة تاريخية، فلم أتردد ولم أطلب أي مقابل مادي، فقد كان راتبي هو ما أحصل عليه فعلاً كعضو في هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وكنت فوق ذلك أتحمّل التذاكر الأسبوعية ذهاباً وإياباً من وإلى الرياض والظهران بالإضافة إلى تكاليف الشقة المستأجرة بالرياض بعيداً عن أسرتي التي كانت مقيمة في الظهران، وكنت سعيداً كل السعادة بهذا كله برغم ما فيه من أعباء.

عملت مع الدكتور الرشيد لمدة عام قبل أن يتم تعييني عضواً في مجلس الشورى، وقد استمتعت بعملتي عاماً كاملاً تعلمت خلاله الكثير من الدروس، وتعرفت على شخصيات تربوية كثيرة داخل وخارج الوزارة.

لن أفي تلك التجربة حقها من خلال هذه السطور.. فعلى الرغم من أن المدة كانت قصيرة نسبياً ولم تتجاوز العام الواحد إلا أنني كنت أتابع عن قرب نشاط وزارة المعارف

وكذلك واصلت نشاطي في بعض اللجان مع الزملاء في الوزارة حتى بعد انتهاء عملي الاستشاري، وإذا كان مجال الحديث الآن، وفي سياق هذا الكتاب، هو ذكريات العمل والصدقة مع الدكتور محمد، فإنني سوف أركز على بعض هذه الجوانب بقدر ما يسمح الوقت وتتيح المساحة.

بدأ الدكتور محمد الرشيد عهده، كوزير، بتشخيص علمي للمشكلات والعقبات التي يعاني منها التعليم العام بالمملكة، فتم توزيع استبانات تحتوي على أسئلة شاملة عن جميع جوانب التعليم.. وقد شاركت في الإجابة عن تلك الأسئلة شرائح مختلفة من المجتمع، وكان الهدف هو تحديد الأولويات ثم رسم خطة عمل للوزارة، وبذلك تكونت لدى الوزارة صورة واضحة عن أهم المشكلات التي يتعين عليها معالجتها، وفي تقديري أن هذه الخطوة كانت بداية جيدة، كما أنها أحدثت انطباعاً جيداً لدى الناس، فقد اعتبروها مؤشراً على جدية الوزارة في تلمس ما يعاني منه الميدان وعدم الاكتفاء بالدراسات النظرية، التي يجريها من نطلق عليهم (الخبراء)، وهم أناس يقبع الكثير منهم في مكاتب مغلقة وأبراج عاجية، كما يُقال.

وقد انبثقت من تلك الدراسة لجان وفرق عمل بناءً على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وانطلقت الوزارة في مبادرات متلاحقة في شتى المجالات لتطوير التعليم العام.

إن أوضح ما أحمله الآن من ذكريات عن تلك المدة التي تفرغت فيها للعمل الاستشاري في وزارة المعارف هو ذلك الكم الهائل والمتلاحق، وأكاد أقول المرهق، من المبادرات التي لا تتقطع لتطوير التعليم العام.. وهي مبادرات كان يُطلقها ويشرف عليها الدكتور الرشيد بنفسه بلا كلل ولا ملل! وكنت ولا أزال أعتقد أن هذه المبادرات أكبر وأكثر مما كان الواقع الاجتماعي وإمكانات الميدان التربوي تستطيع استيعابه في ذلك المدى الزمني المحدود، لكن الدكتور الرشيد كان يعد أن الوزارة في سباق مع الزمن، وأن الأمة تخسر أهم ثرواتها وهم البشر حين تتأخر يوماً واحداً في تطوير التعليم.

كان الدكتور محمد الرشيد يسابق الزمن، وكانت العقبات الاجتماعية والمادية التي تقف في طريقه هائلة، لكنه لم يكن على استعداد لمهادنتها، ومن أجل ذلك تعرض للكثير من سوء الفهم، ودفع ثمناً فادحاً خصوصاً من بعض الأشخاص والفئات التي تصورت أنه يحمل أجندة تغريبية، وكنت حين أقرأ بعض ما يكتب عنه في بعض مواقع الإنترنت أو حتى ما يقال من على بعض منابر المساجد أو في بعض المجالس الخاصة أتعجب، لأن الشخص الذي يتحدثون عنه ليس هو محمد الرشيد الذي أعرفه.. لكنني أدرك الآن أن (مقاومة التغيير) هي طبيعة البشر، وأن ما كان يحدث هو مقاومة للتغيير الذي كان يقوده الدكتور محمد الرشيد بكل جسارة برغم أن بعض أصدقائه ومستشاريه كانوا ينصحونه بالتروي، وكنت واحداً من هؤلاء الذين رؤوا أن وتيرة التغيير يجب أن تهدأ في بعض الأحيان، وذلك لاستيعاب الضجيج وتوضيح الأمور، وخصوصاً لأولئك الذين لم تكن تحركهم مواقف مسبقة أو نوايا غير حسنة.

إنني أتحدث، صادقاً، عن محمد الرشيد بما أعرف، وما أعرفه هو أن الرجل يتحلى بعاطفة دينية جياشة، وإنني لأستغرب أن يجد المرء نفسه مضطراً للكتابة عن هذا الجانب الشخصي جداً لمحمد الرشيد بالذات، فهو غني عن هذا، لكن الحملات التي شنت على الرجل واتهمته في دينه من قبل أشخاص لا يعرفونه في كثير من الأحيان وفي سياقات انتقائية مقصودة أحياناً قد انطوت على ظلم فادح، يجعل كل صاحب ضمير حي ممن عرفوه يسهم في توضيح الحقيقة كما عرفها، فهو محاسب أمام رب العالمين بما يصمت عنه أو بما يقوله.. وقد سافرت مع الرجل في رحلات عديدة داخل وخارج المملكة فوجدته محافظاً على الصلاة، ولم أشعر في أي وقت من الأوقات بأن له موقفاً ضد المتدينين، فضلاً عن أن يكون له موقف ضد الدين، كما أشاع البعض عنه ممن لم يعرفوه ولم يختلطوا معه، ومن الغريب أن يقال عنه ما قيل، بينما العديد من أصدقائه بل ومن قيادات الوزارة القريبين منه هم من المعروفين بالتزامهم الديني!

كان محمد الرشيد يعشق عمله، وكان يناقش جميع التفاصيل، وقد كان يعقد لقاءات مطولة يومية وأسبوعية وشهرية، يشترك فيها وكلاء وقياديو الوزارة ومديرو إدارات

التعليم من جميع مناطق المملكة وضيوف وخبراء من خارج الوزارة، وكانت هذه اللقاءات تمتد لساعات طويلة وتكون منهكة، لكن محمد الرشيد لم يكن يبدو عليه أي سأم أو تعب، بل عكس ذلك من الحماس والنشاط، فهو ببساطة، محب عظيم للتربية وقضاياها ولا يمل من العمل في هذا الميدان.

لقد أتيت لي أن أعيش عدداً من المشروعات التي أطلقها الدكتور محمد الرشيد، ومن أهمها: مشروع التقويم الشامل للتعليم، ورعاية الموهوبين، وتحديث المناهج، وإدخال مادة التربية الوطنية ضمن المقررات الدراسية، وإعادة إصدار مجلة المعرفة، وتطوير هيكل الوزارة بما في ذلك إيجاد إدارة لاقتصاديات التعليم، وغير ذلك من المبادرات العديدة، وكانت هذه المبادرات المتتابعة لا تترك لزملائه في الوزارة مساحة لالتقاط الأنفاس.

لقد كان محمد الرشيد يوزع جهده على كل هذه الجوانب، غير أن جانباً أساسياً كان يمثل بالنسبة له الهاجس الأول، ألا وهو تطوير المعلم، فقد كان يؤمن بأن المعلم هو الركيزة الأساسية في العملية التعليمية والتربوية، وأن كل الأمور الأخرى برغم أهميتها ثانوية لأن المعلم الكفاء يمكن أن يعوض النقص في كل الجوانب الأخرى، وقد شهدت العديد من الاجتماعات التي كانت مخصصة لمناقشة قضايا محددة غير قضية تطوير المعلمين لكن محمد الرشيد سرعان ما كان يغير النقاش إلى موضوع المعلمين وتطويرهم.

إنني أعتقد أن الدكتور محمد الرشيد استطاع أن يحقق إنجازات كثيرة للتربية والتعليم في بلادنا.. بعض هذه الإنجازات واضحة، والبعض الآخر سيتضح أثره بمرور الوقت لأن طبيعة ذلك الأثر تراكمية وتحتاج لأجيال عديدة كي تبرز.

لقد رصد الدكتور محمد الرشيد تجربته الإدارية بشكل موثق في الكتاب الذي أصدره تحت عنوان: (مسيرتي مع الحياة)، ويمكن لكل من يريد معرفة تفاصيل هذه التجربة أن يعود إلى ذلك الكتاب، ولهذا فإنني لا أقدم رسداً لهذه التجربة في هذه العجالة التي أكتبها كشخص عايش بعض جوانب تلك التجربة التي يتفق ويختلف حولها

الكثير من الناس من ذوي النوايا الحسنة أو غير الحسنة.. لكن المؤكد أن محمد الرشيد قد ترك أثراً إيجابياً كبيراً في الميدان التربوي والتعليمي في المملكة، وأن هذا الأثر لا يمكن تقويمه بشكل عادل إلا بعد مساحة زمنية كافية تكون المؤثرات الوقتية والجوانب الشخصية قد زالت خلالها.

استطاع محمد الرشيد، في تقديري، أن يجعل من التعليم (قضية عامة)، فقد انفتح على الإعلام وفتح أبواب الوزارة على مصراعيها أمام الإعلاميين.. لم يكتف بذلك، بل استأنف إصدار مجلة المعرفة التي ما تركت جانباً من جوانب القصور في أداء مؤسسات التعليم إلا وتصدت له بالنقد، وحتى الوزير نفسه كثيراً ما تعرض للنقد من المجلة، بما في ذلك المقابلة الشهيرة التي أجرتها معه واتهمته في أدائه وفي منهجيته وفي قراراته! وإذا كان محمد الرشيد قد ارتكب العديد من الأخطاء كأى بشر يجتهد فيصيب ويخطيء، فإن أحدها، برأىي، هو الإسراف في الانفتاح على الإعلام.. أقول ذلك وأنا أحد المحسوبين أحياناً على الإعلام، وممن عملوا في الصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية سنوات عديدة وممن ينتمون إلى مدرسة تؤمن بأن إيجابيات حرية الإعلام أكثر من سلبياتها أياً كانت هذه السلبيات، لكن الإعلام بحق سلاح ذو حدين، وهو سلاح قاتل عندما تنزلق الممارسة إلى متاهات ينفذ منها من لا يريد الإصلاح المتجرد من الهوى، ومن يريد أن يصطاد في الماء العكر، ويصفي الحسابات الشخصية، سواء كانت حقيقية أو متوهمة.

أعود بعد ذلك إلى سمتين من السمات المميزة لشخصية محمد الرشيد فقد أشرت إلى الحميمية والتواصل كجوانب إنسانية مميزة كل التميز في شخصية الرجل.. فعندما يتحدث إليك محمد الرشيد بتلك الحميمية المتدفقة، تشعر أنك أقرب أصدقائه إليه، بل تتوهم أنك ربما تكون صديقه الحقيقي الوحيد ورغم أنك تعرف صداقاته العريضة، ليس في هذه المدينة فقط وليس في المملكة وحدها، وإنما عبر امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج وحتى خارجه! هو لا يفعل ذلك، ولا يتعمد أن يوجد هذه الصورة في

ذهنك، وإنما ينهمر بتلقائية تقترب مما نراه في أريافنا البعيدة، التي لم تفسدها مادية هذا الزمن.. فتراه يسألك عن أمورك الصغيرة والكبيرة، ويتذكر كل الأشياء والأسماء والأماكن التي تمثل قيمة لك، ولا يتردد في أن يقدم لك المشورة والتشجيع والمساعدة حتى دون أن تطلبها منه، وهو فوق ذلك يتواصل مع الناس ويبادر بالسؤال عنهم ويزورهم في مناسباتهم السعيدة والحزينة، ويفتح أبواب بيته لاستقبال من يعرف ومن لا يعرف.

من أجل ذلك استمرت علاقة محمد الرشيد مع الناس بنفس الوتيرة، حتى بعد أن زال هيلمان المنصب وبهرج الكرسي، فلم يبتعد عنه الناس كما يفعلون مع أصحاب المناصب السابقة، فالناس الذين أحبوه قبل المنصب استمروا في محبتهم له في أثناء المنصب وبعد المنصب، وهم يتقاطرون على (سبتيته) التي تلتئم بعد صلاة المغرب من كل سبت، حيث ترى ألواناً من طيف المجتمع بكل تكويناته وفتاته ومن كل مناطق المملكة.

أعترف أن هذه شهادة محب، لكنني موقن أنها ليست شهادة مجروحة بدفء المحبة.. فبكل الصدق أكتب وأنا أعرف أننا بشر أبعد ما نكون عن الكمال.



من التقويم الشامل إلى المعجم المدرسي

د. علي بن صالح الخبتي

عملت مع معالي أ. د محمد بن أحمد الرشيد وكيلاً مساعداً للدراسات والبحوث التربوية، وكان من أبرز المهام التي أنيطت بي:

١ - إدارة التعليم في منطقة تبوك لمدة ٨ سنوات، منها سنة بعد تعيين الدكتور الرشيد وزيراً.

٢ - تأسيس إدارتين عامتين للتقويم الشامل للمدرسة: واحدة في تعليم البنين، وأخرى في تعليم البنات.

٣ - رئاسة مشروع هو الأول من نوعه في تاريخ اللغة العربية، (كما أشار العلامة أحمد رشاد الحمزاوي المعجمي التونسي المشهور) هو إعداد معجم لغوي لطلاب التعليم العام، يمول مناصفة من قبل وزارة التربية والتعليم، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

٤ - مرافقة الدكتور الرشيد في بعض الزيارات داخل المملكة وخارجها، والمشاركة في بعض اللقاءات والاجتماعات بصحبة الصف الأول من المسؤولين في الوزارة.

٥ - المشاركة في الاجتماع التواصلي الأسبوعي الذي يُعقد في كل أربعا.

٦ - مشاركة فريق محدود العدد من وزارتي التربية والتعليم، والتعليم العالي لعمل دراسات خاصة طلبها المقام السامي من وزارة الخارجية.

٧ - المشاركة في فريق رفيع المستوى لإعداد دراسة خاصة عن إدخال اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية.

وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد للبحوث التربوية بالتطوير التربوي سابقاً.

بدأت علاقتي مع الدكتور الرشيد بعد صدور الأمر السامي بتعيينه وزيراً للمعارف بثلاثة أيام، وذلك في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٦ هـ باتصال هاتفي كنت أتوقع أن يستمر أقل من دقيقة لتهنئته، ولم أتوقع أن تتجاوز المكالمة حدود المجاملة كأول اتصال بيننا.. لكنني فوجئت بموقف مختلف وجو مختلف وشخص مختلف.. فوجئت وكأن الذي يحدثني يعرفني منذ زمن.. وفوجئت بسؤال عن مدى استعداد المنطقة التي أدير التعليم فيها لاستضافة أول لقاء حقيقي لمديري التعليم (سمي لقاء قادة العمل التربوي لاحقاً)، وزاد زمن المكالمة عن الوقت الذي كنت أتوقعه. حدثني خلالها عن اتصال حميمي مع أمير المنطقة.. وعن عقده العزم على عقد أول لقاء لمديري التعليم في تبوك، وفي اليوم اللاحق حدثت أمير المنطقة عن محادثتي معه وعن الخبر السعيد بعقده العزم على عقد أول لقاء لقادة العمل التربوي في منطقتنا، وكان الحديث لحضور بعض المدعوين في ذلك اللقاء، وكان سمو الأمير سعيداً بكل ذلك، وكانت ترتيبات رحلتي الصيفية مع العائلة قد تمت واستأذنت للسفر.

استعدت المنطقة للعرس التربوي، وكنا مبتهجين مسرورين، وعرضنا منجزاتنا التي كان من بينها إدخال التقنية في الأعمال والمهام التربوية، ومنها الاتصال المباشر بين الإدارة في المركز وبقية المدارس داخل المدينة وفي بقية مدن المنطقة، وكذلك اتصال المدارس بعضها ببعض عن طريق الحاسب الآلي، وعرضنا نماذج لذلك.. كما عرضنا تحويل الشؤون المالية والإدارية والاتصالات إلى نظام رقمي.

وانتهى اللقاء وانتهى الفصل الدراسي الأول من عام ١٤١٧ هـ - ١٤١٨ هـ، وانتهى معه عملي في المنطقة.

اتصل بي الدكتور الرشيد قبيل نهاية الفصل، وأخبرني بقراره إنهاء عملي مديراً للتعليم ورغبته في نقلي إلى مكتبه، فرجوته أن أعود إلى العمل الأكاديمي أستاذاً في كليات المعلمين على أن يصدر قراره بالتفرغ العلمي لمدة عام أقضيه في جامعة ولاية ميتشجن الحكومية بالولايات المتحدة الأمريكية في البحث العلمي كتعويض عن ثمان

سنوات قضيتها في العمل، الذي أظن أن المنطقة استفادت منه، وخسرت أنا على المستوى الشخصي.

وفي حفل تخريج دفعة المعلمين من كلية المعلمين في جدة للعام الدراسي ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ الذي حضره الدكتور الرشيد سألني: ماذا تفعل هنا؟ قلت: إنني هنا بقرار منه، وإنني هنا لقضاء بقية العام الدراسي وإن قراره قد صدر لنذهابي إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تفرغ علمي لمدة عام.. فقال مازحاً لا.. التفرغ بدأ وانتهى، وأنت لا تعرف الحساب وسأصدر قراراً لانتقالك إلى الرياض، لتشرف على أحد المشروعات التربوية النوعية، تعتمزم الوزارة تبنيه في مدارسها، وقد وقع عليك الاختيار لقيادة هذا المشروع.. فشكرت أبا أحمد، واعتبرت أن هذا تطيب خاطر، لكن ترتيب الرحلة مع الأسرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لم يتغير، ولم آخذ الأمر على محمل الجد. وفي ١٨/١٠/١٤٢٨هـ اتصل بي الصديق الدكتور محمد العصيمي وكيل وزارة التربية للتطوير التربوي سابقاً (الوكيل المساعد لشؤون الطلاب آنذاك) ليخبرني بصدور قرار الوزير بإلغاء تفرغي العلمي ونقلني إلى الرياض للإشراف على مشروع التقويم الشامل للمدرسة، الذي اقترحه فريق الوزارة الذي زار مكتب المعايير التربوي في بريطانيا OFSTED الذي يشرف على تفتيش المدارس هناك، وذلك لبناء نظام تقويمي مماثل في مدارسنا في المملكة، وترددت وأشار عليّ أن أقبل العرض وأنتقل إلى الرياض ففعلت.

قابلت أبا أحمد، وبحماسه المعهود ورغبته في التغيير والعمل والإنتاج والتطوير حدثني وطلب مني العمل في مكتبه والارتباط المباشر به وأن أكون قريباً منه ووعدته بالدعم.. وتم تشكيل الفرق: فريق العمل المكون من أكاديميين ومشرفين تربويين ومديري مدارس ومعلمين: كنوافذ نطل من خلالها على مختلف جوانب العملية التربوية التعليمية، وكان برئاسة فريق آخر استشاري، اقترحت أن يكون برئاسة الدكتور محمد العصيمي.. لكن أبا أحمد رأى أن تكون كلتا اللجنتين برئاسة الدكتور محمد العصيمي بالاستشارية تضم بعض الوكلاء، وأنا لا زلت مديراً عاماً.. وصدر قرار وزاري وبدأ العمل، واستمرت فيه قرابة الأربعة أشهر، أبحث عن أفضل السبل وأفضل البرامج، التي

يمكن الاستعانة بها بالإضافة إلى برنامج OFSTED لبناء نظام تقييمي متميز لمدارس وزارة التربية والتعليم في المملكة، وكانت مدة كافية ليكون الوزير رأياً حول عدم صواب قرار تكلفني بالعمل، لعدم وصول أي معلومة إليه حول ما أفعل.. والحق أنني كنت أحتاج إلى تلك المدة للبحث والتقصي وتحديد الوجهة، وفي لقاء مديري التعليم الذي انعقد في أيار عام ١٤١٩هـ طلبت من الوزير أن توضع فقرة في برنامج اللقاء عن التقييم الشامل للمدير، فوجّه على طلبي بعبارة فيها الكثير من المجاملة والقليل من الاقتناع (أرجو أن يُعطى الزميل فرصة في البرنامج) وفهم مغزى العبارة لدى المنظمين وتوصلت فوضعت لي عشرون دقيقة، ولم يهياً لي السكن مع زملائي مديري التعليم.

وكان ما كنت أمل وأرجو وقد وزعت في اللقاء كتيباً كنت قد طبعت منه خمسمائة نسخة عن التقييم الشامل للمدرسة وكان مفاجأة غاية في السرور عندما رأيت ردة فعل الوزير الذي كانت عيناه تلمعان فرحاً وابتهاجاً، ودوّى بضحكة سمعها الجميع عندما مر في ثنايا الحديث بعبارة تقول: استئصال كامل فريق المدرسة، عندما يكون هناك فساد أو خطر يُهدد الطلاب.. وقد بادر بافتتاح النقاش، وعبر عن سعادته بهذا الوليد الجديد، وعن أمله في أن يكون لبنة في تحقيق جزء من أحلامه في الارتقاء بالتعليم، وطلب بعض مديري التعليم الانضمام إلى فريق العمل في التقييم الشامل فوافق ونظر إليّ ورفع يده محلقاً بالسبابة والإبهام بالإشارة المعروفة excellent، وشرفني بأمور عديدة لا زلت أعتز بها وأذكرها بالعرفان، وكان عملي معه شرفاً كبيراً تغلله تحد ونجاح وألم وأمل، وتعلمنا منه الكثير من قبول التحدي والألم، فتحقيق الأحلام والوصول إلى النجاح تلو الآخر لا يأتي مصادفة، فقد تعلمنا أن الحميمية وقبول الآخرين وسلامة الصدور شروط أساسية يجب أن تسير جنباً إلى جنب مع الذكاء والعزم والتصميم والإخلاص، وفوقها جميعاً توفيق الله.

عملت مع أبي أحمد عشر سنين كانت من أجمل أيام حياتي، كان دعمه غير محدود.. كان يبحث عن الإيجابيات في عملنا ويبرزها مع أننا كنا نعرف أن بعض ما قدمناه يشوبه بعض السلبيات، وكنا نعلم أنه يعلم تلك السلبيات.. كان هذا المفهوم ثقافة ينتهجها

وتعلمناها، وأصبحت لدينا منهج حياة.. كان يقبل الإخفاقات ويعتذر لها ليدفع بالعاملين معه لمزيد من العمل، لأن مزيداً من الإخفاقات يعني مزيداً من المبادرات، ومن ثم مزيداً من الإنجاز.. كانت كلمته المشهورة (النائم لا يتعثر) منهجاً للعاملين معه للاستمرار في التفكير والعمل والمبادرات والإنجاز.. كان دائم الابتسام، ودوداً يملك روح الدعابة في أحلك الظروف، حتى إن كل العاملين معه يذكرون بمزيد من الإعجاب أنه عندما يحتدم النقاش ويصل ذروته وتشتد الأعصاب، يتدخل بدعابة مناسبة في وقت مناسب بطريقة مناسبة، تدوب بها كل أشكال التوتر، التي كانت تسود ذلك اللقاء أو الاجتماع.

التقويم الشامل

عبر لي الوزير عن رغبته الملحة في تطوير منظومة التربية والتعليم كافة، ومن ضمنها تأسيس نظام نستطيع بواسطته التعرف بشكل علمي ودقيق على مسيرتنا التربوية، انطلاقاً من مفهوم يقضي بأن يكون هناك وقفات تأمل وتدبر، يتم من خلالها تقويم ما تم تحقيقه من أجل التعرف على الإيجابيات ودعمها، وتلافي السلبيات وتفاديها، وذلك عن طريق معرفة مسبباتها مما يساعد من ثم على توظيف الجهود والطاقات والأموال توظيفاً يحقق الأهداف، التي ترمي إليها الخطط والبرامج التعليمية والتربوية. ومن الوسائل المحققة لذلك استخدام أسلوب التقويم الشامل والمستمر لجميع عناصر العملية التعليمية والتربوية، التي تتم داخل المدرسة وفق معايير وضوابط معينة وأدوات محددة.

أهمية التقويم الشامل

تتبع أهمية التقويم الشامل للمدرسة من كونه وسيلة علمية تعتمد على أدوات مقننة، تتيح تقويم جميع عناصر ومكونات المدرسة (الإدارة، المعلم، الطالب، البيئة المدرسية... إلخ) على أحقاب متعاقبة ومستمرة، ومن هنا فإن التقويم الشامل للمدرسة هو أحد الأساليب المهمة التي تحقق الطمأنينة لجميع المهتمين بالتربية والقائمين على برامجها وخططها.

أهداف التقويم الشامل

يتمثل الهدف الأساس للتقويم الشامل للمدرسة في محاولة الإجابة عن تساؤل مهم، وهو إلى أي مدى أسهمت المدرسة في الرفع من مستوى تحصيل الطالب، وتمتية مهاراته وسلوكياته، كما رسمتها سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية.

كما أن التقويم الشامل يحقق أهدافاً جزئية أخرى من أبرزها:

١. التعرف على مدى تحقق أهداف سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية عن طريق التأكد من أن المدرسة تؤدي أعمالها المنوطة بها.

٢. تحديد مواطن القوة ومواطن الضعف في المدارس، حتى تتمكن من تحسين نوعية أدائها التربوي والتعليمي.

٣. مراجعة وتطوير الخطط التعليمية الحالية، بناءً على ما تظهره نتائج التقويم الشامل للمدرسة.

٤. إعطاء معلومات كافية عن المدرسة للعاملين فيها وللآباء ولإدارة التعليم وللوزارة، وذلك ليعمل كل فيما يخصه على الارتقاء بمستوى أداء المدرسة.

٥. تشجيع العاملين في المدرسة للاستمرار في جهودهم الذاتية لتطوير المدرسة وتحسين أدائها وتصحيح مسارها.

٦. مساعدة المدرسة في المحافظة على الترابط بين العاملين فيها وأفراد المجتمع.

٧. تحسين عملية التقويم نفسها ووضع قاعدة متينة يقوم عليها التقويم في المستقبل.

هذه الإماحة إلى مشروع التقويم الشامل لا يتسع المقام لأكثر منها، أتبعها بإلماحة أخرى إلى مشروع المعجم المدرسي الذي ذكرته آنفاً.

المعجم المدرسي

بدأت قصة المعجم عندما تقدم أحد مستشاري معالي الوزير باقتراح لإعداد معجم للمرحلة الابتدائية فقط، وأحيل الأمر إلى لجنة التربية والتعليم بمدينة الملك عبد العزيز لدعمه، وتم الإعلان عنه وفق إجراءات المدينة، وتقدم فريقان أحدهما من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والثاني من وزارة التربية والتعليم، فاقترح الوزير أن يعمل الفريقان معاً تحت مظلة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، لإعداد معجم لجميع مراحل التعليم وليس للمرحلة الابتدائية فقط، وكان رأياً سديداً ستجني الأجيال القادمة ثمرته بإذن الله، واتصل فوراً بنائب رئيس المدينة لدعم البحث العلمي، وأبلغه هذه الرغبة على أن تستمر المدينة في دعم الجزء الخاص بالمرحلة الابتدائية، وتدعم الوزارة الجزء الخاص بالمرحلة المتوسطة والثانوية، وسار المشروع على بركة الله وتم التعاقد مع (مكتبة لبنان ناشرون) لكتابة المعجم ونشره تحت إشراف الفرق المعنية المكلفة من وزارة التربية والتعليم ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

أهداف المعجم

١. نشر الثقافة المعجمية في أوساط الطلاب.
٢. مساعدة الطالب على استيعاب نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وغيرها من النصوص وفهمها فهماً صحيحاً.
٣. أن يكون المعجم مرجعاً لغوياً لواقعي وثائق المناهج ومؤلفي الكتب الدراسية.
٤. كما يكون مرجعاً أساساً يستخدمه المعلمون في إعداد الدروس وفي عملية التدريس عندما تعرض المادة العلمية بلغة المعجم المناسبة للطلاب.
٥. أن يكون مرجعاً أساساً للطلاب لتعلم الكلمات الفصيحة المناسبة لأعمارهم لزيادة ثروتهم اللغوية.

٦. أن يكون مرجعاً أساساً لمؤلفي كتب الأطفال وبرامج الأطفال التلفزيونية والإذاعية.
٧. أن يكون مرجعاً أساساً لأولياء الأمور لمساعدة أبنائهم وبناتهم في تعلم كلمات المعجم الفصيحة واستخدامها.

بدأ العمل بالمعجم في ١٤٢٣/٣/١هـ لإعداد مدونة المعجم، واستغرق ذلك ثلاث سنوات، وقد وصلت كلمات المدونة ثلاثة ملايين كلمة مصادرها:

١. القرآن الكريم.
٢. السنة النبوية المطهرة.
٣. مختارات من الأدب العربي في عصور مختلفة.
٤. مختارات من الإعلام المقروء والمسموع والمرئي في ٤ أحقاب مختلفة.
٥. كتابات الطلاب في العينة المستهدفة.

وقد صنفت الكلمات في المدونة حسب تكرارها، ثم تم تنظيف الكلمات من السوابق واللواحق، وخرجنا بواحد وعشرين ألف كلمة تقريباً ستشكل كلمات معجم المرحلتين المتوسطة والثانوية، وبدأ العمل في كتابة المعجم في ١٤٢٦/٣/٣هـ ونتوقع الانتهاء منه خلال العامين القادمين إن شاء الله، ليكون علامة مميزة في تاريخ وزارة التربية والتعليم، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

هذا ما وددت الإشارة إليه من أهم الإنجازات التي تحققت في مدة تشرفي بالعمل مع الدكتور محمد الرشيد، الذي كان لي ولزملائي: أخاً، وصديقاً، ومعلماً، ورئيساً، بارك الله في عمره وعافيته وعطائه.



المركب الصعب والعلاقة الوثيقة

د.علي بن عبد الخالق القرني

حينما أكتب عن تجربتي في وزارة التربية والتعليم في عهد الدكتور محمد الرشيد، فإنني سأحاول جاهداً الاقتراب من الموضوعية قدر الإمكان، مع أنني أدرك تماماً أن ذلك مركب صعب نتيجة للعلاقة الوثيقة التي تربطني بمعاليه، إلا أن ما يربطني بأبي أحمد علاقة هي صداقة خالصة بعيدة عن المصالح.

لقد ترك محمد الرشيد الوزارة، وبقيت صداقته ومودته تعمر القلوب مهما اختلفت الأماكن وتلونت الأزمان، لأنه بحق إنسان، قد يبدو لوهلة أنه في كوكب آخر، غير أنك لا تلبث أن تدرك أنه قريب منك جداً.

أتى الدكتور محمد الرشيد إلى الوزارة، وسأل سؤالاً بالذات سؤالاً!! من أين نبدأ؟! وكنت حينها مديراً لإدارة البحوث التربوية، وكأنما السؤال وجه إليّ بشكل مباشر، وكان أن اقترح صديق مشترك أن تقوم إدارة البحوث بدراسة استطلاعية لتحديد أولويات العمل في وزارة المعارف، يشترك فيها التربوي، والإعلامي، والأديب، والكاتب، والمثقف، وأولياء أمور الطلاب، وكان أن أنجزت إدارة البحوث تلك الدراسة في مدة قياسية (ستة أشهر)، نتج عنها (وثيقة أولويات العمل في الوزارة)، ولا تزال ملفات البحوث التربوية في الوزارة تحتفظ بردود فعل مدهشة من أولئك الذين فوجئوا بالوزارة تسألهم عما يقترحون عليها عمله.

لقد حددت تلك الوثيقة المجالات التربوية المهمة مرتبة حسب أولوياتها، فحظيت على سبيل المثال المناهج وحظي المعلم بأولوية قصوى، وفي داخل كل مجال كان هناك عدد من الإجراءات التنفيذية مرتبة حسب أولويتها، التي يعتقد أفراد عينة الدراسة أنها تقود إلى الإنجاز في كل مجال تم تحديده.

مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج، مدير عام البحوث بوزارة التربية والتعليم سابقاً.

كانت هذه الدراسة بمثابة الإعلان عن (سياسة الوزير الجديد) المتمثلة في توجيهه إلى معرفة الرأي الآخر والاستئناس به في تنفيذ المهمة التي أوكلت إليه من قبل ولي الأمر، وهي (تطوير التعليم في المملكة العربية السعودية) تلك المهمة التي لن تنتهي ولن تكتمل مهما تعاقب الوزراء، ومهما تغيرت أساليبهم وتوجهاتهم، ذلك لأن التعليم عملية ديناميكية حية لا تتحكم فيها وزارة التربية والتعليم بمفردها، بل تتشكل وتتحدد ملامحها في كل الحقب الزمنية وفقاً للتغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والتقنية، ومن لا يقتنع بهذه الحقبة، فعليه أن يتمعن في الدول المتقدمة تعليمياً، وكيف أنها لم تصل يوماً إلى درجة الاقتناع بمستوى تعليمها، فهي في حراك دائم لتطوير التعليم.

ولكي لا يصدم القارئ بهذه الحقيقة ويعتقد أنها دعوة إلى اليأس والقنوط، أشير إلى أن هذه الحقيقة إنما تؤكد ضرورة إحداث تغيير وتعديل ملموس في مسيرة التربية والتعليم في بلادنا يشعر معه المجتمع باختلاف في مخرجات التعليم نحو الأفضل... ذلك (الأفضل) الذي لا يعني الوصول إلى التمام، وإنما يعني أن حراك التربية والتعليم هو في اتجاه تصاعدي ليس إلا. إن ما نخشاه على تعليمنا هو أن يكون في الاتجاه المعاكس، الذي ربما يكون الأكثر احتمالاً للحدوث إذا لم نعد إلى تحكيم المنطق، ونبتعد عن أساليب المراوحة في نفس المكان.

أعود إلى (وثيقة أولويات العمل في وزارة المعارف) فقد حوت كل تفاصيل العمل التربوي والتعليمي، وربما كان ذلك هو السبب المباشر في عدم الاستفادة المثلى. لقد وجه الوزير بتصنيف المجالات التي تضمنتها الوثيقة وإحالة كل صنف إلى الجهة المختصة بالوزارة، لتقوم تلك الجهة بإعداد الخطط التنفيذية لما تم اقتراحه من إجراءات، وتحديد متطلبات التنفيذ.. وقد أحدث ذلك حراكاً كبيراً في جميع أرجاء الوزارة، وأصبحت كل جهة تتسابق إلى الوزير لدعم خططها وتوجهاتها، الأمر الذي أدى إلى تشعب العمل وكثرة المشروعات والمبادرات، وانتقل ذلك الحراك إلى إدارات التعليم في المحافظات والمناطق، وكان للزيارات العديدة التي قام بها الوزير والمسؤولون في الوزارة دور مؤثر في تشجيع هذا الحراك ودعمه. وكان أبرز ما ميز تلك الحقبة هو

اقترب الوزير من المسؤولين في الوزارة ومديري التعليم إلى الدرجة التي زالت معها الكلفة التي تغلف عادة العلاقة بين الوزير ومن يعمل معه، وهذا يقودنا إلى استرجاع بعض المواقف التي كنت جزءاً منها إبان عملي في الوزارة تحت إدارة محمد الرشيد.

كانت أولى الفعاليات التي أشرفت عليها هي تنظيم لقاء مديري التعليم في تبوك، وكان ذلك هو اللقاء الأول لمديري التعليم برعاية الوزير الجديد. ومما ميز ذلك اللقاء مشاركة العناصر الأكثر تأثيراً في العمل الميداني اليومي ضمن المتحدثين، فقد استمع الحضور إلى مدير مدرسة ومعلم وطالب، وهم يتحدثون عن أوضاع العمل المدرسي كل من زاويته الخاصة، وقد اتضحت للحضور ملامح شخصية الوزير الجديد من حيث إنه موجود في كل جلسات اللقاء، يستثير النقاش ويداعب الجميع، ومنذ تلك الفعالية بدأت تظهر سمات التقارب ومقومات الفريق الواحد، وهو ما حدث بالفعل فيما بعد نتيجة تعاقب لقاءات مديري التعليم سنة بعد أخرى في شتى مناطق المملكة، وأضحى اللقاء منتدى ينتظره الجميع كل عام، وفتح المجال لطرح أفكار شتى لتطوير العمل التربوي والتعليمي، وكان الوزير يعقد اجتماعاً أسبوعياً للمسؤولين في الوزارة، لا أذكر شخصياً أنه ألغى أو تأجل لأي سبب من الأسباب، فقد كان الوزير حريصاً عليه إلى درجة أنه كان يبدي عتابه الشديد أحياناً على المتأخرين أو المتغيبين عنه، وقد استضاف ذلك الاجتماع العديد من المختصين والخبراء من داخل المملكة وخارجها، كما حضره وزراء ومسؤولون سابقون، وعلى طاولة ذلك الاجتماع لا أعتقد أن هناك شاردة أو واردة في التربية والتعليم إلا تم طرحها والتطرق إليها، إلا أن الكثير مما طرح لم يأخذ طريقه للتنفيذ نتيجة لعدم فاعلية بعض الجهات التنفيذية المختصة في الوزارة، ولهذا فإن من أهم الدروس المستفادة من تلك المدة أن تطوير التعليم يبدأ أولاً من إعادة تنظيم الوزارة والمناطق التعليمية والتأكد من أن هذه الأجهزة تملك الإمكانيات البشرية المؤهلة لتنفيذ مشروعات تطوير التعليم وتحسين مخرجاته، وحقيقة فقد قام الوزير بإعادة هيكلة الوزارة وإدارات التعليم، واستطاع الحصول على قرارات من المقام السامي

باستحداث وظائف ومراتب إدارية غيرت تركيبة الوزارة بالكامل، واستطاعت الوزارة بذلك استقطاب كفاءات من الخارج للعمل فيها.

ولقد حاول محمد الرشيد أن يكون قائداً في الوزارة تاركاً التفاصيل الإدارية للمديرين في قطاعاتهم وإداراتهم وأقسامهم، وهو ما يجب أن يكون عليه الوزير، غير أن الوزارة لم تكن مهياً تماماً لهذا النموذج، مما أدى إلى ضعف الدعم الإداري للأفكار والرؤى المطروحة في ميدان تطوير الممارسات التعليمية، مما جعل الوزير يشكو من البطء في تنفيذ المشروعات التربوية، ويضطر أحياناً إلى تشكيل فرق مهمات خاصة، لتنفيذ فكرة أو مشروع برغم إدراكه بأن ذلك يؤثر سلباً على العمل المؤسسي في الوزارة، غير أن رغبته في إحداث نقلات تطويرية نوعية فعلية هي ما دفعه إلى ذلك.

لقد كانت المدة التي قضيتها موظفاً في الوزارة تحت إدارة الدكتور محمد الرشيد حافلة بالذكريات، لعل أهم ما يخطر ببالي منها الآن هو تشريفي بأن أكون عضواً في مجلس استشاري للوزير، ضمن عدد من الكفاءات القديرة من داخل الوزارة وخارجها، وقد حاول الفريق أن يتحسس المجالات ذات الأولوية لتقديم استشاراته فيها، كما قام بطرح رأيه في بعض ما يحيله إليه الوزير.. وعلى الرغم من ثقة الوزير فيما يقدمه الفريق إلا أنه لاحظ عدم تقبل بعض الجهات في الوزارة لما يطرحه الفريق، فوجه الفريق إلى ضرورة استضافة المسؤول المختص عند مناقشة موضوع يخص إدارته، وحين وجد الوزير أن كثيراً من الأمور قد اتضحت، وأنه أن الأوان للانتقال من مستوى الدراسات والاستشارات إلى مستوى التنفيذ الفعلي وجه بإنهاء عمل الفريق الذي كان بحق بالنسبة لي مصدر إثراء لخبراتي ومعارفي.

لقد حظيت من الدكتور محمد الرشيد بالكثير من الإشادة والإطراء، وكان يتجاوب بإيجابية وحماس مع ما أطرحه من رؤى وأفكار، إلا أنه رأى في شخصي عدم الإصرار على تنفيذ بعض هذه الرؤى والأفكار، إذ إنه كان يرى أنه لا بد أحياناً من أن تكون مقابلاً لكي تخرج فكرتك إلى حيز التنفيذ، وهو الأمر الذي يعني أن الفكرة مرتبطة بصاحبها،

وأنة مسؤوليته التي قد تتقاطع مع مسؤوليات زملاء آخرين وإدارات أخرى، وهذا أمر واقع في كثير من مؤسساتنا الحكومية، وهو ما يؤدي إلى عدم التوازن بين أهمية المشروع أو الفكرة، وبين الدعم الذي يلقيه هذا المشروع أو تلك الفكرة، كما أن هذه الظاهرة تؤدي إلى اختلال ميزان الأولويات وإلى التشبث أحياناً بما هو هامشي على حساب مجالات أكثر جدوى وأهمية، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى كون صاحب الفكرة مقاتلاً أو مسالماً.

كان من بين المشروعات التي عرضتها على الوزير مشروع (لائحة تقويم الطالب) التي درستها الوزارة قبل مجيئه وتعاقب عليها الدارسون والمسؤولون ولم يبق أي مسؤول في الوزارة إلا وشارك في دراستها، إلا أنها لم تر النور وظلت تراوح بين مراحل سبات ونشاط... وقد أدرك الدكتور محمد الرشيد أهمية إنهاء هذه اللائحة دون إبطاء ووجه بتشكيل لجنة من المختصين لإعادة دراسة اللائحة وتحديثها وفقاً للمستجدات التربوية، غير أنه لم يكتف بتشكيل لجنة، بل رسم أسلوب عملها وحدد لها موعداً لإنجاز اللائحة، فكان أن وجه بأن يخرج أعضاء اللجنة من مدينة الرياض إلى مكان آخر يسكنون في مكان واحد، لا يشغلهم إلا هذه اللائحة في صباحهم ومساءهم إيماناً منه بأن ذلك هو السبيل الوحيد للتركيز على المهمة وإتمامها، وقد تم بالفعل أن عقدت اللجنة اجتماعات متواصلة في مكان بعيد عن الرياض، أثمرت عن إنهاء جميع مواد اللائحة ومراجعتها وتنقيحها وبمجرد العودة إلى الرياض كانت على مكتب الوزير الذي قام برفعها إلى اللجنة العليا لسياسة التعليم لتناقش في لجانها المختلفة إلى أن تم إقرارها بعد جهد جهيد.

لقد كان في قصة إعداد هذه اللائحة وإقرارها درس مستفاد أيضاً، وهو أن القرار التشريعي في التعليم لا يصدر إلا بصعوبة بالغة، نتيجة لتعدد الآراء وتباين المواقف وشعور كل من يتصدى لموضوع القرار بأنه هو من يملك الحل الأمثل، الأمر الذي يجعل مخاض القرارات التعليمية صعباً وبطيئاً وربما يكون هناك لجوء إلى حلول الوسط لإرضاء أصحاب الآراء المتباينة مما يفقد التعليم التخلي عن المركزية في إصدار القرارات وتحويل الوزارة صلاحية إصدار لوائحها المختلفة، وألا يبقى مركزياً سوى السياسات والتوجهات العامة.

أعود إلى لائحة تقويم الطالب، فقد أتت بتغيير جذري في مجال معين، إلا أنها لم تشتمل على تغييرات مماثلة في المجالات الأخرى من مجالات التقويم، وذلك لأن لجنة اللائحة رأت أنه يجب اتباع أسلوب التدرج في إدخال الأفكار الجديدة، نظراً لما يتطلبه التغيير من جهود حثيثة لرفع مستوى قدرات العاملين في الميدان، ليتمكنوا من استيعاب التغيير، ومع كل ذلك فإن المجال التطويري الذي أتت به اللائحة كان على محدوديته أكبر من أن يتقبله الميدان، ولا يزال منذ إقراره عام ١٤١٩هـ حتى الآن يواجه صعوبات في التطبيق يعود أكثرها إلى مقاومة التغيير لدى شريحة لا يستهان بها من المعلمين، والمشرفين التربويين.

هذا المجال التطويري الذي أتت به اللائحة هو إدخال أسلوب التقويم المحكي المبني على المهارات، والذي عرف عملياً بالتقويم المستمر في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية، والذي تم تعميمه فيما بعد ليشمل جميع صفوف المرحلة الابتدائية، ومع أن كل الشواهد التربوية والمنطقية تدعم هذا التوجه، ومع أنه الأسلوب المتبع في التقويم في جميع أنظمة العالم تقريباً إلا أنه جوبه بتراخ كبير خصوصاً من قبل بعض الجهات التنفيذية، التي تقع على عاتقها متابعة العمل الميداني ونقل الأفكار الجديدة من مستوى التشريع إلى مستوى التطبيق، ويجب هنا أن أشير إلى أن هناك مشرفون أبدعوا في دعم ومتابعة هذا الأسلوب الجديد في التقويم، بل إن بعضهم أصبح يمتلك خبرة واسعة في مجال التقويم المحكي، وينفذ فيه برامج تدريبية عالية المستوى، وهذا يعني انقسام الميدان إلى مؤيد ومقاوم، فأما المقاوم فإنه يمكن القول: إن السبب الحقيقي لمقاومته هو صعوبة هذا النوع من التقويم على الطالب والمعلم، فهو يلقى بأعباء جديدة على المعلم، كما أنه يكشف بجلاء لولي الأمر المستوى الحقيقي لابنه، بدلاً من إخفاء نقاط ضعفه وراء الدرجة الصماء، التي كانت تعطى له في الاختبارات قبل إقرار الأسلوب الجديد.. إلا أن الشريحة المقاومة كانت تخفي السبب الحقيقي وتعمد إلى التذرع بأسباب غير واقعية، مثل: أن هذا النوع من التقويم أدى إلى ضعف مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب، وأنه ألغى الاختبارات فلم يعد الطالب يكثر

كما كان في السابق... إلخ، وهذا في اعتقادي من أكبر المغالطات التي لا تزال تتردد، فمن يقرأ اللائحة يدرك بسهولة أن اللائحة شددت على وجود الاختبارات بل طالبت بتنوع الاختبارات وأساليبها وعدم قصرها على الاختبارات التقليدية، وأكد أجزم أنه مع كل التغييرات التي حاولت الوزارة إحداثها في ممارسات التعليم، إلا أن تعديل أسلوب التقييم في المرحلة الابتدائية يعد في نظري التغيير الحقيقي الوحيد، الذي حدث فعلاً في التعليم وممارساته، وذلك لأنه أدخل مصطلحات جديدة في التربية لم تكن سائدة ولا معروفة من قبل في تعليمنا، كما أدى إلى ارتفاع ثقافة التقييم، وأدخل نماذج جديدة على أنظمة التقييم والاختبارات، وأملى طرق تدريس جديدة، وفعل اللجان المدرسية، واعتنى بالتلاميذ جميعاً: القوي منهم والضعيف.

ومع ذلك فإنه يجب الاعتراف بأن هناك في الميدان سوء تطبيق وهروباً من مهام هذا التقييم الجديد إلى التقرير خطأ بإتقان الطلاب والطالبات المهارات، وهم في واقع الأمر لم يتمكنوا منها، ليتخلصوا من المتابعة المستمرة، ومن عبء التعامل مع الطلاب الذين لم يتقنوا المهارات وقت تدريسها، غير أنه يجب التنويه بأن من يمارس هذا النوع من المغالطة والإهمال سوف يمارسها أياً كان نوع التقييم، حديثاً أم تقليداً.

ولعل مما يُحسب لإدارة الدكتور محمد الرشيد إصراره على تطبيق اللائحة الجديدة ودعمها، ولم يتأثر بكثرة الانتقادات التي وجهت إليها من الميدان التربوي ومن وسائل الإعلام، بل وجه بإرسال وفود إلى إدارات التعليم لإيضاح اللائحة، ووجه أيضاً بإعداد النماذج والأدلة اللازمة لضمان تطبيق اللائحة، لأنه بحكم تخصصه كان يُدرك الأثر السلبي لثقافة الدرجات الصماء التي اجتاحت تعليمنا وأدت إلى اختزال التعلم في الحصول على تلك الدرجات، وأدت أيضاً إلى تضخم الدرجات إلى أن خرجت عن التوزيع الطبيعي، الذي يحكم قدرات الطلاب في كل أنحاء الدنيا.. لقد انقلب الهرم وأصبح كل أب يظن خطأ أن ابنه متميز من واقع الدرجات الخطأ التي حصل عليها.. ومن هنا فقد أدرك الوزير أن تغيير هذه الثقافة يحتاج إلى تغيير في الأنظمة، وأن نظام التقييم المحكي سيؤدي في النهاية طال الوقت أم قصر إلى أن يتلقى الأب أو الأم

الصورة الحقيقية لمستوى الابن والابنة، وأن ذلك سيؤدي إلى مزيد من ارتباط الأسرة بالمدرسة، وسيؤدي في النهاية إلى ارتفاع مستوى مخرجات التعليم.

وفي سياق الدروس المستفادة مما عشناه في عهد محمد الرشيد، فإن الدرس المستفاد من لائحة تقويم الطالب بعد إقرارها هو أن مدير المدرسة والمعلم هما أدوات التغيير الحقيقية، وأن أي تغيير في التعليم لا يمكن أن يتم إلا بمدير متميز ومعلم متميز، مهما علا صوت الوزارة ومهما استطلت ذراعها، ومن هنا فإن أي جهد لتطوير التعليم لا يبدأ بمدير المدرسة والمعلم هو جهد محكوم عليه بالفشل مقدماً.

ولعل من أبرز القرارات العليا التي صدرت من السلطات العليا في الدولة بناءً على اقتراح الدكتور محمد الرشيد هو قرار تكوين فريق لإجراء تقويم شامل للتعليم، وتحديد توجهاته المستقبلية، وقد ضم الفريق بضعة وعشرين عضواً من الشخصيات المعروفة ومن أصحاب المؤهلات العليا في مختلف التخصصات، وكان المنطلق من تكوين فريق يضم كل الرؤى والتوجهات هو أن التعليم لا تحكمه وزارة التربية والتعليم وحدها، فهو مهمة اجتماعية يجب أن يسهم فيها المجتمع بكل شرائحه، وفئاته ومؤسساته، وأن النظرة المستقبلية للتعليم يفترض أن تكون ممثلة لكل الرؤى والتوجهات الموجودة في المجتمع في ظل السياسة التعليمية للمملكة.. لقد كان الوزير يعول كثيراً على ما سيصل إليه الفريق إيماناً منه بأن أي تطوير للتعليم يجب أن يبنى على تقويم للواقع واستشراف للمستقبل، وأن تتمخض عنه قرارات عليا تبنى عليها الوزارة خططها ومشروعاتها التطويرية.

ومع أن الفريق أنهى أعماله بعد مدة بتقرير رفع إلى الجهات العليا، وأحيل من ثم إلى مجلس الشورى إلا أن التقرير لم يحدد قرارات تطويرية فيما يبدو، بل كرس الواقع ولم يأت بمقترحات يمكن أن ينتج عنها مشروعات تطويرية تؤدي إلى إحداث نقلات نوعية للتعليم نحو الأفضل.

وبعد... فإن الانسياق وراء تفاصيل ذكريات وزارة التربية والتعليم حينما كان الدكتور محمد الرشيد وزيراً لها لن تكفيه صفحات كتابه بأكمله.. ولعل فيما أورده ما

يسجل رؤية محددة من زاوية معينة، أرجو أن تتكامل مع الزوايا الأخرى التي أسهم بها الزملاء الأكارم.. لقد حاولت الربط بين الأحداث والدروس المستفادة منها في تطوير التعليم، منطلقاً بذلك من قناعة راسخة بأن تطوير التعليم مسألة تراكمية، وأن أكبر ما يُعيق مشروعات تطوير التعليم التي يأتي بها الوزراء الأفاضل المتعاقبون على الوزارة هو البدء من مربع الصفر وعدم البناء على المكتسبات السابقة، وهو الأمر الذي لا يؤدي إلا إلى هدر في الجهد والوقت والمال.



سنوات من العمل والأمل

د. محمد بن حسن الصائغ

تعود بي الذاكرة إلى عام ١٤١٤هـ حين كنت عميداً لكلية المعلمين في الرياض، وهو العام الذي شهدت فيه المملكة العربية السعودية ولادة مجلس الشورى في دورته الأولى - وإن كان العمل الشوري شهد الولادة الأولى على يد المؤسس الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله.

ففي هذا العام أعيرت خدماتي للمجلس مشرفاً على إدارة الدراسات المزمع استحداثها، وكان لي شرف تأسيسها، وتعاملت في تلك المرحلة مع ثلة من أصحاب الفكر والرأي والمشورة.

وفي عام ١٤١٦هـ صدرت الإرادة الكريمة من لدن الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - بإعادة تشكيل مجلس الوزراء، وكان من بين الوزراء بعض أعضاء مجلس الشورى، ومنهم معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الذي عين وزيراً للمعارف (وزارة التربية والتعليم حالياً).

وفي حفل تكريمي بهيج أقامه المجلس بهذه المناسبة فاجأني د. الرشيد بقوله: يا محمد لقد انتهت إعارتك للمجلس وعليك العودة إلى الوزارة، وكرر هذا الطلب أمام معالي رئيس المجلس آنذاك الشيخ محمد بن جبير - رحمه الله -.

وهكذا عدت إلى الوزارة لأبدأ رحلة جديدة في عالم التربية والتعليم في صيف عام

١٤١٦هـ.

مستشار وزير التعليم العالي، وكيل وزارة التربية والتعليم لكليات المعلمين سابقاً.

عقد الوزير اجتماعه الأول بمسؤولي الوزارة، وكان لي شرف المشاركة في هذا الاجتماع البعيد كل البعد عن الرسمية والبيروقراطية، تحدث فيه بأسلوبه الشائق وعبارته الدقيقة عن رؤيته التطويرية وعن مستقبل العمل التربوي في بلادنا، وأكد صعوبة المرحلة وجسامة المهمة، وعول كثيراً على مسؤولي الوزارة في النهوض بالعملية التربوية التعليمية، وأكد دعمه لكل موظفي الوزارة، ومنح صلاحيات واسعة لكل مسؤول في قطاعه، وأكد أننا نعمل في سفينة واحدة ومن أجل مهمة واحدة، وعلينا أن نعمل بروح الفريق والمنافس الشريف، وهذا لعمري بداية طيبة لكل من تسنم قيادة عمل. وقد خرج المجتمعون وكل منهم يؤمن أن مرحلة جديدة من العمل التربوي والتطوير والإصلاح قد أذنت بالانطلاق. تلت هذا الاجتماع اجتماعات عدة أكدت ما ذهب إليه في اجتماعه الأول، واتسمت بالتطوير والتقييم والمتابعة.

وفي لقاء ثنائي مع الوزير أكد أهمية إعداد المعلم الكفاء القادر على التطوير والإبداع، والمترجم الحقيقي لكل قرار تربوي يتخذه قادة العمل التربوي.

وأشار إلى أن الإدارة العامة لكليات المعلمين ينبغي أن ترتبط بالوزير مباشرة، وأن يمنح مديرها صلاحية الوكلاء وكان هذا اللقاء إرهاباً بتحويل هذه الإدارة إلى وكالة حيث صدر عام ١٤١٨هـ قرار مجلس الوزراء الموقر بتعييني وكيلاً للوزارة لكليات المعلمين.

لقد أطلق الوزير على كليات المعلمين لقب بيوت الخبرة لوزارة المعارف، وفي سبيل تفعيل دور الكليات واكتسابها شرف هذا اللقب تم وضع خطة لتطويرها أقرت في أول اجتماع لمجلس الكليات برئاسة الوزير، وقد تم بفضل الله تحقيق عناصر هذه الخطة، ومن أبرزها:

- الانعقاد الدوري لمجلس الكليات - وتأسيس المجلس العلمي - ابتعاث الكثير من المعيديين والمحاضرين في الداخل والخارج حتى بلغ عددهم سبعمائة مبتعث، وهو رقم قياسي لما شهدته الكليات في تاريخها - تطوير الخطة الدراسية واستحداث

أقسام جديدة في الحاسب واللغة الإنجليزية ومسارات للرياضيات والعلوم لإعداد معلمين للمرحلة المتوسطة والثانوية - وإصدار صحيفة شهرية باسم (رسالة الكليات) - إصدار مجلة علمية محكمة. وقد شملت الخطة العناية بالنشاط لأهميته في العمل التربوي وإعداد المعلم، حتى أصبحت الكليات خلية نحل على مستوى المنطقة ومستوى المملكة، وحقق طلابها مراكز متقدمة في المنافسة على مستوى دول مجلس التعاون، وشكلت لجان علمية لتقويم العمل الأكاديمي في الكليات، ووافق المقام السامي على أن تطبق لوائح الجامعات على كليات المعلمين. وأذكر فيما أذكر حرص الوزير على انعقاد مجلس الكليات في شهر رمضان زماناً وفي مكتبه بجدة مكاناً، وينتهي الاجتماع بمأدبة إفطار يقيمها الوزير لأعضاء المجلس، وكعادته يحرص على إكرام ضيوفه وراحتهم وبث روح الدعابة في نفوس الجميع، وينتهي المجلس برحلة إيمانية إلى رحاب بيت الله العتيق وتأدية مناسك العمرة.

شعارات تربوية

لقد اتخذ الرشيد سياسة الشعارات التربوية التي تختزل مضامين المشاريع التربوية، وتركزها في عبارات يتبناها الجميع، ويعملون من أجل تحقيقها. وهي فكرة صائبة وأسلوب عمل موفق، وكان من أهمها:

- «وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة».

- «وراء كل تربية عظيمة معلمون مخلصون مميزون».

- «حدودكم السماء».

- «النائم لا يتعثر».

وبدأ العمل المؤسسي في الوزارة يترسخ عن طريق اللجان الدائمة والاجتماعات الدورية والمتابعة وتقييم الإنجاز.

زيارات ميدانية

كسر الدكتور الرشيد قيد الروتين، وغير مفاهيم الناس عن صومعة الوزير، وترجل إلى الميدان ليقود العمل التربوي بنفسه ومعه المسؤولون، في زيارات متكررة إلى المدارس والمناطق التعليمية، للتعرف على الواقع، وتلمس الاحتياج، واتخاذ القرارات المناسبة من خلال الواقع الفعلي للعمل التربوي، وكلف فريق عمل بإعداد تقارير شاملة للواقع وسبل التطوير وآلياته. كان هذا على الصعيد الداخلي. أما على الصعيد الخارجي، فلقد أكد ضرورة الاطلاع على تجارب الدول الأخرى في مجال التربية والتعليم، والاستفادة منها إيماناً منه بمواكبة التطور واللاحق بالركب المتحضر. وفي هذا الاتجاه شكلت فرق لزيارة عدد من الدول العربية والأجنبية وفق منهجية وآليات واضحة، وقد رصدت هذه الزيارات ونتائجها في كتاب توثيقي دعم مسيرة العمل التطويري في تلك الحقبة، وكان من ثمار هذه الزيارات العديد من البرامج التطويرية، مثل: التقييم الشامل للمدرسة، المدارس الرائدة، مفهوم التوجيه وتحويله إلى الإشراف، وعمدت الوزارة إلى الاستفادة القصوى من اليونسكو لتطوير برامجها. كما أصبحت ذات حضور قيادي مؤثر على المستويات: الوطني، والإقليمي، والعربي، ومارست هذا الدور في قيادتها للجهود المبذولة في سبيل ترشيح الدكتور غازي القصيبي -رحمه الله- مديراً عاماً لليونسكو.

المجتمع والوزارة

أمنت الوزارة أن كل عمل تربوي لا بد أن يأخذ بعده الحقيقي وصداه من المجتمع، بوصفه المقصود بالعملية التربوية، هذه الرؤية فتحت الباب على مصراعيه للاستماع والمشاركة الفعلية بين الوزارة والمجتمع. وفي هذا الإطار قامت ندوات ولقاءات عدة تؤكد هذا التوجه، وكان لنتائج هذه الجهود الأثر البالغ على مسيرة التطور التي قادتها الوزارة في تلك الحقبة، واتضح ذلك من خلال إقدام رجال الأعمال على بناء بعض المدارس والتبرع لها وتأسيس مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين، بلغت تبرعات رجال الأعمال لها ما يقرب من أربع مئة مليون ريال، إضافة إلى التبرع بإنشاء مجمعات مدرسية في عدد من المناطق بمبالغ تقارب مئتي مليون ريال.

الانفتاح الإعلامي

كان لابد من صوت إعلامي يكون حلقة وصل بين الوزارة والمجتمع المحلي، وقناة تواصل صادقة أمينة تعبر بصدق عن وجهات نظر الفريقيين، اللذين يسعيان أصلاً لهدف واحد. في هذا الإطار جاء الانفتاح الإعلامي الذي يعد سابقة بارزة وعملاً غير مسبوق بهذه الصورة. فتحت الوزارة صدرها للنقد البناء، ولم تضق ذرعاً بما سواه، وتعاملت مع هذا وذلك بإيجابية وبعقل مفتوح، يؤمن بحق الآخر في الاختلاف. ويقدر كل عمل يصب في خانة التطوير.

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م شنت الهجمات على مناهج التعليم في المملكة، وتوافد المراسلون من أنحاء العالم يستفسرون ويكتبون ويحملون فكر المناهج مسؤولية تلك الأحداث. وكانت الوزارة تستقبل العديد منهم ومن غيرهم، وكانت تتعامل مع كل ذلك بموضوعية عالية وحكمة مما ساعد على تخفيف الاحتقان.

وأذكر أنه في صباح أحد أيام الخميس كنت مع عددٍ من الزملاء في اجتماع في منزل الدكتور الرشيد لمناقشة موضوع تربوي، وقد فوجئ الوزير باتصال وزارة الإعلام لمقابلة مندوبي إحدى وكالات الأنباء العالمية فرحب بهم، وسألته مراسلة تلك الوكالة عن أمور عدة من بينها «موقف مناهج العلوم الدينية في تكوين المواقف العدائية من غير المسلمين»، فما كان من الوزير إلا أن رد بأن مناهج المملكة لا تدعو إلى ذلك، وأن الدين الإسلامي يرى لكل دينه ولا إكراه في الدين، وفتح القرآن الكريم مستشهداً بسورة الكافرون (لكم دينكم ولي دين)، وقرأ لها بعض الآيات التي تحث على التسامح، وبعد أيام عدة خرجت صحيفة الشرق الأوسط بخبر وصورة للوزير، وهو يمسك القرآن بيده، وكتبَ فوقها: (وزير المعارف السعودي: التلقين البيغائي في مدارسنا لم نجن منه إلا الحنظل) وهي عبارة مقتطعة من حديث معاليه في لقاءه مع المشرفين التربويين في فندق انتركونتينتال يوم السبت، وليس لها علاقة بما حدث في منزله يوم الخميس، وقد استنتج البعض للأسف أن الوزير يقصد التعليم الديني، وثارَت نائرة الكثيرين، وكتبوا

ظلماً وزوراً في الإنترنت، وتحديثوا في المناير، بينما الحقيقة شيء، وما يقولونه شيء آخر. وكان أن تعامل الوزير مع هذا الموقف السلبي بروح إيجابية.

وفي إطار الانفتاح الإعلامي الذي تبنته الوزارة أعيد إصدار مجلة المعرفة، حيث انطلقت في ثوبها الجديد، لتكون منبراً للطرح التربوي ومنبراً للنقد البناء ومساحة لمشاركة التربويين والمهتمين بالشأن التربوي داخلياً وخارجياً.

الدمج وتوحيد الجهود

عندما صدر الأمر الملكي بدمج الرئاسة العامة لتعليم البنات في وزارة المعارف ثارت ثائرة البعض، وانصب جام غضبهم على الرجل الأول في الوزارة ومن معه. اعتقاداً منهم بأن الدمج سيؤدي إلى الاختلاط. وكل ذلك قول برحابة صدر وسعة أفق. وفي الاجتماع الأول بعد الدمج أكد الوزير لمسؤولي الرئاسة سابقاً بأنهم مكان تقدير وترحيب، وأن كل واحد منهم سيحقق طموحه من خلال عمله، وأن ثوابت التربية والتعليم في بلادنا لا يمكن أن تمس.

التربية الخاصة ورعاية الموهبة

كان من أولويات الفكر التربوي الجديد الذي تبناه الوزارة اكتشاف الموهبة ورعاية الموهوبين، فنقلت الدراسات النظرية إلى حيز التطبيق وسادت ثقافة رعاية الموهبة والموهوبين في المجتمع التربوي خاصة والمجتمع عامة. وتنامت هذه الثقة في وقت قياسي، لتترجم في الموافقة السامية على إنشاء مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين مدعومة كلياً من القطاع الخاص في تجربة قد تكون الأولى على مستوى العالم العربي، بما في ذلك بناء مبنى خاص بالمؤسسة على طريق الأمير تركي الأول بالرياض. وكان من نتائج هذا التوجه تسجيل عدد من الاكتشافات والاختراعات وحصول عدد من أبناء المملكة على براءات اختراع في عدد من المجالات العلمية والحيوية.

وقد حظيت التربية الخاصة بعناية فائقة، حيث تم دمج ذوي الاحتياجات الخاصة مع العاديين، وأصبحت المملكة أنموذجاً يحتذى في هذا المجال.

الكفاءة هي المعيار

اتخذت الوزارة في تلك المرحلة معيار الكفاية المهنية أولاً وثانياً وثالثاً؛ كمنطلق في تعيين القيادات في الوزارة.. دون أي اعتبار آخر، وسرعان ما زخرت الوزارة بالكفاءات من جميع أنحاء المملكة، وارتفعت الروح المعنوية لدى غالبية العاملين، وتجسد ذلك من خلال العمل الدؤوب والشوق العارم للعمل، وعلى سبيل المثال سأله سائل في أمسية الشيخ عثمان الصالح يرحمه الله عن أنه وظف أقاربه وأصدقاءه فأجاب بأن مسؤولي الوزارة من مختلف المناطق بناء كفاءتهم وخبرتهم من جازان وعسير ومكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية والشمالية وغيرها.

التربية في بؤرة الاهتمام

بفضل الله ثم بفضل ما اتخذ في الوزارة من خطوات تطويرية وإستراتيجيات أصبحت القضية التربوية مركز اهتمام ولاية الأمر، وكان اللقاء السنوي بالملك وولي العهد وسمو النائب الثاني -رحمه الله- وسمو وزير الداخلية من أكبر الأدلة على ذلك الاهتمام والتواصل، هذا في جانب أما على الجانب الآخر فيأتي اللقاء السنوي لقادة العمل التربوي، والدراسات الاستشراافية التي ظهرت آثارها إيجابية على المسيرة التربوية في بلادنا، وفي هذه اللقاءات كان الوزير حاضراً في الجلسات مناقشاً ومحاوراً وموجهاً، فهو أول من يحضر اللقاء وآخر المغادرين، مما جعل الانضباط في الحضور والجدية في النقاش عنوان تلك اللقاءات.

المدرسة أولاً

حرصت الوزارة على أن تجعل من المدرسة بيئة جاذبة للطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات، يجدون في جنباتها تربية إسلامية وسطيّة وتعليماً عصرياً، يشحن الهمم، ويصقل المواهب، وينمي المهارات، ويغرس حب الوطن سلوكاً في الطلاب. وقد شرعت الوزارة في الإعداد لتحقيق ذلك الهدف، وبدأت في تطبيق برنامج المدارس الجاذبة في عدد من المناطق منها: محایل عسير، والحدود الشمالية، وينبع.

الجانب الإنساني والاجتماعي

كان الجانب الإنساني والاجتماعي سمة بارزة من سمات النمط القيادي في تلك المرحلة، فتكريم الرموز التربوية والإشادة بالمتميزين بمثابة اللازمة لهذه القيادة، وقد امتدت هذه الروح الإنسانية عند الوزير إلى كل العاملين فلا تجدهم إلا مهنيين، أو مواسين، أو معزين، أو زائرين لمريض - وأسجل هنا - أن هذه الروح الإنسانية شملت كل منتم إلى العمل التربوي في جميع أنحاء المملكة عن طريق برقيات التعازي أو التهنئة لمعلم في قرية نائية، أصابه مصاب أو حقق نجاحاً مميّزاً، مما رفع الحس التربوي والانتماء المهني لدى كل منسوبي التربية والتعليم، وأشاع روح المحبة بين الجميع.

ولعل الموقف النبيل والتوجه الإنساني عند وفاة الدكتور إبراهيم الدريس - رحمه الله - أمين عام اللجنة العليا لسياسة التعليم كان أنموذجاً لذلك لا ينسى أبداً. حيث خلدت الوزارة ذكرى الفقيه في كتاب عن سيرته، وسميت أكبر قاعة باسمه، بالإضافة إلى لقاء بأبنائه وأقاربه في أول اجتماع كان يحضره ثم تأبينه والإشادة بدوره.

السفر.. الجديدة والمتعة

للسفر مع الدكتور الرشيد فائدة ومتعة، إذ يتم التخطيط الدقيق لكل مهمة، ويبلغ الأعضاء بالبرنامج مبكراً، وعند السفر يكون الوزير بمثابة الأخ الأكبر متفقداً زملاءه في المطار والطائرة وفي الحافلة. وفي أول رحلة لي معه كانت لحضور لقاء مديري التعليم في تبوك عام ١٤١٧هـ وخصصت طائرة لنقل المشاركين وبعد الإقلاع فوجئنا بالوزير يطل علينا مسلماً ومداعباً قائلاً: (الله يحفظكم.. كل قيادات التعليم في هذه الطائرة). أما الرحلة البرية إلى القنفذة فقد انطلقنا بالحافلة الساعة السادسة صباحاً من مدينة جدة بصحبة الوزير، وكانت محطتنا الأولى في (الليث) وقراه وبعض مدارسه، عقدت لقاءات مع المشرفين ومديري المدارس والمعلمين، تجلت فيها روح الرشيد المشجعة على العمل، واستمرت الرحلة وكان اللقاء قبل الأخير الساعة العاشرة مساءً في بلدة (أضم)، وفي أثناء حديث الوزير مع جموع الحاضرين لمح الإرهاق والتعب على وجوه المسؤولين وفريق العمل فخاطب الحضور قائلاً: كم كان بودي الإسهاب في الحديث معكم، لولا أنني أرى

ما لا ترون، فرؤوس بعض المسؤولين المرافقين تميل ذات اليمين وذات الشمال، لأن رحلة العمل هذه مستمرة بلا انقطاع من الصباح الباكر، وخصوصاً القادمين من الرياض على رحلة السادسة صباحاً، واضطر إلى اختتام اللقاء وواصلنا المسيرة إلى القنفذة، حيث وصلنا في الثالثة فجراً، وما هي إلا ساعات حتى استأنفنا زيارة المدارس.

هذه الروح الجادة والإصرار على الإنجاز أكدت العلاقات الاجتماعية بشكل لافت بين منسوبي الوزارة، فكان (اليوم الاجتماعي) الذي يجمع مسؤولي الوزارة خارج نطاق العمل والدوام الرسمي حيث يتمتع الجميع بيوم كامل من أيام الخميس خارج الرياض في ضيافة وكالة من وكالات الوزارة في جو حميمي، تسوده روح المرح والدعابة ورياضة المشي، التي اعتادها الوزير، ونقل تجربته عملياً لزملائه، وكان أنموذجاً في هذا المجال.

أمسية الأحلام التربوية

تلقى الوزير في بداية عهده بالوزارة دعوة من «الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية» لإلقاء محاضرة بعنوان: (تعليمنا إلى أين؟) حدد فيها رؤاه وخططه لتطوير التعليم في جمع غفير من التربويين والمتقنين، وأطلق العنان لأفكار تربوية واعدة.. تحول العديد منها بفضل الله إلى حقائق على أرض الواقع، ومشاريع شاهدة على إنجازات تلك المرحلة.. حقاً إنها أمسية الأحلام التربوية الجميلة.

إنجازات نوعية

حفلت الوزارة خلال هذه الحقبة من الزمن بالعديد من البرامج والمشاريع والخطط غير المسبوقة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

الخطة المستقبلية للوزارة (١٤٢٥-١٤٣٥هـ) - (٢٠٠٤ - ٢٠١٤م) وقد عكف على إعدادها فريق من أصحاب الاختصاص والخبرة من العاملين في الوزارة وخارجها وعقد الفريق العديد من الندوات واللقاءات وأجري استطلاع آراء الميدان التربوي لتحديد الأهداف والرؤية والرسالة، وحدد المتطلبات البشرية والمالية لتنفيذ تلك البرامج والمشروعات، وقد شارك في تحكيمها مرجعيات تربوية داخلية مثل الجامعات وخارجية

مثل اليونسكو، وقد اعتمدت هذه الخطة وشرع في تطبيقها غير أنه لم يستكمل تطبيقها فيما بعد، وبدأت الوزارة من جديد وكأن شيئاً لم ينجز، وهذه لعمرى كارثة في التخطيط فالعمل المؤسسي يتطلب البناء على الخطط السابقة.

ومن الإنجازات النوعية الأخرى التي كنت مشاركاً في إعدادها باعتباري عضواً أو رئيساً لفريق العمل: إستراتيجية الإعلام التربوي، خطة الزيارات الميدانية للمناطق التعليمية، إنشاء مكاتب تنسيق بين الجامعات والوزارة حول قبول طلاب الثانوية العامة، ميثاق مهنة التعليم، مشروع اختبارات المعلمين، مشروع رخصة المعلمين لمزاولة المهنة، مشروع جمعيات المعلمين، مشروع مكافحة الفقر بين الطلاب، لجنة اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، تطوير التوجيه والإرشاد، مشروع رتب المعلمين.

وهذه المشاريع وغيرها بالعشرات محفوظة في ملفات الوزارة والأمل أن ينظر فيها وأن ترى النور فقد بذل في إعدادها جهود مضيئة استفادت من التجارب العالمية الناجحة التي وقف عليها بعض مسؤولي الوزارة من خلال زيارات خطط لها بدقة وعناية.

وبعد..

فإن الحديث عن ذكرياتي في وزارة التربية والتعليم في المدة من ١٤١٦هـ - ١٤٢٥هـ حديث محبب إلى النفس، كيف لا وهو عن مرحلة تميزت بوضوح الأهداف والمبادرة.. والطموح.. والعمل المؤسسي وتحفيز العاملين، وشحن الهمم، والشفافية بين الوزير والمسؤولين والتفاني في الإبداع والتجديد وسيادة التعامل الإنساني الراقى وارتفاع درجة الحس التربوي بين المنضوين تحت مظلة الوزارة.

لقد كانت حقبة متفردة القيادة شبيهة بالأنماط القيادية في مؤسسات العالم الأول، فهل تجد تلك الحقبة حقها من الدراسات والبناء على نقاط القوة فيها، أم أن زامر الحي لا يطرب؟!

أما على المستوى الشخصي فإن العلاقات الإنسانية والصدقة الحميمة التي توطدت خلال عقد من الزمان بيني وبين منسوبي الوزارة ازدادت رسوخاً ومحبة واستمر التواصل مع د. الرشيد أكثر من ذي قبل، كما استمر التواصل مع بقية الزملاء الكرام الذين عشت معهم أجمل أيام العمل والأمل، وسأظل أحمل لهم المحبة والمودة ما حييت بإذن الله.

سنوات أربع قضيتها

مع معالي الوزير أ. د. محمد أحمد الرشيد (١٤١٦-١٤١٩هـ)

د. محمد بن سالم العطاس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ، بداية أقول:

ومضات من الفكر التربوي لمعالي الوزير الأستاذ الدكتور محمد أحمد الرشيد:

تنشأ الحضارات وتندثر، وتتسع حدود الأمم ثم تنحسر، ووراء ذلك كله مناهج التربية والأهداف التربوية، التي إما أن تؤدي إلى توالد السمات الحضارية، أو أن تقود إلى التطاحن والتناحر في ضوء تلك الأهداف والمناهج.

وأول تغيير تربوي مطلوب هو تشكيل لجنة تربوية جادة على مستوى عال من الخبرة والكفاءة والمراس، تقوم بدراسة أوضاع التربية والتربويين، وتستطيع بعمل وسعي دائبين أن تصل ما انفصل بين التربية والإدارة، والتربية والاقتصاد، والتربية والدفاع، والتربية والاجتماع، وأن توظف الإحساس بالخطر الذي يتهدد الأمة، فيما لو ضعف محتوى التعليم، وهبط مستواه، وتوزع على مناهج شتى توزع الدول العربية ذاتها. ومن المقترح أن تكون هذه اللجنة عربية، وترصد لها ميزانية مستقلة، لأنها الأمل في إنقاذ التربية والتعليم في هذه الأمة، وهي التي يجب أن تكشف عما كان، وعما يجب أن يكون في ميدان التربية.

والتغيير المطلوب هو الحفاظ عملياً على سلامة عقيدة هذه الأمة، والخروج من أرض التيه الإسلامي التي اتسعت رقعتها، كما يشمل التغيير المنشود أصله ثقافة الأمة

مدير عام التربية والتعليم بمنطقة جازان سابقاً.

وضمنان الحرية الكريمة لأبنائها على أساس من العدل والمساواة، فالعقيدة الإسلامية بمنهجها الشامل للإنسان والكون والحياة هي المصدر الأساسي، الذي ينبغي أن نستمد منه أهداف التربية متمثلة في مساعدة الفرد على اكتساب الخبرة الوظيفية، التي تحقق أقصى ما يمكن من نموه الشامل خلقياً ونفسياً، وجسدياً وعقلياً واجتماعياً، مما يجعل منه إنساناً صالحاً وسعيداً في الدنيا والآخرة، كما تحقق في الوقت ذاته أقصى ما تقدم للمجتمع والبيئة في إطار قيمنا العربية ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف.

وعن التربية والتقانة فيقول د. محمد أحمد الرشيد:

"الارتباط بين التربية والتقانة ارتباط وثيق الصلة، وطيد الأركان، وهذا ما يدفع بالاثنتين إلى التطور المستمر المركب في المجتمعات الصناعية. أما الفصل بينهما بشكل أو بآخر، وبدعوى الأمن وخلافه فإنه يفتح باب التجزئة والتكرار، وازدواجية الإنفاق والدوران في نفس الموضوع دون تقدم كثير أو قليل يحرز، ولا كسب جديد يستحصل.

وإذا كانت التربية سابقة للتقانة وأساساً لها، فإن ما يلزم للتربية من تقدير للتفوق والإبداع واحترام العاملين في مجالها وتشجيعهم بالحوافز، وتوفير الوقت المناسب والوسائل اللازمة للعاملين في مجال البحث والتطوير، إن كل ذلك حجر الأساس اللازم لقاعدة التقانة والإبداع فيها.

وإذا كانت التربية هي القدرة على صياغة العقول في مراحل نموها العديدة من طفولة وشباب ورجولة وشيخوخة، فإن التقانة هي القدرة على تطبيق البراعة العلمية لأهداف مفيدة، وهي أساس لحفز مقدرة العلماء على اكتشاف معرفة جديدة، أو تطوير المعرفة القائمة بأسلوب فاعل، وكلاهما يكمل الآخر، ولذلك يكمن الخطر في عزل النظام التربوي عن عملية تطبيق العلم والتقانة".

ونستمر مع الفكر التربوي المبدع للدكتور محمد بن أحمد الرشيد في مقاله المعنون بـ: (رؤيا عصرية مخيفة عن الوقت بحلم السنين العجاف)، في رسالة الخليج العربي العدد الحادي والعشرون ١٤٠٧/١٩٨٧م:

"خبروني بربكم كيف يكون لدينا - كهولاً وأطفالاً، شباباً وفتيات - (أوقات فارغة)؟، إننا لو تصورنا الواجبات المنوطة بنا مساحات تتطلب العمل.. فإننا لا ندرى ما نفعل، ولدينا صحارى شاسعة من واجبات العمل تحتاج من يعمرها".

"أين المفكرون والمنظرون والكتاب والمتحدثون عن كل ذلك؟".

"أين من يرفع الأمة للإحساس الحي الواجب بوقتها وأعمارها، ويضعها وجهاً لوجه مع أزماتها الحاضرة والمنتظرة".

"ثم من يحشد تلك الأحاسيس ويحولها إلى برامج تربوية تؤدي بنا إلى وجبات فكرية وعمل تزدهم بها الأوقات، ويتغير بها (معنى الزمن)، في نفوس الأجيال الجديدة والقديمة بجهد صادق ومن أمناء يدركون عمق الأزمة وثقل الأمانة..".

"أود أن أعترف أن ما أثارني ودفعني للكتابة في موضوع (كارثة أوقات الفراغ) جاءت بدايته على يد أحد أبنائنا من طلاب المرحلة الثانوية، لقد طرح موضوعاً للتعبير طُلب منه الكتابة فيه عن (أوقات الفراغ لدى الشباب)، وفضلت أن أجري معه حواراً فيه، نللم أطرافه بعد أن نسبر جوهره، وأخذت حلقات الحوار تتسع وتتسع حتى بلغت بنا شواطئ وآفاق حارة متدفقة، ثم رأيتها تتصل بأعماق ماض لا ينبغي أن تفلت منا حكمته رغم انقضائه".

"وتوثقت وشائج الحوار بحاضر نعيشه وتعيشه أمتنا كلها، بل إنها تعانیه في رحلة حياتها اليومية، وتطلعنا من خلال هذا الطواف بالماضي والحاضر إلى آفاق مستقبل يحترق عندنا بين الإغضاء عنه وإهماله، وبين التخطيط الجاد له والتدبير المحكم الطامح إلى إطعام من بعد جوع، وأمن من بعد خوف، ولقد تصورت نفسي في أثناء هذا الحوار الممتع معلماً لهذا الفصل أو ذلك من فصولنا الثانوية، وهي فصول تضج بحيوية الشباب وآمالهم وعزائمهم، وتتوثب للحياة توثباً وتفور بقوة الحياة الدافقة البناءة إن أحسن توجيهها وغُرست المثل العليا في جنبات صدورها".

"ويعنى شامل.. أننا نحتاج أن نتغير في كل شيء وفي أقل وقت وبأسرع الوسائط، ولكن هل يقوم بذلك حقاً إلا روح هائلة، تكتسح عواطف النفوس وتطهرها وتبدعها في كل مجال إبداعاً جديداً، أليست هذه قضية لا تتكفل بها إلا عقيدة؟ وتربية حقة صادقة مبنية على تلك العقيدة، حتى يكون من شأنها أن تؤازر وتدفع وتحرض حتى يتم التغيير الإلهي الواجب في الوقت والمال، في العقل والقلب والجسد، في الفكرة العارضة والإصرار الذي لا يلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد: ١١) ."

"فما أولانا نحن بالتخطيط الطويل الأمد..!!"

"ما أولانا بتربية عميقة الجذور، تملأ دنيانا بالأمناء الأقوياء، وتقرع آذاننا بالكف عن اللهو والضياع والانتحار الزمني. واللافت حقاً أن تراثنا العظيم تحتشد فيه المنبهات الزمنية، بل إن العبادات نفسها تدور كل يوم مع حركة الشمس، وهي (أكبر ساعة زمنية ملتعبة)، ثبتها الله فوق رؤوسنا في سمائنا الدنيا".

"(الصلاة) مع حركة الشمس.. والفجر مع أول أشعتها تدعو لليقظة والعمل".

"و(الصيام) كلما استدار عام من حركة الساعة الشمسية الهائلة، و(الزكاة) كلما مر عام على مال الله الذي آتانا.."

"و(الحج) كله مواقيت ونفرات جماعية عاجلة الحركة والطواف المنظم الخاشع لا يخدش بالجدل أو الفسوق، فما أولانا بيقظة تثبت وعياً جديداً بالزمن، وتأملوا معي معنى ما ورد في الأثر من قول حكيم".

"ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي:

يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتمني فإنني لا أعود إلى يوم القيامة^(١) ."

(١) رسالة الخليج العربي، ص ٩-٢٢.

تعليق

أن تكون متخصصاً وعالمياً في مجال من مجالات المعرفة، تكون مبدعاً في الطرح، متألقاً في الرأي والمقترح، وإذا ما حياك الله مع غزارة العلم لغة سوية وعبارة قوية وأسلوباً مدبجاً بلآئى المفردات وجواهرها ساخت الآذان وتشنفت وأقبلت الأذهان وتفهمت، وسجلت الذاكرة واستوعبت، ذلك هو الدكتور محمد بن أحمد الرشيد ملك علوم التربية، فهو ابن بجدتها، وأخو جملتها، وأبو عذرتها، ومالك أزمته، تستخرج الجواهر من بحوره، وتحلى لمعان الضروس بقلائد سطوره، شيخ التربية وإمامها، مرجعية في فلسفاتها وغاياتها وأهدافها ومناهجها وطرائقها وأساليبها وإجراءات تحقيق غاياتها. وفوق هذا فقد حباه الله عز وجل قوة وعزيمة وصبراً وحلماً وحنكة ومقدرة على تحمل المسؤوليات والقيام بالمهمات، حتى ولو كانت كالجبال الراسيات، فأحب الوطن وأبناء الوطن وقادة الوطن، فأنساه ذلك حب الذات وحب الأنا، يعمل ولا يكل، يستبشر بالنجاحات، ويفرح عند تحقيق الأهداف، تربوي حتى النخاع، ووطني حتى الشمال، لا نزكي على الله أحداً فالله عز وجل هو المزكي ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٢٢).

لم يحصل لي شرف معرفته ولا التعامل معه قبل تكليفه وزيراً للتربية والتعليم في بلادنا، سوى مرة واحدة التقيت به وزملائي في دورة تعليمية في ولاية أوكلاهوما في جامعة أوكلاهوما نورمان، كلية التربية والتعليم العالي في عام ١٩٧٢م، كما أتذكره وزملاءه الكرام د. عبدالله الزيد، ود. حمد السلوم (رحمه الله تعالى)، لكنني تعرفت على فكره التربوي من خلال مقالاته في مجلة رسالة الخليج العربي التي سطر فيها أمانيه وآماله في أن يرى سياسات وبرامج ومناهج التربية في بلادنا ودول الخليج ودول العالم الإسلامي، تخرج شباباً أقوياء في عقيدتهم أسوياء في تفكيرهم، مهرة في تخصصاتهم، متفوقين في مواهبهم، فدينه دائماً وأبداً وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة.

أول مقابلة لي مع معاليه في عام ١٤١٦هـ

صدر الأمر الملكي رقم ٨٦/١ وتاريخ ١٤١٦/٣/٦هـ بتعيين معالي أ. د. محمد أحمد الرشيد وزيراً للمعارف وبأشر عمله في الوزارة، وبعد مدة وجيزة من مباشرته مهامه ومسؤولياته في الوزارة استأذنت من سعادة وكيل الوزارة (سابقاً) الدكتور الفاضل عبدالعزيز بن عبد الرحمن الثنيان بالسفر إلى الرياض للسلام على معالي الوزير الدكتور الرشيد، ومناقشة بعض المواضيع المتعلقة بالعمل مع معاليه، فوافق سعادته على سفري إلى الرياض، وأذكر أن ذلك كان في شهر ربيع الثاني من عام ١٤١٦هـ، وصلت إلى مكتب معاليه، وقابلت سعادة الأستاذ عبد الرحمن الحمدان مدير عام المكتب، فاستأذن لي معاليه بالدخول والسلام عليه، وفعلاً تمت المقابلة فرحّب وسهّل، والابتسام على وجهه البشوش كما هي عادته، ثم سألت عن المنطقة وأحوالها وأوضاعها، مركزاً على أمور التربية والتعليم، وكان ردي على معاليه أن التعليم في المنطقة بخير وعافية، وأن مؤسساته منتشرة في مدن المنطقة وقراها في السهل والجبل والحزن في الجزر النائية، وأن العمل يجري وفق الأطر والفلسفات المعدة من مقام الوزارة، أما المشكلات والمنغصات التي تعترض العملية التعليمية فهي ليست من الدرجة التي تعطل سير العمليات التعليمية، مثل أي منشأة اجتماعية لا تخلو من متاعب ومشكلات. وفي نهاية اللقاء دعوته لزيارة المنطقة فوعد وفعلاً تمت زيارة معاليه للمنطقة في المدة ما بين ١٤١٦/١٠/٣٠هـ إلى ١٤١٦/١١/٢هـ.

الزيارات الميدانية لمعالي الوزير أ. د. محمد بن أحمد الرشيد

للزيارات الميدانية واللقاءات المباشرة بالعاملين التنفيذيين في المنظمات بكافة أنواعها فوائد عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - تعطي المسؤول (وزيراً، مديراً عاماً، مشرفاً تربوياً أو إدارياً) أيّاً كان موقعه الوظيفي رؤية حقيقية وتصوراً واقعياً عن العاملين في المنظمة، من حيث إتقان أعمالهم وجودة إنتاجهم وسلوكهم، وحالتهم المعنوية ومشاعرهم تجاه أعمالهم وانتمائهم

للمنظمة، ومطالبهم، كما تعطي فرصة للتعرف على بيئات العمل من مكان وإضاءة وتكييف وتهوية وإمكانات تقنية وغير ذلك من متطلبات العمل.

٢ - تمكن المسؤول الزائر من إعداد خطط واقعية مبنية على معلومات دقيقة واتخاذ قرارات صائبة تعيش مع الواقع لتعزيز الإيجابيات وتلافي السلبيات بغية رفع معدل الإنتاجية.

٣ - تساعد المسؤول الزائر في تقدير الاحتياجات المادية والبشرية للمنظمة بعيداً عن الإسراف أو التقدير.

٤ - تمكن العاملين في المنظمة من التعبير عن مشاعرهم وتقديم مقترحاتهم وآرائهم وعرض مطالبهم، (وهذا يعتمد على فلسفة المسؤول القيادية)، فإذا كانت فلسفته إيجابية تشجع العاملين على التعبير عما في نفوسهم بكل أمن واطمئنان، وستكون النتائج مشجعة تدفع العاملين وتحفزهم إلى بذل المزيح من الجهد في رفع معدل الإنتاجية وإتقانه.

وغير ذلك من الفوائد.

لقد كانت من أولويات معالي الوزير أ. د. محمد أحمد الرشيد زيارة المناطق فَخَطَطَ وَنَظَّم وَنَسَّقَ وَنَفَّذَ، فجاءت زيارته ناجحة وذات فوائد لا تحصى للمناطق التعليمية ولذاته، فتعرف من خلالها على بيئات العمل ومكوناتها وعلى العاملين فيها.

زار منطقة جازان التعليمية في الحقة ما بين ٣٠/١٠/١٤١٦ - ٢/١١/١٤١٦هـ، فالتقى فيها بالقيادات التربوية بالمنطقة من مشرفين تربويين ومفتشين وإداريين ورؤساء أقسام ومديري مدارس ومعلمين، كما التقى بالقيادات الإدارية بالمنطقة من معالي أمير المنطقة الأمير محمد بن تركي السديري (آنذاك) ووكلاء الإمارة ومديري العموم ووجهاء وأعيان ومشايخ المنطقة، كما زار المؤرخ والأديب الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي في مكتبه بجازان.

وزار عدداً من المدارس، وافتتح عدداً من المباني المدرسية الحكومية، وفيما يلي بعض ما اشتملت عليه الزيارة:

- لقاء المشرفين التربويين بالمنطقة (الموجهين التربويين سابقاً) ، وقد كان لقاءً متميزاً وبنّاءً ، نوقشت فيه أمور كثيرة ، ومن ذلك قلة الدورات التربوية للمشرفين ، وقلة السيارات التي تنقلهم من وإلى المدارس ، والمصاريف السفرية وعدم كفاية اعتماداتها السنوية ، والعلاقة بين المعلم ومدير المدرسة وبين المشرف التربوي ، واحتياجات المدارس من متطلبات العملية التعليمية ، وقد شارك في هذا اللقاء المفتشون الإداريون في المنطقة.
- زيارة معالي أمير المنطقة الأمير محمد بن تركي السديري في قصر الإمارة ، في هذه الزيارة تمت مناقشة احتياج مدارس المنطقة إلى أراضٍ لبناء مشاريع مدرسية عليها وغير ذلك من القضايا التعليمية.
- زيارة المؤرخ والأديب الشاعر الشيخ محمد بن أحمد العقيلي في مكتبه ، وقد تحدث الشيخ العقيلي عن المنطقة وتاريخها ودوره في تدوينه ، كما تحدث عن أدباء المنطقة وشعرائها ، وقد شكر معالي الوزير على هذه الزيارة.
- لقاء المعلمين وتكريم الرعيل الأول من المعلمين في المنطقة ، وحث معالي الوزير في توجيهاته المعلمين على بذل العطاء والإخلاص في العمل والتزود بالمعارف والعلوم التربوية وحضور الدورات الداخلية في المنطقة والخارجية التي تقام في الجامعات ، أما ما طرح من المعلمين ، فقد كان عن إعداد الدروس وزيارات الموجهين التربويين وكثرة الحصص والمباني المدرسية المستأجرة وقلة إمكاناتها المكانية في تلبية متطلبات العمل التعليمي والمناهج الدراسية وعن العجز في الوسائل التعليمية والمختبرات وعدم توافر بعض المواد الكيماوية .. إلخ.
- وفي كلمة معاليه رحب بالمعلمين الأوائل الذين كرموا في الحفل أمثال العالم الجليل الشيخ يحيى بن أحمد عكاش والعلامة الشيخ أحمد يحيى النجمي والأستاذ التربوي طاهر عوض سلام والأستاذ الجليل السيد أحمد الأهدل والأستاذ عثمان شاكرو وغيرهم ، كما شكرهم على جهودهم المثمرة في وقت كانت الإمكانيات قليلة ، حضر هذا اللقاء أكثر

من ألقى معلم ومشرف ومدير مدرسة، كما حضره أعضاء مجلس المنطقة ووكيل إمارة المنطقة الأستاذ عبدالعزيز الهويدي، وكان مكان اللقاء مركز التدريب الكشفي مكتظاً.

- لقاء مع المعلمين والأهالي والمشائخ والطلاب ورئيس المركز في جبال فيفا، ألقى فيه الشيخ علي بن قاسم الفيضي (قاضي تمييز وشيخ من مشايخ جبال فيفا) كلمة ضافية أشاد فيها بدور وزارة المعارف في نشر التعليم ومدارسه، وألقت قصيدة شعرية، وقد ألقى معالي الوزير كلمة قصيرة فيها من المعاني العظيمة شكر فيها أهالي فيفا، واستمع إلى مطالبهم ووعد بتحقيقها، وفي الزيارة نفسها تفضل معالي الوزير بحل مشكلة مبنى مدرسة العدوين الابتدائية والمتوسطة المستأجرة، الذي كان يمثل مشكلة كبرى للمدرسة ويعوق نمو عدد طلابها، وذلك باستئجار مبنى أوسع في غرفه مساحة وعدداً.

- زيارة كلية المعلمين والالتقاء بعميدها وهيئة التدريس فيها وعدد من الطلاب، وكان اللقاء ثرياً بموضوعاته التربوية، ثم تفقد مرافقها وكلف الإدارة العامة للمشاريع في الوزارة بعمل الصيانة لما تحتاجه مبانيها من صيانة.

- زيارة مركز الطوال الحدودي مع اليمن وافتتاح مبنى مدرسي صمم للمدرسة المتوسطة والثانوية بالطوال، واستمع لأناشيد الطلاب وكلمة أحدهم أمام معاليه ثم زار مبنى المجمع الحكومي (يشمل الجمارك والجوازات والشرطة وعدداً آخر من الإدارات الحكومية)، كما زار مبنى المركز والتقى برئيس المركز.

- زيارة جزيرة فرسان بواسطة طائرة عمودية تابعة للقوات البحرية السعودية شاهد فيها النمو العمراني والمرافق الحكومية والعبارات البحرية، التي تنقل المواطنين والوافدين والسائحين من جازان إلى فرسان، كما تنقل السيارات المحملة بالمواد الغذائية ومواد البناء مجاناً، إذ أمنت من قبل الدولة جزاها الله كل خير.

- تم افتتاح أربعة مشاريع مدرسية في أبي عريش والطبية والعريض والأساملة.

- زيارة مبنى إدارة التعليم بمدينة جازان (تحت التنفيذ).

ثم غادر معاليه المنطقة بعد عصر يوم ١٤١٦/١١/٢هـ، وقد كان يرافق معاليه عدد من مديري العموم الأفاضل في الوزارة: م. عبدالله الفوزان والأستاذ محمد بن نوح والأستاذ أحمد الأحمد والدكتور سعود صالح المصبيح، وقد كانت زيارة ناجحة بكل المقاييس. والاجتماعات واللقاءات وسائل من وسائل الاتصال الشفوي البناء، فلقد أدرك معالي الوزير أ. د. محمد الرشيد أهمية الاجتماعات واللقاءات فعنده تعددت اللقاءات والاجتماعات فكانت على مستوى الوزارة في كل أسبوع وكانت على مستوى مديري تعليم المناطق في كل سنة وكانت على مستوى مديري المدارس والمعلمين حسب الحاجة. فعلى سبيل المثال لا الحصر كان اللقاء السنوي السادس لمديري التعليم في أبها والمنعقد في المدة من ١٨-٢٢/١٢/١٤١٨هـ تحت عنوان:

"استشراف مستقبل العمل التربوي في المملكة العربية السعودية".

قدمت فيه أوراق عمل من عدد من إدارات التعليم في المناطق في مواضيع عديدة:

- التدريب التربوي والإداري لمنسوبي التعليم.

- القوى البشرية واحتياج الهيكل التنظيمي للإدارات التعليمية.

- التقويم المستمر للمدرسة.

- الصيانة والنظافة في المدارس.

- الاتصالات الإدارية.

- مشكلات المعلمين الإدارية.

- النشاط الطلابي.

ومثال آخر للقاءات:

اللقاء التربوي الأول لمعالي وزير المعارف أ. د. محمد أحمد الرشيد بمديري

المدارس الذي عقد في المدة من ١٧/١٠/١٤٢٠ - ١٩/١٠/١٤٢٠هـ في مدينة الرياض،

وكان لهذا اللقاء أهداف منها:

- تطوير عمل الإدارة المدرسية.

- تبادل الخبرات التربوية والإدارية بين مديري المدارس.

- تنمية بعض المهارات العملية لمديري المدارس.

- إشراك مديري المدارس في صنع القرارات المتعلقة بعملهم.

وقد تخلل اللقاء محاضرات ومناقشات مفتوحة وورش عمل، وقد اتخذت عدداً من التوصيات. وألقى معالي أ. د. محمد أحمد الرشيد وزير المعارف كلمة استهلها بعد الحمد والثناء على الله عز وجل والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ بقوله:

(السبب في هذا اللقاء هو إيماننا العميق بأهمية الإدارة المدرسية في إنجاح العملية التعليمية، وأنا أضع إلى جانب المقولة الحكيمة: أعطني معلماً جيداً أعطك طلاباً متفوقين. ومقولة أخرى: (أعطني مديراً متميزاً أعطك مدرسة ناجحة)، لذا ينبغي أن يتم انتقاء المدير من الصفوة القادرة على القيادة وحسن التأثير في الناس).

اللقاءات والاجتماعات

إدارة الاجتماعات واللقاءات ليست بالمهمة السهلة، بل مهمة في كثير من الأحيان، فهي تحتاج إلى توافر مهارات عند رئيس الاجتماع أو اللقاء تمكنه من تحقيق أهداف الاجتماع أو اللقاء عن طريق إدارته للاجتماع أو اللقاء، فمن خلال حضوري الشخصي للاجتماعات واللقاءات مع معالي الوزير أ. د. محمد أحمد الرشيد في أثناء إدارتي للإدارة التعليمية بمنطقة جازان لمست ووجدت ولاحظت أن معاليه لديه المهارات والقدرات العالية في إدارة الاجتماعات واللقاءات، ووجدته عليمًا بفضون التعامل مع الآخرين، فنجد أن معاليه لديه:

- القدرة على إيجاد المناخ المناسب لبحث روح التعاون والحزم، وتقبل الرأي والرأي الآخر، وحفز المشاركين على إبداء الرأي.

- القدرة على تحليل الأفكار المطروحة والفهم والاستيعاب وحسن التصرف.

- الخلفية التعليمية لموضوعات الاجتماعات واللقاءات.

- جودة الاستماع والإنصات للرأي الآخر أو المقترح أو عرض موضوع أو عرض مشكلات.
- امتلاك أساليب الإقناع وأساليب الاتصال والتواصل.
- اتخاذ الأسلوب الديمقراطي في إدارة الاجتماعات واللقاءات.

لا أقول ذلك مجاملة، فلست في وضع يتطلب ذلك، فأنا موظف متقاعد (الآن) عمل تحت قيادة أ. د. محمد أحمد الرشيد وزير المعارف أربع سنوات فقط من حياتي العملية، كانت جميعها مفعمة بالتغييرات والتحويلات تحت مظلة بنود السياسات التعليمية لبلادنا المملكة العربية السعودية، حتى إنه أشرك المجتمع بكافة أفراد ومؤسساته في هموم التربية والتعليم في بلادنا، وما ندوة (ماذا يريد المجتمع من التربويين؟ وماذا يريد التربويون من المجتمع؟) إلا دلالة على تبنيه الفلسفة التربوية القائمة على أن المجتمع كله مسؤول عن تحقيق التربية لأهدافها السامية.

رأى معالي الوزير أ. د. محمد بن أحمد الرشيد أن يفتح المبنى الجديد لإدارة التعليم من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز (ولي العهد) النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام -آنذاك- رحمه الله في أثناء زيارته للمنطقة، على ضوء ذلك عقدت الاجتماعات واللقاءات مع المشرفين التربويين ومشرفي النشاط ومشرفي التوجيه والإرشاد ومديري المدارس ومعلمي التربية الفنية ومعلمي التربية الرياضية وقادة الكشافة، وشكلت اللجان وفرق العمل وتم إعداد الخطط واتخذت الإجراءات في تنفيذها.

زين مبنى الإدارة من الخارج بالزينات الكهربائية، وخاصة قبابها وأطرافها العلوية، ورسمت اللوحات الفنية المعبرة، وعلقت الصور الكبيرة لسمو الضيف الكريم، فزاد المبنى جمالاً على جماله.

وعملت الترتيبات لمشاركة الطلاب في عملية الاستقبال، وفي يوم الخميس ١٤١٨/١٢/١٩ هـ موعد الافتتاح اصطف الطلاب على جانب الطريق المؤدي إلى المبنى بطول ثلاثة كيلومترات أو أكثر بلباسهم الأبيض حاملين الرايات يشرف عليهم عدد كبير من المعلمين والمشرفين، كان الوقت المخصص للافتتاح والقاء الكلمة والتجول في المبنى من الداخل لا يتجاوز الثلاثين دقيقة.

في مسرح الإدارة جلس المدعوون من مديري إدارات ومديري مدارس ومشرفين تربويين ومعلمين وعدد من مسؤولي الوزارة أكثر من ثلاثمئة شخص زيادة عن عدد المقاعد الرسمية للمسرح، وقد استغلت الفسحات في المسرح في زيادة عدد الكراسي. وقبل مغرب يوم الخميس بحوالي خمس وأربعين دقيقة وصل موكب سموه الكريم، فاستقبله الطلاب بالترحيب الحار وبالأناشيد والتصفيق ونشر الفل والأزهار العطرية، وعند دخول سيارة سموه أمطرت بالفل حتى كادت أن تغطي تماماً، ترجل سموه الكريم واستقبله معالي الوزير ووكيل الوزارة للمشاريع المهندس عبد الله الفوزان، وكنت ضمن المستقبلين واستقبله ثلة من الطلاب الصغار يرددون الأناشيد ويرقصون وينثرون الفل.

دخل سموه الكريم وارتقى درجات المسرح ليجلس على المنصة، وبدأ البرنامج بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم كلمة معالي الوزير.

- كلمة معالي وزير المعارف في حفل افتتاح مبنى الإدارة العامة للتعليم في منطقة جازان:

"أيها الأمير الجليل سلطان بن عبدالعزيز شكر الله مسعاكم ووفقكم وأعانكم، ها أنت ذا اليوم تشرف على بدء العمل في المبنى، وبهذا تكرم التربويين، وتبرهن مرة أخرى على عناية حكومتنا المخلصة الرشيدة بالتعليم".

"بالأمس تحدثت - رعاك الله - إلى الاجتماع السنوي لكبار موظفي وزارة المعارف ومديري التعليم في مناطق المملكة ومحافظاتها وعمداء كليات المعلمين، وقد وعينا الرسالة، ونعاهد الله أمامك على أن تكون تلك الرسالة نبراساً نستضيء به في كل خطواتنا التطويرية".

"إن هذا المبنى الذي نضرح ونسعد برعايتك - حفظك الله - لحفل افتتاحه، صممته وكالة الوزارة للمباني والتجهيزات وأشرفت على تنفيذ أسوة بكل المباني التعليمية، التي بنتها وزارة المعارف، وتجاوز ما يتبع وزارة المعارف منها أربعة آلاف مدرسة وإدارة تعليم وكلية معلمين، وفيها: مكاتب عامة وبيوت للطلاب ومجمعات رياضية ومتاحف وتسوير للمواقع الأثرية لحمايتها، وما كان لنا أن نحققها لولا عون الله ثم ما توليه

حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أعزه الله وولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز وسموكم الكريم من رعاية فائقة للمؤسسات التعليمية بحكم سياستها الثابتة التي تجعل التعليم في رأس سلم أولويات الإنفاق الحكومي ونظرتها الثاقبة إلى هذه المؤسسات على أنها مؤسسات استثمار للمستقبل".

"واننا نسعى - يا صاحب السمو - إلى أن تكون الإدارة أنموذجاً في تسهيل الإجراءات وانسياب العمل، ومن هنا جاء هذا المبنى نوظف كل شبر فيه التوظيف السليم - بإذن الله - ونسهل فيه على الموظف أداء عمله، وعلى المراجع الوفاء بحاجاته، وهو على هذه الطريقة التي صمم بها لم يسبق أن بني على شاكلته".

"سيدي صاحب السمو

يقع المبنى على أرض مساحتها ثلاثة وعشرون ألف متر مربع بني منها ستة آلاف متر مربع، وقد بلغت تكاليف عقد التنفيذ (٣٠٢ ٦٤٩ ١٨) ثمانية عشر مليوناً وستمئة وتسعة وأربعين ألفاً وثلاثمائة وريالين تقريباً، وبدأ التنفيذ مع بداية عام ١٤١٦هـ، ويستوعب المبنى كله دوراً واحداً، وذلك لتخفيف الأثقال على التربة نظراً لضعف تماسكها في هذه المنطقة، ثم إن التكوين المعماري للمبنى يأخذ الطابع البيئي، وقد تم تنفيذ المبنى بإدخال لمسات جمالية وفق طراز العمارة الإسلامية، وهي تتمثل في العقود والأقواس الداخلية وتغطي الأسقف ست قبة للمسرح والمعرض والطرقات، ويمتاز المبنى بتوزيع المكاتب باستعمال قواطع جبسية لتسهيل عملية التوزيع مستقبلاً عند الحاجة، كما يضم المبنى مسجداً، وبهذا تصبح مباني إدارات التعليم التابعة لوزارة المعارف وعددها اثنتان وأربعون إدارة، كلها مبان حكومية باستثناء اثني عشر مبنى مستأجراً، نأمل أن نهيها في أقرب وقت إن شاء الله، وقد بلغت تكاليف هذه المباني أربعمئة وستة وأربعين مليون ريال".

"وتوجد في المنطقة كلية للمعلمين مقرها مدينة جازان، وقد أنشئت عام ١٤٠١هـ. ويبلغ عدد الملتحقين فيها ألفاً وخمسمائة طالب وتضم ثمانية تخصصات رئيسة".

"وقد بلغ عدد المدارس في منطقة جازان حتى العام الحالي ثمانى مائة مدرسة ونسبة المباني الحكومية إلى مجموع المباني في هذه المنطقة ٤٢٪ والباقي مستأجر، وتوجد الآن ستة مشروعات تحت التنفيذ، وعشرة أخرى تحت الطرح، وبلغ عدد الطلاب حوالي مائة وثلاثة عشر ألف طالب في جميع مراحل التعليم العام، يقوم على تعليمهم أكثر من تسعة آلاف ومائة معلم، وتبلغ نسبة السعوديين منهم أكثر من ٩٢٪، هذا وتوجد أيضاً بالمنطقة ثمان وحدات صحية، ونظراً لطبيعة تضاريس هذه المنطقة الجبلية والنائية فقد تكلفت الدولة أعزها الله بصرف مكافآت إضافية للعاملين في المدارس الجبلية بجميع فئاتهم: العلمية (الأكاديمية) والإدارية والفنية بنسب تتراوح بين ٢٥ و ٧٥٪ من الراتب، ويستفيد من مكافآت المناطق النائية أيضاً أربعون ألف طالب تصل التكلفة الإجمالية لهم إلى أكثر من ستة وسبعين مليون ريال في السنة".

"اسمحوا لي يا صاحب السمو: في هذا المقام أن أنوه بجهد المدير العام للتعليم في منطقة جازان الأستاذ محمد بن سالم العطاس، فلقد كان ولا يزال من أبرز التربويين، ونحن نكتب تاريخ التعليم الذي سيخرج في خمسة مجلدات في شهر شوال القادم بإذن الله، الذي يتوافق مع احتفائنا بمرور مائة عام على توحيد المملكة على يد الوالد الباني المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله، نجد أن هذا العالم الجليل ممن بذلوا جهوداً قل أن تشابهها جهود رجل مثله، فلقد عرفنا كيف أنه يقضي أياماً مشياً على الأقدام حيناً وراكباً للدواب حيناً في أعالي جبال فيفا وفي كل صقع مهما بعد من تهامة يفتتح المدارس، ويسهل على المعلمين الذين كانوا في الماضي من إخواننا من الدول العربية الشقيقة، لقد كان يُعنى بهذا الأمر ويعاني في سبيله الكثير، وكم تعرض لكثير من الأخطار وأصابه التعب والإرهاق في سبيل تحقيق هذه المهمة".

"اسمحوا لي يا سيدي: أن نحياه ونبارك جهوده، وإنا لندرج له المثوبة من الله العلي الكريم، وما هو ذا الآن معنا مجدداً بعد أن أستحق التقاعد، فلم يرد لنا طلباً في الاستمرار في عمله".

"أما أنت يا سيدي، فإنني لا أجد عبارات أوفيك بها ولو الجزء اليسير من حقلك من الشكر والثناء، فأنت دائماً معنا ومع التعليم وفي كل لقاء اتنا، نستمد روحاً جديدة من توجيهاتك الرشيدة وبسمتك الحانية، ونشعر بأننا مع قائد جليل ومرب حكيم ووالد شفيق، وندعو الله أن يبارك لنا في عمرك وعافيتك، لتسعد بك الأمة التي أكرمها الله بخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وبك وبأشقائك الأخيار، أيدك الله وسدد خطاك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

لقاءات مع ولاية الأمر

أن تلتقي الإدارة التنفيذية بالقيادة العليا في بلادنا أمر عظيم وجليل له أبعاد إيجابية كثيرة، تنعكس إيجاباً على مجريات العمل التنفيذي، وفي ذلك حافز على البذل والعطاء وزيادة الإنتاج.

لقد سن معالي الوزير أ. د. محمد أحمد الرشيد سنة حسنة في تاريخ وزارة المعارف وفي إدارة التعليم في بلادنا، بأن رتب لقاءات للعاملين في الإدارة العليا والإدارة المتوسطة في وزارة المعارف مع قادة بلادنا العظام الكرام، فكانت اللقاءات مع:

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله وتغمده بواسع رحماته.

خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد.

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام - رحمه الله - آنذاك.

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية - آنذاك - حفظه الله.

صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رحمة

الله عليه.

لقد كنت أحد المشاركين في هذه اللقاءات بحكم وظيفتي (مدير عام التعليم،

بمنطقة جازان).

فقد قولنا من قيادتنا بالترحيب والثناء على جهود العاملين في قطاع التعليم واستمعنا إلى التوجيهات السامية التي تشدّد الهمم وتدفع إلى حب العمل والإخلاص فيه، وتثير الدروب والعقول بالرؤى السليمة والتوجيهات السديدة والنصائح المفيدة، فجزاهم الله كل خير، وأمد في عمرهم، ورحم من مات منهم، وأعز ملكهم لنصرة الإسلام والمسلمين.

وجزى الله الدكتور محمد أحمد الرشيد على هذه السنة الحسنة التي ستخلد له في تاريخ التربية والتعليم في بلادنا.

تعليمنا إلى أين؟

يقول الأستاذ الدكتور محمد أحمد الرشيد في محاضراته عن التعليم في بلادنا:
"... فاستعنت بالله، وجمعت الأفكار التي كانت تدور بخلدني، والآمال والرؤى والطموحات التي تعتمل في نفسي، وتجيش في صدري، فيما يتعلق بواقع التعليم في مملكتنا العزيزة... إلخ".

معالي الوزير أ. د. محمد أحمد الرشيد:

لقد استعنت بعظيم واحد أحد فرد صمد، فوقفك في محاضرتك، فكان موضوعها يهز المشاعر المخلصة، ويدفعنا إلى التفكير الجاد والمشاركة الفاعلة في إيجاد الحلول وتصميم التخطيط السليم والعمل على تنفيذ ما يمكن تنفيذه بغية تطوير أساليب التعليم في بلادنا.

وفقك الله وأطال في عمرك فذاك غيظ من فيض.

فماذا أقول عن بحث مجلة المعرفة؟

ومماذا أقول عن تصميم الهياكل التنظيمية للوزارة والإدارات التعليمية في المناطق؟

ومماذا أقول عن تطوير المناهج وإدخال التقنيات الحديثة في مدارسنا؟

ومماذا أقول عن الإجراءات التطويرية لسير العمل في الوزارة والمناطق التعليمية؟

وعن المباني المدرسية وعن الصحة المدرسية والنشاط الطلابي؟

وعن التدريب والابتعاث وعن التقويم والاختبارات.

وعن إعداد المعلم وكليات المعلمين.

وعن الندوة العظيمة (ماذا يريد المجتمع من التربويين؟ وماذا يريد التربويون من

المجتمع)؟

وماذا أقول عن إصدار موسوعة تاريخ التعليم في بلادنا المملكة العربية السعودية؟

وماذا أقول عن مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية في مئة عام (وثائق

وصور)؟

وماذا عن كتاب فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف؟

أقوال وأفعال وأعمال خالدة وتغييرات وتطويرات بناءة سطرها ويسطرها التاريخ

التعليمي لبلادنا بحروف من ذهب لوزارة التربية والتعليم في عهد معالي الوزير الدكتور

محمد أحمد الرشيد وزير المعارف (وزير التربية والتعليم) تحت توجيه ومتابعة من

قيادة بلادنا الرشيدة، سرت كل مواطن مخلص في بلادي، وحفزت كل غيور ومخلص

وكل محب وعاشق لهذا الوطن المعطاء.

وفق الله الوزارة لمزيد من الإنجاز، وجزى خيراً معالي الوزير أ. د. محمد أحمد

الرشيد، وأطال عمره وأثرى قلمه بمؤلفاته القيمة في التربية والتعليم في بلادنا والبلاد

العربية.



عهد زاخر بالإنجازات

د. محمد بن سعد العصيمي

مقدمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أولاني من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فبعد نعمة الدين والصحة ونعمة لغة القرآن الأمن والأمان والمال والأهل والولد.. أنعم عليّ بأن أكون من هذه البلاد العزيزة، التي شرفها الله بالحرمين الشريفين، وجعل بها قبلة المسلمين ومهوى أفتدّتهم، وأن يكون عملي في مجال التربية والتعليم معلماً فمبتعثاً ثم أستاذاً مساعداً بكلية المعلمين ومركز العلوم والرياضيات بالرياض ثم مسؤولاً بجهاز الوزارة في الرياض لربع قرن من الزمن، تدرجت في العمل من مدير عام للبحوث عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) إلى مدير عام للإشراف التربوي والتدريب (١٤٠٦هـ)، فمدير عام للتوجيه والإرشاد (١٤١٢هـ) فوكيل مساعد لشؤون الطلاب (١٤١٦هـ) فأمين عام للجنة العليا لسياسة التعليم (١٤٢٢هـ) وأخيراً وكيلاً للوزارة للتطوير التربوي (١٤٢٣هـ) لأتقاعد في عام ١٤٢٧هـ بعد خدمة خمس وثلاثين سنة، أسأل الله العظيم جلت قدرته أن يتقبل مني ما قدمت، ويعفو عن تقصيري إنه عفو كريم يحب العفو سبحانه وتعالى.

ومصدر اعتزازي بالعمل في التربية والتعليم أن المجال فيهما أوسع من غيرهما في مساعدة الأجيال على العلم والتعلم وسلوك دروب الخير والأدب والهداية والرشد، وتهيئتهم للحياة والإسهام في خدمة الدين الحنيف، وتنمية البلاد ورقبها بالمعلم القدوة والعالم الجليل والطبيب الماهر والفرد المتقن لعمله في أي مجال: خلقاً وسلوكاً وأداءً، وإضافة إلى ذلك الإسهام بإيجابية في دفع عجلة الحضارة الإنسانية عموماً إلى ما فيه

وكيل وزارة التربية والتعليم للتطوير التربوي سابقاً.

خير الإنسان أينما كان. كما اعتز بنخبة حظيت بالعمل معهم رؤساء ومرؤوسين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، أسأل الله أن يرحم من انتقل منهم للدار الآخرة وجمعني بهم في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يوفقني وإخواني الباقين إلى ما يحبه ويرضاه وأن يحسن لنا الخاتمة، تعلمت منهم الكثير وعملنا يداً بيد بروح الأخوة والمحبة وروح الفريق.. وإن اختلفنا في الرأي فذلك لا يفسد للود قضية.. ومن أبرز أولئك الأحبة معالي الأخ العزيز والزميل الكريم المربي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم الأسبق، وفقه الله وأخذ بيده إلى كل ما فيه الخير والصلاح.

سجل الذكريات

تتمثل مشاركتي مع زملائي في هذا السجل في مشاهد ومواقف من العمل التربوي والإداري أملاً في تواصل الخبرات والعبرة والفائدة لعل فيها ما يخدم مسيرة العمل التربوي والإداري، لأهمية تراكم الخبرة في تطور العمل وتحقيق الأهداف، لا سيما وأن هم المصلحة العامة وتنمية الوطن ورفقيه يجب ألا يتوقف بالتقاعد أو تغير العمل. ولعل من أبرز سمات هذه الحقبة من الزمن: العمل الدؤوب على كل المستويات: المدرسة، وإدارة التعليم، والوزارة، والتعامل الودي جداً بين جميع الأطراف.

فعندما تولى معالي أ. د محمد الرشيد حقيبة وزارة التربية والتعليم (المعارف آنذاك)، وكان ذلك في شهر ربيع الأول عام ١٤١٦ هـ كلفت بعد وقت قصير وكيلاً مساعداً لشؤون الطلاب، وقد كنت مديراً عاماً للتوجيه والإرشاد بهذه الوكالة المساعدة، التي تشتمل على الإدارات العامة: للتوجيه والإرشاد، والنشاط، والاختبارات، والصحة المدرسية، وشؤون الطلاب، والمعادلات، ولعل من أبرز المواقف التي قصدت تسجيلها هنا الآتي:

١ - وضع الرؤية:

وتم ذلك من خلال لقاء معالي الوزير بدعوة من الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) بجامعة الملك سعود مع جمع كبير جداً من التربويين والمهتمين من داخل الوزارة وخارجها ومن الرياض وخارجها تحت عنوان «تعليمنا إلى أين؟» وأهمية هذا اللقاء تكمن في أن المجتمع ينتظر ماذا سيعمل كل مسؤول يتولى منصباً كبيراً له أهمية وخصوصاً عندما يكون الشأن هو شأن التربية والتعليم، وليس من المؤلف في مجتمعنا أن يضع المسؤول رؤيته وبرنامجه عمله، ويحاور المهتمين والمتخصصين في لقاء عام كهذا. وتبرز الأهمية في أنه وضع رؤيته المستقبلية للعمل لمختلف جوانب العملية التربوية، وحاور الحضور واتسم اللقاء بالشفافية والثقة والتفاؤل، وتم تسجيل هذه المحاضرة بالصوت والصورة، وهو تسجيل موجود ضمن وثائق الجمعية لمن أراد الرجوع إليها، بل أوصي بذلك كما أنها فرّغت فيما بعد في كتاب مطبوع يمكن الحصول عليه من الوزارة، وهذا موقف محمود ومنهج راق ومهم، حبذا الأخذ به من قبل كل مسؤول، وزاد من أهمية هذا اللقاء ما تحقق من تلك الرؤية والتطلعات بفضل الله ثم بفضل قيادة العمل الموقفة بروح التفاهم والفريق الواحد وتحفيز المعنيين في بيئة العمل وتفاعلهم على مستوى المدرسة وإدارة التعليم والوزارة.

٢ - التواصل مع العاملين ومشاركتهم الرأي:

تم ذلك من خلال لقاءات دورية أسبوعية وشهرية وسنوية، أذكر منها الاجتماع الأسبوعي المستمر لقيادات الوزارة كل أربعاء، والشهري لمديري العموم، والسنوي للقيادات التربوية على مستوى الوزارة والمناطق وكليات المعلمين / وجميعها لم تتوقف خلال العشر سنوات، وتم ذلك أيضاً من خلال التواصل المكثف بين الميدان والوزارة والمشاركين من خارجها، وكذلك من خلال تضاعف برامج التدريب على رأس العمل، والاتصال الجيد مع الفكر التربوي داخلياً وخارجياً مع المنظمات المتخصصة، ودخول المملكة في مجالها التنفيذية (العربية منها والعالمية)، وكذلك سبر تجارب العالم من

خلال الزيارات الميدانية التي رصدت في كتاب قيم بعنوان: «ملاحم من نظم التعليم في بعض الدول من واقع تقارير الزيارات الدولية لمسؤولي وزارة المعارف، ويقع في ٣١٦ صفحة وبدأ بعرض المجالات، ثم انتهى إلى مشروعات تطويرية مقترحة نفذ العديد منها على أرض الواقع، وهو صادر عن إدارة البحوث والدراسات بالتطوير التربوي في عام ١٤٢٤هـ، يضاف إلى ذلك تعدد الدوريات، وفي مقدمتها مجلة المعرفة التي أعيد نشرها بعد توقف طويل، وصدرت منها عشرات الأعداد، وما زالت، وتميزت حتى خارج المملكة. وكذلك استمرار إصدار مجلة التوثيق التربوي، وإصدارات أخرى جديدة منها: مجلة مناهج، ومجلة كليات المعلمين المحكمة علمياً ورسالة الكليات، وكذلك رسالة التطوير التربوي. وبالرغم مما تحقق نتيجة لذلك إلا أن هناك مشكلة المواكبة بين التنفيذ على مستوى المدرسة والتخطيط على مستوى الوزارة وإدارة التعليم، وهي مشكلة أزلية تتفاوت فيها النسبة حتى قال البعض: إن بعض الأفكار التطويرية تتحطم على أسوار المدرسة.

٣ - الهيكل التنظيمي للوزارة:

وكان من أولويات إدارة الوزارة الجديدة الاهتمام بهيكل الوزارة الإداري لأهمية الإدارة في قيادة العمل وجودته وإنجاحه وعد الوزير الهيكل العربية الموصلة للأهداف، وكانت الوزارة محدودة بوكيل واحد فقط تصب عنده أعمال الوزارة كلها، تربوية كانت أم إدارية، مع ضخامة جهاز الوزارة مقارنة بالوزارات الأخرى - حيث لا يوجد بجهاز الوزارة إلا مرتبة واحدة فقط في الخامسة عشرة، في حين أن بعض الوزارات الأخرى تحظى بمستويات وظيفية أكثر وأعلى. إلا أن مراتب الوزارة العليا في نهاية العشر سنوات بلغت - بفضل الله ثم دعم ولاة الأمر ومتابعة الوزير - مرتبة واحدة ممتازة وبضع عشرة مرتبة في الخامسة عشرة. ولتوزيع العمل وتطويره وإعطاء الصلاحيات أنشأت الوزارة عدة وكالات، اختيرت لها نخبة من المؤهلين ذوي الخبرة من داخل الوزارة وخارجها، منها - على سبيل المثال -: إدارة شؤون كليات المعلمين (أو إعداد المعلمين)، ومع أنها تشرف على بضع عشرة كلية، يزيد طلابها على ثلاثين ألفاً، فقد كانت إدارة عامة ترتبط بوكيل مساعد يرتبط بدوره بالوكيل ثم الوزير بعد ذلك، فأصبحت وكالة مستقلة لكليات المعلمين

ترتبط مباشرة بالوزير وأصبح لها مجلسها العلمي كالجامعات ودوريتها العلمية المحكمة، بعد اختيار أخينا الفاضل د. محمد بن حسن الصائغ وكيلاً لها بخبرته المعروفة في عمادة كلية المعلمين بالرياض لفترتين (ثمانى سنوات) إضافة إلى خبرته وعمله السابق مديراً عاماً في جهاز الوزارة ومعاراً لإدارة الدراسات بمجلس الشورى عند إنشائه (١٤١٤هـ).

٤ - منح الصلاحيات وإعطاء الثقة والمحاسبية:

ومما يذكر ويشكر لإدارة الوزير في هذا الخصوص خلال هذه المدة هو منح الصلاحيات، حتى أصبحت عبارة: «اعملوا فإن حدودكم السماء» مألوفاً خصوصاً، وهي صادرة من الرجل الأول في الوزارة إلى قيادات الوزارة والمسؤولين بالمناطق، وتحمله، أو مشاركته في تحمل مسؤولية الخطأ غير المقصود الناتج عن الاجتهاد، تشجيعاً على المبادرات وتحمل المسؤوليات، وهو نهج يعطي الثقة ويشجع المبادرات والعاملين، ومما أذكره للفائدة في مجال إعطاء الثقة والمسؤولية - واستشهدت به مثلاً لا حصراً في برنامج الجودة، الذي ضم عدداً من مديري التعليم ومختصين من خارج المملكة، كمثال على أرض الواقع، وليس تنظيراً عندما كان الحديث عن الموضوع ذاته - أنني تشرفت برئاسة وفد لنخبة من الزملاء الأفاضل من الوزارة وخارجها لزيارة ماليزيا وسنغافورة وكوريا. وعندما اتصلت بمعالي الوزير من ماليزيا لأحيطه علماً بما وجدنا من رؤية واضحة وتميز في هذا البلد المسلم، الذي يقود أنموذجاً ناجحاً في التنمية، وأهمية التواصل معه من خلال نوع من اتفاقية تعاون أو مذكرة تفاهم للإفادة من التجربة الماليزية المتميزة. فأجاب بما لا يتصوره أحد مباشرة: «أنت وزير التربية عندك»، وهي عبارة ملؤها الثقة والاطمئنان، وبالمناسبة فقد تم اتخاذ اللازم بالتنسيق مع سعادة السفير المتميز هناك الأستاذ محمد حسن عبد الولي، الذي هو بحق من خيرة من قابلت من ممثلينا في خارج المملكة، باهتمامه وحسن متابعتة وحرصه على عمله الرسمي وتفرغه له، جزاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة وأكثر من أمثاله.

ومما جاء حول إعطاء الصلاحيات والحد من المركزية في ندوة مديري الشؤون المالية والإدارية بالرياض التي عقدت من ١٨-١٩/١٠/١٤١٧هـ قول المسؤول الأول

في الوزارة في كلمته الافتتاحية: «لامركزية في العمل، أعط الناس المسؤوليات والصلاحيات، وراقبهم ثم حاسبهم، فأنا لا أؤمن بالمركزية على الإطلاق، أرجو من باب حبي لكم ولبلدي ولكياني العظيم الذي نعيش تحت سقفه المملكة العربية السعودية وحبي للتربية والتعليم وحبي لأبناء بلدي العزيز، أرجو أن يأتي اليوم الذي أرى انعدام المركزية في العمل، لأن الحكمة ليست مقصورة على أحد دون غيره».

٥ - برامج النشاط:

وإن أنسى لا أنسى من المواقف تلك الدفعة الكبيرة والثقة التي أعطيت لنشاط الطلاب من سمو وزير الداخلية ومعالي الوزير - وفقهما الله - بعد أن تحمل زملائي وأنا معهم في شؤون الطلاب والنشاط بخاصة المسؤولية في ضوء أهمية النشاط الكبيرة في العملية التعليمية، وذلك بإزاحة النقد غير الموضوعي، والريية حول النشاط وبرامجه، لأنه من الخير للأبناء استثمار وقت فراغهم في مؤسساتهم التربوية ببرامج تربوية واضحة المعالم والأهداف، تحت إشراف واع من معلمهم وتحت أنظار الوزارة، وكان من ثمار ذلك تنوع البرامج ومشاركة أكبر عدد من أبنائنا الطلاب، وكان الشعار الذي أطلقه معالي الوزير وعملنا وسعنا لتحقيقه: "المشاركون الجميع والمشاهدون صفر"، في المجتمع الطلابي.

وتم تمثيل المملكة في الخارج خير تمثيل، حيث حقق أبنائنا بفضل الله من خلال مشاركاتهم المركز الأول في الدورة الرياضية المدرسية العربية الثانية عشرة في المغرب بوفد يزيد على ثمانين مشاركاً ومشرفاً تشرفت برئاسته، كما حازت المملكة فيها بفضل الله كأس الوفد المثالي، ويوم عودتي إلى المملكة قابلت معالي الوزير لأحدثه عن إنجاز الأبناء والزملاء، فاتصل فوراً بمكتب سمو ولي العهد (آنذاك - رحمه الله) الأمير سلطان بن عبد العزيز ورتب لقاء مع سموه لجميع أعضاء الوفد تقديراً للإنجاز وإحاطة ولي الأمر بشكل مباشر، وهذا من المواقف المشهود فيها للوزير والوزارة في هذا العهد بالإدارة الفاعلة والتحرك السريع المباشر، حتى وإن كان التنسيق مع جهات عليا لها ارتباطاتها الكثيرة ومسؤولياتها الكبيرة.

كما حققت المملكة بوفدها الطلابي البطولة العربية الأولى لكرة السلة التي أقيمت في بيروت وتشرفت فيها كذلك برئاسة وفد المملكة. وتوالى مشاركات أخرى فاعلة في مختلف مجالات النشاط العلمي والأدبي والرياضي والكشفي والفني عربياً ودولياً، وحازت المملكة مراكز متقدمة. وقد تحقق لتلك الوفود الإعداد الفني والسلوكي الجيدين، وحفز المشاركين على استشعار المسؤولية الوطنية والرياضية، وكان التأكيد على الجدية في الأداء في الميدان وحسن السلوك الذي يعبر عن الوطن وأبنائه، وكانت اللحمة كبيرة بين رئاسة الوفد والمشرفين والطلاب في السكن والمصلى والتمارين والتغذية والبرامج الاجتماعية والترويحية، مما زاد فرص التلاحم والاهتمام والجدية وعزز الثقة والتمثيل الجيد للوطن والتفوق في الأداء، وهذه من أهم السمات التي ينبغي أن يتحلى بها كل وفد يمثل المملكة سلوكاً وإنجازاً، سواءً كان من وزارة التربية والتعليم أو غيرها.

٦ - المؤسسة في العمل:

يتجلى التوجه نحو العمل المؤسسي في إصدار العديد من التنظيمات واللوائح المنظمة للعمل إما كانت موجودة فتم تطويرها، أو جديدة، وذلك بالتعاون مع الميدان، ومن ذلك إعداد عدد من الأدلة وطباعتها وتوزيعها على المناطق والمدارس، وهو توجه له أهميته في تأطير العمل وتيسيره نحو بناء العمل المؤسسي الذي لا يرتبط بمغادرة مسؤول حاضر وقدم آخر، وهو أمر له أهميته في الإدارة وكان محط اهتمام من الوزارة، ومن هذه الأدلة على سبيل المثال لا الحصر في الإدارات التي عملت بها وليس عموم الوزارة:

- دليل المعادلات (مطبوع)، وهو قيم في رصد أنظمة التعليم العام في العالم، بما يخدم احتياج معادلة الشهادات الواردة من مختلف دول العالم.
- تحديث دليل الطالب التعليمي والمهني الذي صدر منه عدة طباعات من خلال رصد المجالات أمام خريج الثانوية العامة إلى درجة النسبة المئوية للاحتياج في كل تخصص لمساعدة الطلاب في الاختيار، وفقاً لحاجة سوق العمل بناء على المعلومات

الواردة من الجهات المختصة، ومنها الخدمة المدنية، العمل، التخطيط، وتكمن أهميته في مساعدة الطالب على اختيار مساره المستقبلي، وقد حظي للحق باهتمام خاص ومتابعة لصيقة من قبل معالي الوزير وفقه الله وجزاه خيراً على كل ما قدم.

- دليل التغذية.
- دليل القبول والتسجيل.
- دليل المكافآت والإعانات الطلابية.
- دليل النقل المدرسي.
- دليل المرشد الطلابي.
- لائحة وتنظيمات المقاصف المدرسية.
- الميثاق الأخلاقي لمهنة المرشد الطلابي.
- دليل النشاط.
- دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير.
- دليل معلم العلوم الشرعية (لأول مرة إضافة إلى أدلة المعلم لبقية المواد الدراسية الموجودة سابقاً).
- دليل المعلم لتفعيل برنامج الأدب النبوي.

وفي السياق نفسه يضاف إلى ذلك استصدار قرار مجلس الوزراء الموقر بالقواعد المنظمة للتقويم الدراسي رقم ٧١ في ١٨/٥/١٤١٧هـ، لوضع الأسس العامة والمعايير للتقويم الدراسي السنوي (كبدائية العام الدراسي ونهايته ومدة الفصل الدراسي والإجازات) لأهمية التخطيط المبكر ولتنظيم سير أعمال العام الدراسي، ومن ثم وفي ضوء ذلك تم وضع مشروع التقويم الدراسي لعشر سنوات، وعرض على اللجنة العليا لسياسة التعليم، وتأجل بناء على رغبة بعض القطاعات للتسيق مع برامجها وأهدافها، ثم صدر مؤخراً ولله الحمد.

٧ - العلاقات الإنسانية:

كانت الوزارة خلال هذه المدة من ١٤١٦-١٤٢٥هـ مضرب المثل في العلاقات الإنسانية، في الوفاء لمنسوبيها في أفراحهم وأتراحهم فيتبادون، رؤساء ومرؤوسين، للوقوف بعضهم مع بعض، حيث تجدهم في مناسبة زفاف مهنتيين، أو زيارة مريض مواسين، أو حضور جنازة داعين، ومهاتفين أو كاتبين إذا كان ذلك بعيداً، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر عند وفاة أخينا الفاضل د. إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس -رحمه الله- أمين عام اللجنة العليا لسياسة التعليم الأسبق، وكان ذلك خلال إجازة العيد في العشر الأواخر من رمضان، واجتمعت له جموع كبيرة من منسوبي الوزارة من داخل الرياض وخارجها بعد أن انفض الجميع في إجازاتهم، وكان في مقدمتهم معالي وزير التربية والتعليم ووكلاء الوزارة، الذين وقف بعضهم للعزاء مع أبناء الفقيد مدة العزاء، وأخص بالذكر معالي الوزير، ثم خصص الاجتماع الأسبوعي في الوزارة لتأيين الفقيد بحضور أبنائه وذويه وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله بن إدريس الأديب المعروف ورئيس النادي الأدبي الأسبق في الرياض... وانبثق عن ذلك اللقاء إعداد كتيب عن الفقيد يرحمه الله وتسمية قاعة الاجتماعات الكبرى في الوزارة باسمه ومازالت حتى إعداد هذا المطبوع. ومن تلك المعاني الإنسانية مبادرة التكريم السنوي للمتقاعدين حتى غداً منهجاً سنوياً لم يقتصر على الوزارة بل أخذت به العديد من القطاعات الحكومية والأهلية إضافة إلى لقاء المعايدة الذي يقرب القلوب ويوفر الوقت للعمل، وهو كذلك نهج أخذت به العديد من القطاعات، حتى أصبح اليوم مألوفاً لدى الكثير.

ومشهد آخر ربما نسيه أخي أبو أحمد - وبعض الزملاء فيما عدا د. إبراهيم الدريس يرحمه الله الذي دونه في مذكراته المعروفة في شهر شوال عام ١٤١٦هـ - ولكني لا أنساه أبداً: كان في مناسبة زواج ابني د. عبد الله إذ قبل توزيع رفاق الدعوة وفي الاجتماع الشهري بادر معاليه وفقه الله بكل أريحية وصدق أخوة ومحبة إلى دعوة الزملاء أعضاء الاجتماع الذي يضم وكلاء الوزارة والوكلاء المساعدين ومديري العموم، وأكد على حضورهم جميعاً، وأنه سيحضر وسيجدونه بإذن الله قبلهم، وكان رجاؤه الحار ألا يتخلف أحد، وكان لذلك وقع كبير في نفسي وزملائي وأسرتي وجميع أحبتي.

٨ - برنامج لقاء الطلاب بكبار المسؤولين:

وهو من البرامج التي قامت بها الوزارة خلال هذه المدة، وعقد منها عشرة لقاءات في عدد من المناطق، واستهدفت إتاحة الفرصة للطلاب للحوار مع شخصيات مهمة شقت طريقها إلى أعلى المستويات الوظيفية للدولة إسهاماً في تنمية وطنهم ورفع شأنه وتحقيق طموحاته وطموحات أبنائه، وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، وسمو نائبه الأمير أحمد بن عبد العزيز وأصحاب المعالي وزراء التربية والتعليم، والمواصلات (النقل حالياً) والصحة ووزراء دولة جزاهم الله جميعاً خير الجزاء، وكذلك إخوتي وزملائي المنسقين لهذا البرنامج في المناطق والوزارة وفي مقدمتهم الأستاذ عبد الله المساعد وفقه الله، ويحضر اللقاء عادة ما يزيد على ألف طالب يبدأ بكلمة من الضيف، ثم يفتح باب الحوار بأسئلة ومدخلات من الطلاب أنفسهم، وأذكر في لقاء سمو وزير الداخلية وفقه الله ورعاه قوله لأبنائه الطلاب: ليسمح لي زملائي وإخواني الإعلاميين أن أقول: أسألتكم تفوقت على أسئلتهم، ثم امتد البرنامج بعد ذلك إلى حوار كبار المسؤولين في المناطق ومن مسؤولياتها.. وأوردت هذا المشهد هنا للتأكيد على أهمية تواصل الطلاب مع مجتمعهم في مختلف الجوانب لربط تعليمهم بالحياة وإعدادهم لذلك والتفاعل معه إيجابياً وتقديم نماذج لهم من حياتهم المعاصرة.

٩ - الدورة الرياضية المدرسية المحلية:

عندما فكرت إدارة النشاط في إقامة دورة رياضية مدرسية على مستوى المملكة يحضرها ما بين ١٢٠٠-١٣٠٠ طالب، ويشرف عليها ما يقرب من مئتين من المختصين، ويصاحب ذلك ورش عمل تخصصية لهم، وتطبق على أرض الواقع، وتستهدف الدورة التقاء الطلاب من جميع المناطق وإعدادهم لتمثيل المملكة بأفضل صورة، وكذا إعداد القيادات الإدارية الرياضية لاستضافة المناسبات العربية والعالمية في المملكة، وقد عرض الموضوع كالمتابع على معالي الوزير الذي أحاله إلى لجنة استشارية لم توافق

عليه ووضعت بعض الملاحظات، وبعد مناقشتي لمعالیه، طلب مني الاجتماع باللجنة وشرح وجهة النظر والتقيت باللجنة مع بعض زملائي المختصين في النشاط، والنشاط الرياضي. ثم عاد الرأي مرة أخرى بعدم الموافقة حرصاً منهم جزاهم الله خيراً على سلامة الطلاب عند السفر والانتقال من مناطقهم، وكذلك الإشراف على هذا العدد الكبير في مقر إقامة الدورة. فذهبت إلى الوزير وشرحت وجهة النظر مرة أخرى وأهمية إقامة الدورة، وتحمل المسؤولية مع زملائي في الوزارة والمناطق في الإشراف والمتابعة. فوافق جزاهم الله خيراً وكانت الدورة الأولى التي تمت رعايتها وافتتاحها بجدة من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله (عندما كان ولياً للعهد) بحضور حشد كبير من الطلاب وأولياء الأمور والمسؤولين ملاً أرجاء الملعب الرياضي بجدة وتحت إشراف إدارة التعليم بجدة ممثلة في ذلك الوقت بالدكتور خضر القرشي وزملائه. ثم استمرت بعد ذلك الدورات كل سنتين في منطقة، وتم منها حتى الآن ثمان أو عشر دورات حققت - بفضل الله - أهدافها إلى حد كبير: من تنافس شريف، وانضباط تحت إشراف مسؤول مهتم، وإعداد قدرات وطنية قيادية متمكنة، زادت خبرتها وتمكنها في مجال إدارة المهرجانات الرياضية ومسابقات التربية البدنية، لتمثيل المملكة بصورة مثلى واستضافة مناسباتها العربية والدولية. وتتمثل أهمية هذا المشهد في العزيمة على إتمام المبادرات والإقناع بها في جو من الحوار البناء السائد في الوزارة، هذا من ناحية، وتقبل الرأي الآخر من قبل القيادة في الوزارة وتفهمها من ناحية أخرى.

١٠ - الصحة المدرسية:

خلال هذه المدة تحققت - في اعتقادي - نقلة نوعية كبيرة للصحة المدرسية، إذ تحول التركيز من الجانب العلاجي إلى الجانب الوقائي، وهو الدور الذي ينبغي أن تقوم به المدرسة. فمع أهمية الجانب العلاجي الذي استمر وما زال، فإن إعداد النشء في الجانب المعرفي: توعية ووقاية وحفاظاً على صحتهم وصحة أسرهم ومجتمعهم من مسؤولية المدرسة وأجهزة الوزارة المعنية في جهاز الوزارة والمناطق. وعلى إثر ذلك قامت برامج عديدة في التغذية المدرسية.

مثل: برنامج «غذاؤك حياتك» الذي بدأ بعدد محدود وبلغ أكثر من خمسمائة ألف طالب، وكذلك برنامج «الحليب المدرسي» الذي بدأ بفسحة الحليب وإحلال الحليب محل المشروبات الغازية في المدارس، بعد أن اتضح من الدراسة العلمية حول نمط المعيشة التي قامت بها الوزارة بالتعاون مع جامعة الملك سعود ووزارة الصحة ارتفاع نسبة تسوس الأسنان لدى الطلاب بأكثر من ٦٥٪، إضافة إلى ما يعانيه الطلاب بشكل ملموس من هشاشة عظام ومن بدانة.

وكذلك بعد أن تعطل لظروف خارجة عن الإرادة مشروع وطني كبير للحليب تعاونت فيه بإيجابية كبيرة ومشكورة جميع شركات الألبان في المملكة، جاء برنامج الحليب المدرسي ليلبغ أكثر من ستمائة ألف طالب، وذلك بالتعاون مع شركة تتراباك العالمية. وجدير بالذكر تواصل هذا الفكر فيما بعد من قبل وزارة الصحة مشكورة في برنامج «اليوم الوطني للحليب»، الذي انطلق منذ عام ١٤٢٨ هـ ليغطي مناطق المملكة، ويضاف إلى ذلك برامج أخرى عن دور المدرسة في تعزيز الصحة مثل برنامج «المدارس المعززة للصحة»، بعد أن تم تأهيل ثلاثة من ذوي الاختصاص والكفاءة الوطنية له خارج المملكة، يضاف إلى ذلك برامج صحة الفم والأسنان عن الوقاية من تسوس الأسنان، والعديد من البرامج غير المركزية بالمناطق، وكذلك اللقاءات العلمية الدورية للصحة المدرسية، التي بلغت سبعة لقاءات سنوية عند إعداد هذه الورقة.

وجدير بالذكر أن التوجه إلى نقل الصحة المدرسية إلى وزارة الصحة ربما يؤثر على جوانب التوعية الصحية والوقاية، الذي يجب أن يتلقاه المتعلم كأمر أساسي ضمن إعدادة للحياة في برامج التربية في المدرسة، وإذا تم هذا التوجه فحري بالوزارتين التنسيق التام للحفاظ على المكتسبات واستمرارها للأهمية القصوى للوقاية كما هو معروف.

١١ - المناهج:

عندما دمجت الرئاسة العامة لتعليم البنات مع الوزارة بدأت الوزارة في توحيد الكتب الدراسية للمراحل الثلاث للبنين والبنات (ما عدا ما يخص البنين فقط) أو ما يخص البنات فقط). وكونت لجنة لذلك من القطاعين، وكانت الخيارات المطروحة أمامهم إما كتب

البنين القائمة أو كتب البنات القائمة أو كتب البنات الواقعة تحت التطوير من خلال لجان عمل في بعض المناطق تحت إشراف الرئاسة العامة لتعليم البنات قبل ضمها للوزارة، (التي استفادت بالتأكيد مما أتيح لها من فرص التطوير السابقة لكتب البنين، ومن بعض وثائق المشروع الشامل لتطوير المناهج، التي أعدتها الوزارة مؤخراً في قطاع البنين). وجاء القرار بتكوين لجنة لكل مادة من المتخصصين والمتخصصات في القطاعين (تعليم البنين وتعليم البنات)، للنظر في هذه الخيارات الثلاثة بكل موضوعية ودقة، لاختيار الأفضل وإجراء ما يلزم من تعديل وتطوير، حتى يتم الانتهاء من كتب المشروع الشامل. وحظيت كتب البنات التي كانت تحت التطوير بنصيب أوفر في معظم المواد باعتبارها أخذت الأفضل من الجميع وتمت مراجعتها وتعديلها وطباعتها. وهكذا خرجت كتب الدمج في معظمها بتأليف نسائي ومراجعة وتقويم وتعديل من قبل المتخصصين والمتخصصات، وكانت نقلة نوعية إلى حد ما في الكتب الدراسية، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الطموح الذي يستهدفه مشروع «التطوير الشامل للمناهج»، الذي أعدت له وثائقه سابقاً وشكلت لجانها في ذات المناطق السابقة من الجنسين مع إضافة مناطق أخرى وبعض كليات المعلمين، وبإشراف لجنة علمية لكل تخصص من الجامعات وكليات المعلمين والوزارة والمناطق، وتم الشروع في إعداد الكتب الدراسية للمشروع الشامل خلال هذه المدة، وتم الانتهاء من بعض المواد للصف الأول والرابع الابتدائيين والأول المتوسط خلال عام ١٤٢٥/١٤٢٦هـ وتأخر تطبيقها إلى العام ١٤٢٧/١٤٢٨هـ في عينة من المدارس، بناء على رؤية إدارية عليا تشد التأييد والكمال من خلال هذا القرار.

وأورد هذا المشهد لطالبي الحقيقة؛ لأن هناك من كان له تفسيرات جانبها الصواب لخروج الكتب الدراسية حينئذ في معظمها بتأليف نسائي، والحق أن السبب هو تفوق العمل النسائي الجديد المطور المبني على خبرة قطاعي البنين والبنات على الخيارين الآخرين، وذلك حتى يكتمل عمل المشروع الشامل، وهو عمل مشترك بين المتخصصين والمتخصصات من القطاعين.

والموقف الآخر في مجال المناهج هو وقفة تطوير كتب التربية الإسلامية لإحداث نقلة نوعية بها، فبما أن الوزارة تطبع كالمعتاد الكتب كل سنتين، وبملاحظة أن كتب

التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة حين عرضها للطبع لوحظ أنها تحتاج إلى وقفة مراجعة وتطوير يخرجها عن النمطية السائدة بلمسة إبداع في عرض المحتوى والتصميم والإخراج، فقد تم ذلك بعون من الله وتوفيقه بناء على لقاء جمعني بزملائي في إدارة المناهج وقسم التربية الإسلامية بها، وكانت العزيمة للبدء بكتب المرحلة المتوسطة أولاً، لاستحقاقها الطباعة ذلك العام، ومن ثم بقية المراحل، فتم تشكيل فريق عمل من الوزارة والجامعات وإدارة التعليم بالرياض بدأت اجتماعاته صباحاً ومساءً لاستثمار الوقت، بقاعة في فندق الفيصلية لإنجاز العمل لأن المطابع في انتظار، وبدأت الشكوك والمناصحة، واعتذر البعض قبل بداية العمل، وجدير بالذكر أنه زارني أحد الإخوة الكرام من خارج الوزارة يناصحنى جزاه الله خيراً حول ماذا يراد بهذه الكتب وبهذه العجلة وفي وقت قصير وفي فنادق، فشكرته على اهتمامه بهذا الشأن، وأكدت له أن ما جاء به جزاه الله خيراً هوهم يحمله لهذا الدين وتعليم هذه البلاد وأبنائها، كما أكدت له أن العمل يجري في إطار التطوير التربوي، ومن قبل المعنيين والمتخصصين، من مراجعة وتطوير وأن ما بلغك لم يبلغ حتى كبار المسؤولين بالوزارة خارج وكالة التطوير التربوي، وأن البعض اقترح عنوانة هذا العمل، (جزى الله خيراً من قام به أو أشرف عليه)، لأن المتوقع منه نقلة نوعية في عرض المادة العلمية والأسلوب والمعالجة والإخراج، تركز هذه النقلة على رفع مستوى تحصيل الطالب وتعين المعلم على رفع مستوى أدائه في المادة ويكون مثلاً يحتذى للمواد الأخرى، فخرج مطمئناً شاكراً وداعياً بالتوفيق. وقد أوردت هذا المشهد لأن البعض منا يتبرم من مثل هذا الاهتمام والمناصحة ويعدها مشكلة وتدخل فرد فيما لا يعنيه، وهذا خطأ يقع فيه بعض المسؤولين عفا الله عني وعنهم، ونحن ليس لدينا ما نخفيه أو نخادع فيه مجتمعنا، بل إخفاء الأمور تزيد الريبة والشك وتقطع أوصال اللحمة الوطنية، التي يجب أن تسود، فرحم الله من أهدى إليّ عيوبي، والاهتمام بالشأن العام مطلوب من كل فرد.

وكان من نتائج هذه الخطوة النقلة التي حصلت لكتب العلوم الشرعية في التعليم العام، من حيث التركيز على التفكير وطريقة التدريس وأسلوب المعالجة وتصميم الكتاب وإخراجه

بشكل جذاب للطلاب، إضافة إلى مساعدة المعلم للوصول إلى أهدافه بأيسر الطرق، وأصبح ذلك العمل أنموذجاً يحتذى لمراجعة وتطوير بقية الكتب الدراسية، ولله الحمد.

ومن المشاهد المهمة في مجال العلوم الشرعية: إعداد أول دليل لمعلم العلوم الشرعية، حيث خرج من أول فريق بحجم كبير وبأسلوب تقليدي مع ما فيه من نقاط إيجابية، وتمت مراجعته وتطويره من قبل فريق آخر استفاد من إيجابياته وتلافى سلبياته، ليحقق الهدف الأسمى. فخرج بعمل مشترك جيد ولله الحمد بشيء من الإبداع والتميز، يفخر به من قام به، والقسم المختص، والإدارة المعنية. وأسأل الله للجميع الأجر والمثوبة. وفي هذا المشهد التواصي بعدم قبول العمل بالحد الأدنى خشية المسؤولية والإجراءات الإدارية، بل الإصرار على الإتقان والتميز، ولو كلف مزيداً من المال والوقت، وهو نهج يتواصى به قطاع التطوير التربوي في توجهات الوزارة ورسالتها وقيمها.

١٢- مواقف ومشاهد أخرى :

وهناك مشاهد ومواقف أخرى لا يتسع المجال لها في هذه العجالة منها: طبع وتوزيع (مفكرة جيب) من قبل التوجيه والإرشاد خاصة بطالب المرحلة الثانوية تعود على التنظيم في حياته المستقبلية والحفاظ على وقته ورصد مواعيده (١٤١٨هـ)، ومنها برنامج النقل المدرسي التعاوني بإدارة النقل بشؤون الطلاب بالتنسيق مع القطاعات المعنية وأثره على برنامج الوزارة في التعاون مع القطاع الخاص، ومنها برنامج استثمار أوقات فراغ الطلاب على مستوى المملكة بإدارة النشاط بالتنسيق مع جميع القطاعات المعنية وإعداد دليل عام بذلك يحدد الأدوار والمسؤوليات، ومنها زيارة محافظتي الليث والقنفذة في رحلة عمل متواصلة دون انقطاع لأكثر من عشرين ساعة، وزيارة محافظة ينبع وافتتاح مبنى إدارتها، وفي نفس الزيارة افتتاح وحدة صحية في بدر كانت لها ذكرياتها، وفتح نوادي الحاسب الآلي في المناطق، وتكريم طلاب الصف الثالث الثانوي، وبرنامج حقيبة معلم القرآن الكريم (المقرأة)، وقائمة مشكلات الطلاب للمرحلتين المتوسطة والثانوية، زيارة أسبانيا ولقاء معالي سفير المملكة الشيخ عبد العزيز

الثيان يرحمه الله ومثاليته وتمثيل المملكة واهتمامه بالوفود الرسمية، وتسهيل مهامهم في العمل، لجنة التطوير التربوي بين المملكة واليمن الشقيق: الحميمية والإنجاز، برنامج الإطار العام للسلوك على مستوى البيت والمدرسة وإدارة التعليم والوزارة، وضوابط ترشيح المعلمين للتوجيه والإرشاد والفكر التربوي وراء ذلك... إلخ.

من الجدير بالذكر مشهد إطلاق برنامج تنمية مهارات التفكير، حيث زارني الدكتور رشيد البكر الأستاذ المشارك بجامعة الإمام، وكان يتابع استكمال إجراءات بحث له بإدارة البحوث، فأهداني كتابه عن تنمية التفكير، وعند اطلاعي عليه وافق اهتمامي، فدعوت الدكتور البكر إلى التفكير في وضع ما كتبه موضع التنفيذ على أرض الواقع لأهمية الموضوع، فأجاب مشكوراً على الفور، حيث اتفقنا على أن أيسر وأقصر الطرق للتعاون معه هو الاستشارة، وبفضل الله ثم بفضل التفاهم مع معالي الوزير تمت الكتابة خلال أربع وعشرين ساعة إلى معالي وزير التعليم العالي وحظينا بالموافقة، وبدأ الدكتور البكر العمل مشرفاً على برنامج «مشروع تنمية مهارات التفكير»، بالتطوير التربوي ووضعت خطة اشتملت على إعداد حقائب تدريبية ودورات للمعلمين ومديري المدارس والمشرفين في قطاعي البنين والبنات، وكذلك القائمين على التأليف وورش عمل وإعداد مدرّبين في المناطق وإعداد دليل المعلم عن تنمية مهارات التفكير.

وبعرض الموضوع على معالي الوزير حظي بالتأييد، وتم -بحمد الله- تنفيذ الدورات التدريبية وورش العمل بتعاون مع خبراء من داخل المملكة وخارجها، وتم تأهيل العديد من المشرفين على التدريب.

وإعداد دليل المعلم لتنمية مهارات التفكير الذي طبع منه ما يزيد على أربعمائة ألف نسخة، وتوزيعه على المعلمين والمعلمات في جميع المناطق، ومن ثم تقويمه من خلال التطبيق، وأعيدت طباعته ثانية، وأسهم بعض المشرفين الذين تم تدريبهم بفاعلية في ورشة عمل عقدت خصيصاً للطبعة الثانية بناء على ما ورد من المناطق من تغذية راجعة، وهذا المشهد يؤكد سهولة التعامل وسرعة تجاوب المسؤول الأول في تحقيق تطلعات القطاعات ودعم برامجها.

الخاتمة

وبعد، فإن هذه الخواطر هي من بوح الذاكرة كما يقال وردت على سبيل المثال لا الحصر بقصد المشاركة في هذه المناسبة، والمؤكد أن إنجازات التعليم والوزارة في سابق عهدها وخلال هذه المدة وما نأمله لها مستقبلاً له أثره الكبير في نمو البلاد وما وصلت إليه بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بدعم قيادتها الرشيدة للتربية والتعليم في مختلف المراحل، وكذلك ما هيأته من بعثات إلى دول العالم المتقدمة في مجالات البحث والدراسة والتعليم والصناعة، وقد أثبت العديد من أبناء المملكة قدرتهم وجدارتهم في مؤسسات التعليم العالي التي التحقوا بها هناك، بل وبعضهم اختير للعمل في تلك المؤسسات بناء على تميزهم. وهذا ليس دفاعاً عن التربية والتعليم في المملكة، بل له من المشكلات كغيره من نظم التعليم في مختلف دول العالم ما يوجب التصدي لها والعمل على حلها وتلافيها، وذلك محط اهتمام كبير من الدولة والإدارات المتعاقبة على الوزارة والمناطق التعليمية.

وعلى أي حال فإن ما قصرت في ذكره من برامج مهمة ومواقف تستحق الوقوف عندها، ومن قصرت في ذكرهم من الزملاء الأعزاء في هذا المقام وهم أكثر وأصحاب فضل وعلم وعمل وجهد، أسأل الله أن يذكرهم فيمن عنده خير من ذكري لهم هنا ويجازيهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة، فكل أمة عظيمة وراءها تربية عظيمة، وكل تربية عظيمة وراءها رجال عظماء ونساء عظيمات في التربية والتعليم والإدارة والقيادة والمسؤولية في البيت والمدرسة والمجتمع.

ومع نهاية هذا الملخص من الذكريات والمشاهد أود الإشارة إلى كتيب: «وزارة التربية والتعليم: قيم وتوجهات وإنجازات» في طبعته الثانية عام ١٤٢٥هـ فقد قدم موجزاً مفيداً عن هذه المدة التي استهدفها هذا السجل.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذه الإطلالة على حقبة رائعة تربوياً وإدارياً وإنسانياً وإنجازاً لوزارة التربية والتعليم بقيادة معالي الوزير المربي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وفقه الله ورعاه.

والله ولي التوفيق والصواب والهادي إلى سواء السبيل.

ست وثلاثون سنة

د. محمد سليم العوا

هي عمر صلتي الوثيقة بمحمد بن أحمد الرشيد (١)

وصف هذه الصلة بالصدقة الحميمة يقصر عن التعبير عنها.

وإدراجها في عداد صلات الأخوة الحقبة يسلبها عنصر الاختيار الذي يميّز الصديق عن الأخ الشقيق أو غير الشقيق.

وهي، وإن جمعت بين عناصر لا تقوم الصداقة إلا بها، وعناصر مما تثبت الأخوة بالمحافظة عليها، فإنها تضيف إلى هذه وتلك عنصر السعادة بالصحبة، والافتقاد عند الغيبة، والشعور الدائم بصدق المحبة، والثقة التي لا تتخرم في إخلاص النصح عند لزومه ولو لم يطلب، وفي الفرحة والاستبشار بالخير حين يكون، وبالإشفاق عند وقوع الابتلاء مع اليقين باختفاء المنحة التي تُشكر داخل المحنة التي قد تُستنكر.

... وهذا كله، وبعض ما لم يجرؤ القلم على ذكره، هو بعض حقيقة (المخاللة) التي يقول في أهلها رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال» (رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه).

عرفت الدكتور محمد الرشيد سنة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م عندما عاد من بعثته التي نال في نهايتها شهادة الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد عودته بقليل تولى عمادة كلية التربية بجامعة الملك سعود (جامعة الرياض يومئذ) خلفاً للدكتور صالح أزميرلي.

كنت مريضاً ألزم فراشي في منزلي بالرياض عندما عُيّن محمد الرشيد عميداً للكلية التي كنت عضو هيئة تدريس في قسم الثقافة الإسلامية بها، وجاءني زائراً غير

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين سابقاً والمستشار بمكتب التربية العربي لدول الخليج سابقاً.

عائد على غير موعد، الأخ العزيز والصديق القديم الدكتور محمد بن سعد الرشيد، عميد كلية الشريعة الإسلامية في جامعة أم القرى آنئذٍ فلما استقر به مجلسه إلى جوار فراشي قال لي: لقد جئتك لأعرفك على رجل شهيم كريم الأصل جواد شجاع، من أهل المجمع، عاد قريباً من الولايات المتحدة وعين بالأمس عميداً لكليتكم، وبما أنك مريض ولن تستطيع أن تكون في الكلية غداً لأقدم كلا منكما لصاحبه، فإنني أوصيك بالاتصال به والتعرف عليه، فستجد فيه أكثر مما تتوقع (١)، وانصرف محمد سعد الرشيد وأنا أعجب من هذه التوصية، وأتساءل عن سرها.. لكني سرعان ما غلبني النوم من أثر المرض وأدويته (١).

بعد يومين أو ثلاثة دخلت إلى غرفة رئيس قسم الثقافة الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم، العالم النابه المحقق، رحمه الله، وسألته عن عميدنا الجديد فعرض عليّ أن يصحبني إليه يعرفني عليه، ولكن ذلك لم يكن، إذ سبقه أن خرجت من صلاة الظهر فوجدت محمد الرشيد على باب مسجد الكلية، وقد أحاط به مدرسون وطلاب وعمال يحادثهم في أمور شتى، منها توسيع المسجد، فلما بدت لي فرجة فيمن حوله قدمت نفسي إليه، فإذا بي أجد من الترحيب والبشاشة والإقبال ما لا يكون إلا من صديق قديم عزيز لمن طالت عنه غيبته (١)، وأردت أن أنصرف فقال نحن معاً، وصعدنا السلم إلى حيث مكاتب قسم الثقافة الإسلامية يقابلها مكتب العميد، فدعاني إلى مكتبه، وأخذنا في أحاديث متنوعة يُسلم أحدها إلى الآخر، فوجدته يقول ويسمع، ويقبل ويأبى، ويستحسن وينتقد، ويبدأ ضيفه الذي لم يعرفه إلا منذ دقائق بالفكاهة الطريفة، ويسعد إذا بادله الضيف واحدة بواحدة.

وخرجت من هذه الجلسة، التي استغرقت وقتاً ليس بالقليل، وأنا موقن أنني كسبت صديقاً جديداً على غير توقع مني ولا سعي أستحق به ذلك.

عملت معه في كلية التربية، هو عميدها وأنا عضوفي مجلس كليتها من عضوين يختارهما المجلس من بين أعضاء هيئة التدريس، ثم انتقلت بعده بأسابيع قليلة إلى

مكتب التربية العربي لدول الخليج، عيّن هو مديراً عاماً له، واختارني مستشاراً أول للمكتب. ثم تعاوناً في أعمال علمية وثقافية حاول أن ينشغل بها بعد أن أدّى مهمته في المكتب خير أداء، ثم عاقه عن تلك الأعمال اختياره وزيراً للمعارف) التربية الآن (وهي الوزارة التي نيط به أمرها عشر سنين كواامل، وكانت علاقتنا العملية والفكرية طول هذا الوقت كما كانت قبله، وكما هي بعده، لحمتها وسداها تلك الحال التي وصفتها في مطلع هذه السطور.

كان محمد الرشيد ولا يزال موطأ الأكناف لكل الذين يعملون معه، صغارهم وكبارهم، ورأيته كثيراً يسمع ما لا يجب من غلاظ النفوس، ويسمع منهم ما لا يجروون على قوله لغيره، فلا يرد سيئة سيئة، بل يتصرف وكأن الذي يقال لا يقال له، ويعد بالخير ويسعى إلى صنعه، تخلصاً من سوء أخلاقهم، وليس لأن لهم حقاً يجب أن يأخذوه.

وكنت بحكم عملي في مكتب التربية أكثر أعضاء المكتب تعرضاً لمعرفة الشكاوى التي يبديها العاملون، وكان في المكتب بضعة نفر يسعون إلى التعريف بمن حُرّم حقاً له، أو ظلم في صغير من الأمور أو كبير، فلما حملت إلى محمد الرشيد شيئاً من ذلك إلا أنهاه في لحظته، وكثيراً ما كان يسأل، بل لعله كان يسأل دائماً، ماذا يقول النظام؟ ماذا تقول اللائحة، ماذا ترى؟ ثم لا يأخذ إلا بالأرفق بالناس والأصلح لهم.. وكان جزاء ذلك من العاملين معه مزيد عطاء وفرط إخلاص في العمل، جعل الذي ينجز في سنة يتم إنجازَه في شهور معدودة، حتى قال لي وزير ذو مكانة خاصة في مجتمعه: (أردنا من الرشيد أن يمشي بنا الهوينا، فمضى بنا على الرابع)!!، ولم يكن هذا عمل الرشيد لكنه كان نتيجة عمله مع زملائه ومرؤوسيه، وهي نتيجة لم يكن غيرها ممكناً، ألم تر إلى قول الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

تعلمت منه أمرين أنتفع بهما حتى الآن: كان إذا تحدث أحد فتداخلت في كلامه الموضوعات، وتشابكت القضايا، وغامت عليه الأفكار قال لي: إنه (يدخل عباس في دباس!) فأتسلى بقوله هذا عما أجده من غم الاستماع إلى كلم لا يخرج منه مستمع بأكبر نفع أو صغير (١).

وكان يهشُّ لمن يلقاه ويُحسن إليه بالقول، وقد يكون له حاجة لا يستطيع محمد الرشيد قضاءها، لكنه لا يترك مجلسه، أو مكان وقوفه مع الرشيد، إلا وهو راضٍ مؤمن أن الرشيد لم يُقصر، وإنما شأنه كما قال الأول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أبا!

وفي هذه الأحوال كثيراً ما قال لي: يا أبا أحمد (المعروف شيء هين، وجه طلق ولسان لين) فانظر رعاك الله إلى هذا الفهم الفطري الجميل لـ (المعروف)، وإلى أثره فيمن يعملون معك أو يلوذون بك، تدرك كيف كان العمل مع محمد الرشيد متعة حقة. ومحمد الرشيد وإن كان من أهل الحواضر العريقة، فيه بداوة حسنة مما وصفها المتنبى بقوله:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب (1)

دخلت عليه مرة في مكتبه وهو عميد لكلية التربية، فوجدته يقول لضيف عنده: (أنا يعز عليّ ألا أُجيب طلباً لواحد من بني جنسي...) وذكرته بأنه قد عوفي من العصبية التي يُعاني من آثارها كثير من إخوانه وأبناء وطنه، وأنه لا يُعاني من عقدة النقص التي تصنع الاستعلاء الكاذب، حتى يظن نفسه وأصحابه من جنس غير جنس سائر الناس، وقلت كلاماً كثيراً نسيته الآن، فقاطعني ليخبرني أن هذا التعبير مستعمل، في لغة نجد الدارجة، للإشارة إلى القبيلة والعشيرة والبطن، أو وحدة الأصل بوجه عام، ولم يردني ذلك عن عتابي، ولم يسلم لي به الرشيد، لكنني لم أسمعهُ يستعمل هذا التعبير قط منذ ذلك اليوم.

من أهم الأمور التي جعلت محمد بن أحمد الرشيد مبرزاً في كل عمل تولاه أنه يولي اختيار الرجال عنايته الفائقة. وهو على خلاف كثيرين لا يختار إلا الأكفاء المتفوقين الأعلام، ليعينوه فيما يريد إنجازهم، ولا يضايقه، بل كان يظهر سروره وغبطته أن يكون إلى جواره أناس خبرتهم أكبر من خبرته، وتجربتهم أوسع من تجربته، وكان يختار هؤلاء ثم يستجيب لنصحهم ويأخذ برأيهم وينزل عند مشورتهم.. نظرت وأنا أحاول

كتابة هذه الكلمات في ثبّت الذين تعاون معهم مكتب التربية في عهد إدارة محمد الرشيد له، فوجدته يضم سبعة وستين وأربع مئة من العلماء العرب الكبار المرموقين من بلاد العرب كافة تقريباً، وثلاثة عشر ومئتين من العلماء الأجانب العاملين في الجامعات الغربية والمؤسسات الدولية، صحيح أن بعض هؤلاء من أصول عربية أو إسلامية، لكنهم جميعاً كانوا يمثلون الثقافة الغربية في فكرهم وتدريبهم وتجربتهم العلمية والعملية.

ولا ريب أن مؤسسة تستعين في نحو عشر سنين بمثل هذا العدد الهائل من العلماء والباحثين والمفكرين (٦٨٠ علماً) جديرة بأن تتجز ما نجح مكتب التربية العربي في إنجازه عندما ضمّنا فريق العمل فيه مع الرشيد، وفي المدة نفسها زادت إصدارات المكتب من الكتب والبحوث المستقلة والدوريات المتخصصة على ستين ومئة إصدار في جميع المجالات التي يشملها نشاط المكتب أو تدخل في اهتمامه.

كانت إحدى فضليات عائلتنا إذا سئلت عن كيفية صنعها طعاماً استحسنته ضيوفها تقول (صنعتة بالمحبة)، وأستطيع أن أعزو إلى هذه المحبة كل أو جل النجاح الذي حققه الرشيد في ولايته كلها، وأن أعزو إليها استمرار صلاته القوية الوادة بمئات من الناس في كل مكان عمل فيه أو عاش.

والحمد لله رب العالمين..



كلمة حق

د. محمد بن لطفي الصباغ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
والاه.. أما بعد..

فهذه كلمة أكتبها أداءً للأمانة، وتسجيلاً للحقيقة التي عرفتها، من خلال معرفة
قديمة، وعلاقة وثيقة بأخي الأثير المفضال الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد..
الرجل النبيل، والمربي الكبير، الذي وقف حياته وما آتاه الله من موهبة على خدمة
التربية والتمكين لها في بلاده.

أسأل الله أن يوفقه إلى الخير، وأن يستعمله في طاعته، وأن يزيده قوة وسداداً.

إن معرفتي بهذا الرجل تجاوزت أربعة عقود، كان فيها محمد بن أحمد الرشيد مثال
الجد، والدأب، والطموح، وقد رزقه الله جلدًا لا يعرف الملل، وذاكرة قوية، فهو لا يكاد
ينسى شيئاً، وحرصاً على الاستفادة من كل لحظة من لحظات الحياة.

عرفته أول ما عرفته طالباً في كلية اللغة العربية.. وعلمت أنه بعد التخرج عمل مدرساً
في معهد إمام الدعوة، ثم ابتعث إلى أمريكا لدراسة التربية، وكان ذلك سنة ١٣٨٦ هـ واستمر
في الدراسة إلى ١٣٩٢ هـ، وعندما عاد من دراسته عمل أستاذاً في كلية التربية من جامعة
الملك سعود، ثم وكيلاً للكلية، ثم عميداً لها، وكنت حينذاك أستاذاً في هذه الكلية، وقد
ظهرت مقدراته الإدارية، فقد قام بنشاط تربوي، واستعان بطاقات كبيرة كانت في الكلية،
ونظم محاضرات علمية متعددة الاتجاهات لأساتذة من الكلية ولآخرين من خارجها.

مستشار بمكتب وزير التربية والتعليم سابقاً.

ثم انتقل مديراً عاماً لمكتب التربية العربي لدول الخليج، وقد استطاع إنجاز أمور كثيرة فيه، وساعده على ذلك أن صلاحيات مدير المكتب واسعة جداً، ولا يمكنني أن استقصي إنجازاته في هذه الكلمة الموجزة.

وقد عملتُ معه في لجنة الدراسات والنشر في مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي التي كان الدكتور يديرها، وكان من أعضائها العلامة الأستاذ الكبير الدكتور محمد سليم العوّا والدكتور علي التويجري، وكانت هذه اللجنة تجتمع أسبوعياً، واستطاعت أن تنجز نشر طائفة من الكتب تحقيقاً، وتأليفاً، وكانت اللجنة تكلف عدداً من رجالات التربية في عدد من البلاد العربية بتأليف كتب في موضوعات معينة أو تحقيق بعض المخطوطات.

وأحسب أن سجلاً بمنشورات المكتب قد أعدّ فهناك عدد كبير من كتب التربية الأصيلة والمترجمة قد صدر، حتى يمكن القول: إن مكتبة تربوية غنية قد صدرت عن المكتب في عهده النشيط الحيّ، وذلك من فضل الله عليه وعلى الثقافة.

ومن أجلّ الأعمال التي قام بها الدكتور محمد الرشيد تكليفه أحد أكبر المحدثين في عصرنا الحاضر وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله بتحقيق القول في أحاديث السنن الأربعة وهي: سنن أبي داود، وسنن النسائي، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه، لأن هذه الكتب التي هي مع الصحيحين من أهم أصول الدين الإسلامي بعد القرآن، وتعدّ المرجع الأول لأحكام الشريعة الإسلامية ولكن أحاديثها فيها الصحيح، والحسن، والضعيف، فاغتنم الدكتور وجود الشيخ الألباني، وكلفه بهذا العمل الجليل، وقد قام المحدث الألباني رحمه الله بالعمل المطلوب وقام المكتب الإسلامي بإشراف الأستاذ زهير الشاويش بطباعته على وجه جيد وبسرعة فائقة.

وقد تلقى المهتمون بحديث رسول الله هذا العمل بالقبول الحسن فسارعوا إلى اقتناء هذه الكتب والإفادة منها ونفدت الطباعات الأولى وأعيد طبعها مرات.

والحق أنّ مدة إدارة الرشيد لمكتب التربية العربي لدول الخليج كانت حافلة بأنواع من النشاط التربوي والإسلامي، فهناك الندوات العديدة التي أقامها المكتب ومنها:

- ندوة التحديّات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي (عُقدت في مسقط سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).
- ندوة النظم الإسلامية (عُقدت في أبوظبي سنة ١٩٨٤م).
- الندوة الفكرية لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الأعضاء (عُقدت في جدّة سنة ١٩٨٥م).
- وندوة اتجاهات الفكر المعاصر (عُقدت في البحرين سنة ١٩٨٥م).
- وندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (عُقدت في الرياض).

وقد شارك في هذه الندوات رجال الفكر والتربية ومفكّرون إسلاميون من مختلف الأقطار العربية، وصدرت بحوثها ومناقشاتها في مجلدات، وفيها زاد علمي كبير.

وهناك ندوات أخرى، وإنما أردت ذكر نماذج من هذا النشاط التربوي الإسلامي الذي قدّمه المكتب في عهد إدارة محمد الرشيد.

وهناك الدراسات التي تناولت أعلام التربية في ثقافتنا الإسلامية، فقد استكتب الدكتور الرشيد علماء التربية وعلماء الإسلام في تراجم عدد من التربويين المسلمين ودراسة آرائهم، وذكر ما قدموا من نظرات في التربية من أمثال: ابن خلدون، وابن تيمية، والغزالي، وابن جماعة، وغيرهم، وصدرت في ذلك مجلدات نفيسة.

وهناك دراسة (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية)، وهو كتاب فريد نافع، صدر بالتعاون مع المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

يحسن أن أنقل هنا سطوراً من مقدمة الكتاب التي كتبها الدكتور محمد الرشيد المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج والدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، رحمه الله.

ومما قاله في المقدمة:

(ولقد وقع الاختيار على معالجة هذا الموضوع بالذات لاعتبارات متعددة، منها تصويب الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرقين الذين عالجوا موضوعات الفكر الإسلامي، ومقومات الحضارة العربية الإسلامية وتراثها الأدبي، والعلمي، والأخلاقي، والسياسي في لغاتهم، فأساءوا تقديمها لقراءتهم وحرفوا مقولاتها، وشوهوا صورتها عن قصد مبيّت حيناً، وعن جهل وسوء فهم أحياناً أخرى).

فكان من الواجب التصدي للمناهج التي انطلقوا منها، ومناقشة النتائج التي انتهوا إليها، والردّ عليها، وتصويبها بما تقتضي الموضوعية والنزاهة وروح البحث المنهجي.

(ومن بين الغايات الأخرى توجيه اهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب العربي المسلم الذين انساق بعضهم إلى التأثير بهذه المناهج والانبهار بها... وإلى النتائج الخطيرة التي تمخضت عنها من تشكيك في العقيدة، ودحض للنبوة، وافتراء على التاريخ، وتزييف للحقائق، لمساعدتهم على وعي ما تتطوي عليه من مزائق ومحاذير... إلخ).

ومن الأمور المهمة النافعة التي كان للدكتور الرشيد أثر كبير في قيامها: جامعة الخليج العربي في دولة البحرين، وكان للدكتور الرشيد دور في إنقاذها بعد أن تعرضت للإلغاء بسبب النواحي المالية، بعد أن عرض الأمر على الملك فهد يرحمه الله الذي تعهد بأن تقوم المملكة بدفع المبالغ المالية المطلوبة.. واستمرت الجامعة.

وقد عمل الدكتور الرشيد على استئناف إصدار مجلة المعرفة، التي كانت تصدر عن وزارة المعارف من قبل، والتي احتجبت ثلاثين سنة.

هذه أمور ذكرتها الآن، وقد تكون هناك أمور أخرى شهدتها ولم أذكرها، فهذه الكلمة ليست دراسة مستوفية لأعمال الرجل، وأحسب أنّ من المفيد أن تقوم هذه الدراسة لما أتوقع لها من فوائد.

وأود أن انتقل بعد ذلك إلى ذكر طرف من أخلاقه، التي وقفت عليها من خلال معرفتي له التي امتدت أربعة عقود كما سبق أن ذكرت.. فسأشير إلى أهمّها فيما يأتي:

• يتصف محمد الرشيد بالتواضع، وهو خلق الرجال الكبار الذين يزيدهم هذا الخلق رفعة عند الله وعند الناس، وذلك مصداق ما قال رسول الله ﷺ: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) (رواه مسلم برقم ٢٥٨٨)، ويدفع هذا الخلق الكريم صاحبه إلى احترام الآخرين والبعد عن احتقارهم.

• ويؤسفني أن أذكر أن كثيراً من الناس يقعون في هذه الخصلة المقيتة، وهي احتقار الآخرين لكونهم غرباء، أو لكونهم عمالاً لا يحملون مؤهلات علمية، أو لكونهم فقراء، والرسول العظيم ﷺ يقول: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) (رواه مسلم برقم ٢٥٦٤).

وما زلت أذكر مقالة كتبها الدكتور الرشيد في إنصاف المتعاقدين والإحسان إليهم، ليكونوا أئسنة ثناء وصدق على البلد الذي كانوا فيه، وذلك عندما يعودون إلى بلادهم، وقال: (إن هؤلاء الرجال لم يأتوا إلينا من تلقاء أنفسهم، بل نحن الذين طلبناهم، وقد قدموا لنا خدمات مهمة، ينبغي أن يشكروا عليها).

• ومن الصفات الحميدة التي أكرمها الله بها إغاثة الملهوف ورعاية الضعيف. أذكر من ذلك أن أسرة كريمة كان عميدها يعمل أستاذاً في كلية التربية توفي إثر حادث مروري عندما كان في طريقه إلى مكة، وكان وضع الأسرة صعباً جداً، وليس لها في بلدها الأصلي معيل، فقام بكفالة هذه الأسرة وتعهدها بالرعاية وتيسير الإقامة لها في ربوع هذا البلد الطيب.. وأحسب أن أولادها أضحووا الآن رجالاً مؤهلين.

• ومما يذكر له التفاته إلى أمور دقيقة ذات أثر كبير على مجتمعه، فقد أدرك أمراً خطيراً في المجتمع الخليجي، ألا وهو تأثير المربيّات الأجنبية، فاقترح تكليف باحث أن يعد رسالة في هذا الموضوع، وكان ذلك.. وصدرت الرسالة بعنوان:

(المربيّات الأجنبية في البيت العربي الخليجي: عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية).

وكتب الدكتور الرشيد تقديمًا لهذه الرسالة بيّن فيه أهمّ الأخطار التي تنتج عن هذه الظاهرة، فمن أهم الأخطار إفساد لغة الأمة.. يقول:

(إننا نذكر (الخطر اللغوي) لقد كشفت نتائج بعض الأبحاث أن ما لا يزيد عن ٨٪، من مجموع المربيّات لهن إلمام باللغة العربية، فما الأثر المتوقع على لسان أطفال الـ ٩٢٪ من المربيّات الأجنيّيات...).

(إن اللغة كما يقال بحق ليست وسيلة تخاطب فحسب، وإنما هي: (الوعاء الفكري والثقافي للحضارات) مما يؤثر في تكوين وبناء الشخصية).

ثم ذكر الخطر الديني، فقال:

«لقد أظهرت نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت في دول الخليج: أن المعتقدات الدينية للمربيّيات الأجنيّيات يمكن ترتيبها على الوجه الآتي:

أولاً: المسيحية.

ثانياً: البوذية.

ثالثاً: الهندوسية.

ورابعاً وأخيراً: الإسلامية.

ومن المعروف مدى الصلة الحميمة والثيقة بين الطفل ومربيته، فما الذي يمكن أن ينعكس في بيوتنا وعلى أطفالنا من هذه العقائد، ومما يراه الطفل وينطبع في حسه من ممارسات يومية.

ثم ذكر الخطر الأخلاقي فقال:

(في الاستطلاع الذي قُدّم لتحريّ القيم والعادات والتقاليد لدى شريحة من المربيّيات الأجنيّيات والخدمات قرر ١٤٪ منهن أنهن يستقبلن أصدقاءهن في البيوت.

وقررت ٧, ٨٪ أنهم يقمن بزيارة أصدقائهن في مساكن الأصدقاء.

وذكرت ٣, ٤٪ من المربيات أنهم يشربن الخمر.

وحوالي ٢, ٧٪ يدخن السجائر.

وأن ٦, ٥٨٪ من المربيات تحبذ (ممارسة الحب) والعلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج. وأظن أن ذلك يغني عن كل تعليق).

أقول:

إن هذه الرسالة صدرت سنة ١٤٠٥هـ، والأمر زاد واتسع، وأخطاره تكشفت لكل ذي بصر وبصيرة. إن اهتمام الرشيد بهذا الأمر الخطير ليدل على بعد نظر وصدق في نصح الأمة وتحذيرها.

ومن الصفات التي يتصف بها الدكتور الرشيد سعة الصدر والعفو عمّن أساء إليه مع القدرة على الانتصاف منه، فقد علم أن واحداً من موظفي الوزارة قام في مسجد يتكلم بكلام باطل يتهمه به، وكانت لدى الدكتور الرشيد وثائق تثبت تصرفه وتدينه في القضاء. فما كلمه، ولا رفع أمره إلى القضاء، ولا عاقبه بل أعرض عنه.

وأساء إليه آخر وواجهه بقلة أدب فلم يلتفت إليه.

وما أروع كلمة عمر بن عبد العزيز: ما قرن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، ومن علو إلى قدرة^(١). هذا ومما يذكر في أخبار عمر بن عبد العزيز أن رجلاً أسمعه بعض ما يكره فقال عمر: (لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً. انصرف إذا شئت)^(٢).

ولا ينقضي عجبني من قوم يتهمون الرجل بالعلمانية من غير دليل ولا بيّنة ولا شبهة دليل.

(١) أقوال مأثورة وكلمات جميلة، ج ٣، ص ٢٤.

(٢) أقوال مأثورة وكلمات جميلة، ج ١، ص ٤٩٨.

وأنا وأخي الكبير فضيلة العلامة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الباني على صلة بالرجل وثيقة، وإنما لنؤكد أن هذا الادعاء باطل، سواء من الناحية الفكرية والاعتقادية أو من الناحية السلوكية.

نقول هذا ولا ندعي أن الدكتور الرشيد عالم من علماء الدين، ولا أنه إمام من الأئمة، ولا أنه معصوم عن الخطأ، ونشهد أنه يحب الله ورسوله ﷺ، ونقول: إن الآراء الاجتهادية في أمور التربية والمجتمع التي يبديها فيها كثير من الصواب وقد يكون فيها خطأ، شأنه في ذلك شأن البشر جميعاً، وقد نخالفه في بعضها، ولله در من قال: (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية).

فنحن أهل السنة والجماعة نعتقد أنه ليس هناك إنسان معصوم في هذه الأمة إلا رسول الله ﷺ فيما يبلغ عن ربه، ولم يخلُ عالم من العلماء، ولا إمام من الأئمة من إمكانية الوقوع في الخطأ، والمخطئ في اجتهاده مأجور، كما قال رسول الله ﷺ فيما صح عنه: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر). رواه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦).

وإذا كان إمام عظيم وهو الشافعي يقول:

(إنني ألفت هذه الكتب ولم آل فيها جهداً، وأنا أجزم أن فيها غلطاً، ولكنني لا أعرف أين هذا الغلط، واستدل بقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. فإذا وقف أحد على غلط لي يتعارض مع الكتاب والسنة فأنا أعلن تبرئي منه، وإذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط).

إذا كان هذا الإمام يقول هذا، فماذا نقول فيمن سواه!!

ولكن غلط المجتهد لا ينقص من قدره شيئاً.

وأريد أن أقرر أن الذي يعمل معرض للخطأ.. أما الأموات، والأحياء الذين كالأموات، فهؤلاء لا يخطئون.

نادى الدكتور محمد الرشيد ببعض الآراء التربوية الجديدة التي لا تخالف الشريعة المطهرة من نحو دعوته إلى الإبداع والاختراع، والإفادة ممّا عند الآخرين لتستعيد هذه الأمة مكانتها، وتكون كما كانت خير أمة أُخرجت للناس.

ولم يقتصر اهتمامه على الطلاب دون الطالبات، بل كانت له آراء ومقترحات تتعلق بالرئاسة العامة لتعليم البنات، فكان مما اقترحه أن يكون للطالبات درس في الرياضة البدنية في مدارسهن، فأساء بعض الناس فهم الاقتراح، ونال الدكتور محمد بعض الأذى بسبب اتهامات باطلة.. إلى أن كانت جلسة مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في دار سماحته، وكنت أنا والأستاذ عبد الرحمن بن محمد توفيق الباني والدكتور عبد الله بن حمود التويجري والدكتور أحمد بن عثمان التويجري، وطلب سماحة الشيخ من الأستاذ عبد الرحمن الباني أن يقرأ نص الكلمة التي فيها الاقتراح المذكور.. وبعد أن سمع الشيخ الكلمة قرر أنه ليس فيها ما يدعو إلى الإنكار.

وكان محمد الرشيد يتصف بمناصحة كل من يعرفه بالحكمة والأسلوب الحسن، ويقبل نصيحتهم إن هم نصحوه، ويقول كلمة الحق بجرأة متحلية بالرفق، الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم برقم (٢٥٩٤).

والكلمة عندما تكون كذلك يتحقق بها النصح المطلوب فقد جعل رسول الله ﷺ الدين في النصيحة، وذلك في قوله: «الدين النصيحة»، قالوا لمن: يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم برقم (٥٥).

ومن ذلك كلمته الطيبة التي ألقاها في الجلسة الأولى لمجلس الشورى، وذلك في سنة ١٤١٤هـ عندما اختير عضواً فيه، وقد يحسن أن أورد سطوراً منها.

قال: (ونحن في هذا المجلس نخدم وطننا كله، ولا يجوز لأي منا أن يُؤثر بنظره، أو برأيه، أو باهتمامه جماعة أو قبيلة، أو منطقة من جماعات هذا الوطن وقبائله وأنحائه، والنظر للأمور التي تعرض على هذا المجلس والمناقشة فيه يجب أن تتسم كلها بالانطلاق

من المنظور الجمعي الكلي، وليس من المنظور الجزئي على أي نحو كان.. والتحيز في هذا المجلس هو لخدمة هذا الكيان، الذي نستظل بظله، ونحتمي بحماه، وهو للمصلحة العامة دون سواها.. والتعصب هو للحق الثابت وحده، وإذا كانت الدولة حرسها الله بنص النظام الأساسي للحكم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فإن هذا المجلس أحد العيون الواعية اليقظة المبصرة التي تبين المعروف، وتحض على الأمر به، وتشير إلى المنكر، وتنبه إلى خطورته، وضرورة الإلحاح في توقي وقوعه، ورفعها إذا كان بالفعل قد وقع.

ولذلك فإن المجلس لا يجوز أن يضيق صدره بالإشادة بالصواب الذي تصنعه مؤسسات هذه الدولة وهيئاتها كافة، بل ينبغي أن نشد على يد المحسنين من القائمين بالعمل فيها، وأن نقوي عزمهم بما يدعوهم إلى الاستمرار على تحري الصواب، وإلى تطوير أساليب الوصول إليه، وهذا صميم الأمر بالمعروف.

وحين نرى أمراً نعدّه خطأً غير محقق للصالح العام فإن المجلس لا يجوز أن يتردد في إسماع صوته إلى المسؤولين عنه، وإلى أولي الأمر، حتى يتمكنوا من منع تكراره، ويحولوا بين أصحابه وبين الإساءة إلى التجربة العظيمة التي تعيشها هذه البلاد بفضل الله ونعمته، ثم بعزيمة ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده، وصواب فكرهما، وسداد رأيهما، وإخلاصهما.. وهذا من صميم النهي عن المنكر، لكنه لا يكتمل إلا باقتراح البدائل الصحيحة للأساليب أو الممارسات أو الأوضاع الخاطئة، لأن الانتقاد وحده لا يصحح الوضع المطلوب تصحيحه، وإظهار النقص لا يقود إلى الكمال إلا إذا اقترن بإشارة هادية تعين على الوصول إليه.

وبقدر ما نكون عدولاً في الثناء والإطراء فلا نغلو ولا نزايد، وبقدر ما نكون عدولاً في التنبيه إلى الخطأ إن وجد فلا نفرط في حق الأمة علينا بالإغضاء عنه فتكون قد تحملنا مسؤوليتنا، وأمسينا وأصبحنا عند حسن ظن الذين منحونا الثقة الغالية، وكما أن صوابنا واقع، فإن الخطأ من كل أحد غير مستبعد، إذ لا عصمة لإنسان بعد رسول الله ﷺ، والعقل والحكمة يقتضيان ألا يضيق العقل والحكماء بانتقاد أخطائهم، بل إنهم بذلك يسعدون، ولذلك قال قائلهم: "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي".

ومن الأمور التي أحبُّ أن أذكرها عن إدارته أنه كان يبذل كل ما أتاه الله من طاقة ومقدرة وفكر في سبيل إحكام العمل الذي يقوم به، سواء كان في عمادته لكلية التربية أو إدارته مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، أو توليته وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً)، والاستفادة من طاقات من يعاونونه في عمله.

وكان الدكتور يعمل على تحقيق آماله ورغباته بروح الفريق، وكان يقول: «إن الجهود المتضافرة المتعاونة تستطيع أن تحقق المطلوب بالشكل الأصوب والأسرع، وكان يقدر للناصح نصحه، ويعمل به إذا رآه مناسباً».

ومما يذكر له التزامه بالدوام فقد كان يأتي إلى عمله مبكراً، ويطلب الآخرين بذلك، وكان يحرص في أيام وزارته على أن يحضر الطلاب في أول يوم من أيام الدوام. لقد كان محمد الرشيد من (الأكاديميين) الرواد الذين عادوا من ديار الغربية، ثم أظهروا أثرهم في بلادهم.

وكان صاحب دعاية، يروِّح بها عن نفسه، ويحقق بها كثيراً مما يريد، ويؤنس بها جلسيه، وقد تكون جواباً عن سؤال، أو تعليقاً بليغاً على موقف ما من المواقف. وتبدو دعايته واضحة في مجلسه الذي يعقده مساء كل سبت بين المغرب والعشاء، هذا المجلس الذي ينمو باستمرار ويتزايد رواده الذين يستقبلهم الرشيد ببشاشته المعروفة، ويسأل كل واحد منهم عن أموره الخاصة، وقد يسأله عن والده أو ولده وما إلى ذلك.. ويشارك الحاضرين الحديث الذي قد يتضمن بعض النكات المهدبة اللطيفة، وبعض القصص الواقعية الطريفة.

وقد تلقى في هذا المجلس القصائد والكلمات.. فمن ذلك أن الشاعر المصري الدكتور ربيع السعيد عبد الحليم ألقى في المجلس قصيدته التي عارض فيها قصيدة إيليا أبي ماضي التي تفيض بالقلق والحيرة والتشكيك في العقائد الدينية.. والتي شاعت وغنيت وفيها:

جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيتُ
 ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
 وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ
 كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقى
 لست أدري

فقال الدكتور ربيع معارضاً:

جئت دنياي، وأدري عن يقين كيف جئتُ
 جئت دنياي لأمر من هدى الآي جلوتُ
 ولقد أبصرتُ قدامي دليلاً فاهتديت
 ليت شعري كيف ضل القوم عنه
 ليت شعري

والقصيدة طويلة وتفيض بالإيمان بالروح الإسلامية المشرقة، ثم قدم الشاعر
 القصيدة إلى الدكتور الرشيد.

وأذكر كذلك الكلمة البليغة التي ألقاها في المجلس الأستاذ العلامة عبد الرحمن
 الباني -رحمه الله- عندما ترك الرشيد الوزارة، وقال فيها:

(إن الناس يُهنئون الوزراء عندما تُسند إليهم الوزارة، ولكنني أريد أن أهني أخي
 الدكتور محمد الرشيد اليوم على نجاحه في إدارة أمور وزارته وتحقيق كثير من أمني
 التربويين في أعماله الموفقة). وكذلك كانت تُلقي في هذه الجلسة أحياناً قصائد من
 الشعر النبطي، وقد يكون في الجلسة مناقشة لعدد من القضايا الاجتماعية والفكرية،
 ولبعض أحداث الساعة، وقد يكون للحاضرين أكثر من رأي.

وكان عظيم التفاؤل، يُحسن الظنّ بالمستقبل، ويسعى لتحقيق ما يرى أنه خير، ولا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلاً، وكان يدّرع الصبر ويردد بلسان الحال قول الشاعر:

أخلق بنّي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

أسأل الله أن يُسدّد خطاه على طريق الحق، وأن يديم عليه نعمه وفضله، ويقرّ عينه بأولاده وأسرته، وأن يجعله ممن طال عمره وحسن عمله.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



التربية الخاصة نماذج من النشاطات وشي، من الذكريات

أ.د. ناصر بن علي الموسى

تمهيد

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل التوفيق حليف قيادتنا الحكيمة في اختيار الكفاءات القادرة على خدمة الوطن والمواطن، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والزمان المناسب.

وقد كان هذا دأبها منذ تأسيس هذا الكيان العظيم على يد البطل الموحد، الرائد المجدد، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه - وحتى عهدنا الزاهر، عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود يحفظهما الله.

من منطلق أن الناس شهود الله في أرضه، وبحكم عملي تحت قيادة الدكتور محمد ابن أحمد الرشيد تسع سنين متواصلة، فإنني أستميح القارئ العزيز عذراً لأتحدث قليلاً عما أعرفه عن هذا الرجل، ولكن كيف؟ ومن أين أبدأ حديثي؟ هل أتحدث عن حب أبي أحمد وإخلاصه وتفانيه في سبيل خدمة دينه ومليكه؟ أم عن افتخاره واعتزازه بانتمائه

مستشار شؤون التعليم، والمشرّف العام على التربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم سابقاً.

إلى قيادته وأمته ووطنه؟ أم عن فكره التربوي الأصيل؟ أم عن القيم النبيلة، والمعاني السامية، والمبادئ العظيمة، والأفكار النيرة، والرؤى الواضحة، والتطلعات الكبيرة التي جاء بها إلى الوزارة، وجسد كثيراً منها في شعارات كان يرددتها، أهمها المقولة الشهيرة: «وراء كل أمة عظيمة، تربية عظيمة»، وكنت أداعبه أحياناً فأقول: «وراء كل تربية عظيمة، تربية خاصة عظيمة»، أم عن إيجاده بيئة عمل تسود فيها المحبة والمودة والإخاء، وروح الفريق الواحد، والعمل الجماعي، والرأي المشترك، والصراحة والشفافية، واحترام مرؤوسيه مع أسلوب محاسبي متحضر، أم عن تواصله المستمر مع زملائه من خلال أحاديثه اليومية، واجتماعاته الأسبوعية والشهرية، ولقاءاته السنوية؟ أم عن إنسانيته وحبه لزملائه وحرصه على تحسين أوضاعهم مادياً ومعنوياً، وتتبع أحوالهم بحيث يكون أول المهنيين في الأفراح، وأول الموسمين في الأتراح؟ أم عن المشروعات العملاقة التي لا يزال يعج بها الميدان التربوي حتى الآن، وأبرزها من وجهة نظري:

- دمج الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام.

- اكتشاف الموهوبين ورعايتهم.

- المشروع الشامل لتطوير المناهج.

- المدارس الرائدة.

- دمج التقنية بالتعليم.

- التقويم الشامل.

- اختبار كفايات المعلمين.

وأستميح أخي القارئ العزيز عذراً - مرة أخرى - لأركز بقية حديثي على همي الأكبر، وهاجسي الأعظم، وعشقي في الحياة، وهو التربية الخاصة التي انتقلت من أجلها من جامعة الملك سعود إلى وزارة التربية والتعليم، عندما كلفني أبو أحمد بالإشراف عليها، ووعدني حينذاك - مثلما وعد الكثيرين غيري ممن استقطبهم للعمل من خارج

الوزارة، أو الذين كلفهم بمهام معينة من داخلها - بأن السماء هي حدودنا، الأمر الذي يحتم على كل واحد منا أن يقف وقفة صادقة مع نفسه، ويتساءل ما الذي تحقق من ذلك الوعد؟

ومع تسليمي التام بعدم قدرة الإنسان على تحقيق كل ما يريد، إلا أنني أسجل شهادة حق هنا، مفادها أن أبا أحمد قد استطاع بكل صدق وأمانة أن يترجم توجهات قيادتنا الحكيمة بإيلاء ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة كل العناية والرعاية والاهتمام والدعم غير المحدود إلى قفزات سوف يسجلها التاريخ التربوي بأحرف من نور.

وفيما يلي استعراض سريع لبعض نماذج من أوجه النشاط، وشيء من الذكريات المرتبطة بمجال التربية الخاصة.

• قصة انتقالني من جامعة الملك سعود إلى وزارة المعارف كما كانت تسمى آنذاك:

في صباح يوم جميل من أيام الأسبوع الأخير لشهر ذي القعدة سنة ١٤١٦ هـ كنت جالساً في مكتبي بقسم التربية الخاصة في كلية التربية بجامعة الملك سعود، وكنت في سباق مع الزمن، أحاول أن أنهي بعض المهمات الخاصة بالقسم، حيث كانت مدة رئاستي الثانية للقسم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وكنت أشعر بشيء من الغبطة والسرور:

أولاً: لما تحقق للقسم من إنجازات كبيرة - والحمد لله -، كان من بينها الاستفادة من سياسة المملكة العربية السعودية الحكيمة، التي تركز على الاستثمار في الإنسان باعتباره الثروة الحقيقية للوطن، فتم ابتعاث عدد كبير من الطلاب والطالبات للدراسة في أعرق الجامعات العالمية، ليعودوا بعد ذلك مسلحين بسلاح العلم والمعرفة.

وثانياً: أنني كنت أتطلع إلى التفرغ للعمل الأكاديمي، حيث استحوذ العمل الإداري بالقسم على معظم وقتي، فأنا من الذين يتبعون أسلوب القيادة بالقدوة، فكان عبئي التدريسي لا يقل عن عشرين ساعة في كثير من الأحيان، بالإضافة إلى رئاسة القسم، ومزاولة أوجه النشاط التي تخدم الجامعة والمجتمع.

وتفرغي للعمل الأكاديمي الذي يستهويني كثيراً سوف يمكنني من تنفيذ الخطة التي كنت قد وضعتها لنفسني، والتي تتضمن إجراء العديد من البحوث والدراسات وتأليف أو ترجمة بعض الكتب التي تحتاجها مقررات الخطة الدراسية في القسم.

وبينما أنا منهمك في العمل لإكمال خطة مرحلة ماضية، ومستغرق في التفكير لتنفيذ خطة مرحلة قادمة هاتفتني الزميل العزيز الدكتور سعود بن صالح المصيبيح، وكان وقتها يشغل منصب مدير عام الإعلام التربوي في الوزارة، وكان من المسميات الجديدة التي تم استحداثها آنذاك.

فظننت أنه سوف يطلب مني المشاركة مرة أخرى في برنامجه التليفزيوني الجيد (دعوة للحوار)، لكنه بدلاً من ذلك أبلغني بأن الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف يدعوني لزيارته في مكتبه بالوزارة، وفي أثناء زيارتي لأبي أحمد في مكتبه بالوزارة تجاذبنا أطراف الحديث، ثم ما لبث أن عرض عليّ فكرة الإشراف على التعليم الخاص بالوزارة، كما كان يسمى آنذاك، فترددت كثيراً لسببين:

الأول: أنني كنت أحب العمل في الجامعة كثيراً، فقد هيأت لنا الدولة - يحفظها الله - في الجامعات السعودية بيئات تمكننا من تحقيق طموحاتنا واستثمار أقصى إمكاناتنا وقدراتنا.

والثاني: هو أنني كنت على معرفة تامة بواقع التعليم الخاص في الوزارة، وكنت أدرك أنه يحتاج إلى تغيير جوهري في فلسفاته وسياساته وتوجهاته، وتطوير حقيقي لأنظمتة ولوائحه وأطره وقواعده التي تحكم عمله، وجهد كبير لإيجاد الخطط والأدوات والإستراتيجيات التي تضمن - بإذن الله تعالى - تفعيل دوره.

ثم قلت له: إنني صاحب رسالة، ولست بصاحب منصب.

قال: ومن أجل ذلك اخترتك للقيام بهذه المهمة.

ووعدني بأنه سوف يوفر الدعم اللازم للتربية الخاصة، لتمكينني من أداء رسالتي.

وما زلت أتذكر بعض العبارات التي استخدمتها لإقناعي بقبول الفكرة، كان منها: «إنك الآن أمام خيارين: إما أن تقبل بهذه الفكرة، فتنتقل من مرحلة التنظير في مجال التربية الخاصة إلى مرحلة التطبيق، وإما أن تظل في الجامعة تظن وتنتظر من يأتي لتطبيق أفكارك ونظرياتك».

وأردف يقول: «إن صاحب الرسالة لا بد أن يكون قد نذر نفسه ووقته وجهده لخدمة الفئة المستهدفة بهذه الرسالة، وأرى أن الفرصة المتاحة لك الآن تمكنك من خدمة وطنك من خلال العناية بفئة عالية على قلوبنا جميعاً».

فدفعني حبي لقيادتي ووطنني والفئات الخاصة إلى استثمار الفرصة المتاحة أمامي، فالفرص قد تأتي ولا تعود، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة أمر حتمي إذا ما أردنا أن نسهم في خدمة وطننا.

وأذكر أن أهم عملين قمت بهما في أيامي الأولى في الوزارة هما:

١ - تغيير مسمى الأمانة العامة للتعليم الخاص إلى الأمانة العامة للتربية الخاصة، وذلك لاقتناعي التام بشمولية مفهوم التربية، خصوصاً أن مصادر التعليم والتعلم قد تعددت في ظل الثورة المعلوماتية التي يشهدها عصرنا الحاضر، ومفهوم الشمولية هذا يصدق أكثر في حق الفئات الخاصة التي تحتاج إلى أساليب تربوية لا تمكنها من النجاح في المدرسة فحسب، وإنما في الحياة بشكل عام.

٢ - وضع إستراتيجية للتربية الخاصة تركز على عشرة محاور، نص المحور الأول منها على تفعيل دور المدارس العادية في مجال تربية وتعليم الأطفال غير العاديين، وهو ما يُعرف بالدمج التربوي، ونص محور آخر من هذه الإستراتيجية على تنمية الكوادر البشرية في جهاز الوزارة وفي الميدان التربوي.

وهذه الإستراتيجية موثقة في كتابي الذي صدر في سنة ١٤١٩هـ بعنوان: «مسيرة التربية الخاصة في وزارة المعارف في ظللال الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية

السعودية»، وكذلك في كتابي الثاني المعنون: «مسيرة التربية الخاصة في المملكة العربية السعودية: من العزل إلى الدمج» الذي صدر في سنة ١٤٢٩هـ.

ونظراً لما لأسلوب الدمج التربوي من فاعلية تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية، فقد أحدث نقلة هائلة في مجال تربية وتعليم التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.

فمن حيث النمو الكمي ارتفع عدد معاهد وبرامج التربية الخاصة من (٦٦) معهداً وبرنامجاً للبنين والبنات في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (٣٢٣٩) معهداً وبرنامجاً للبنين والبنات في العام الدراسي ١٤٢٧/١٤٢٨هـ، كما ارتفع عدد طلاب هذه المعاهد والبرامج من (٧٧٢٥) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ إلى (٦١٩٨٦) طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٤٢٧/١٤٢٨هـ.

أما التطور النوعي، فيتمثل فيما يلي:

١- جاءت الزيادة المشار إليها آنفاً في عدد المعاهد والبرامج لصالح البرامج المستحدثة في مدارس التعليم العام على حساب المعاهد، إذ كان عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤١٥/١٤١٦هـ (٥٤) معهداً للبنين والبنات، وكان عدد البرامج في ذلك العام (١٢) برنامجاً للبنين، بينما أصبح عدد المعاهد في العام الدراسي ١٤٢٧/١٤٢٨هـ (٦٨) معهداً للبنين والبنات، وأصبح عدد البرامج (٣١٧١) برنامجاً للبنين والبنات، وحتى الزيادة الضئيلة في عدد المعاهد تعود إلى تحول بعض المعاهد ذات المراحل المتعددة إلى أكثر من معهد بالنسبة للبنين، أو افتتاح معاهد جديدة للبنات.

ونتيجة لذلك أصبحت أعداد التلاميذ الملحقين ببرامج التربية الخاصة في المدارس العادية تفوق كثيراً أعداد أقرانهم الملحقين بالمعاهد والبرامج التابعة لها، حيث شكل التلاميذ ذوو الاحتياجات التربوية الخاصة المدمجون في المدارس العادية في العام الدراسي ١٤٢٧/١٤٢٨هـ نسبة (٩٣٪) من إجمالي تلاميذ التربية الخاصة، وشكلت نسبة التلميذات ذوات الاحتياجات التربوية الخاصة المدمجات في المدارس العادية (٧٣٪) من إجمالي تلميذات التربية الخاصة.

٢- لم تعد التربية الخاصة تتركز في المدن ذات الكثافة السكانية فحسب، وإنما أخذت تتسع ببرامجها لتشمل المدن الأقل كثافة، بل وحتى القرى والأرياف في مملكتنا مترامية الأطراف.

٣- لم تعد التربية الخاصة مقصورة على فئات المعوقين التقليدية المعروفة، وهي: المكفوفون، والصم، والمتخلفون عقلياً، بل امتدت لتشمل فئات أخرى كثيرة مثل: الموهوبين والمتفوقين، وضعاف البصر، وضعاف السمع، وذوي صعوبات التعلم، والمعوقين جسدياً وحركياً، والتوحيدين، ومتعددي العوق، وغير ذلك من الفئات التي تندرج في نطاق المفهوم الشامل الحديث للتربية الخاصة.

٤- تعددت أنماط تقديم خدمات التربية الخاصة في المملكة، فقد أصبح لدينا معاهد داخلية (Residential Schools)، ومعاهد نهائية (Day Schools)، وفصول خاصة ملحقة بالمدارس العادية (Special Classes or Self-Contained Classes)، وبرامج غرف مصادر (Resource Room Programs)، وبرامج معلم متجول (Itinerant Teacher Programs)، وبرامج معلم مستشار (Teacher-Consultant Programs)، وبرامج متابعة في التربية الخاصة (Follow-up Programs)، مما أدى إلى تلبية احتياجات الأطفال غير العاديين على اختلاف فئاتهم.

٥- أظهرت نتائج الاختبارات التحصيلية في السنوات الماضية تفوق بعض التلاميذ المكفوفين المدموجين على أقرانهم المبصرين في بعض مدارس المملكة.

وقد عمل الدمج التربوي على تمكين التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة من البقاء مع أسرهم في بيئاتهم المحلية، وإخراجهم من عزلتهم التي طالما عانوا منها طويلاً.

وأصبحت تجربة المملكة العربية السعودية في مجال الدمج التربوي رائدة ومعروفة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج باسم: (النموذج السعودي)، وطفقت دول عربية كثيرة تطلب من المملكة الاستفادة من هذه التجربة، وهي - والحمد لله - موثقة

الآن في دراسة بعنوان: «الدراسة الوطنية لتقييم تجربة المملكة العربية السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام»، وقد صدرت هذه الدراسة مؤخراً في كتاب عن وزارة التربية والتعليم في المملكة.

• بدايات التوسع في برامج الدمج بمدارس التعليم العام

تم افتتاح أول برنامج لصعوبات التعلم - بشكل مبدئي - في المدرسة الابتدائية بمجمع الملك سعود بالرياض، وكان ذلك في العام الدراسي ١٤١٤ / ١٤١٥ هـ، وكنت وقتها ما زلت أعمل في الجامعة، وأتذكر أنني قمت أنا والصدیق الحبيب والزمیل العزيز الدكتور إبراهيم بن سعد أبونيان، وهو عضو هيئة تدريس في قسم التربية الخاصة بجامعة الملك سعود بزيارة لهذه المدرسة، والتقينا مديرها الأستاذ فهد بن عبدالعزیز العقيل، وكان مديراً متميزاً، فعرضنا عليه فكرة البرنامج، وشرحنا له دور غرفة المصادر، وما تحتاجه من مستلزمات مكانية وتجهيزية وبشرية، فرحب بالفكرة، بل تحمس لها كثيراً، وقدم كل ما يملك من دعم للبرنامج، برغم أنه لم يكن يحصل على أي حوافز مادية في هذا السبيل.

بعد أن تم تطبيق إستراتيجية التربية الخاصة ذات المحاور العشرة تم تطوير هذا البرنامج ليصبح من أكبر برامج صعوبات التعلم في المملكة.

وفي العام الدراسي ١٤١٩ / ١٤٢٠ هـ تم افتتاح برنامج للمكفوفين، فأصبح في هذه المدرسة برنامجان: أحدهما للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، والآخر للتلاميذ المكفوفين.

وأتذكر أنه في العام الأول لافتتاح برنامج المكفوفين في هذه المدرسة استوقفني أحد الزملاء من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود، وأنا خارج من مسجد السكن بالجامعة، حيث كنت ما زلت أسكن هناك رغم إعارتي للوزارة، فقال لي، وكان في حالة غضب واستياء: «أظن أنك ظالم لنفسك، وظالم للفئات الخاصة بدمجهم في مدارس التعليم العام».

فقلت له: وما ذلك؟!

قال: إنني كنت صباح هذا اليوم في مجمع الملك سعود، فرأيت منظرًا أزعجني كثيراً، لقد رأيت طالباً كفيفاً يخرج من الصف مسرعاً، ورأيت التلاميذ المبصرين يتبعونه ليتجمعوا بعد ذلك حوله.

قلت له: وهل اقتربت منهم لتعرف ما يجري؟

قال: لا، لكنني أظن أنهم اتبعوه ليضربوه، أو ليهزؤوا به، أو ليسخروا منه.

قلت: نزور المدرسة غداً، ونقف على ما يجري.

فذهبنا بالفعل، والتقيننا مدير المدرسة، وانتظرنا في غرفة الإدارة، وحين بدأت الفسحة خرج الطالب الكفيف وقائده بهرولان، والطلاب المبصرون يتبعونهما حتى وصلوا إلى المكان الذي يتجمعون فيه كل صباح، فانطلقنا أنا وصاحبي ومدير المدرسة لتتعرف على ما يحدث، فوجدنا (بلالاً)، وهو طالب يعاني من إعاقتين: إحداهما كف البصر، والأخرى صعوبة التعلم يقص على زملائه القصص، ويحكي لهم الحكايات، وهم متعلقون من حوله مزهوون مبهجون بما يسمعون، فأدركنا أن الله الذي ابتلى (بلالاً) بالإعاقات قد أنعم عليه بنعمة عظيمة، وهي موهبة سرد الحكايات، فهو (حكواتي المدرسة).

وفي نفس العام الدراسي هاتفتني أحد أبنائي من التلاميذ المكفوفين في مدرسة طارق بن زياد بجازان، وراح في شغف يحدثني عن نجاحاته وإنجازاته في المدرسة، ثم قال: لكنني أعاني من مشكلة وحيدة، فقلت له: وما هي يا محمد؟!

قال: إنه ذلك الطالب الكفيف الذي يدرس معي في نفس الصف، فقلت له: وما شأنه؟ قال: إنه هو الطالب الوحيد الذي يناقسنني بقوة على المركز الأول في الصف، فقلت له: وماذا عن زملائك المبصرين؟

فأجاب: «هؤلاء لا يهتمونني، فكلهم على جنب».

وفي صباح يوم جميل زرت إحدى المدارس التي يوجد بها برنامج تربية فكرية، فأتلح صدري، وسرَّ خاطري، وأبهج نفسي أحد أبنائي الأعمى من ذوي الإعاقة العقلية، عندما ألقى كلمة جميلة في الطابور الصباحي عبر فيها عن مشاعره ومشاعر زملائه بدمجهم مع أقرانهم في المدارس العادية.

وبعد أن أنهى كلمته صفق له زملاؤه وأسأذته بحرارة، برغم أنه كان يعاني من صعوبات شديدة في النطق، وأفادوني بأنه موهوب في الرسم كذلك.

ووقفت على كثير من المدارس التي تطبق برامج الدمج للمعوقين سمعياً، فأفادني الزملاء في هذه المدارس بأن بعض الطلاب الصم يتفوقون على أقرانهم السامعين في بعض الألعاب الرياضية واستخدامات الحاسب الآلي.

وكثيراً ما ينبهر منسوبو المدارس العادية من إداريين ومعلمين وتلاميذ من القدرات والمواهب التي يتمتع بها بعض أبنائنا من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، أو التلاميذ ذوي التوحد، أو التلاميذ ذوي العوق المتعدد، أو غيرهم من الفئات الخاصة الأخرى.

وقد أسهمت جائزة الشيخ محمد بن صالح بن سلطان للتفوق العلمي والإبداع في التربية الخاصة - مؤخراً - في إبراز هذه المواهب والقدرات، فسبحان الذي يأخذ ويعوض، ويهب ويسلب، وينعم ويحرم، وهو العليم الحكيم.

وبشكل عام، أتذكر أننا في البدايات واجهنا صعوبات جمة في إقناع مدارس التعليم العام باستحداث برامج دمج للفئات الخاصة على اختلافها، غير أن الحوافز المادية والمعنوية التي تقدمها الدولة - رعاها الله - للذين تنطبق عليهم ضوابط التربية الخاصة من الجهازين الإداري والتدريسي في المدرسة جعلت المدارس تتنافس كثيراً على افتتاح برامج الدمج.

وهذا الدعم الذي يحظى به المعنيون في المدارس التي تطبق هذه البرامج يأتي انسجاماً مع نتائج الأبحاث وخلاصة التجارب والخبرات التي تؤكد أن نجاح برنامج الدمج مرهون بالاتجاهات الإيجابية لدى منسوبي المدرسة.

حتى النشاط اللاصفي الذي يعد من أهم الوسائل التي تعمل على تفعيل دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام لم تتم الاستفادة منه بشكل جيد في البدايات، فقد كنا نعاني كثيراً من تردد إدارات التعليم في إشراك ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في أوجه النشاط المدرسي العام، وكان بعض هذه الإدارات يصر على ضرورة إقامة نشاط متعدد منفصل خاص بهذه الفئات، كما كان يحدث في الماضي، بيد أنه سرعان ما اتضح لهذه الإدارات أن إشراك هذه الفئات في النشاط العام يضيف بُعداً جديداً، ويقدم إضافة مختلفة تشد انتباه الجمهور، وتثير إعجابه.

وأذكر أنه في الدورة الرياضية المدرسية الأولى التي نظمت في مدينة جدة سنة ١٤١٩هـ برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد، عمد منسوبو إدارة التعليم في جدة، وعلى رأسهم معالي الدكتور خضر ابن عليان القرشي، نائب وزير التربية والتعليم لشؤون تعليم البنات سابقاً، ومدير التعليم آنذاك في جدة إلى تخصيص فقرة لذوي الاحتياجات التربوية الخاصة ضمن فعاليات برنامج افتتاح هذه الدورة، وكانت هذه الفقرة عبارة عن كلمة ألقاها أحد التلاميذ المكفوفين بطريقة برايل، وعبر عنها أحد التلاميذ الصم بلغة الإشارة، فصفق لهما الحاضرون طويلاً بكل الإعجاب والاندهاش.

وحظي التلميذان بشرف السلام على راعي الحفل الذي أعادق عليهما كعادته -يحفظه الله- في مثل هذه المواقف كل المحبة والمودة والحنان.

وما زال قادة العمل التربوي يتذكرون الأثر العميق الذي تركته هذه المشاركة ومثيلاتها على الجماهير الغفيرة التي تشارك في فعاليات النشاط المدرسي.

مبنى الأمانة العامة للتربية الخاصة

• كان مقر الأمانة العامة للتعليم الخاص بالوزارة عبارة عن غرفتين وصالة، ولذلك عندما باشرت عملي في الوزارة في ١/١/١٤١٧ هـ، كنت أتقل بين الغرفتين والصالة حتى تم تجهيز مكتب خاص بي.

وأذكر أنه بتوجيه من معالي الوزير بذل الأستاذ محمد بن حمد النوح، وكان وقتها يشغل منصب مدير عام الشؤون المالية والإدارية بالوزارة جهداً كبيراً في تجهيز ذلك المكتب، وباشرت العمل فيه خلال الأسبوع الثاني من عملي في الوزارة، غير أن الأعداد الكبيرة التي تم استقطابها للعمل في مجال التربية الخاصة إنفاذاً لخطة العمل التي اقتضتها إستراتيجية التربية الخاصة ذات المحاور العشرة جعلت هذا الحيز الضيق يعجز عن استيعاب الملتحقين بالتربية الخاصة، فعرضت الأمر على معالي الوزير، فقال: وماذا ترى؟

قلت: تنتقل الأمانة العامة للتربية الخاصة إلى مبنى المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين سابقاً، الذي صدر قرار مجلس الوزراء بإلحاقه بوزارة المعارف، وقد تم تشييد المبنى على أرض ممنوحة من الدولة تقدر مساحتها بحوالي ٧٠٠٠ متر.

وفي صيف عام ١٤١٧ هـ انتقلت الأمانة العامة للتربية الخاصة بكامل إداراتها وموظفيها إلى هذا المبنى، واتخذته مقراً دائماً لها.

وانضم منسوبو المكتب الإقليمي للجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين سابقاً إلى منسوبي الأمانة العامة للتربية الخاصة بالوزارة، وسادت في هذا المبنى روح المحبة والمودة والإخاء، ومبدأ التعاون والتآزر والتآخي، وأصبح الجميع يعملون بروح الفريق الواحد، وطقق الزملاء يتنافسون في التفاني والإخلاص في العمل، وأصبحت الأمانة العامة للتربية الخاصة تعج بالنشاط في الحقتين الصباحية والمسائية، فكنا في الحقبة الصباحية نزاول أعمالنا الرسمية، وهي واجبات نؤديها بأجر، أما الحقبة المسائية فقد

خصصناها لاجتماعات الأسرة الوطنية للتربية الخاصة، وكذلك اجتماعات المجموعات الاستشارية التخصصية، وعددها عشر مجموعات تشمل جميع تخصصات الإعاقة المختلفة، وتتكون كل مجموعة من رئيس وعشرة أعضاء هم من المشرفين التربويين والمعلمين وأولياء الأمور، وكان الجميع في هذه المجموعات يعملون بشكل تطوعي ما عدا رؤساء المجموعات الذين تم استقطابهم من أعضاء هيئة التدريس بقسم التربية الخاصة في جامعة الملك سعود ليعملوا في الوزارة مستشارين غير متفرغين.

وكانت المهمة الرئيسية لهذه المجموعات هي إعداد الخطط، ووضع الإستراتيجيات، وتصميم التصورات التي يتم عرضها - عادة - على مجلس الأمانة العامة للتربية الخاصة الذي كان يعقد أسبوعياً في تمام الساعة الثامنة من صباح كل أحد، وكان هذا المجلس يتكون من: المشرف العام على التربية الخاصة.. رئيساً، وأمين عام التربية الخاصة، ومديري الإدارات في الأمانة.. أعضاء.

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٤٢١ هـ، وفي صباح يوم باكر من أيام ذلك الشهر هاتفتني أبو أحمد، وقال لي: إن عليكم أن تبحثوا عن مبنى آخر ليكون مقراً للأمانة العامة للتربية الخاصة.

فقلت له: ما الخبر يا أبا أحمد؟!

فأفادني بأنه تلقى خطاباً كريماً من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض يأمر فيه بإخلاء المبنى لصالح شرطة حي السفارات، وأضاف يقول: وقد استشرت بعض الزملاء في الوزارة، فرأوا ضرورة البحث عن مبنى جديد للتربية الخاصة.

فقلت له: نعرض الأمر على سمو الأمير فتردد قليلاً، ثم وافق.

توجه معالي الوزير وأنا بصحبته لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض تدفعنا معرفتنا التامة بأن جميع الذين يعرفون سلمان

ابن عبد العزيز الإنسان يجمعون على أنه رجل موهوب آتاه الله الحكمة، والذكاء، والعمق في التفكير، وبُعد النظر، والفتنة، وسرعة البديهة، والقدرة على العزم والحسم في المواقف المهمة، وغير ذلك من الصفات القيادية، كما أن الله - سبحانه وتعالى - قد منَّ على هذا الأمير الإنسان بالعلم الغزير، والحلم الوفير، والأدب الكثير، والتواضع الجَم، والخُلُق الرفيع، والتعامل الراقي، وغير ذلك من السجايا الحميدة.

دخلنا على سموه في مكتبه، فرحب بنا، وقال: «حيا الله أهل الجمعية»، قلنا: «بل حيا الله أهل وزارة المعارف»، فضحك - يحفظه الله - وأجلسنا، فأشار إليه معالي وزير المعارف بأن لدي كلمة أرغب في التشرف بإلقائها بين يدي سموه الكريم، فأذن لي بذلك، وأشار إلي بعدم الإطالة، فشرعت في إلقاء كلمتي، وهي كلمة مكتوبة بطريقة برايل.

وقد حرص معالي الوزير وأنا أن تكون الكلمة مكتوبة رغبة منا في عرض الأفكار على النظر الكريم بشكل دقيق ينسجم والخصائص والصفات التي يتمتع بها سموه الكريم - يحفظه الله -.

تحدثت في هذه الكلمة عن تاريخ المبنى، وإسهام الدولة - يحفظها الله - في إنشائه، وأنه تم تصميمه خصيصاً للمكفوفين، وأنه يشتمل على بعض الأجهزة والأدوات التي تم تثبيتها في أرضية المبنى، ويصعب نقلها إلى مبنى آخر، فقال لي سموه: «إن كان لديكم وثائق تثبت هذا الكلام الذي قلته، فالمبنى ميناكم، وإن لم يكن كذلك، فعليكم أن تخلوا المبنى بأسرع وقت ممكن».

فقلنا: نعم لدينا ما يثبت هذا، وقدمنا لسموه الكريم ملفاً متكاملاً يشتمل على التقارير والقرارات الخاصة بهذا المبنى.

وفي ظهيرة ذلك اليوم اتصل - يحفظه الله - هاتقياً بمعالي وزير المعارف، وقال له: «علمكم غانم» وأبلغه أنه بإمكان الأمانة العامة للتربية الخاصة أن تبقى في هذا المبنى، وأنه قد عمّد شرطة حي السفارات بالبحث عن مبنى آخر.

وفي صبيحة اليوم اللاحق أرسل - يحفظه الله - خطاباً توثيقياً بهذا المعنى إلى معالي وزير المعارف الذي أرسل بدوره خطاب شكر وتقدير إلى سموه الكريم على هذا الموقف الإنساني النبيل، وظلت الأمانة العامة للتربية الخاصة في مقرها الدائم في حي السفارات حتى وقتنا الحاضر.

• اجتماعات ولقاءات الوزارة

كان يتصدر اللقاءات والاجتماعات التربوية جميعاً اللقاء الأهم، اللقاء الذي كان قادة العمل التربوي في المملكة يترقبونه في - كل عام - بشغف شديد وشوق أكيد، إنه لقاء منسوبي التعليم بولاية الأمر - يحفظهم الله - في بلادنا الحبيبة، فقد تشرفتنا - عدة مرات - بالسلام على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله - وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - يحفظه الله -، عندما كان ولياً للعهد، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، الرئيس الأعلى لمؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية - آنذاك رحمه الله - عندما كان نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ولي العهد وزير الداخلية - سلمه الله - وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء.

وأنا على يقين تام بأن جميع الذين حظوا بهذا الشرف العظيم سيظلون يتذكرون بكل الفخر والاعتزاز الأحاسيس والمشاعر والخواطر التي كانت تتابنا قبل اللقاء، وفي أثناء اللقاء، وبعد اللقاء.

فأما قبل اللقاء، فكنا نستشعر أهمية الموقف، ونعد له عدته، ونحرص على انتقاء العبارات والمرثيات التي من خلالها نعرض الهم التربوي على الأنظار الكريمة، وأما في أثناء اللقاء، فقد كنا نعيش نشوة الحدث، ونحيا طيب الأجواء، وننعم بسمو الإنسان، وعبق المكان، ورائحة الزمان، فقادتنا - يحفظهم الله - يغمرون كل من يتشرف بزيارتهم بحسن الاستقبال، ونبل الكرم، ورفي التعامل، وكريم الرعاية، وفوق هذا وذاك

التوجيهات السديدة، والتعليمات المفيدة، وبعد اللقاء نخرج بقلوب مفعمة بالمحبة والمودة، والاحترام والتقدير، والاعتزاز والافتخار، ومشاعر تعجز عن وصفها الكلمات، غير أن لسان حالنا يقول دائماً إن الله - سبحانه وتعالى - قد استجاب لدعاء المسلمين، وهم يرددون: «اللهم ولي علينا خيارنا»، فقد اختصنا ربنا - جل وعلا - بقيادة حكيمة واعية رشيدة نذرت نفسها ووقتها وجهدها في سبيل خدمة وطنها ومواطنيها.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل بكل الفخر والاعتزاز مشاعر الغبطة والسعادة والمسرة التي يشعر بها قادتنا - يحفظهم الله -، عندما نهدي لهم نسخاً من القرآن الكريم المطبوع بطريقة برايل، باعتبار ذلك خدمة لأقدس كتاب على وجه البسيطة، وسرعان ما تتم ترجمة هذه المشاعر النبيلة إلى دعم غير محدود لمطابع خادم الحرمين الشريفين لطباعة القرآن الكريم بطريقة برايل.

وبالإضافة إلى الاجتماعات واللقاءات التي كانت تعقد بغرض دراسة ومناقشة موضوعات محددة، كانت الوزارة تعقد اجتماعات ولقاءات دورية دائمة، فكان هناك الاجتماع الأسبوعي، وهو اجتماع يعقد في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء، وهو ينعقد برئاسة معالي الوزير، وعضوية معالي نائبه لشؤون تعليم البنات، ووكلاء الوزارة ومن في حكمهم، بالإضافة إلى مدير تعليم الرياض.

وكان هناك الاجتماع الشهري، وهو أيضاً ينعقد في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء، ويرأس هذا الاجتماع معالي الوزير، ويشارك فيه معالي نائبه لشؤون تعليم البنات، والوكلاء ومن في حكمهم، ومديرو العموم في الوزارة ومن في حكمهم، ومدير تعليم الرياض، وأحياناً يشارك في هذا الاجتماع بعض مديري التعليم في المناطق والمحافظات.

وفي هذين الاجتماعين كان يتم استعراض المستجدات في كافة قطاعات الوزارة، وكذلك تبادل الرؤى والأفكار والتجارب والخبرات، بالإضافة إلى تقديم المقترحات والتصورات والأطروحات، وكانت هناك متابعة حاسوبية لتنفيذ القرارات والتوصيات التي تتخذ في هذين الاجتماعين.

وأذكر أننا كنا نحرص حرصاً شديداً على إبراز دور قطاعاتنا وأهميتها في الوزارة، كما أذكر أننا كنا نتسابق على الحضور مبكرين للوزارة قبل انعقاد الاجتماع، لنتمكن من عرض المعاملات التي نرغب من معالي الوزير الموافقة عليها أو اعتمادها.

وفي هذا الصدد أتذكر أنني كنت في مداعبة مستمرة مع أخي وصديقي الأستاذ أحمد بن سليمان الأحمد مدير مكتب معالي الوزير، فقد كان يطلب مني أن يتم تقييد المعاملات قبل عرضها على معاليه، حيث كنت أعرضها قبل تقييدها.

كان يخشى أن تضيع المعاملة إذا لم يتم تقييدها، لكنني كنت على ثقة تامة بأنها لن تضيع، لأنني كنت أشرف على متابعتها بنفسي.

وبالإضافة إلى هذين الاجتماعين كان هناك لقاء قادة العمل التربوي، وهو لقاء سنوي تنظمه إحدى إدارات التعليم في بلادنا برعاية كريمة من سمو أمير المنطقة، وكانت إدارات التعليم في مناطق ومحافظات المملكة تتنافس على التنظيم والترتيب لهذا اللقاء، وهو لقاء له جانبان: جانب علمي تقدم فيه الأبحاث والدراسات وأوراق العمل، وجانب إجرائي تناقش فيه الأمور والقضايا الإدارية والمالية وغيرها.

وأذكر أننا كنا نتوق كثيراً إلى المشاركة في هذا اللقاء، فبالإضافة إلى الإثراء العلمي والفكري، والتواصل الاجتماعي، والتعميق في النهج الإجرائي، كنا نتعرف عن قرب على زملائنا قادة العمل التربوي في جزء غال من بلادنا الحبيبة.

وكنت أبذل جهداً كبيراً في الحصول على أوراق العمل والأبحاث والدراسات قبل انعقاد اللقاء بوقت كاف حتى أتمكن من قراءتها قراءة متأنية، وكنت أحياناً أحفظ عن ظهر قلب أرقام الصفحات، وأرقام الأسطر، بل وحتى العبارات.

وكنت أحرص حرصاً شديداً على إبلاغ رئيس الجلسة برغبتي في المداخلة في جلسته قبل انعقادها بيوم أو يومين، وما ذاك إلا لوجود رغبة أكيدة لدى جميع المشاركين في اللقاء في المداخلات والاستفسارات والتعليقات والتعقيبات، حيث كانت تسود في هذا اللقاء

روح النشاط والحيوية والحماس والرغبة الصادقة في إثراء اللقاء الذي كان يشارك فيه منسوبو الوزارة، وعلى رأسهم معالي الوزير، ومعالي نائبه لشؤون تعليم البنات، والوكلاء، ومديرو العموم، وكذلك منسوبو إدارات التعليم، بالإضافة إلى بعض العلماء والخبراء.

والشيء العجيب أن كلاً منا - بعد هذه الاجتماعات واللقاءات - كان يظن أنه هو الأقرب إلى قلب أبي أحمد، وأن قطاعه هو الأول في سلم أولوياته لما كنا نجد منه من دعم ومؤازرة ومساندة وتشجيع وتحفيز.

• المؤتمرات

حرصاً من الوزارة على إبراز دور المملكة في المحافل الدولية والإقليمية كانت تشجع على المشاركة في المؤتمرات والملتقيات والندوات التي تخص الشأن التربوي، وسوف أكتفي بالإشارة إلى بعض ذكرياتي في مؤتمرات ثلاثة فقط:

- المؤتمر الأول:

هو المؤتمر العام لليونسكو الذي عقد في سنة ١٩٩٧ م في العاصمة الفرنسية باريس.

ومن الذكريات التي أعتز بها كثيراً في هذا المؤتمر المداخلات والتعليقات التي أسهمت بها، والأهم من ذلك أن زملائي أعضاء الوفد السعودي قد شرفوني بإلقاء كلمة المملكة في جلسة تم تخصيصها للحديث عن: «التعليم للجميع مدى الحياة»، وانصب التركيز فيها على تربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة.

فكان ممثلو الدول يتعاقبون على المنبر يتحدثون عن الإنجازات التي تحققت لذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في بلدانهم، ثم ألقى كلمة المملكة، وكان مما قلته: «إنه يكفي بلادي فخراً أنني أنا المعوق الوحيد في هذا الحشد الكبير من صفوف العلماء والخبراء في العالم، فصفق الحاضرون طويلاً، ليس إعجاباً بي بطبيعة الحال، وإنما إعجاباً بالمملكة العربية السعودية التي هيأت لي ولأمثالي كل أسباب النجاح والتفوق».

- المؤتمر الثاني:

هو المؤتمر القومي الثامن: «معاً على طريق الدمج الشامل لذوي الاحتياجات الخاصة في الوطن العربي» الذي نظمه اتحاد هيئات رعاية الفئات الخاصة والمعوقين بجمهورية مصر العربية، والذي عقد في سنة ٢٠٠٢ م بالقاهرة، وقد شاركت في هذا المؤتمر بتقديم ورقة عمل عن تجربة المملكة العربية السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام.

وفي أثناء المناقشة طلب الكلمة الأستاذ الدكتور عبد المنعم نور، وهو رجل فاضل كريم، ورائد من رواد العمل في مجال رعاية الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة بمصر، فقد عمل مديراً للمركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين بالقاهرة، كما عمل في كلية الآداب بجامعة الملك سعود حقبة من الزمن، ثم عاد مرة أخرى إلى المركز، وكانت قد تقدمت به السن، إلا أنه كان - يرحمه الله - يصر على المشاركة في المؤتمرات والفعاليات الخاصة بالإعاقة والمعوقين.

سألني الأستاذ الدكتور نور السؤال الآتي:

دكتور موسى: هل استثمرتم مصر عند تطبيق هذه التجربة؟!

فابتسمت، وأشدت بدور الدكتور نور البارز في خدمة ذوي الاحتياجات الخاصة عامة، والمكفوفين على وجه الخصوص، كما أشدت بدور مصر الفاعل في دفع مسيرة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ودول الخليج، خاصة في أيامها الأولى.

ثم قلت: لكن دول الخليج، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بما منَّ الله عليها من ثروات استثمرت كثيراً في الإنسان باعتباره الثروة الحقيقية، وابتعثت مجموعة كبيرة من مواطنيها للدراسة في الخارج، وعادوا مسلحين بسلاح العلم والمعرفة، وأحدثوا بدعم قيادتهم نقلة كمية ونوعية كبيرة في مجال تربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة، ونحن في هذا الإطار نرد الجميل إلى الشقيقة مصر من خلال إهدائك هذه

التجربة، التي نأمل أن تستفيدوا منها، فاستحسن الحاضرون هذا الكلام، وأبدوا رغبتهم الأكيدة في الاستفادة من تجربة المملكة العربية السعودية في مجال الدمج التربوي.

- المؤتمر الثالث:

هو المؤتمر الأول لإدارة مدارس التربية الخاصة بعنوان: «الدمج: مراجعة للإنجازات وتخطيط للمستقبل» الذي نظّمته الإدارة العامة للتربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم في دولة الكويت الشقيقة في سنة ٢٠٠٢ م.

وهذا المؤتمر لا يختلف كثيراً عن مؤتمرات التربية الخاصة التي عقدت في كثير من الدول العربية، وعرضت فيها المملكة تجربتها في مجال الدمج التربوي، إلا بشيء واحد فقط هو الذكرى العطرة التي ما زالت تعيش في قلبي للصديق الحبيب والزميل العزيز الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن الدريس يرحمه الله.

كان الدكتور الدريس في ذلك الوقت يعمل وكيلاً مساعداً للتعليم الموازي بوزارة المعارف، وهذا يعني أنه كان رئيسي المباشر في العمل، حيث كانت هذه الوكالة المساعدة تضم التربية الخاصة، بالإضافة إلى قطاعات أخرى.

وأنا على يقين أن أبا عبد الرحمن - يرحمه الله - قد ترك ذكرى طيبة في قلوب جميع زملائه وأصدقائه، لكن ذكريات السفر لها طعم خاص، وذكريات المؤتمرات لها عندي خصوصية أكبر.

كان الدكتور الدريس دقيقاً في كل شأنه، أذكر أننا عندما وصلنا إلى الفندق في الكويت، وحصلنا على بطاقات التعريف الخاصة بالمؤتمر، وجد اسمه مكتوباً (الإداري) فقال: لا بد أن يُعدّل اسمي، فقلت له مداعباً: لعل المنظمين للمؤتمر ظنوا أنك تنتمي إلى العالم الجليل الإداري، فقال: أقول لا بد من تعديل الاسم، وتم له ذلك.

وكان - يرحمه الله - يسعد كثيراً بالمدخلات والتعقيبات والتعليقات التي أسهمت بها في المؤتمر، وتبلغ سعادته ذروتها عندما يشيد المشاركون بتجربة المملكة العربية

السعودية في مجال دمج التلاميذ ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في مدارس التعليم العام، ويطالبون بتطبيق هذه التجربة في دولة الكويت.

كان - يرحمه الله - يصر على أن نؤدي الصلاة جماعة في المسجد، برغم أن المسجد لم يكن قريباً من الفندق الذي كنا نسكن فيه، وكان حريصاً على انتقاء غذائه، إذ كان لديه إلمام بالغذاء والتغذية، وقد حدثني كثيراً في هذه الرحلة عن الأغذية المفيدة، وتلك التي لا تفيد.

رحم الله أبا عبد الرحمن رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

وفي عقب ذكريات هذا المؤتمر لا بد أن أذكر بالتقدير والاحترام ذلك الجهد المميز الذي بذلته الأستاذة سعاد إبراهيم الفارس مدير عام التربية الخاصة في وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت سابقاً وزملائها وزميلاتها في الإعداد والترتيب لهذا المؤتمر.

والأستاذة سعاد من الكفاءات التربوية الخليجية التي نعتز ونفتخر بها كثيراً نحن العاملين في مجال التربية الخاصة، وقد تركت بصمة واضحة على مسيرة تربية وتعليم ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في دولة الكويت.

• الزيارات

كانت الوزارة تعج بالنشاط المبدع، وظهر فيها مشروعات عملاقة تطلبت القيام بزيارات إلى الدول المتقدمة للاستفادة من تجاربها وخبراتها، وقد أنيطت مهمة هذه الزيارات بالمعنيين بهذه المشروعات في كافة قطاعات الوزارة، وسوف أكتفي هنا بذكر زيارة واحدة فقط قمت بها سنة ١٩٩٩ م إلى السويد والدانمارك بصحبة تسعة من الزملاء الأعزاء في التربية الخاصة، فيهم المشرفون التربويون والمعلمون والإداريون.

وما زلت أتذكر جيداً الجدية التامة التي تعاملنا من خلالها مع هذه الزيارة، فقد أعدنا قبل سفرنا خطة عمل متكاملة لكيفية الاستفادة منها، فكان برنامج عملنا اليومي يبدأ في الصباح مع بداية الدوام الرسمي في هاتين الدولتين، فنقوم بجولات ميدانية

في المدارس والهيئات والمؤسسات والجمعيات التي تعنى بذوي الاحتياجات التربوية الخاصة، وكنت في الغالب أقوم بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، حيث كان معظم أعضاء الوفد لا يجيد اللغة الإنجليزية بالشكل الذي يمكنهم من استيعاب كل ما يدور من حوارات ونقاشات، ولا نعود إلى مقر إقامتنا إلا بعد انتهاء الدوام الرسمي.

أما الأحقاب المسائية، فقد حولناها إلى ورش عمل نتناول من خلالها الملاحظات والمرئيات والتجارب والخبرات التي دونها في أثناء الزيارات الميدانية بالمناقشة والتحليل والتعليل والتفسير والتبرير، ثم نكتب خلاصة كل ورشة في مذكرات تمت بلورتها - فيما بعد - في تقرير نهائي يعد الآن مرجعاً لمن أراد أن يتعرف على خبرات وتجارب السويد والدنمارك في مجال التربية الخاصة.

ومن الأشياء الطريفة في هذه الزيارة أن سائق الحافلة التي كنا نستقلها في أثناء جولتنا في السويد، وهو من أصل إفريقي يعيش في السويد كان يطرب كثيراً جداً للضحكات التي كان يطلقها زميلنا العزيز الدكتور عبد الرحمن نور الدين كليتن الذي كان يعمل وقتها في الإدارة العامة لرعاية الموهوبين بالوزارة، فكان هذا السائق يقول لي: «أنا أحب هذه الضحكات، وأتمنى أن يضحك الناس مثل هذا الرجل، يظهر أنه أسعد إنسان في الدنيا».

وفي الختام: أود أن أؤكد للقارئ العزيز أن ما كتبه هنا لا يعبر - بأي حال من الأحوال - عن عديد النشاط، وما ارتبط بها من ذكريات وفيرة زخر بها بحر زمني مياهه غزيرة، فهو (أي ما كتبه) عبارة عن غيض من فيض، وزهرة من بستان، وقطرة من بحر، وما سطرته هنا من خواطر لا يعدو كونه مشاركة متواضعة مني لزملاء ورفقاء الدرب الذي مشيناه في مشوارنا معاً أمثالاً لأمر ربنا، ثم إنفاذاً لتعليمات حكومتنا، وتقديراً وإجلالاً لقيادتنا، واعتزازاً وافتخاراً بوطننا، وخدمة لأفراد مجتمعنا، وتجسيدياً لأخلاقيات مهنتنا.



في رحاب العمل مع : (محمد بن أحمد الرشيد)

د. أحمد بن سعد آل مفرح

هنيئاً لأبي أحمد حجم الحب والوفاء والذكر الحسن، وإنني لأخال أن كل من عرفه يذكره دائماً، وفي مواقف عدة، فلا يشعر أحدنا إلا وهو يتحدث عنه وعن مناقبه ومواقفه، فتلهج الألسن تلقائياً له بالدعاء والثناء، وهذا العمري المكسب الحقيقي لأي مسلم وضع أمامه تقوى الله والسعي للفوز بما عنده جل وعلا.

التقيت معاليه أول مرة بمكتبه بالطائف في صيف ١٤١٦ هـ (أول سنة له بالوزارة) بعدما أوصلت بيروقراطية بعض مسؤولي الوزارة الباب أمامي لتمديد إجازتي الدراسية دون مرتب سنة خامسة؛ لاستكمال بحث رسالة الدكتوراه، وعلمت أن معاليه بالطائف، فشددت الرحال، ومكثت بمكتبه لحين صلاة العصر، حيث يخرج للصلاة، ومن ثم يغادر مكتبه، بعدما ألححت على مدير مكتبه بضرورة مقابلته شخصياً، فرفض أن أدخل إلا إن أحبيت انتظاره لحين ينتهي من اجتماع مع مسؤول من الخدمة المدنية، ويخرج من مكتبه، فانتظرت، وقابلني بابتسامة أدخلت السرور على نفسي، عرفته بنفسه وتخصصي والجامعة التي أدرس بها في أمريكا ورغبتني إما بالتمديد أو قبول الاستقالة، وأكدت له أنني أجمع المادة العلمية لبحثي وأنه مركز على تطوير البرامج التدريبية لمديري المدارس وأنتني في سنتي الأخيرة، وقد درست السنوات الماضية على حسابي وبإجازة دراسية دون راتب... أنصت إلي جيداً، ثم بدأ بالاستيضاح عن التخصص والبحث والعينة والمتوقع منها وانعكاسها على التعليم في المملكة... ثم ما لبث أن استدار لمدير

عضو مجلس الشورى - مدير عام الإشراف التربوي بوزارة التربية والتعليم سابقاً.

مكتبه وباستغراب تام يتساءل: كيف نقف أمام من يسعى للرفع من تأهيله في تخصص تحتاج إليه الوزارة وبدرجة علمية عالية ومن جامعة معروفة دون كلفة ريال واحد على الوزارة! ثم قال: أنها معاملته سريعاً بالموافقة، والتفت إلي، وقال: «تعود العام القادم بعد تخرجك، وتأخذ توجيهك مني شخصياً بحول الله، وهذا وعد منك!» وكان لأبي أحمد ما أراد، فعدت مباشرة بعد التخرج، وذهبت لمكتبه، وألح علي بالبقاء في الوزارة واختيار المكان الذي أريد من بين كثير من الخيارات، كان من ضمنها التدريب التربوي، ووكالة كليات المعلمين بالوزارة، فكان الأخير هو خياره.

تعمقت معرفتي به عن قرب بعد ذلك، فلاحظته يدنيك منه؛ لست وحدك... ويصغي لحديثك؛ لست وحدك... ويحاولك في فكرتك؛ لست وحدك كذلك، ولكنه كان يميزك بإبداعاتك، ويحلق بك في فضاء لا حدود له إلا السماء، راجياً أن يكون فيما تقترحه من أفكار تدفع بتطوير العمل التربوي، فيدفعك للانطلاق والتوثب بثقة متناهية معتمداً على الله ثم على قدراتك لتحقيق رؤيتك وطموحك المهني والوظيفي. كان مهتماً جداً بأهمية بناء الشخصية القيادية المخلصة والقوية والمتخصصة، القادرة على العمل ضمن الفريق الواحد المتناغم والمنسجم، وقد كان توحيد الرؤية ديدنه مهما تعددت الوسائل لبلوغ الغايات التي يعتبرها أدوات يملكها الجميع بتفاوت، ويمكن الاستفادة منها جميعاً.

كل ذلك يعكس مهارات وإمكانات معاليه الإدارية التي نجح في ترجمة نظريات الإدارة الحديثة إلى ممارسة ملموسة على أرض الواقع؛ فجل ما تعلمته، وما اطلعت عليه من نظريات في الإدارة العامة والتربوية - بحكم تخصصي - وجدتها واقعاً حياً في إدارة أبي أحمد.

عزز أبو أحمد - كما كان يحبذ مناداته - فيمن حوله معاني الانتماء والاعتزاز بالدين والثقافة واللغة، والحرص على الوطن ومقدراته ومكتسباته وأهمية أن يسهم كل فرد للنهوض به، وحرص على تملك منسوبي الوزارة لأدوات التربية والتعليم وحسن توظيفها، وأكد مراراً ألا تكون مهنة التعليم مهنة من لا مهنة له.

كان يملك ضميراً حياً ومشاعر فياضة يغمر بها من حوله، فكم هي المرات التي يسأل عند انتهاء أي لقاء عام بمشرفين أو مديرين أو معلمين عن سير اللقاء خصوصاً إذا شعر أن أحداً من الذين تداخلوا معه من خلال طرح أسئلة أو تعليق أو غيرها اشتد معه في الحديث، أو حدث سوء فهم معين. كان يحاول استيضاح وفهم الموقف وتصحيح الخطأ، فيستمع بإنصات لوجهات نظر من معه حيال ذلك، ولا يستكف أن يعترف بالخطأ إن حدث، دون تردد. وفي المقابل له مواقف حاسمة من القضايا الوطنية معروفة. فلغرض اجتماع بوفد من الكونجرس الأمريكي يرافقه السفير الأمريكي بالمملكة بمكتبه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، دعا عشرة من قياديي الوزارة الذين تخرجوا من أمريكا وبريطانيا لحضور الاجتماع، وكنت من ضمنهم، فاجتمع بنا قبل وصول الوفد استعداداً للقاء، ودار الحديث حول ما نتوقع منهم من أسئلة وكيف يتم معالجتها، وعند بدء الاجتماع أتاح الفرصة لكل واحد منا التعريف بنفسه ومنصبه وتخصصه والجامعة التي تخرج فيها، ثم بادر معاليه رئيس الوفد بأسئلة مباشرة وبنبرة قوية؛ ماذا تريدون منا؟ ومن أنتم لتسمحوا لأنفسكم بالتدخل في مناهجنا وتعليمنا؟ وكيف يحاكم مجتمع بأكمله بعمل مجموعة صغيرة لا تمثل ديناً ولا شعباً ولا حكومة؟! لقد رأيتهم هؤلاء زملائي - قادة العمل في الوزارة - تخرجوا في جامعات الغرب وهم من مخرجات مناهجنا التعليمية، وهم اليوم يحملون مسؤولية التطوير والتحديث مع الأخذ في الحسبان كل مستجدات العصر الموجودة لديكم أو في أقصى الشرق، فالحكمة ضالة المؤمن. وهم مؤهلون لتلمس ما يخدم مجتمعهم ووطنهم وفقاً لمقتضيات الحال والظروف الراهنة، ولا ينتظرون أي إملاء من أحد مهما كان. لقد أُلجم الوفد بعبارته وتلعثم رئيسهم، فماذا عساه أن يقول؟، فما كان منه إلا أن وجه الحديث إلى عموميات ومناقشات بروتوكولية يجيدها كل سياسي.

وفي أحد اجتماعات اللقاء السادس للقيادات التربوية بعسير عام ١٤١٨هـ، أطلق أحد مسؤولي الوزارة حينها فكرة إدخال الموسيقى في بعض مراحل التعليم، فهزت

الفكرة جوانب القاعة الكبرى بفندق الإنتركونتيننتال بالسودة، وتعالى طلبات الكلام بين مؤيد ومعارض، فجاء رد أبي أحمد سريعاً وحاسماً بعدم مناقشة الموضوع لتعارضه الواضح مع نظامنا التعليمي ولا مجال لفتحه للمناقشة.

كان يشارك من حوله أفراحهم وأتراحهم بالحضور الشخصي أو الاتصال الهاتفي دون تمييز، رشحت من قبل لجنة عليا في الوزارة لمنصب المدير العام للتربية والتعليم في إحدى مناطق المملكة، وكان يرغب في بقائي في الجهاز المركزي، غير أنه عندما علم أنها رغبتني دعم توجيهي وسعى لتحقيق رغبتني في الانتقال من الرياض، وتابع تفاصيل التشريع والتواصل مع سمو أمير المنطقة، وكذا متابعة مقابلي لسموه وحرصه على إبلاغه مباشرة بعد خروجي من المقابلة وإفادته بما جرى. وعند خروجي اتصلت بمكتب معاليه بحسب الاتفاق، وكان في اجتماع، فجاء الرد مباشرة، شعرت من خلال عبارته وكلماته بحنان وشفقة الوالد ودفء مشاعر الأخ الكبير. عدت اليوم التالي للوزارة، وحضرت اجتماع قيادات الوزارة الأسبوعي، وعند الخروج قال لي: إن القرار سيصدر لزميل آخر، وقال وقد ربت على كتفي: «الخير دوماً يا أحمد، فيما يختاره الله، ومكانك في الجهاز المركزي عندي أهم، وسيعوضك الله خيراً». ذكرني بذلك الموقف عندما اتصل بي -وقد ترك الوزارة - يهنئني بثقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز رحمه الله بتعييني عضواً بمجلس الشورى في الدورة الرابعة، معبراً عن مدى سعادته لي بذلك التشريف. حقاً لقد كان الدكتور محمد الرشيد مدرسة فريدة في القيادة، والوفاء، والعلاقات الإنسانية.



متعة العمل والإنجاز مع الرشيد

أ. صالح بن عبد العزيز الحميدي

لم يكن أنموذج العمل مع معالي الوزير أ. د محمد بن أحمد الرشيد عادياً بل فريداً، حيث كان العمل شغله الشاغل صباح مساء، وهو حاضر وقريب من زملائه في الوزارة والمناطق التعليمية، يشرف ويوجه، ويأخذ ويعطي بقيادة واعية وثقة كبيرة في من يعمل معه وعلاقات إنسانية نادرة، فلقد شجع وأثنى، ووعد فوقى، طالب زملاءه بالاهتمام بالعمل، وهو يتكفل بشؤون وظائفهم وتقدير عملهم وترقياتهم ووفى فعلاً وحقاً فهو قريب من كل زملائه، حتى صار بلا مبالغة كل منهم يعدّه الأقرب له ولعمله. فيا لها من خصال حميدة يجدر أن تتمثل في كل مسؤول يهتم بعمله وبتطويره، فالاهتمام بالقائمين على العمل اهتمام حقاً بالعمل ذاته وسبيل لتحقيق أهدافه على أفضل وجه.

كان يجوب المناطق شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً في عمل ميداني دؤوب ولقاءات تربوية يرافقه مسؤولو القطاعات يلتقون مع العاملين في الميدان يحاورهم ويحاورونه بروح القائد المتفائل وبأسلوب العامل بروح الفريق الواحد: يتخذ قرارات ميدانية على أرض الواقع، فالتهمة عالية، والطموح كبير، والشعور بالمسؤولية حاضر لدى الجميع، وهذه سمات نجاح العمل التي ينبغي ألا تبارح القيادات المميزة.

العمل مع أبي أحمد فيه متعة وإنجاز، ويجوز القول: إن قيادته من السهل الممتنع، فهو لطيف وقريب جداً، ولكن لا يسمح بالتهاون في العمل، فالتأخر على سبيل المثال عن بدء الاجتماع الأسبوعي الذي يبدأ الساعة الثامنة صباح كل أربعاء طوال عمله وزيراً ليس

المدير العام للشؤون المالية والإدارية بوزارة التربية والتعليم سابقاً، عضو مجلس الشورى.

له مكان عنده، ولا يقبله مطلقاً تراه يضع اللطف جانباً، ويتصرف بحزم، يقول: لا يمكن مكافأة المتأخر بالتأخر عن بدء الاجتماع في وقته ولو بدقيقة واحدة؛ ولذا تجد أعضاء الاجتماع حضوراً من بداية الاجتماع.

وللإيضاح عن تلك السمات الإدارية التي يتمنى كل من تعامل معها أن تنداح دائرتها في إدارتها أورد هنا مواقف في العمل تمثل أنموذج قيادة أبي أحمد، تذكر فتشكر، وفيها ما يفيد كل باحث عن التطوير في القيادة والإدارة والعلاقات الإنسانية والمواطنة قيادة ملؤها الثقة والتفاؤل والأمل، وفيها منح الصلاحيات والاهتمام بالإنجاز والشعور بالمسؤولية، والمرونة في غير ضعف، والحزم في غير عنف، ويتوجها الحرص على الصالح العام ومصلحة الفرد والمجتمع، أذكر منها باختصار على سبيل المثال لا الحصر أربعة مواقف تحضرني في هذه المناسبة:

الموقف الأول:

توظيف الخريجين:

تم توظيف تسعة آلاف (٩٠٠٠) من خريجي كليات المعلمين عام ١٤٢٥هـ، وهو العام الذي كلفت فيه بالإشراف على الشؤون المالية والإدارية بالوزارة بفروعها الثلاثة: البنين والبنات (بعد ضم رئاسة تعلم البنات إليها) وكليات المعلمين والمعلمات.

والشاهد في هذا الموقف أنه أمام تخرج عدد من أبنائنا الخريجين وحاجتهم للعمل وحاجة الميدان لهم في الوقت نفسه لا يوجد وظائف، بينما تم توزيعهم على المناطق وبعضهم ذهب فعلاً ليباشر، ولم يبقَ على العام الدراسي إلا ثمانية أيام فقط، وبدراسة الموضوع معه طلب مني باهتمامه المعهود ضرورة إيجاد حل سريع لمعالجة الوضع، ففكرنا في تعيينهم على بند محو الأمية وفيه مخالفة، وفي اليوم التالي راجعنا الاقتراح، وقلت له: يا أبا أحمد، وجدت أن هناك حلاً أقل تجاوزاً وبأخف الضررين كما يقال، وهو أن نأخذ بحل الاستفادة من وظائف المتعاقدين (من الإخوة غير السعوديين) ونعين عليها الخريجين السعوديين للضرورة، ونبحث مع وزارة المالية معالجة وضع إخواننا

المتعاقدين، فوجدت منه الدعم والتأييد قائلًا: توكل على الله، وبالفعل تم إعداد مذكرة إلى وزارة المالية التي أحالتها بدورها لهيئة الرقابة والتحقيق، وصدر حكم من الهيئة بإجازة التجاوز للمصلحة العامة.

الموقف الثاني:

برنامج العلوم والرياضيات:

استدعاني أبو أحمد ذات يوم، وقال لي: هناك مشروع للعلوم والرياضيات في وزارة المالية تأخر علينا ومطلوب له مليار ريال، وهذا المشروع من أفضل المناهج العالمية في العلوم والرياضيات، وأبناؤنا ومدارسنا في حاجة ماسة للتطوير في تعليم المادتين ومن الضروري متابعتة من قبلك والتفاهم مع الجهة المختصة بوزارة المالية لإجازته. وقلت له: أنا لا أعرف عن هذا المشروع شيئاً يمكنني من الدفاع عنه، فاستدعى سعادة وكيل الوزارة، وقال: أرجو أن تشرح للأستاذ صالح وضع المشروع، وما وصل إليه، فتوجهت اليوم التالي إلى وزارة المالية، وبحثت مع المختصين الموضوع، وقالوا: إن المبلغ مرتفع، فذكرت لهم أن تكلفة طباعة كتب الرياضيات والعلوم من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الثالث الثانوي لعشر سنوات أكثر من نصف مليار ريال، وبتنازل عن ٢٠٪ من عدد الكتب الاحتياطي وقيمتها خلال المدة مائتا مليون ريال والباقي يتم إجراء المناقلة له خلال الأعوام القادمة، وفعلاً تم عمل محضر بذلك، وبعد ثلاثة أيام وفي الساعة الحادية عشرة مساءً اتصل بي أبو أحمد يبشرني بأن وزارة المالية وافقت على المحضر، وتم ذلك بتوفيق الله ثم بثقة القائد واهتمامه ومتابعته.

الموقف الثالث:

مشروع مبنى الوزارة الجديد على طريق الملك عبد الله :

طلب مني معالي الوزير د. الرشيد الذي يحلوه دائماً أن يدعى (أبو أحمد) بعيداً عن المسميات الأخرى التركيز في الميزانية عام ١٤٢٦هـ على مبنى الوزارة الجديد

الذي يقع على طريق الملك عبد الله، وهو العام الذي غادر فيه الوزارة (١٢/١٤٢٥ هـ) وبالفعل عند المناقشة مع وزارة المالية تم بحث موضوع المبنى، وكان التجاوب في البداية سلبياً بالرغم من إيضاح ضرورة المبنى الواحد ليجمع شتات الوزارة بعد أن تم ضم تعليم البنات إليها، وبمتابعتها طلب مني مقابلة معالي وزير المالية بعد تنسيقه مع معاليه لشرح حاجة الوزارة وموقفها، وبالفعل تمت مقابلة معالي وزير المالية الذي طلب التنازل عن جزء من الأرض لمصلحة عامة مقابل اعتماد المبلغ، فوافق أبو أحمد، وكان يقول لي: (وكان معنا بالاجتماع المهندس عبد الله الفوزان وكيل الوزارة للمباني المدرسية): «المبنى للدولة والأرض للدولة نأخذ الاعتماد، ونطالب بالأرض إذا احتجنا إليها». وعند كتابة هذه السطور والمبنى على وشك الانتهاء ولله الحمد، كتب الله لأبي أحمد الأجر والمثوبة لدفاعه بحكمة عن مصلحة الوزارة ومنسوبيها بجهدته الذاتي وعلاقاته الشخصية ومكانته الاجتماعية. ومما يقع في هذا الإطار مشروع الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين (موهبة) الذي استقطب له من المجتمع ما يزيد على أربع مئة مليون ريال، إضافة إلى مبناه الرئيس القائم حالياً بشارع الأمير تركي الأول بالرياض، الذي أسهم فيه نخبة من أبناء المجتمع جزاهم الله خيراً.

الموقف الرابع:

الانتقال إلى وزارة الصحة :

طلب معالي وزير الصحة د. حمد المانع من د. محمد الرشيد انتقالي وكيلاً لوزارة الصحة للشؤون الإدارية والمالية، فوافق مبدئياً، وبعد عشرة أيام عند ورود خطاب وزارة الصحة بدأ أبو أحمد كعادته بمزيد من الاستشارات ممن يعرف عملي، حيث كنت أعمل بالرئاسة العامة لتعليم البنات مديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية قبل ضمها للوزارة، وكان المشرف عليها بعد الضم معالي الدكتور خضر القرشي النائب لتعليم البنات، وبعد معرفة بعض الزملاء وعلى رأسهم الدكتور محمد العصيمي أكد لأبي أحمد أن ذهاب الأستاذ صالح خسارة كبيرة على الوزارة، فلم يتوان أبو أحمد، بل اتصل علي،

وقال: أريدك بجدة هذه الليلة، وذهبت إليه، وجلسنا إلى وقت متأخر من الليل أقتنعني بالبقاء، قائلاً: إن أخي الكريم د. حمد المانع يريد مصلحة وزارته، وما حسب أنه «يعمي عيناً أرى بها»، فأنا عدلت عن الموافقة، فقلت له: كما تريد، وأردف قائلاً: أنا سأرفع لك بالمرتبة الخامسة عشرة، فأرجوك اعذرنى، قلت له: أبشريا أبا أحمد، وبفضل الله وتوفيقه تحقق ما قاله، وما أراد.

هذه الملامح القيادية والوقفات الإدارية والتفاعل بين الرئيس والمرؤوس ومتابعة العمل متابعة مستمرة صباحاً ومساءً باهتمام بالغ وبقوة، كم نحن في حاجة إليها في وزاراتنا وإداراتنا ومؤسساتنا لكي يجد الموظف ذاته في عمله، ويستمتع به، ويبدع فيه، فعندما يُمنح الثقة والتقدير تبرز قدراته الكامنة وإمكاناته، ويزيد انتماؤه وحبه لعمله.

وختاماً، فأبو أحمد بحق مدرسة في القيادة والإنجاز وفي العلاقات الإنسانية والأخلاق الحسنة والوفاء وفي التواضع وحسن التعامل، فحريٌّ بأنموذجه المتميز أن ينشر، ويحتذى.

والله الموفق.



محمد الرشيد . . الإنسان والوزير

د. صالح بن موسى الضبيبان

ليس من السهل على أكفأ الرجال خبرةً وتأهيلاً النجاح في قيادة وزارة ضخمة العدد والمهام كوزارة التربية والتعليم؛ فهي أكبر قطاع حكومي من حيث عدد من يمثلها من المنتسبين إليها، ومن حيث عدد ما يمثلها من المؤسسات التربوية الكبرى: إدارات التربية والتعليم، وكليات المعلمين (١٨ كلية و٣٠ ألف طالب) ومدارس تجاوز تعدادها ٣٠ ألف مدرسة، بها أكثر من خمسة ملايين طالب وطالبة يقوم على التعليم فيها أكثر من نصف مليون معلم ومعلمة، وليست الصعوبة تكمن في الكثرة بقدر ما تكمن في الخصوصية، فقطاع التربية قطاع حساس لا يمكن ضبطه بسنّ التنظيمات الصارمة وتطبيق العقوبات الشديدة بحق المقصرين أو المخطئين دون مراعاة لجوانب أخرى معقدة لها علاقة وطيدة بعلم النفس والاجتماع، حتى الصرامة في المتابعة والشدة في الحساب لا تُجديان منفردتين في الضبط؛ لأن منسوبي الوزارة ليسوا كلهم موظفين عاديين، ولأن العمل التربوي يعتمد في جوهره على أسس من الإخلاص والانتماء وحب العمل، وهذا لا يتحقق إلا في البيئات التي يسودها الأمن والسلام والتقدير والتحفيز والاحترام أيضاً، وهذا ما تمثل في قيادة معالي الوزير الأستاذ الدكتور محمد الأحمد الرشيد، وقد نجح إلى حد بعيد في قيادة سفينة الوزارة، عندما تسنّم دفتها خلال المدة من ١٤١٦ - ١٤٢٥ هـ على الرغم من اضطراب البحر وعنف الموج.

ربما كانت العاطفة دافعاً قوياً في تشكّل هذه الرؤية والإيمان بها، لكن العاطفة ليست دائماً مضللة، ومن ذا الذي يستطيع أن يزيح العاطفة عندما يتحدث عن أنموذج قائد تربوي بحجم محمد الرشيد؟!

لقد أسهمت عوامل عدة في تشكيل شخصيته القيادية في الوزارة، من أهمها أنه أتى من عمق المجال التربوي، ولا يقدر الأمور حق التقدير مثل من جربها، وعاشها، وعاش فيها؛ فقد أمضى حياته الوظيفية كلها في المجال التربوي، وهي حياة متعددة متنوعة الخبرات، دراسة وثقافة وإدارة وكتابة وتأليفاً. ومنها صفاته الشخصية الفريدة، فقد كان بشوشاً، متسامحاً لا يحمل ضغينة لأحد، حسن الظن بالآخرين ملتصقاً بالأعداء لأخطائهم، متواضعاً مع مرؤوسيه وزواره ومراجعيه، مستمعاً جيداً. ومنها أيضاً ثقافته العالية، وإيمانه العميق بأهمية توظيف العلاقات الإنسانية ومراعاتها في نجاح أي عمل مهما كان مجاله.

صدر قرار تعيينه وزيراً للتربية والتعليم في الشهر الثالث من عام ١٤١٦هـ، فأقبل وكلّه تطلع واستشراف لمستقبل حافل بالإنجازات، كانت لديه أحلام تربوية تعانق السحاب، كان همه الوطن، وأمله شباب الوطن وغايته ارتقاء مكانة الوطن، ولديه يقين لا يقبل الاهتزاز بأن ارتقاء الأمة يبدأ بالتربية أولاً، ثم بالتعليم ثانياً، فلا نهوض ولا ارتقاء في أي مجال قبل الارتقاء بالتربية والتعليم اللذين يقدمان للوطن الأسس لإعداد المعلم والمهندس والطبيب والمفكر والفني والمعماري وكل ما يحتاج إليه الوطن من الاختصاصات المدنية والعسكرية.

ولذلك كانت إشارته الأولى في بدء العمل لترقية التربية والتعليم أن رفع شعاره الجميل (وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة) وهو الشعار الذي اختصر فلسفته في العمل، وعبر عن رؤيته وطموحه في إدارته؛ ولأنه يمتلك موهبة عالية في حسن التعامل وحسن التوجيه، فقد انتقل هذا الشعار إلى الميدان بسرعة البرق، فاشتعل في صدور قيادات الميدان ومديري المدارس ومعلميها قبل أن ينتشر على أسوار المدارس وفي النشرات التربوية العامة والخاصة. وهذا التفاعل الذي لا تزال آثاره باقية إلى اليوم في البيئات المدرسية كان ثمرة لتوظيف شعاره الآخر (العمل بروح الفريق)، حيث كان الجميع يعملون بقلوبهم؛ لأنهم مهتمون بما يعملون، وواثقون بشخصية وزيرهم الاعتبارية والإنسانية.

كانت تلك الشعارات تمثل إعلانات إعلامية تُعرّف بشخصيته، وتقدم الغاية التي يسعى إليها والأسلوب القيادي الذي سينتهجه في تحقيقها.

أما على المستوى العملي فكان من أول القرارات التي أصدرها قراراً بدأ للأكثرية عجيباً غريباً، بل ربما بدا صغيراً لدى البعض، وهو قراره بتغيير اسم الإدارة العامة للتوجيه التربوي لتصبح: (الإدارة العامة للإشراف التربوي)، وهو تغيير يُفصح عن تخطيط مسبق، لكنه ليس اسماً كما يبدو، بل له دلالات وأبعاد عميقة، إنه إعلان صريح عن تدشين مرحلة جديدة تبدأ بتغيير فكر من خلال تغيير كلمة.

الدكتور الرشيد رجل ذو عقلية علمية ترى أن تحديد المصطلحات من أبرز ما يجب تحرّيه والعناية به؛ لأن المصطلح دالٌّ يحدد المدلول، ولأن تطوير أداء المعلم مهنيّاً ونفسياً كان - ولا يزال - من اختصاص الإدارة العامة للتوجيه التربوي، فإنه رأى بخبرته التربوية العريضة ضرورة الاستغناء عن كلمة التوجيه وإحلال كلمة الإشراف محلها، والتوفيق في اختيار الاسم أولى خطوات الإصلاح، ونتيجة لهذه الخطوة انتقلت العلاقة بين المعلم والموجه إلى طبيعة جديدة ليس فيها استعلاء أو إملاء للتعليمات والتوصيات من الثاني للأول، بل فيها مشاركة فاعلة بين الطرفين في عملية النهوض بمستوى الأداء التربوي والتعليمي للمعلم. وإذا كان التوجيه عملية أحادية الفكر والإجراء، ذات علاقة رأسية، فإن الإشراف عملية شورية مشتركة علاقاتها أفقية.

كانت أولى ثمار هذا التغيير زيادة مستوى الود بين المعلم والموجه إلى حد كبير. وبموجب هذا التغيير لم يعد الموجه موجهاً، بل أصبح مساعداً للمعلم وشريكاً له ومشرفاً على تحسين عمليات التعليم والتعلم عموماً. وهذا التغيير وسع أساليب العمل المتبعة في التوجيه، المقتصرة في بعض الأحيان على الزيارة الصفية التي تعقبها المداولات الإشرافية، وتنتهي بكتابة توجيهات ملزمة للمعلم، بالإضافة إلى اللقاءات المتخصصة والتدريب، فأصبحت أساليب الإشراف شاملة لكل أساليب التدريب والتوعية والتثقيف، فتم توظيف المشاغل التربوية وتفعيل النشرات التربوية والقراءات الموجهة والزيارات المتبادلة والدروس التطبيقية واللقاءات... إلخ.

ومن حرصه أيضاً على تحديد المصطلحات سعيه المُلحَّ إلى تغيير اسم الوزارة نفسه من وزارة المعارف إلى: (وزارة التربية والتعليم) لأن هذا الأخير هو الأكثر دقة في التعبير عن طبيعة الوزارة ووظيفتها ومهامها، وتم له ذلك بعد صدور موافقة المقام السامي عام ١٤٢٣هـ، فكان إلغاء الاسم السابق غير الدقيق مؤشراً على نشاط الوزير وهمة العالية وبعد نظره وخبرته التربوية العميقة. أزيل الاسم القديم بعد أن ظل يتصدر لافتات الوزارة وإدارات التعليم والمدارس مدة طويلة.

كان الدكتور الرشيد يؤمن إيماناً عميقاً بأن التغيير الإيجابي المنشود يبدأ بإصلاح المعلم، ولذلك وجّه كامل اهتمامه، وجلّ خطه إلى إصلاحه، وكان يقول: (إذا صلح المعلم صلح ما بعده) ولذلك لا عجب أن تكثر أحاديثه وكلماته الموجهة إلى المعلم، حتى إن بعضها جمعته الوزارة، وطبعته في كتاب عنوانه: (إلى المعلم أتحديث).

كان يعلم أن إصلاح المعلم للقيام بمهام رسالته العظيمة يبدأ أولاً بتحقيق رضاه الوظيفي من خلال منحه حقوقه بلا منّة ولا تقتير، فعمل على تحقيق ما يمكن من رغباته في النقل، وأوعز بإنشاء لجنة تنظر في طلبات النقل الواردة من المعلمين ذوي الظروف الخاصة القاهرة خارج إطار حركة المعلمين السنوية، وسُمّيت تلك اللجنة (لجنة الظروف الخاصة)، ولا تزال قائمة تمارس مهامها، فكانت فرجاً كبيراً لكثيرين وكثيرات من المعلمين والمعلمات الذين لهم ظروف خاصة تستحق التقدير.

ومن أبرز ما تم تقديمه للمعلم أنه أتاح له الترقيّة والتعيين على المستوى السادس للمستحقين، ففتح له وكان قبله مغلقاً لقلة الوظائف، وسعى جاهداً إلى جلب أكبر قدر من وظائف المستوى السادس.

ومنها أنه وسع مجال التدريب عموماً، والتدريب التربوي خصوصاً، ففتح المجال لجميع منسوبي الوزارة، وخصوصاً القيادات للتنمية المهنية، داخلياً وخارجياً، واستفاد من هذا المجال الحيوي المهم كثير من منسوبي الوزارة في الجهاز والميدان. وتم في إدارته تفعيل الدورات التدريبية القصيرة التي أسهمت في إحداث تجديد في فكر

القيادات المدرسية على وجه التحديد، وفي أساليب المعلمين والإداريين، وهذا الحراك التربوي المهم في مجال التدريب أسهم في تفعيل دور مراكز التدريب في جميع إدارات التربية والتعليم.

ومن إجراءاته في منح المعلم حقوقه أنه فتح له مجال الابتعاث الداخلي والخارجي، وجعله متاحاً لمن يرغب في توسيع دائرة علمه وثقافته في مجال عمله، فحصل كثير من المعلمين والمعلمات على شهادات عالية، إما في تخصصاتهم العلمية أو في التربية العامة أو الخاصة.

وقد اهتم الدكتور الرشيد جداً باختيار القيادات التربوية للمدارس، فمدير المدرسة المؤهل المتمكن هو العمود الثاني بعد المعلم الذي تقوم عليه خيمة التربية والتعليم، ولذلك وجه بالاهتمام به والدقة في اختياره، وفتح المجال لتدريبه عبر دورات قصيرة في مراكز التدريب التابعة لإدارات التربية والتعليم، أو عبر دورة الإدارة المدرسية التي تُنفَّذ في كليات المعلمين وعدد من الجامعات مدة فصل دراسي.

وقد رأى أن يُعطى مدير المدرسة حافزاً مادياً مجزياً يكافئ جهوده، ويفري الأكفاء من القيادات بتولي إدارات المدارس، فأوعز إلى الجهات المختصة في الوزارة بدراسة هذا الموضوع، لكنه لم يتم بسبب عقبات كثيرة معقدة.

وفي ١٤٢٠هـ شكل معاليه لجنة للاحتفال باليوم العالمي للمعلم الذي أقرته اليونسكو، وقررت له يوم الخامس من أكتوبر من كل عام، وعملت هذه اللجنة على تكريم المعلمين وبيان مكانتهم في المجتمع من خلال أنشطة متنوعة ضخمة على مستوى الوزارة والميدان، وتم في ذلك الاحتفاء منح ستة وأربعين معلماً من معلمي الصف الأول الابتدائي وسام التميز مع بعض الهدايا الرمزية، وأظن أن هذا الاهتمام بيوم المعلم العالمي كان هو الأول على مستوى العالم العربي.

أما الإشراف التربوي فقد وقف معه وقفة القائد الجاد، فدعمه كما يدعم غيره من القطاعات الأخرى، لكنه كان يؤمن بعمق أن الإشراف التربوي هو غرفة العمليات التي

تصنع التربية العظيمة، فهو حلقة الوصل بين التشريع والتنفيذ، بين الوزارة والميدان، وهو الوريد الذي يضخ العلاج والسلامة لسائر الجسد. وإذا كانت وزارة التربية والتعليم منشأة عامة لرعاية التربية والتعليم في الوطن، فإن الإشراف التربوي هو الذي يقوم على تنفيذ عمليات التربية والتعليم الفعلية، ويشارك كل القطاعات التربوية في إعداد التنظيمات التربوية، وهو المعني بالإشراف على تطبيقها في الميدان.. هذه هي رؤية محمد الرشيد نحو الإشراف التربوي، ولذلك كان يدعمه دعماً عملياً وروحياً، فكان يحضر لقاءاته، ويدعم برامجها، ويلتقي برجاله، ويحثهم على الإخلاص في العمل، ويراهن عليهم، ويثق بهم، وكان يرى أنهم نخبة رجال العمل التربوي، ولذلك أطلق عليهم لقب (صفوة الصفوة) وهي كلمة كافية للتعبير عن رأيه فيهم.

ونتيجة لهذا الدعم اللامتناهي رأى الإشراف التربوي توسيع دائرة أنشطته تبعاً لتوسع دائرة مهامه، فكان هاجس تعزيز العلاقة مع الميدان هو الخطوة الأولى، فكان أن طلب الإذن بإقامة لقاء فصلي لمديري الإشراف التربوي في جميع إدارات التربية والتعليم، فجاءت الموافقة من معاليه فوراً على الرغم من ضعف البنود المخصصة للصرف على مثل هذه الأنشطة، فتم عقد أول لقاء لمديري الإشراف التربوي على ما أذكر في الرياض عام ١٤١٧هـ، أو الذي يليه، ثم أقيم الثاني في عنيزة، ثم في المدينة وجدة والأحساء والدمام... إلخ.

وكانت الأقسام التربوية في الإدارة العامة للإشراف التربوي تقيم أيضاً لقاءات تربوية تخصصية مع الزملاء من التخصص نفسه في الميدان؛ للتباحث في كل ما من شأنه النهوض بعمليات التعليم والتعلم الخاصة بالمادة، وسميت تلك اللقاءات اللقاءات المتماثلة.

وفي أحد لقاءات مديري الإشراف التربوي رأى المجتمعون أهمية الاهتمام بالصفوف الثلاثة الأولى؛ لأنها تمثل الركيزة الأساسية في التعليم، وهذا يوجب العناية بتدريسها عناية خاصة، فتم اتخاذ توصية بإنشاء قسم الصفوف الأولية يشرف على

عمليات التعليم والتعلم فيها لتحسينها وتطويرها، وقد أيد معالي الوزير هذه الخطوة، فتم إنشاء القسم في الوزارة أولاً عام ١٤١٩هـ، وعام ١٤٢٠هـ تم تعميم القسم على جميع الإدارات التعليمية، وصار من أنشط أقسام الإشراف التربوي، ومن حسن التوافق أن إنشاءه تزامن مع ظهور لائحة تقويم الطالب الجديدة التي أحدثت تغييراً جذرياً في أساليب تقويم الطالب، حيث تم إقرار نظام التقويم المستمر بدلاً لنظام الاختبارات المعمول به سابقاً في الصفوف الثلاثة الأولى، فكان القسم هو من تولى زمام قيادة التوعية بهذا النظام ومتابعته في الميدان.

تعمقت علاقة الوزارة بالميدان عن طريق الإشراف التربوي؛ ونظراً لضخامة العمل المشترك أقيم في كثير من إدارات التربية والتعليم الكبيرة إدارات تعليمية مصغرة في بعض أحياء المدن الكبيرة، كالرياض وجدة ومكة المكرمة والشرقية وغيرها، وفي بعض المحافظات التابعة لها، وسميت تلك الإدارات مراكز الإشراف التربوي، وهي على اسمها لأن طاقمها كله مشرفون تربويون يشرفون على المدارس، ويتابعون احتياجاتها الفنية والإدارية عن كثب، وبعد أن ترك محمد الرشيد الوزارة بسنوات تم توسيع أنشطتها وزيادة طواقمها لتكون إدارة تعليمية تشرف على الجانبين الفني والإداري، ونتيجة لذلك تم تغيير اسمها إلى مكاتب الإشراف التربوي، وفي كلتا حالتها، فإن الإشراف التربوي هو الذي يديرها، ويقوم عليها. كان عدد تلك المراكز قبل تعيين محمد الرشيد لا يتجاوز (٣٧) مركزاً في جميع أرجاء المملكة، فأمر بالتوسع في إنشائها؛ لأن فيها تيسيراً على المدارس، ولأنها تساعد على متابعة العمل التربوي في الميدان بكل يسر وسهولة، ونتيجة لهذا الاهتمام من معاليه تضاعفت أعدادها حتى بلغت ما يقارب (١٢٠) مركزاً عندما ترك الوزارة.

كم كان محمد الرشيد مغرمًا بحب الوطن، ومن رأيه أن من أوجب واجبات التربية تنمية روح الاعتزاز بالوطن في نفوس أبنائه وتربيتهم على محبته؛ ليكونوا رجال المستقبل الذين يدافعون عنه، ويسعون إلى رفعته، ولذلك أخذ الإذن باستحداث مادة تُدرّس في التعليم العام اسمها (التربية الوطنية)، ومواكبة لهذه الخطوة الوطنية أنشأ الإشراف

التربوي قسم التربية الوطنية ليشراف على تدريس المادة، وتشرف بقية الأقسام الفنية على المواد.

وإذا كان الحديث عن تطوير تدريس الرياضيات والعلوم وكذلك اللغة الإنجليزية الجاري حالياً يمثل أحد أبرز عمليات التطوير التربوي في الوزارة، فإن محمد الرشيد هو الذي قادها وأخذ موافقة خادم الحرمين الشريفين على توقيع عقد مع شركة (ماجروهيل) عبر الوسيط المكلف بطباعة الكتب، وهو شركة العبيكان.

هذا بعض ما سجلته الذاكرة لأنموذج من نماذج إنجازات القائد التربوي محمد الرشيد في وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بالإدارة العامة للإشراف التربوي التي شرفني معاليه بإدارتها خلال المدة من ١٤١٦ - ١٤٢٤هـ.

أما الحديث عن محمد الرشيد الإنسان فقد ذكرت طرفاً منه في بداية هذا الحديث، وأضيف هنا أن الإنسانية كانت أبرز الملامح التي صنعت له تلك الشخصية المحبوبة، فقد كان - كما ذكرت آنفاً - متواضعاً محبباً للناس، رحب الصدر، وقد فتح مكتبه لكل من يريد، فزاره المعلمون وغيرهم، وشكوا إليه مباشرة، واستمع إليهم، وشجعهم، وحادثهم محادثة الزميل للزميل، وأشعرهم بأبوته الحانية النادرة، فعزز بذلك في نفوسهم روح الانتماء لرسالتهم، وهي روح لها دور كبير في تعزيز الثقة والإخلاص والجدية. لقد كان مربيّاً حقيقياً بكل تصرفاته وإجراءاته، وكان بساماً لا تكاد تفارق الابتسامة محياه السمع حتى في اللحظات العصبية، وابتسامة القائد تنشر الحيوية والنشاط في رجاله ومن حوله.

وقد خصص صباح الأربعاء، وهو نهاية الأسبوع لاجتماع عام مع جميع قيادات الوزارة من وكلاء ووكلاء مساعدين ومديري عموم ومديري إدارات وغيرهم؛ للتباحث في شؤون العمل. والحق أن ذلك الاجتماع لم يكن اجتماعاً فقط، بل جلسة تربوية أسرية حانية يتم خلالها تفقد الأشخاص قبل تفقد الأعمال، وفي هذا ترجمة عملية لشعاره (العمل بروح الفريق) لقد كان يبدأ ذلك الاجتماع ببعض المداعبات التي تزيل كل شعور بالضيق أو التوتر أو التوجس لدى بعض من ستكون أعمالهم أو برامجهم محل العرض

والنقاش في ذلك الاجتماع. وعلى سبيل المثال أذكر أنه قبل بدء النظر في برنامج أحد الاجتماعات قال: أستاذنكم قبل أن نبدأ الاجتماع بإتاحة الفرصة لزميل حدده باسمه لإلقاء أنشودة، وكانت طرفة شعرية رواها له في جلسة أخوية، فألح عليه أن يلقيها في اجتماع الأربعاء؛ لإدخال روح المرح والبهجة على نفوس المجتمعين. واختياره لمفردة أنشودة طرفة وإشارة تربوية دقيقة موفقة.

لقد كانت تجمعهم بكل منسوبي الوزارة. القريب منهم والبعيد. مودة لا تكلف فيها، وإذا أنب أحداً على تقصير ما، فإن ذلك لا يؤثر في علاقته الشخصية به، فهو يؤنبه في الاجتماع، ويمارحه عند الخروج من القاعة. لقد كان اجتماع الأربعاء بحق منتدى علمياً تربوياً ثقافياً أخلاقياً قبل أن يكون مجلساً رسمياً تناقش فيه الموضوعات، وتتخذ القرارات وهذا أنموذج لاجتماع أسبوعي تواصل يودي أن يؤخذ به في كل وزارة وإدارة.

ولا أشك في أن كل من عمل معه حدث له معه مواقف إنسانية مؤثرة، أما بالنسبة لي فقد كانت مواقفه الإنسانية معي لا تنسى، ولعل أولها - والموقف الأول له ما بعده - أنه اتصل بي في أول يوم تسلّمت فيه عملي في إدارة الإشراف التربوي مشجعاً ومحفزاً ومؤكداً وقوفه معي، وهذه هي روح الفريق التي رفع لواءها.

وعندما وصل إليه خطاب من مكتب صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد للبحوث والدراسات مؤرخ في ٥/٥/١٤٢١هـ ينقل فيه رغبة سموه الكريم بالموافقة على منحي إجازة لمرافقة أختي التي تعاني شللاً رعاشياً، وستسافر للعلاج في أمريكا على نفقة سموه الكريم، اهتم بالأمر اهتماماً شخصياً، فأخذ ورقة مفكرة، وكتب فيها بخط يده ما يأتي:

«د. صالح الضبيبان، تحية طيبة.. سلامات، نحن يهمننا أمرك، ويحسُّنا ما يحسُّك، أرجوك أخبرني عن الأمر، وشكراً» وأرسلت برقم وتاريخ إلى مكنتي. وعندما يقول لك الوزير: إنه يهمنه أمرك، ويحسه ما يحسك، ويرجوك أن تطمئننه بأسرع وقت، فإن هذا يعني أنه صديقك وأخوك قبل أن يكون رئيسك، والأخوة والصدقة هما ما يعامل بهما كل

من يعرفهم من فريقه في العمل ابتداءً من النائب ومروراً بالوكلاء والمديرين والمعلمين
وانتهاءً لكل العاملين.

(أسأل الله أن يجزيه خير ما يجزي به الصالحين، وأن ينفع بأنموذجه المميز في
التربية والقيادة والوفاء والإنسانية).



القيادة بالعلاقات الإنسانية

أ. حامد بن صالح الفاجح

من سعادتي أن أستذكر أوقاتاً عشتها مع أخ عزيز ومسؤول كبير له أثره في الميدان التربوي العربي، هو الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد (أبو أحمد) وقد بدأت العمل بمكتب التربية العربي لدول الخليج مع أول مدير عام المكتب سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد عام ١٩٧٨م في مرحلة التأسيس، وكان عددنا لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وبمقر صغير في شارع الجامعة بالملز، وقمنا بإعداد الخطة متوسطة المدى الأولى للمكتب، وقدمناها للمؤتمر العام لوزراء التربية والتعليم الذي عقد في البحرين عام ١٩٧٩م.. وفي هذا المؤتمر تم تعيين الدكتور محمد بن أحمد الرشيد مديراً عاماً للمكتب، ومن هنا بدأ العمل التنفيذي للمكتب.. فإن كان عهد سمو الأمير خالد بن فهد هو عهد التأسيس والإعداد، فإن عهد أبي أحمد هو الانطلاق في كل شيء بدءاً بمقر جديد واسع في شارع الستين، حيث أدخل الحاسب الآلي، وأنشأ مطبعة كبيرة، وطور البرامج والمشروعات، ودعم المكتب بخبرات بشرية حتى وضع المكتب في مكانة عالمية تخطى بها المنظمات الإقليمية والعربية.. عرفته جيداً، فقد كنت في معيته في كثير من المؤتمرات والأنشطة العالمية، وكان أخاً عزيزاً ناصحاً محبباً للخير.. أعطاني الثقة كاملة، ومثلته في كثير من المناسبات، وكان يدفع بي للأمام، ويقول: ما دمت معي ستقوم مقامي في أي لحظة، وتدير الاجتماعات.. وهكذا كان، فقد علمني أن أكون دائماً في جاهزية ومستعداً لأي سؤال أو موقف طيلة السنوات التسع الجميلة التي قضاها في المكتب، وزاملته فيها.

وقد كان عهد أبي أحمد في المكتب هو عصر ازدهار المكتب بحق، فقد أتعب من جاء بعده؛ لصعوبة مجارة إبداعاته، وفي الوقت نفسه سهل عليهم الطريق ليحذوا حذوه،

المستشار الأول مدير البرامج بمكتب التربية العربي لدول الخليج (سابقاً).

وينفذوا خطته وأساليبه، وكان المكتب أشبه بخلية نحل يرتاده المفكرون والمبدعون والعلماء في جميع المجالات وعلى رأسها المجال الديني، فعند انتقالنا للمبنى الجديد في شارع الستين كان اختياره الأول لمكان مناسب يتوافر فيه (مصلى) للموظفين، وكلفني بالإعداد والتنفيذ لعقد لقاءات بين عمداء كليات الشريعة وكليات القانون بجامعة الدول الأعضاء من أجل التقريب بين هذه الكليات وإزالة ما بينها من اختلاف، وكان لقاءً حماسياً ناقش تدريس بعض مواد القانون في كليات الشريعة، والعكس أيضاً. بعد مراجعتي لبعض كتب كليات المعلمين في إحدى الدول الأعضاء سابقاً وجدت فيها أخطاءً شرعية خطيرة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.. فمثلاً كلمة (المؤمنون) تبدل إلى كلمة (المسلمون).. (الكافرون) إلى (المشركون)، وهكذا كثير، وبعد إشعار أبي أحمد بالموضوع اشتاط غضباً، وأرسل الملاحظات في برقية عاجلة إلى وزير تلك الدولة الذي بدوره رد عليه ببرقية طويلة يشكره فيها على توضيحه وملاحظاته، وفي تطوير تدريس التربية الإسلامية دافع عن المشروع حتى تم إقراره في آخر مؤتمر شارك فيه بالكويت، إضافة إلى إصدارات المكتب في كتب الأحاديث الصحيحة (سنن أبي داود وابن ماجه والنسائي والترمذي) التي صححها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، في عمل مرجعي مميز، لاقى استحسان واهتمام المجتمع العربي والإسلامي من خلال استمرار طلبها من المكتب.

وعند مرافقتي له بزيارة المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في باريس لتوقيع الاتفاقية بين الطرفين ألقى أبو أحمد خطاباً مهماً أمام مدير عام المنظمة أحمد مختار أمبو، كان له أثر كبير لدى المجتمعين، حيث إنه جاء في وقت مقاطعة بعض الدول الكبرى لليونسكو لمواقفها الإعلامية الجيدة، ولأن أبا أحمد يرى أن الإعلام من أخطر الوسائل المتاحة وأهمها تأثيراً في الرأي العام ودوره في العملية التربوية رأى عقد ندوة بعنوان «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟» في الرياض التي تمت برعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله وبحضوره ووزير الإعلام في المملكة د. محمد عبده يماني رحمه الله وكبار المسؤولين في التربية والإعلام والفكر من الوطن العربي.

ولانتزال مجلداتها وأفكارها متيسرة في المكتب للباحثين، وتمّ التخطيط لعقد اجتماع مشترك بين وزراء التربية ووزراء الإعلام، وتم التخطيط له بإتقان إلا أنه لم يتم لظروف خارجة عن إرادة المكتب إلا إنه استمرت اللقاءات المشتركة للمسؤولين في الإعلام والتربية بشكل دوري، وفي مجال دعمه للغة العربية التي نحبها جميعاً، كانت له جولات مهمة وكثيرة لا يمكن حصرها، ومنها أنه كلفني بالإعداد والتنفيذ لعقد لقاءات لعمداء كليات الطب في الجامعات لمناقشة تدريس الطب باللغة العربية؛ لقناعته بأن الإنسان يبدع أكثر بلغته الأم، وقمت بذلك، وتم عقد اجتماعات للعمداء في جدة والكويت وبغداد، وقد تم عرض تجارب عربية وأجنبية عن تعليم الطب باللغة الأم، وتم التركيز على إيجاد مراكز متقدمة للترجمة، إضافة إلى برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها القائم إلى الآن في المكتب، وتشترى كتبه المدارس الأجنبية في منطقة الخليج وخارجها، وكذلك مقالاته المتعددة الأسبوعية في الصحافة عن حماية اللغة العربية.. ولأبي أحمد نقاط مضيئة متعددة ومتنوعة في الإدارة والعلاقات الشخصية، فقد عاش صادقاً وصريحاً، ولم يدهن أحداً حول الحقيقة، وكان وطنياً من الطراز الأول يحب وطنه وقيادته، ويشيد بذلك في المناسبات المحلية والعالمية، ومن صفاته أنه لا يتقبل الكلام المسيء عن الآخرين، وخاصة في غيابهم، وكان يؤكد على فلسفة الحلم.. والعمل على تحقيقه حتى يصبح الحلم واقعاً، وقد عمل بكل جهده لتكون هناك جامعة مشتركة لدول الخليج، فكانت (جامعة الخليج العربي) في البحرين.. وللتاريخ بذل أبو أحمد وسخر جهوده لإنقاذها واستمرارها، عندما تعالت الأصوات لإلغائها، وكاد أن يتم الإلغاء لولا لطف الله ثم موقفه وتدخل الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله وهي حالياً منارة في التعليم العالي الخليجي تشهد له بالوفاء.

وفي لحظة ابتعاده عن قيادة وزارة التربية والتعليم، ونحن في المؤتمر العام للوزراء بدولة الكويت.. زرته في جناحه بالفندق، وقلت له: لقد سألت الله أن يبارك لك عند تعيينك وزيراً، واليوم أسأله سبحانه وتعالى أن يبارك لك ألف مرة لأنك نسيت نفسك مع العمل، وحملتها ما لا تطيق، وكان همك تطوير التعليم، وقد أديت الأمانة بإذن الله

وتوفيقه كاملة، وجعلت التربية اهتمام كل بيت، حتى أصبح التعليم قضية المجتمع، ويصدق في أبي أحمد قول الشاعر:

وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وكانت علاقة القائد التربوي الإداري أبي أحمد مع زملائه في المكتب مبنية على الاحترام والثقة والعمل والإنتاج والتشجيع.. وحتى وهو في الوزارة لم ينسهم، ودافع عن حقوقهم أمام الوزراء، حتى حصل لهم على نظام التأمينات الاجتماعية، ولا تزال ذكراه عطرة لدى المعلمين والمشرفين والمسؤولين في الدول الخليجية، ويشيدون بجهوده، كلما قابلناهم .

ومن الأعمال الاجتماعية الجميلة التي تحسب له أيضاً دعوته لسفراء دول الخليج ومعاونيهم لسفرة تروحية إلى القصيم وسدير مدة يومين، ذهبنا بالسيارات إلى هناك، وقابلنا صاحب السمو الملكي أمير القصيم، وأقمنا تلك الليلة في الخيام التي أعدها في البر أحد الأفاضل من القصيم في جو طبيعي وحميمي، وزرنا مدينة الجمعة، وتعرفنا على آثارها، وكانت لفتة كريمة من أبي أحمد تعزز علاقات المحبة بين دول الخليج وتفعيل دور المكتب في ذلك.

وخلال تلك السنوات من العمل واللقاءات اليومية والأنشطة كان لا بد من بعض المواقف الطريفة التي تشعرك بقربه منك، وهي كثيرة أذكر أنني في مهمة تنفيذ برنامج لعمداء كليات الإدارة والأعمال الذي كان بضيافة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران، وفي السادسة صباحاً يهاقني أبو أحمد يسأل عن الاجتماع؟، فقلت له: نبدأ الثامنة، والآن السادسة، فقال: أردت أن أطمئن على الأمور، فقد كان متابعاً أولاً فأولاً من الطراز الأول، تتوقع مكالمته في أي لحظة لمتابعة العمل.

مهما تحدثت عن أسلوب أبي أحمد في العمل والتعامل، فلن أوفيه حقه، فقد قال لي في آخر لقاء معه بحب ومودة في مجلسه العامر السبتية: «واصلنا دائماً، ولا

تقطّعتنا»، وعبرت له عن حبي وتقديري له وحب الناس وحديثهم عن إنجازاته داخل المملكة وخارجها.

لاشك أن هذا الحب المتبادل بين أبي أحمد والآخرين كبير جداً، خصوصاً من عمل معه انعكس إيجابياً على الإنجازات الكبيرة التي تمت، وليبقَ الحب والوفاء والكرم في قلوبنا ونفوسنا وأعمالنا، وهو نهج عملي عشناه واقعاً مع معالي الأستاذ الدكتور محمد ابن أحمد الرشيد جزاه الله خيراً، وأثابه، وجعله في ميزان حسناته.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل



سمات القيادة عند محمد الرشيد

بقلم د. أحمد بن زيد الدعجاني

بحكم عملي سكرتيراً لمعالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد مدة عمله وزيراً للتربية والتعليم فقد طاب لي أن أتحدث بما أعرفه عن أسلوب عمله وقيادته والجهود الجبارة والمتواصلة التي بذلها معاليه خلال مدة عمله وزيراً للتربية والتعليم، حيث أن الأمانة تقتضي أن أنقل وأنشر ما عايشته مدة تشرفي بالعمل تحت إدارته وملازمته علّ أن تجد فيه الأجيال القادمة وحتى الحاضرة أنموذج عمل ناجح إدارياً وتربوياً يحتذى.

فأتحدث في البداية عن وقت كان الناس فيه لا يعرفون من أعمال الهبة والوقف إلا بناء المساجد وخلافها ولم يكن حسب ما أعرف عندما جاء معاليه للوزارة في ١٤١٦/٣/٦هـ، أن هناك مدارس بنيت من تلك الأموال فسن سنة حميدة حيث دعا الميسورين، ورجال الأعمال إلى التبرع ببناء مجمعات تعليمية راقية جداً في أماكن متفرقة سميت بأسمائهم تخليداً لذكراهم، وسعى إلى الحصول على موافقة الجهات المعنية للبدء في توسعة هذه الأعمال ووضع ضوابط تحكمها.

ثم انطلق في توجهه، لا يترك مناسبة إلا وأفاد منها في توضيح مشروعه الذي يصب في مصلحة الوطن وأهله، وكان كما قيل: (على قدر أهل العزم تأتي العزائم)، فهو ذو عزيمة لا تكل ولا تمل، بيت العزيمة والحماس في العاملين معه.

وأنقل هنا للأمانة أحد الأحداث التي عايشتها عن قرب ومثلها كثير، فعندما بدأت بوادر توجه الشيخ سعد بن محمد المعجل وابني أخيه للتبرع بمشروع تعليمي

في بلدهم حوطة سدير... كان لي شرف نقل هذا التوجه، فما كان منه وهو صاحب المبادرة والهمة العالية، وسرعة العمل، إلا أن سطر كتاباً أثنى فيه على الفكرة وإن لم تصل إلى مرحلة اتخاذ القرار، وكلف مدير عام التربية والتعليم بمنطقة الرياض، وكتب هذه المقالة لنقل الرسالة شخصياً مع أرق الاعتذارات لعدم تمكنه من أن يقدم الشكر بنفسه، وبحمد الله كانت توقعات معاليه في محلها حين خاطب مشاعر، ونبأ أخلاق الشيخ المعجل، فقد ارتفعت كلفة المشروع من ستة ملايين إلى ثلاثة عشر مليون ريال، وها هو مجمع المعجل التعليمي في حوطة سدير يقع على مساحة تجاوزت عشرين ألف متر مربع ينعم به أبناء المنطقة تعليمياً وثقافياً، ورياضياً والشواهد مثله كثيرة.

إن ما قام به معالي الأستاذ الدكتور محمد الأحمد الرشيد من إنجاز في وزارة التربية والتعليم وما كان يحظى به من سمات قيادية تحتاج بالفعل أن تخضع للبحث العلمي ليفاد منها وليس أقل من دراسة لتحليل مضمون أساليبه الإدارية المتميزة ونهجه التربوي، ونظريته الإنسانية. فهو لا يعمل في الخفاء وسريته كعلايته، وحاله وصفه الشاعر بقوله:

فسري كإعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

يحضرنى مما قاله عنه الكاتب أحمد العمر في إحدى الصحف بما نصه في وصف شخصيته التربوية والقيادية: «أول ما يطالعك ومقابلته للناس أول ما يطالعك في هذا الرجل أنه إنسان بكل ما في الكلمة من معان ينبع سلوكه كله من إنسانية عميقة الغور، تطبع أكثر تصرفاته، وتصبغها بصبغتها، فهو كثير التبسم وفي الحديث الشريف: «تبسمك في وجه أخيك صدقة».

والحقيقة التي لا مرأى فيها أنه متواضع للناس صغيرهم وكبيرهم ولا يشعرهم أنه وزير يحترمهم «دون تكلف»، وقد رأيت يخطب أصغر موظف عنده وكأنه يخاطب زميلاً له، نداءً مكافئاً وهذا الاحترام لهم يصاحبه الاهتمام بهم، فتراه - على كثرة

أعبائه - حسن الاحتفاء بهم، يسألهم عن أحوالهم الخاصة وأمورهم. والدكتور الرشيد مضرب مثل في كونه مؤمناً بعمله، مخلصاً له، يجد فيه المتعة، فهو لا يحمل نفسه على ما تكره، لذا فهي تتشط له فيما يحب وتجده في حركة دائبة نشيطة لا تعرف الكلل، ولا تحب إلا المثمر من العمل، وهو أينما حل: عميداً، أو مديراً، أو وزيراً، حوّل ما حوله إلى خلية نحل عاملة بشكل عجيب وصدق فيه قول القائل:

متوقد منه الزمان وربما كان الزمان بأخرين بليداً

وحرصه على دوامه في العمل - في مراحل حياته العملية كلها - أمر عرف عنه، فهو من أول الناس حضوراً لعمله في الصباح وآخرهم انصرافاً منه، لذا يتعب ويتعب من معه، فإذا سافر في مهمة تضاعف شكوى المرافقين من مواصلة العمل دون استراحة للأجسام، أما الراحة النفسية فهي متحققة على الدوام، هذا يذكرنا بقول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وهو في أغلب أحواله - هاش باش، يغدق الثناء الصادق على من حوله، أو من يلقى، وهو لين القول، حار الترحيب، يخاطب الناس بالحب، والمودة، والقلب المنفتح، وقد رأيت محيياً، وسمعتة متكلماً بالهاتف، فملك إعجابي ذلك الأسلوب الرائع من الترحيب والتحية والسلام، الذي تشعرك حرارته وصدقته بجو الأسرة الحميم، والصدقة الصافية التي ندرت هذه الأيام.

ومن صدق إنسانيته، وعلو نفسه، مقابلته الإساءة بالصفح، بل بالإحسان فإذا أساء أحد إليه بقول في اجتماع عام أو خاص، أو بمقال في صحيفة أو مجلة، يغمز فيه ويلمز، بسوء أدب في بعض الأحيان، لم يغضب لنفسه، وترك الرد عليه. وبدهي أن عفوه هذا هو عفو القادر لا عفو العاجز، فالرد سهل عليه يسير، فهو الوزير، يطاع أمره، وتلبى رغبته.

ولقد رأيت في بعض الأحيان غضبان منفعلاً لمصلحة العمل أو تأخر إنجاز، لكنه الغضب الذي يملك معه نفسه، وهو أسرع مروراً من سحابة الصيف، إذا طال لم يزد على بضع دقائق، ثم تعود سماؤه صحواً، وربيع روحه نفاحاً بالشذى، نضاحاً بالطيوب. انتهى حديث الكاتب أحمد العمر.

ومحمد الرشيد الذي يُحِبُّ ويُحِبُّ أن ينادى بأبي أحمد، كانت لديه قدرة عجيبة على توليد الأفكار المتنوعة التي ليست من النوع المتوقع، ويستطيع توجيه وتحويل مسار التفكير نحو مواطن الإبداع.

إذ كان ممدوح السيرة، عالي الصيت، مقدرٌ لكبار أهل العلم الذين هم عنده في محل العز، واثقاً في نفسه ومشروعه واضحاً ورؤيته أوضح يحفظ الوطن عن ظهر قلب تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً، ويستظهر روائعه ويعتز بقيمه وأمجاده، وتذوب مصلحته الذاتية في مصلحة الجماعة، وهو الذي قال وفعل مقولاته الرائعة: (العمل بروح الفريق) و(حدودكم السماء) في إشارة للتفويض المتزن، ولم ينقسم العاملون معه بل كانوا متفقين، ومنه تعلمت أرقى وأنقى وأبقى أساليب الإدارة، وأنعم الله عليه بشخصية كارزمية فيها حكمة لم تبناها له الظروف، بل البناء الشخصي، كانت في شخصيته من المزايا والسجايا ما يوضح الأنموذج الأمثل للعمل وما يسوغ جهوده الجبارة التي آلت إلى النجاح بفضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، ثم بفضل دعم وتقدير ولاية الأمر حفظهم الله، وكان ذو نظرة ثاقبة، ومروءة راسخة، ووطنية متجذرة، ووفاء وعطاء، وحب متناه، فها هو يستقبل محبيه الذين زادوا وما نقصوا (بعد ترك الوزارة) في (سبتيته) الشهيرة التي افتتحت منذ سنوات وما زالت منبثقةً تطرح فيه الأفكار النيرة. هذا ما يكنه الضمير من الإخلاص، والتقدير لرجل من رجالات الوطن الأفاضل، أكثر الله من أمثاله، ودام عز الوطن بقيادته الرشيدة حفظها الله.



محمد بن أحمد الرشيد

د. خضر بن عليان القرشي (*)

سيدكرني قومي إذا جد جد همهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ما سوف أسطره في الصفحات القادمة ليس تأبيناً، ولا مدحاً، ولا إطراءً، ولا تمجيداً لأحد، لكنه تسجيل وتوثيق لمرحلة من مراحل تجربتي الشخصية مع معالي الأخ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد - تغمده الله بواسع رحمته -.

في عام ١٤١٦هـ هاتفتني معالي الأخ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد - رحمه الله -، ولم أحظ بشرف معرفته قبل هذا الاتصال، وطلب لقاءني في الوزارة، فظننت أنه يريد أمراً يتعلق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وكنت أميناً لها آنذاك، ولما سألته عن إمكان قضاء ما يريد هاتفياً، أجابني: «أريدك في كلمة (راس)».

أذكر هذا لأن التوافق والتفاهم الذي حصل بيني وبينه - رحمه الله - بعد عملي في الوزارة، ألقى في روع كثير من الناس أن لي علاقة أو زمالة قديمة تربطني به، وليت الأمر كان كذلك فهذا شرف لا أدعيه، ولكني أسجل تاريخاً الآن.

وانتهزت موعد مناقشة ميزانية الجامعة في وزارة المالية كما هي العادة، وبعد الانتهاء من ذلك توجهت مباشرة إلى وزارة التعليم (وزارة المعارف آنذاك) دون ترتيب مسبق، فدخلت مكتب معاليه مباشرة، فاستقبلني مرحباً ترحيباً حاراً، وقد بدا منه تواضع جم، لم أعده في غيره من بعض كبار رجالات الدولة.

(*) عضو مجلس الشورى/ نائب وزير التربية والتعليم لتعليم البنات (سابقاً).

ودون مقدمات طويلة طلب مني الانتقال من الجامعة إلى الوزارة، فتفاجأت بهذا الطلب، واعتبرته صعب التحقيق، لتلقي بالجامعة وبيئتها العامة من جهة، وكذلك مجال تخصصي وخبرتي العملية من جهة أخرى، فكانت ردة فعلي الاعتذار، فانهاج عليّ بحديث رائع حول الوطنية وحب الوطن، والتضحية، إلى غير ذلك مما يكتنف هذه المفاهيم والقيم من معانٍ سامية، ولا أخفي القارئ العزيز أنني أحسست بصدق مشاعر الرجل وعواطفه، وأنه يسعى إلى خدمة وطنه، فقدمت سبباً لاعتذاري بأن والدي - عليه رحمة الله - على فراش المرض في مستشفى الحرس الوطني بجدة، ولأجل بقائي بجانبه سأقدم بطلب تفرغ دراسي، إلى أن يحدث الله بعد ذلك أمراً، لكنه أقفل عليّ هذا الباب بقوله: «أريدك في جدة، واعطني من فائض وقتك، وما دام أن هدفك البر بأبيك، فاعلم أن الله معك، وسوف يسخرنا لتفهم ظروفك». لم يكن أمامي إلا التشبث بعذر آخر لعله يعتقني، فقلت: انتقل إعاره لمدة سنة وأعود، فوافق مباشرة، وقال بلهجة المميزة «إذا ما جزنا لك ارجع»، أجبته: قد أكون أنا الذي لا أجوز لكم، فقال: «بلى بس توكل على الله».

ولما شرع في الإجراءات، قلت له: مهلاً معالي الوزير قبل أن أتحمّل المسؤولية العظيمة، أريد أن أعرف المساحة المعطاة لي في العمل، وحدود الصلاحيات، والمهام، وقدمت له لائحة طويلة من الاستفسارات، انتقدت نفسي بعد أن سمعت جوابه، قائلاً: «حدودك السماء»، وقصّ لي قصة وراءها من الأحداث ما وراءها، ولكن المجال لا يتسع لذكرها على جمالها ونبيل مقصدها وهدفها، وقد يأتي وقت أتوسع فيه في بسط هذه القصة.

لقد كان العمل في جدة مع إنسان نبيل، هو الأمير ماجد بن عبدالعزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - أمير منطقة مكة المكرمة - حيث قدم لي ولكل منسوبي التعليم كل دعم ومؤازرة، جزاه الله خير الجزاء.

ومن أول يوم قابلته فيه وجّهني بعدة أمور، وأرشدني إلى ضرورة تحقيق أهداف واضحة ومحددة، عملت مع زملائي على تحقيقها بروح الفريق الواحد، وكان رحمه الله شاكراً ذاكراً للإدارة بكل خير.

لقد سهل لنا سموه توطيد علاقات، وإقامة شراكات بناءة مع القطاع التجاري والصناعي من خلال غرفة جدة، وامتد ذلك إلى الإدارات الحكومية التي لا يستغني عنها التعليم، مثل: أجهزة وزارة الداخلية، من دفاع مدني، ومرور، وشرطة، والقطاعات الأخرى الحكومية والأهلية، حتى أصبح التعليم في واجهة الحدث في جدة، لا حرمه الله أجر ما قدم.

أمضيت في جدة سنتين، وبعد مضيها توفى والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وكانت وفاته صدمة وخسارة كبيرة، أصبتُ في أعز إنسان لدي، كان نعم الأب، والأخ، والصديق، عوضني حنان أمي عليها رحمة الله، فقد توفيت وأنا طفل صغير لا أعرفها، تمنيت لو بقي لها رسم أو صورة، لكن هذه التقنية لم تكن موجودة تلك الأيام.

والدي وصاحبي وصديقي صار إلى جوار ربه، فشعرت أني في فراغ شديد، لكن ما وسانني وخفف من مصابي زيارة سمو الأمير ماجد رحمه الله إلى منزلي معزياً، واتصال الصديق الصدوق محمد الرشيد، وكان وقتها في كوريا للاطلاع على أنظمتها التعليمية، فلديهم نظام تعليمي مميز، مكّنه من تحقيق المركز الثاني في آخر إحصائية، اتصل بي ليواسيني ويعزيني، وكذا كل الأحبة والأصدقاء والزملاء، ما منهم من أحد إلا وقام بالواجب. وبعد عودة الوزير من كوريا، فاجأني بقوله: «ذهب الذي كنت تحتج بوجودك في جدة من أجله، أريدك أن تنتقل إلى الرياض».

لقد كان العمل معه رحمه الله يجعلك لا ترد له طلباً، ولكني كنت أعلم أن الأمير لن يعجبه هذا القرار، فرجوته أن يحدث الأمير، فاتصل بي الأمير وقال: «ما هذا الذي أسمعه!»، فأجبتُه بأني في خدمة هذا الوطن يا سمو الأمير، أينما أوضع سأبذل قصارى جهدي لخدمة وطني، لم يكن راضياً، لكنه لم يرغب في تعطيل رغبة الوزير، فله درهم من أمير ووزير، قلماً تجد مثليهما، خلقاً، ونُبلاً، وحياءً منقطع النظير، كنت أسمع أن فلاناً أشد حياءً من البكر في خدرها، فوجدت ذلك فيهما، أسكنهما الله فسيح جناته، وجزاهما الله خير الجزاء على ما قدماه لأمتها.

ثم انتقلت إلى الرياض وكيلاً للوزارة، بدأ العمل واستمر بروح الفريق، لكنني وجدت أمراً كان في غاية الأهمية، وهو أن تأثير مدير التعليم في الميدان كان أعمق وأمضى من تأثير الوكيل، أو حتى الوزير، فتمنيت لو بقيت في الميدان لأرى ثمرة عملي أمام عيني. الوكيل مع فريقه يدرسون ويخططون ويقررون، ويطلبون من الميدان التنفيذ، وليس من رأى كمن سمع، ولو استقبلت من أمري ما استدرت لبقيت في العمل الميداني، لأن أثره كبير ومشاهد.

وأنصح كل وزير أن يعمل على استقلالية إدارات التعليم بميزانياتها وكوادرها، مثل الجامعات، بل أكثر استقلالاً ومرونة مالية وإدارية، ولجعلت الوزارة تكتفي بالسياسات والتخطيط والتطوير والإشراف والرقابة والجودة. والغريب أن الجامعات في كل مناطق العمل عدد طلابها وأساتذتها أقل بكثير من إدارة التعليم في نفس المدينة، ومع هذا فالمعاملة والمزايا مختلفة ومتباينة، دون منطلق يحكم هذا التباين.

شكراً لسمو الأمير الشاعر خالد الفيصل، فعندما كان وزيراً للتربية أدرك حجم هذا التباين، واستطاع أن يحصل على مراتب ممتازة لبعض مديري التعليم، ليتمكن من استقطاب الكفاءات المميزة، ولكنه منذ أن ترك الوزارة لم أسمع عن مصير تلك الوظائف، التي أعلنت للقاصي والداني.

أتمنى من معالي وزير التعليم أن ينظر في هذا الاقتراح، وهو استقلال إدارات التعليم، وإحياء المراتب المفقودة، ولا سيما أن الأمير سن سنة حسنة فله أجرها، وللوزير أجرها إن عمل بها وأحيها.

وبعد أن تقاعدت من الوزارة زرت زملائي في تعليم جدة، ولما انتهيت إلى المدخل وجدت لوحة تحمل صور مديري التعليم منذ تأسيس الإدارة وإلى جانبها المدة الزمنية لكل منهم، وقد لفت نظري أن المدة المدونة أمام اسمي سنتان. وكنت أحسبها عشرًا أو أكثر، لأن ما تحقق كان كبيراً وكثيراً، فإذا بها سنتان تمر مر البرق، لقد زاد يقيني أن تأثير مدير التعليم هو أعظم من تأثير أي مسؤول في الوزارة.

ثم رجعت بذاكرتي إلى السنوات التي عملت فيها وكيلاً فوجدتها أياماً أكثر، لكنها أقل نتائجاً وفائدةً، ولهذا ما زلت مقتنعاً أن أهم مكان للتغيير في التعليم هو مدير التعليم، فيا ليتها تستقل مالياً، وإدارياً، وليُصطفى لها من الرجال الأمناء الأقوياء «إن خير من استأجرت القوي الأمين».

في ليلة مزدحمة بالعمل اتصل بي الوزير، وطلب مني مصاحبته إلى جدة، وطلنت أنها رحلة عمل عادية، غير أنني اكتشفت وأنا في الطائرة أن الزيارة كانت وجهتها إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله تغمده الله برحمته، وكان حينها ولياً للعهد، وهناك علمت بتكليفي نائباً للوزير لتعليم البنات، ودمج التعليم (وزارة التربية والتعليم، والرئاسة العامة لتعليم البنات) في وزارة واحدة، وبالتحديد كان ذلك في عصر اليوم العاشر (عاشوراء) من شهر المحرم (١٤٢٣هـ).

عملت في ذلك القطاع ثلاث سنوات، ثم تم اختياري عضواً في مجلس الشورى من تاريخ ١٤٢٦هـ إلى اليوم الذي أكتب فيه هذه الأحداث (١٤٢٧هـ).

مرت السنوات الثلاث بمرها كأنها سنوات يوسف عليه السلام، وتجربتي في تعليم البنات تجربة مرة، مررت فيها بأحداث ومواقف، ولكن ليس هذا مقامها ولا مكانها، وقد يأتي وقت أتمكن من بسطها إن شاء الله للعبرة والموعظة الحسنة.

أما الوزارة والوزير فقد واجها تهماً وافتراءات ليست صحيحة من فئة قليلة من الناس، وعجبت لقوم يلقون التهم جزافاً دون روية أو بينة، ويحسبونونه هيناً وهو عند الله عظيم، فكيف والوزارة تحظى بنخب مخصصة من أبناء الوطن في الوزارة والمناطق التعليمية. ووجدت أن معالي الوزير شخصياً يحيط به فئة أو على صلة قريبة منه نخبة من الفضلاء والكرام منهم الشيخ عبد الرحمن الباني، والشيخ محمد لطفي الصباغ والدكتور محمد سليم العوا، وزملاء كرام في الوزارة عرفتهم عن قرب، لا يتسع الحيز لذكرهم كلهم، لا يُقربهم إلا رجل واثق من نفسه قوي من داخله، يحب الأقوياء المتمكنين الصالحين، ولا شك أن المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخال.

كما أنه اختار أربع مئة وسبعة وستين (٤٦٧) عالماً من العلماء الكبار من جامعات عربية، وغربية، ومؤسسات دولية، لبحث ودراسة قضايا الأمة، والرد على شبهات المستشرقين وكانت هذه البحوث والدراسات فريدة في نوعها، حول «مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية والعربية». فمن يقرأ للمستشرقين يدرك مدى إساءة بعضهم في كتبهم للإسلام والعروبة. قدموا كتباً مليئة بالتضليل والتحريف، بعضهم قدمها للقراء عن جهل، أو سوء فهم، أما بعضهم الآخر فلا يساورني شك في خبث مقصده.

ومن أراد الاستزادة فليطالع هذه الدراسة التي كلف الدكتور محمد الرشيد (رحمه الله) الأستاذ زهير الشاويش (رحمه الله) بطباعتها.

كما أنه كلف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (رحمه الله) بتحقيق كتب السنن الأربعة (سنن أبي داود، وسنن النسائي، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه) والتي أنجزها الشيخ وفعلاً تمت طباعتها وتعد مرجعاً أساساً لأحكام الشريعة ومستنداً موثقاً عندما يقال: صححه الألباني.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي هاتفني فيه معالي الوزير، وكان يوم خميس (إجازة نهاية الأسبوع) ليخبرني أن وزارة الإعلام زارها مندوبون قنات فضائية وصحفيون وكتاب، يبحثون قضية التطرف والإرهاب بعد قضية ١١ سبتمبر، وأن المملكة كانت محطة تهمهم، وقد طلب معالي وزير الثقافة والإعلام من زميله وزير التربية أن يستقبلهم ويشرح لهم عن المناهج السعودية، فلما وصلت منزله وجدت مجموعة من الزملاء وكلاء الوزارة أذكر، منهم: الدكتور محمد العصيمي والزميل الدكتور محمد بن حسن الصائغ والدكتور إبراهيم الدريس (رحمه الله) والدكتور خالد العواد وكلاء الوزارة.

فلما شرع الصحفيون في الأسئلة تناول (رحمه الله) القرآن الكريم كان على رف مرتفع فقرأ عليهم بعض آيات السلم والسلام والحرية والعدل، وكان المصورون يلتقطون له الصور وهو ممسك بالمصحف، وبعد أيام وإذ بصورته ممسكاً بالمصحف، في جريدة

مشهورة والكلام الذي مع الصورة يختلف شكلاً ومضموناً، وكأن الأمر أُريدَ به مكيدة للرجل، فقد ورد في الكلام أن الوزير لا يريد من الطلاب أن يرددوا كالبغاوات والقرآن الكريم في يده، وللقارئ المنصف تصوّر ماذا يُفهم من ذلك المشهد.

لقد كان رجلاً يدافع عن أمته ودينه ووطنه بالحجة، والقرآن الكريم في يده، وما أعظمها من حجة، وأما نحن فقد أدلينا ساعتها بدلائنا، وظننت أن القوم أسقط في أيديهم، وذهبوا بوجوه غير التي جاءوا بها، غير أنني عزوت هذا التوفيق إلى إخلاص النية وصدق القضية.

حاول جاهداً تطوير التعليم، واستطاع حشد الميدان وتوجيهه للتطوير بقناعة تامة، وتحقق جلّ ما سعى له بالرغم من التدخلات من غير المتخصصين، وبعضها ما زالت تستمد الوزارة تطويرها منه.

وانطلاقاً من اهتمام الوزير بالتطوير اتجه إلى مجلس التعاون وحشد الوزراء، بغية تطوير التعليم في دول الخليج، لعله يجد قنّاة أخرى لتنفيذ برامجه، وبالفعل قُدّم مشروعٌ متكاملٌ إلى قادة مجلس التعاون تمت الموافقة عليه، ونفذه وزراء التربية في دول الخليج بنسب متفاوتة، ولكن وزارة التربية السعودية واجهت صعوبات جمّة في التنفيذ الكامل بسبب التدخلات. مؤلم على الوزير أن يرى الدول تنفذ مشروعاً تطويرياً كان هو عزّابه، بينما هو لم يستطع، إلا أنه لم يعلن استسلامه، حاول وما أكثر المحاولات! نجح في جزء، ولم يستطع في أجزاء أخرى، واستمر في الجهود (رحمه الله) إلى أن ترجل الفارس عن صهوة جواده، يصف مرحلته أحد المشرفين التربويين المتميزين: «أن الميدان كان شعلة من نار، ثم أطفئت كمن صب عليها ماءً بارداً».

إن معضلة عدم تطوير التعليم أحبطت المجتمع، وبدأ كل يبحث عن بدائل خروجاً من المشكلة، ولسوء الحظ إهتدوا إلى بديل سهل، وهو فتح وفسح المجال للطلاب السعوديين بالدراسة في المدارس العالمية بمناهج غربية، وطرق تدريس ووسائل خاصة

بها، والطامة الكبرى أن اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس، وكما هو معلوم أن اللغة ليست وسيلة اتصال فقط، بل وعاء للفكر، وما تقدم وأبدع قوم إلا بلسانهم، وهذا اللجوء للمدارس العالمية يعد مشكلة تربوية واجتماعية ووطنية تحتاج إلى وقفة حاسمة وجادة من القيادة، وألا يترك الأمر مستمراً كما هو عليه الآن.

لا أريد أن أتوسع في هذا الأمر لأنه يحتاج إلى مؤلفات، وأكتفي بالقول بأن محاولات معالي الدكتور الرشيد لو تحقق لها النجاح بالكامل لما انصرف الناس إلى هذه البدائل.

ويا ليت اختيار الوزير ممن يتمتعون بكفاءة عالية، ومهنية عميقة، فيه قوة وأمانة، ثم تطلق يده مع محاسبه، وبعد أن يقدم مشروعه الإستراتيجي والتنفيذي، يناقش من متخصصين ومهتمين، وتعد له المؤتمرات وورش العمل، وبعد اكتماله يعرض على مجلس الوزراء للإقرار، وبعد إقراره يطالب بحسن التنفيذ ويحاسب على التقصير، ولا تترك البرامج للتغيير والتبديل ﴿كَأَلَّتِي فَقَضْتُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: ٩٢].

هذا غيظ من فيض، ولكني سأوجز في السطور الآتية من هو أبو أحمد، أكنيه لأن هذه رغبته، لقد طلب منا أن ندعو بعضنا بأبي فلان وأبي فلان، علاقة حميمية قلما تجدها في منشأة حكومية.

رحم الله أبا أحمد! الذي قضى عمره في خدمة دينه ووطنه وأمته.

رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

الحديث عن أبي أحمد حديث يطول، وما سردته من مشاهد وأحداث بقي غيرها كثير وكثير، وقد يأتي الوقت المناسب لأبسرها للعظة والعبرة. لقد كان يمتلك صفات جمّة، غير أنني سأختار منها أربع سمات، جعلت منه وزيراً مختلفاً، كانت محل الأسوة والقودة.

السمة الأولى:

لقد كان يعمل في وزارته (بروح الفريق) ، وهذه الروح هي التي جعلته يبحث عن الطاقات والكفاءات والقيادات، لتكون معه في فريق واحد. وهذه الروح أيضاً هي التي جعلته يعطي هذا الفريق مساحة واسعة من الصلاحيات، حتى يكون لوجودهم هدف ومعنى، فإن من يجمع الطاقات ثم يكبل صلاحياتها، يشبه من يعمل وحده بلا رفيق ولا فريق، بهذه الروح اجتمع في الوزارة خيرة الرجال، عملوا بروح مفعمة بالمسؤولية والتحدي. كان يتخذ القرار بروح الفريق الواحد، يفتح المجال رحباً في النقاش والمراجعة، حتى نصل جميعاً للرأي الأنسب، والقوي وحده هو الذي لا يقلق من النقاش، ولا يخاف من المراجعة والمداولة. كانت الحرية مكفولة للجميع، حتى في الاجتماعات الواسعة مع الميدان، يسمع من الجميع، ويرحب بالأفكار، ويناقش القضايا دون خوف أورية.

السمة الثانية:

الإقدام: سمعت من معالي الدكتور عبدالعزيز الدخيل المدير السابق لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، أن مجلس أمناء جامعة الخليج بالبحرين أدرج على جدول أعماله تصفية الجامعة لصعوبات مالية كانت تواجهها، عندما بلغ الدكتور الرشيد الخبر، وكان حينها أستاذاً في جامعة الملك سعود، حاول أن يثني المجلس عن توجهه ولم يستطع، فاضطر إلى الاتصال بالملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - مباشرة، وأبلغه الأمر، فما كان من الملك إلا أن يطلب منه أن يبلغ المجلس «أن الجامعة يجب أن تبقى وتُستمر، وأن المملكة سوف تتكفل بالأمور المالية كافة»، وبالفعل بلغ المجلس في الاجتماع وأنقذت الجامعة من الإغلاق والتصفية، وما زالت تقدم برامجها إلى اليوم، جزاه الله أجر ما فعل، وأسأل الله تعالى أن يسهل له طريقاً إلى الجنة كما سهل لهؤلاء الطلاب العلم. لا أظن أن الإقدام والمبادرة التي تمتع بها - رحمه الله - تجدها في كثير من الناس، لاحظ أنه لم يكن وقتها وزيراً، ولا قريباً من القرار، لكنها الوطنية والغيرة مصحوبتان بإقدام منقطع النظير.

السمة الثالثة:

(الأمل والعمل) هو أمر آخر في شخصيته، كانت الوزارة تمر بتحديات كثيرة، ويعترضها عقبات كثيرة، وربما أساء الظن بعض الناس وأشاع القالة ضدها: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] وهو في كل أحواله مستمسك بالأمل والعمل، ولو سرى الإحباط إلى نفسه لانهزم الفريق أمام هذه التحديات.

التعليم وتطويره مهمة صعبة وحساسة، ولا يصلح لها رجل يجد الإحباط إلى نفسه سبيلاً، ولا يصلح لها رجل يجد الكسل والفتور إليه طريقاً. كانت روحه المفعمة بالأمل هي الطاقة التي تجعل الفريق في عمل دائم، وتفويضه لرفاقه لم يكن تفويض الكسول الذي يرمي العبء على غيره، بل هو تفويض الشريك الذي يقاسمك الثقة والمسؤولية، والجهد والتعب، منذ أن يستيقظ في صباحه وحتى يأوي إلى فراشه هو في عمل لا يقل عن باقي أصدقائه داخل الوزارة.

ما أجمل تلك الذكريات! والجميع في حالة من الأمل والعمل، والتحدي للظروف والعقبات؛ بغية الوصول إلى تعليم يليق بهذا الوطن وأبنائه الكرام.

السمة الرابعة:

وأختم بهذه السمة، وهي: (الإنسانية). ففي قلبه رحمة ومودة وأخلاق نبيلة، تتصاغر أمامها كل المشاغل، لقد كانت عيادة المريض، وواجب العزاء، ومشاركة الفرحة، والتهنئة بالعيد قضايا مقدسة، لا يحول بينه وبينها عذر، وربما سافر من أجل ذلك، هذه الإنسانية هي التي تمنح العمل رسالته وجماله. فماذا نريد من قيادة التعليم إذا نحن أخفقنا في واجب الأخلاق والإنسانية؟ لم يكن يكتفي بالواجب، بل تجد الإنسانية اللمسة الجميلة التي يفاجئ بها من حوله في كل مناسبة. وقد بقيت هذه الأخلاق هي التي تجمع الشمل حتى بعد الوزارة، عاماً بعد عام، لقد كان بحق من «الموطنين أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون»، واسع الصدر، وكان رقيقاً بالجميع؛ مؤمناً بـ «أن الرفق لا يكون في شيء

إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». ومن مميزاتة الحسنة أيضاً العفو عند المقدرة عن كل من أساء إليه، يلتمس الأجر من الله، وما أعظمه من أجر: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

لقد كان أبو أحمد وزيراً مختلفاً، قضى حياته في خدمة دينه ووطنه وأمته، ولهذا فهو يستحق منا وفاءً، وتذكيراً، ومحبةً، ودعاءً. اللهم اجمعنا به في دار كرامتك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومما يعزي النفس بفقده أنه خلف رجلاً، «ومن خلف ما مات». بارك الله فيهم وفي ذرياتهم، وأعانهم على إكمال ما خطه أبوهم، فأكرم به من أب، وأنعم بهم من أبناء، والله من وراء القصد، والهادي إلى سواء السبيل.



الشخصية الاستثنائية عملاً وتعاملاً

أ. صالح بن عبدالله التويجري*

يمثل الدكتور محمد الرشيد -رحمه الله- الشخصية الاستثنائية ذات الأدوات المتفردة في العمل، والمعاني السامية في التعامل أنموذجاً فذاً وعنواناً بارزاً احتل من خلالها صدارة الفكر التربوي على مستوى الوطن ودول الخليج ومنظمات التربية عربياً وعالمياً مسيطراً على الشعور والمشاعر عطاءً لافتاً في مختلف المواقف والمواقع والميادين، ومن هنا فليس من السهل على الإطلاق تتبع سمات هذه الشخصية النادرة ورصد إنجازاتها والتعريف بامتيازاتها تربوياً وقياداً ووفاءً... في مقال كهذا ولكني أقول حسبنا من السوار ما يحيط بالمعصم.

فمحمد الرشيد رمز تتوارى أمام وصفه، وما قدمه من مثالية في العمل مفردات اللغة وقواميسها في حين نشعر نحن بالقصور عن الحديث عنه وعن عمله وحسن خلقه، ولئن غاب هذا الرمز الوطني المفعم بقيم الكفاءة والجدارة والمواطنة والولاء لدينه ووطنه وأمته والمحقة لمعاني الإنسانية والنبيل والوفاء، فإنه سيظل عامراً في قلوبنا حاضراً في وجداننا وكل من تعامل معه.

وستبقى في ذاكرة الأجيال شاهداً حياً في عالم العلم والعمل يحكي روحاً حملت ريحاناً، فتألفت كبر الدجى في سماء التربية والتعليم..

محمد الرشيد خرج على التقليدية والرتابة والنمطية، وأصبح علامة فارقة في تاريخ وزارة التربية والتعليم، ونقطة تحول هائلة في أساليب عملها، وهياكلها، وبرامجها، حتى أصبحت الوزارة في عهده مضماراً مكتظاً بسباقات فكر حافلة ملأت أرجاء الوطن والمناطق التعليمية بالذات تواملاً ونجاحاً وتميزاً، ورفعت معنويات المعلمين والقائمين على التعليم في المناطق وكليات المعلمين والوزارة، وقدمت نماذج فذة في العمل بروح

* مدير عام التعليم بمنطقة القصيم سابقاً.

الفريق والتعاون والتفوق والإبداع، تلك التجليات اللافتة والمبادرات الحيوية جاءت نتيجة مناخ مختلف استقطب العديد من الكفاءات، وأعاد صياغتها مختطاً لها مساحة كافية يملؤها الحب والتقدير والثقة والاحترام.

هذا بعض ما احتوته كنانة محمد الرشيد، وهكذا كان سلاحه، فاستطاع قيادة المركب، وشق عباب البحر بسواعد استحضرت الدور، وقدرت المسؤولية، واقتدت بالقيادة، فاستمتعت، وتجلت، وتباهت بتجليات وزيرها المغمرم بالتجديد والتحديث والإبداع في أجواء لا تعرف المستحيل، ولا تعوقها العقبات، فترى في كل مشهد أبا أحمد - رحمه الله - حاضراً بفكره وتوجيهاته وصبره وحلمه، وقبل ذلك يأتي تقديره وامتنانه ووفاءه للعاملين معه على مختلف مسمياتهم.

محمد الرشيد - رحمه الله - لم يحدث هذه النقلة النوعية، ويحقق الإنجاز بسلطة الوزير ولا بأمره ونهيه ولا حتى بحكم مركزه ودرجة نفوذه، بل جاءت منقاداً بالحب والعطاء والوفاء والتضحية والثقة والإخلاص.

محمد الرشيد - رحمه الله - لم يكن مجرد وزير للتربية والتعليم فحسب.. بل كان وزيراً للإنسانية بأسمى معانيها وأبهى صورها.. لم نشعر معه حيناً أننا خلفه أو تحت إدارته، فقد كان ضمن الصف في مختلف مواقفه ومناسباته وأدواره.

وإذا كان - رحمه الله - قد حقق للوزارة والتعليم على خارطة الوطن إنجازات كبيرة، وأرقاماً نفخر ونفاخر بها، فإن وزارة التربية والتعليم تمثل حلقة واحدة فقط في سلسلة (محمد الرشيد) القائمة السامقة التي استطاعت أن تشكل طيفاً متناغماً، ويكفي أنه جمعنا حياً، وجمعنا ميتاً يرحمه الله..

هكذا هم الكبار.. وهدهم من يرسمون خارطة المستقبل.. في حياتهم وبعد رحيلهم.. أنموذجاً متفرداً في القيادة والتربية والوفاء.

رحم الله أبا أحمد، وجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



من الانطباعات عن الطبعة الأولى

نشكركما على تزويدنا بهذا الكتاب القيم والذي يؤرخ لمرحلة من تاريخ التربية والتعليم ومسيرة رجل أخلص وبذل وأنتج .. فبارك الله فيكم جميعاً .
متمنين لكما دوام التوفيق والسداد .
والسلام عليكم !!!

فيصل بن بندر بن عبد العزيز



أمير منطقة القصيم

فقد وصلني وصلكم الله بطاعته إهداؤكم القيم والتمين المتضمن كتاب " التربية والقيادة والوفاء عند معالي الأستاذ الدكتور / محمد بن أحمد الرشيد : قراءات وذكريات " .
ولاني إذ أقدر لسعادتكم تواصلكم معي وإهداءكم لأدعو الله العلي القدير لكم بدوام التوفيق والسداد
وأن ينفع بكم العباد والبلاد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه



أ . د . عبدالله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء



أشركم على هذا الإهداء القيم، والذي حوى مقالات وذكريات كتبت بأقلام نخبة من القيادات التربوية والإدارية وتناولت رائدا من رواد التربية والتعليم في مملكتنا الحبيبة وهو الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، الذي يستحق من الجميع كل تقدير.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري ،،،

وزير الثقافة والإعلام

عبدالعزيز بن محيي الدين خوجه



أشكر اهتمامكم بتزويدي بهذا الكتاب القيم الذي يترجم قيادة تربوية مميزة، مثمنا الأعلام التي شاركت بمواضيع في إعداده، و متمنيا لسعادتكما دوام التوفيق والنجاح. وتقبلوا أطيب تحياتي،،،

وزير الاقتصاد والتخطيط

د. محمد بن سليمان الجاسر

8

الأولى ، لإهدائي نسخة من هذا السفر الثمين عن رائد من رواد العمل التربوي في بلادنا ، حمل هم التربية وزيراً سنيناً عدداً ، وبذل في سبيلها ما بذل جهداً وتفكيراً وإنجازاً .

الثانية ، لاختياركما هذا الرجل غير العادي تكريماً له عبر كوكبة من الأعلام المؤهلة والصادقة ، ويكون هذا الكتاب إهداءً له شخصاً وإنجازاً ، متمنياً لكما دوام التوفيق والسداد .

مع أطيب تحياتي وتقديري .،،،

الأمين العام لمجلس الوزراء

عبد الرحمن بن محمد السدحان

8

ويسرني أن أشكركم على هذا الإهداء وعلى جهودكم التي تعتبر لمسة وفاء وعرفان لمعالي الأخ الدكتور/ محمد بن أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم السابق، والذي ساهم بجهوده في دعم وتطوير مسيرة التربية والتعليم في هذه البلاد المباركة، أتمنى لكم دوام التوفيق والسداد.

ولكم وافر التحية والتقدير،،،

نائب الوزير لشؤون البنات

نورة بنت عبد الله الفايز



وانني إذ أشكر لكم هذا الإهداء القيم ، الذي يعبر عن صورة من صور الوفاء ، لمن عملوا مع معاليه ، ويوثق لأحد الرجال المخلصين الذين بذلوا ، ولا زالوا يبذلون ، الجهد المتميز لخدمة التربية والتعليم بشكل خاص والتنمية الشاملة بشكل عام في بلادنا الغالية ، لأشيد بالجهود التي بذلتها في سبيل إنجاز الإصدار بهذا الشكل المتميز ، متمنياً للجميع التوفيق والسداد .

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري .

مدير عام معهد الإدارة العامة

عبدالرحمن بن عبدالله الشقاوي



تلقيت ببإلغ الشكر والتقدير إهداءكم لنا نسخة من كتابكم القيم (التربية والقيادة والوفاء عند محمد بن أحمد الرشيد : قراءات وذكريات) و أطلعت على ما احتواه من معلومات قيمة و متنوعة تليق بهذه الشخصية الفذة .

وأني إذ اشكركم على ذلك لأسأل الله لكم مزيداً من التوفيق .

ولكم خالص تحياتي وتقديري ،،،

أُضْرِبُ

اللواء الدكتور / صالح بن فارس الزهراني

عضو مجلس الشورى



مما جعل العديد من تلك التجارب تستحق الوقوف عندها في عدد من المقالات التي حملها الكتاب، وذلك سعياً لأن تكون هذه الممارسات الإدارية الحديثة تجارب ناجحة تستحق التدوين من جانب، وتستحق إشاعتها للإفادة منها في مجالات الإدارة المختلفة من جانب آخر.. اسهاماً في تقديم تصورات عملية إدارية للإسهام في حل مشكلة الإدارة وما قد يعترض العمل الإداري من سلبيات، ومن ثم الارتقاء بمستوى العمل التربوي الإداري.

جريدة الرياض اليومية

م ٢٠١٢/٣/٤



التربية والقيادة والوفاء

جاء هذا الكتاب في بضع وعشرين مقالة بأقلام نخبة من القيادات التربوية والإدارية ذوي الخبرة والفكر من داخل المملكة وخارجها الذين عملوا مباشرة مع معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير التربية والتعليم الأسبق.

والكتاب يتضمن مواقف عديدة وهو من إشراف د. محمد بن سعد العصيمي ود. محمد بن حسن الصائغ.. وشارك في الكتابة د. إبراهيم الشدي، ود. إبراهيم الدوسري، ود. أحمد الأميري، ود. بهجت بن محمود جنيد، ود. دحام العاني، ود. راشد المبارك، ود. زياد الدريس، ود. سعد الراشد، ود. سعيد المليص، ود. سعود المصبيح، ود. صالح الدوسري، ود. عبدالعزيز الديان... وغيرهم ممن عملوا مع الدكتور الرشيد.

وجاء في مقدمة الكتاب: تميزت هذه الكتابة بالشفافية والوضوح لاسيما وأنها كتبت بعد أن ترجل الفارس عن صهوة الوزارة وبقيت ذكريات الوفاء العاطرة المليئة بالخبرات الثرية في مختلف الحقول والجوانب.

جريدة الجزيرة

الجمعة ١٤٣٣/٤/٩ هـ

الشكر والعرفان لوفاء الأوفياء،

أ. د. محمد بن أحمد الرشيد

خمسة وعشرون مخلصاً يحيطون بي الآن... كيف أقدرهم حق قدرهم... خمسة وعشرون من الأوفياء حولي كيف أوفي بشيء من وفائهم.. عملت معهم فى مواقع مختلفة، فأحاطونى بحبهم، وزودونى بإخلاصهم، وساندونى بصدق عطائهم، وأمدونى بتجاربهم، فتحقق فى أعمالى ما تحقق، ونهضت التربية - التى هى طوال حياتى - كما قالوا.. قدر ما نهضت.

قراءات وذكريات فى كتاب ألفوه، عدد صفحاته كعدد أيام العام الواحد... سجل فيه إخوانى وأحبابى الكرام طيب مشاعرهم، ونبيل إنسانيتهم معى، وأخرجوه فى ثوب قشيب.

إهداء نبيل عظيم، ما شعرت بسعادة مدى حياتى بهدية أو ترقية أو وظيفة أو كسب مادى أو معنوي مثلما شعرت اليوم بهذا الكتاب الذى تفضل فيه الإخوان المخلصون الأوفياء بتسجيل ما قدر الله على إنجازه فى مجال عملنا، وكذا خواطرها نحوي فى أثناء عملي معهم فى الوزارة، وقبلها، وبعدها، وشعوري هو أن :

• دين الوفاء لحق الأوفياء ثقيل.

• صدق رد الجميل لأهل الجميل شاق وكبير.

لا شك عندي فى إخلاص من كتبوا، ولا أشعر بمزايدة منهم فيما قالوا: فأنا لست الآن فى العمل معهم حتى تكون مجاملة، ولست عائداً إليهم حتى ترجى العلاقة، لكنها علاقة وثيقة، خالصة باقية، كانت قبل عملي معهم، وسوف تبقى، قالوا فى المقدمة: (وتميزت هذه الكتابة بالشفافية والوضوح، وبقيت ذكريات الوفاء العاطرة المليئة بالخبرات الثرية فى مختلف الحقول).

خمسة وعشرون شهادة إنسانية تلقيتها من خمسة وعشرين نبيلاً من الرجال.. من خمسة وعشرين قيادياً فى التربية والتعليم.. سبقني بعضهم فى مواقع العمل، وبقي بعضهم بعدي كما عرفتهم جداً ومثابرة، ولكن سوف تبقى علاقتي الحميمة، وحبى الوفى لهم أبداً الدهر.

لقد أفاضوا علي من الثناء وإسداء العرفان مما هو كثير علي حقاً، ومما هو مثل كريم سجايهم صدقاً، لقد سجلوا خواطرم الممتدة طيلة زمالتنا وطيب حظوتي بمشاركاتهم جميعاً، فالعبء فى العمل التربوي والتعليمي ثقيل، والعمل والتطوير للمدارس والطلاب أثقل، لكن كانت الجهود المتضافرة منهم معي فوق كل عبء، وأقوى من كل حمل.

عادت إلي الآن ذكريات صديق مخلص كتب لأوفياء مثل أحابي هؤلاء:

الأوفياء على الزمان قليلٌ أنتم وفاءٌ نادرٌ وجميلٌ
أسبغتمُ الحبَّ الكبيرَ بروحكُم إني بكمُ أزهُوٌ وليسَ بديلٌ
زهو الحياةِ أنا بكمُ يا رفقتي ما غيرُكمُ إنَّ الوفاءَ نبيلٌ

تفضلكم بإصدار هذا الكتاب الذى هو أنتم بكل ما تتسمون به من القيم، وما تحيون عليه من المثل، وما ترتبطون به من الفضائل، تؤكدون أن الدنيا غنية بالأوفياء، والحياة مزدهرة دائماً بخير الرجال، ولن تضعف علاقات بين الناس وأنتم بصفاتكم الكريمة أواصرها، وبعطاءكم الكريم المخلص إمداداتها، وأنتم بما سجلتموه من لمحات أعمالكم، وما جاء من بعض رواسخ وثوابت تجاربكم تعطون الثقة أن هذا الوطن سيظل - كما هو دائماً - شامخاً عالياً متأصلاً، وأنتم كالرواسي فيه، وفى أهم مجالات العمل التي تؤكد ثبوت التطور الشامل لكل نواحيه، وما ذكرتم من أعمال تمت حين كنت معكم، وما جاء من تطور تشهدون به وأنا بينكم هو جَنِيَّ جهدكم، وحصاد عملكم، فاليد الواحدة لا تصفق، وأننى لإنسان مهما أوتي من القدرات أن يحقق نجاحاً بمفرده.

والشكر الكبير لكم أنكم أعدتم فى أثناء التعبير عن نبيل علاقتنا، أعدتم لي ذكريات جميلة، هي كنز حياتي، وأصلتم المشاعر الراسخة فى أعماقي، وباستعراض ما

كان بيننا من لقاءات وعطاءات، هادفين منها مصلحة الوطن ورقية، أشعر بالحياة حولي كأنها عادت للشباب، وبالروح عندي وكأنها امتلأت كما كنت بينكم بالهمة والنشاط.

شكري لكم لا يوفيه قلم، ووفائي الغالي لوفائكم لا يتسع مقال، ولكن اتصال الأرواح هو الأقدار، ودوام العلاقات بيننا هو الأجدر، وبأكثر مما عبرتم عنه أنا الذي نلت منكم الخير الكثير، وحققت معكم العمل الموفق والجزيل.

إن من أهم ما أسديتموه لي ولكل المهتمين بقضايا التربية والتعليم هو رصدكم التوثيقى للمبادرات التربوية والمشروعات التعليمية التي قدر الله لنا جميعاً أن نتبناها، ونبذل الجهد لتحقيقها، وأن يجد فيها من بعدنا ما يستحق المداومة والتطوير لها.

لم تكن الإمكانيات المادية على السعة التي هي عليه الآن في السنوات الأخيرة، إلا أنه بتوفيق الله، ورعاية قيادتنا للتربية والتعليم تحقق الشيء الكثير الذي وفقتم في وصفه وصفاً دقيقاً في كتابكم هذا، الذي هو في الحقيقة سجل تاريخي موثق لما جرى في ميدان التربية والتعليم كماً وكيفاً في وطننا السعودي خلال عشر سنوات هي المدة التي قضيناها معاً، وتضافرت جهودنا سوياً لتحقيقها، وقبلها مع إخوان آخرين في ميدان العمل التربوي المشترك بين دول الخليج العربي.

ولم يكن لهذا الإصدار أن يخرج بهذه الجودة الفنية، واللغوية، والعاطفية، والتوثيق، والمضامين، إلا بما جاء من جهد مشكور لأخويي الكريمين الدكتور محمد بن سعد العصيمي، والدكتور محمد بن حسن الصائغ اللذين أشرفا عليه.... فتحياتي لهما... وخالص وجزيل تقديري للجميع.

وفقنا الله جميعاً إلى الخير والصواب والأخذ بأسباب القوة مهما غلا ثمنها، اللهم، اجعل صدورنا سليمة معافاة، وأمدنا يا ربنا، بتأييد من عندك وتسديد.



الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه وبعد إطلالة تاريخية ممتعة من خلال ثلاثين نافذة على ذكريات شخصيات تنوعت خبراتها ومجالاتها وتجاربها من داخل المملكة العربية السعودية ومن خارجها ومن وزارة التربية والتعليم وخارجها، أجمعت كلها على أن وزارة التربية والتعليم ومكتب التربية العربي لدول الخليج حظيا بأنموذج فريد في القيادة والتربية والوفاء والإنسانية وبحسب لكل منهما عصر من عصوره الذهبية، إضافة إلى الإنجاز تمثلت في قيادة معالي الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد - يرحمه الله - لهذين المرفقين مدة تجاوزت ثمانية عشر عاماً أثمرت ثماراً يانعة طيبة، وحققت كثيراً مما كان يرومه التربويون والمهتمون بفضل من الله وتوفيقه، ثم بالعلم والمعرفة والحكمة وبمتانة العلاقات الإنسانية بين الرئيس والمرؤوس وأفراد المؤسسة كلها وبالتقدير والاحترام المتبادل وتقبل الرأي الآخر والانتماء للعمل وحب الوطن وأبنائه واستشعار المسؤولية والأمانة والصدق مع النفس والعدل والاعتماد على الكفاءة والقدرة والتأهيل والخبرة بوصفها أساساً لتولي الأعمال والمسؤوليات، وبالحوار البناء والانفتاح على المجتمع والإعلام، وتقبل النقد بصدر رحب وكسب ثقة ولي الأمر والمعلم ومنح الثقة وتخويل الصلاحيات، حتى تكررت مقولات: (انطلق فحدودك السماء)، و(من لا يعمل لا يخطئ)، و(النائم لا يتعثر)، و(وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة ووراء كل تربية عظيمة) (معلمون مخلصون). وانصراف الموظف إلى الاهتمام بعمله وترك ما يخصه من ترفقيات للمسؤول الأول ليتم ذلك بالفعل قولاً وعملاً، وحقاً أن من لا يهتم بالموظف الذي يؤدي العمل، فهو أصلاً لا يهتم بالعمل نفسه. ومن ذلك أيضاً التواصل من خلال الاجتماعات واللقاءات الدورية داخل الوزارة وبين الوزارة والمناطق وتبادل الفكر محلياً وإقليمياً وعالمياً، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها، فهو أحق الناس بها.

وبما أن القيادة وإدارة الأعمال مهمة جداً؛ والأساس في نجاح أي عمل فإن ذلك يعود للقائد نفسه وما يتسم به من صفات أخلاقية ومهنية، وقد عرجنا آنفاً على بعض منها وبالتأكيد، ففشل كثير من أعمالنا يعود للإدارة وفقدانها لصفات القيادة. فالقائد الناجح سبب رئيس في نجاح مؤسسته، ومن يعمل معه وإن كانوا في مظنة الفشل، والفاشل سبب رئيس في فشل مؤسسته ومن يعمل معه وإن كانوا في مظنة النجاح.

ومن هنا، فهذا الأنموذج كما ورد في مقالات كتاب هذا الإصدار جدير بالاهتمام وبالدراسة والتحليل والإفادة منه خصوصاً من قبل الجهات المعنية بالتطوير التربوي والإداري، وكذلك القيادات في التربية وغيرها من المجالات، وذلك للإسهام في الرفع من مستوى الأداء والإنتاج والإسهام في تحقيق أهداف الخطط التنموية بأفضل صورة بإذن الله.

ويؤمل في الطبقات القادمة المزيد من الرصد للتجارب والخبرات في هذه الحقبة على مستوى الوزارة والمناطق والمدارس لشخصيات أسهمت بدور فاعل في هذه الحقبة، ويمكن التواصل بالملاحظات على هذه الطبعة، وكذلك المشاركات في الطبقات القادمة على البريد الإلكتروني: alosaimi_m@yahoo.com

سائلين الله العلي القدير أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من أسهم في هذا العمل وأن يتغمد الدكتور محمد الرشيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويأخذ بأيدينا وبلادنا وأمتنا إلى كل ما فيه الخير والصلاح.

والله ولي التوفيق.





شواهدك

من مسيرة التربية
والقيادة والوفاء

◀ أمام الحرم النبوي الشريف .



◀ زيارة مسؤولي الوزارة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله.



◀ من زيارة منطقة حائل التعليمية.



◀ زيارة منزل الأستاذ سليمان الزايدي مدير عام التعليم بمنطقة مكة المكرمة.



◀ في منزل الدكتور الرشيد بالرياض.

بعد أن انتهت فترة عمله في مكتب التربية وبقي طرفاً إيجابياً في الحفاظ على أصدقاء العمل.



◀ من زيارة منطقة القصيم التعليمية



من أحد لقاءات قادة العمل التربوي.



في زيارة لأحد الفصول.



◀ في افتتاح مبنى مدرسي في قرية الأساملة بمنطقة جازان.



◀ مع بعض مسؤولي التربية والتعليم في دول الخليج العربية.



◀ من زيارة لإحدى المدارس.



◀ د. محمد الرشيد: مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج يرأس أحد الاجتماعات الدورية لهيئة تحرير مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية. عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.



◀ زيارة علمية لمسؤولي البحث بدول الخليج العربي في باريس: د. محمد الرشيد والمسؤولين في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج.



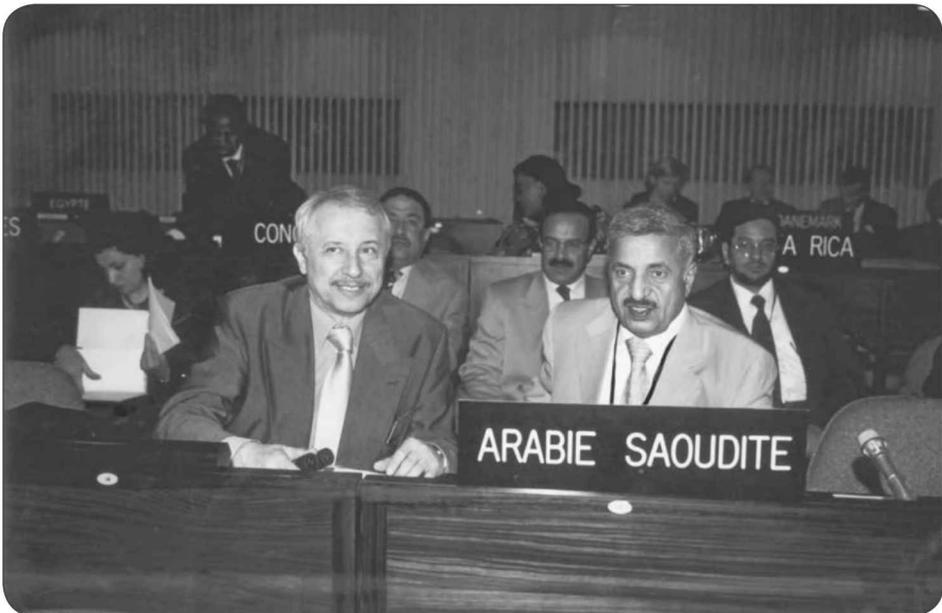
◀ في أحد اللقاءات الدولية للكشافة.



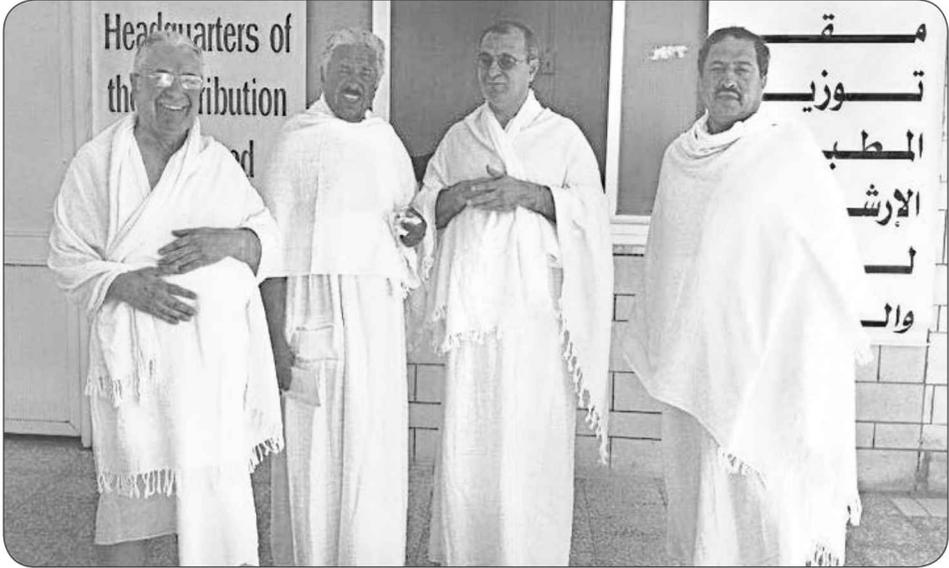
◀ من إحدى الزيارات الدولية لمسؤولي الوزارة (اليابان).



◀ من أحد مؤتمرات اليونسكو (باريس).



◀ من الميقات إلى رحاب الحرم المكي الشريف في رمضان مع بعض أصدقائه



◀ من أواخر الصور في مزرعته قبل وفاته رحمه الله بأربعة أيام

الثلاثاء ١٦/١/١٤٣٥هـ (١٩/١٣/١١٢٠م)

